
للشيخ الإمام سلطان العلماء
عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام
السلمي الدمشقي الشافعي
تحقيق : د. مصطفى محمد حسين الذهبي
تقديم: أحمد زكي يماني
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي



للشيخ الإمام سلطان العلماء

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام

السلمي الدمشقي الشافعي

«٥٧٧ - ٦٦٠هـ»

تحقيق

الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي

تقديم

أحمد زكي يماني



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

لندن

١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م


mohamed khatab

مجاز القرآن

سلسلة الفرقان للمخطوطات

المنشورة رقم: ٦٠

منشورات الفرقان: رقم ٣٧
سلسلة المخطوطات المنشورة: رقم ٦



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

Al-Furqan Islamic Heritage Foundation
Eagle House
High Street
Wimbledon
London
SW19 5EF

(Al-Furqan Cataloguing in Publication Data: (بيانات الفرقان للفهرسة أثناء النشر:

ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ)

مجاز القرآن / تأليف عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي (٥٧٧ - ٦٦٠هـ) ؛ تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي ؛ تقديم أحمد زكي يماني.– لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤١٩ هـ= ١٩٩٩م.

٥٠+ ٥٥٧ص؛ ٢٤سم.– (منشورات الفرقان؛ ٣٧. سلسلة الفرقان للمخطوطات المنشورة؛ رقم ٦).

1. القرآن–بلاغة. 2. القرآن –مجاز. أ. الذهبي، مصطفى محمد حسين (تحقيق). ب. يماني، أحمد زكي (تقديم). جـ. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي– لندن. د. العنوان. هـ. السلسلة. و. السلسلة الفرعية.

ISBN 1 873992 37 8

Published by Al-Furqan Islamic Heritage Foundation, London, UK
Eagle House, High Street, Wimbledon, London SW19 5EF

المؤلف

العز بن عبد السلام (٥٧٧-٦٦٠هـ) علم من أعلام الإسلام، وواحد من مفكري نقرن السابع الهجزي، وأحد سلاطين العلماء الذين حاربوا الظلم والطغيان وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وغيروه، وهانت عليهم أرواحهم في سبيل نصرة دين الله وإعزازه.

وقد اشتهر العز عند الباحثين بذلك، كما اشتهر بأنه فقيه مجتهد. وكثير من مؤلفات الإمام العز بن عبد السلام لم يخرج إلى النور، ومنها هذا الكتاب وعنوانه: (مجاز القرآن)، والذي قام بتحقيقه الدكتور مصطفى الذهبي، وقدم في بدايته ترجمة موجزة عن حياة (سلطان العلماء) تتناول نسبه ومولده وأعماله ومواقفه وشخصيته العلمية ومؤلفاته، وكلمة قصيرة عن قضية (المجاز) في القرآن بين المؤيدين والمعارضين. وفي كتاب مجاز القرآن، أبرز المؤلف ما اشتمل عليه كتاب الله العزيز من فنون البيان والمعاني، وحقق ما فيه من إعجاز لم يستطع العرب الفصحاء أن يأتوا بمثله رغم ما كانوا يجيدونه من فنون القول.

كما ألحق ابن عبد السلام في آخر الكتاب خاتمة ذكر فيها نبذا من مقاصد الكتاب العزيز.

المحقق

الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي من مصر، وهو من مواليد (الطائف)، المملكة العربية السعودية سنة ١٩٤٩، حيث كان يعمل والده مدرسا (بدار التوحيد) لعلوم التفسير والحديث، نشأ بالقاهرة، وحصل على بكالوريوس الطب والجراحة بجامعة القاهرة سنة ١٩٧٣م وماجستير الأمراض الصدرية سنة ١٩٧٧م، ودكتوراه الأمراض الصدرية جامعة القاهرة ١٩٨١م، وارتقى في المناصب العلمية حتى صار أستاذا للأمراض الصدرية ورئيس قسم الحساسية بكلية الطب/ جامعة القاهرة.

ويعمل أيضا استشاري أمراض الصدر والحساسية بكبرى مستشفيات القاهرة، وله مشاركة في كثير من الأبحاث العلمية، وزيارات إلى ألمانيا وهولندا وفرنسا والمملكة العربية السعودية.

وإلى جانب تخصصه الطبي، قام الدكتور مصطفى الذهبي بجهود علمي مشهود في تحقيق كثير من المخطوطات العربية والإسلامية، ومن بين الكتب التي قام بتحقيقها:

١- صحيح مسلم ٢- سنن ابن ماجة ٣-سنن الترمذي
٤- إيثار الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق
٥- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام/ للفاسي
٦- الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة/ للفاسي
٧- الورع/ للإمام أحمد بن حنبل.
٨- الدر النثير تلخيص نهاية بن الأثير/ للسيوطي
٩- الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين/ للحافظ مُغلطاي.
١٠- الجواهر البهية في شرح الأربعين النووية
١١- المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل
١٢- مجاز القرآن/ للعز بن عبد السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم أحمد زكي يماني

رئيس مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

الحمد لله الذي أنزل الفرقان ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمي الذي منحه الله فصاحة اللسان، وآتاه جوامع الكلم وحسن البيان. وبعد:

فعندما وفقنا الله بإنشاء مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن، اخترنا لها اسم «الفرقان» وهو من أهم أسماء القرآن. وعندما حددنا حقول التراث التي نركز عليها جُلَّ اهتماماتنا، كانت علوم القرآن في مقدمتها. ورغم أن القرآن قد أُنزل بلسان عربي مبين، وكان المجاز سمة من سمات البلاغة في لغة العرب، إلا أن الخلاف حول المجاز قد اشتد واحتدم، عندما تعلق الأمر بآيات الكتاب الكريم، وأصبح المجاز في القرآن من القضايا الشائكة التي يتعرض لها من تناولها بالتكفير أو التحقير.

ولقد أحسن الأستاذ الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي عملا حين حقّق لسلطان العلماء عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام كتابه القيم عن «مجاز القرآن» وهو إحدى روائع ذلك العالم الجليل الذي استحق أن يكون للعلماء سلطانا. وسارعت مؤسسة الفرقان إلى نشر هذا السفر الهام في موضوع نال الكثير من الاهتمام. سائلين المولى أن ينفع به طلاب العلم، وأن يجعله لسلطان العلماء ومحقق كتابه صدقة جارية لعلم يُنتفع به، ونسأله أن يدخلنا معهما بفضله لنكون في زمرة المأجورين، ففضله واسع عظيم، وهو أكرم الأكرمين.

أحمد زكي يماني

مارس ١٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته أجمعين :

وبعد . . . ففى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى، بدأت حركة التدوين والتأليف فى العلوم والفنون العربية والإسلامية، وأخذت تنمو وتزداد كلما انصرم قرن وأتى آخر. ومن الحقائق البارزة فى هذا المجال أن التأليف فى العلوم «اللسانية» جملة كان من باكورة البحث عند العلماء الرواد من المسلمين، فالخليل بن أحمد[1] يضع كتاب «العين» فى جمع مفردات اللغة وبيان معانيها، ويتطرق إلى التراكيب أحيانًا، كما وضع علمى العروض والقافية، ثم يأتى سيبويه[2] إمام النحاة ويضع «الكتاب» فى النحو والصرف وبعض القراءات، والفراء[3] وقطرب وأبو عبيدة[4] يضع كل منهم مصنفًا فى الدراسات القرآنية، الفراء باسم «معانى القرآن» وقطرب وأبو عبيدة باسم «مجاز القرآن».

ثم تتابعت الجهود فى البحث والتدوين والتأليف، وأخذت تضيف وتضيف، وتناولت علوم الأدب والنقد والبلاغة والبيان، وواكبتها بحوث أخرى جادة فى الفقه وأصوله،

---

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم الفراهيدى الأزدى، العالم الجليل، توفى سنة ١٧٠ هـ (انظر الزركلى ٢/ ٣٦٣).

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى، إمام اللغويين والنحويين، توفى سنة ١٨٠ هـ (الزركلى ٢/ ٢٥٢) .

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمى، توفى سنة ٢٠٧ هـ (الزركلى ٩/ ١٧٨) .

(٤) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى، عالم مشهور فى اللغة والأدب، توفى سنة ٢١٠ هـ (الزركلى ٨/ ١٩١) .

والتفسير والحديث والعقائد وعلم الكلام.

وكان للفتوحات الإسلامية، واحتكاك الثقافة والعلوم العربية والإسلامية بالثقافات والعلوم الأجنبية دور بارز في مجال البحث والتفكير، وبدأت ظاهرة «التزاوج الفكرى» تأخذ مكانها من الظهور، وقد غذت هذه الظاهرة ظاهرة أخرى كان لها وجود من قبل، وهى ظاهرة الخلاف في كثير من الحقائق والأصول والفروع، لا يخلو من ذلك مجال فكرى واحد حتى بين من ينتمون إلى مذهب واحد.

وكان مما اختلفت وجهات النظر حوله قضية «المجاز» وقد بدأ الخلاف حولها مبكراً. ومضمون الخلاف حولها كان يدور على الشكل الآتى:

هل المجاز واقع فى اللغة العربية أم غير واقع؟ وإذا كان واقعًا فيها فهل يجوز وقوعه فى القرآن الكريم وفى أحاديث النبى ﷺ؟

اختلفت الأنظار حول هذه القضية على ثلاث شعب:

* فريق يقول بوقوعه فى اللغة وفى القرآن الكريم وفى الأحاديث الشريفة.
* وفريق يرى أنه غير واقع لا فى اللغة ولا فى القرآن ولا فى الأحاديث.
* وآخرون يذهبون إلى نفيه عن القرآن وعن الأحاديث، ولم يتحمسوا لنفيه عن اللغة.

والقول بنفيه عن اللغة والقرآن والأحاديث جملة منسوب للأستاذ أبى إسحاق الإسفرائينى وأبى على الفارسى[1] من العلماء الرواد.

أما نفيه عن القرآن خاصة فمنسوب إلى ابن القاص الشافعى، وابن خُوَيْز مِنْداذ المالكى، وأبى داود الظاهرى إمام مذهب الظاهرية وأتباعه.

أما عن جوَاز وقوعه فى اللغة وفى القرآن وفى الحديث الشريف فلا يُنْسب إلى «أفراد» وإنما هو مذهب الجمهور، أو مذهب العامة والكثرة الكاثرة التى لا تحصى عددًا من علماء الأمة فى كل فروع البحث والتأليف.

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفسوى، توفى سنة ٣٧٧ هـ (الزركلى ٢/١٩٣).

وقد تبارى الفريقان: مجوزو المجاز ومانعوه، يدفع كل منهما ما يراه للآخر، فوضع المانعون مصنفات فى إنكار المجاز، ورد عليهم بعض المجوِّزين، فوضعوا مصنفات فى الرد على منكرى المجاز.

ونتيجة لتلك الاتجاهات والمواقف، كان لابد أن تعمر مكتبة التراث الإسلامى بعدد من الآثار تؤرخ لها وتنقل إلينا وقائعها، وهذا ثبت لما تمكنت من الوقوف عليه:

١ ـ كتاب الردّ على من نفى المجاز من القرآن ـ للحسن بن جعفر الرحى.

٢ ـ كتاب فى نفى المجاز ـ لأبى الحكم بن سعيد البلوطى توفى سنة ٣٥٥ هـ.

٣ ـ تلخيص البيان فى مجازات القرآن - للشريف الرضى، توفى سنة ٤٠٦ هـ .

٤ ـ مجاز القرآن، للعز بن عبد السلام، توفى سنة ٦٦٠ هـ .

٥ ـ كتاب غفلة المجتاز فى علم الحقيقة والمجاز ـ للطوفى الصرصرى البغدادى توفى سنة ٦٧١ هـ.

٦ ـ كتاب الإيمان ـ لابن تيمية توفى سنة ٧٢٨ هـ.

٧ ـ الرسالة المدنية فى تحقيق المجاز والحقيقة فى صفات الله ـ لابن تيمية أيضًا.

٨ ـ كتاب الإيجاز فى دلالة المجاز ـ لعبد الحكيم بن أبى الحسن بن عبد الملك بن يحيى المراكشى توفى سنة ٧٢٣ هـ.

٩ ـ كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطّلة ـ لابن قيم الجوزية توفى سنة ٧٥١هـ.

١٠ ـ كتاب الإيجاز فى المجاز لابن القيم نفسه ـ ذكره السيوطى فى الإتقان ١ / ٧٠ .

١١ ـ الفوائد المشوق - وهو مطبوع وينسب خطأ لابن قيم الجوزية .

١٢ ـ مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن، للسيوطى، توفى سنة ٩١١ هـ .

١٣ ـ كتاب «منع جواز المجاز فى المنزّل والإعجاز» للشيخ محمد الأمين الشنقيطى، رحمه الله.

١٤ - المجاز فى اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع - للعلامة الدكتور عبد العظيم المطعنى، وهو كتاب فريد فى نوعه ، بذل فيه مؤلفه جهداً مشكوراً يدل على رسوخ قدمه فى هذا المجال، حاول فيه أن يضيق دائرة الخلاف بين الفريقين، فكان فارس حلبتها، وابن بجدتها، فجزاه الله خير الجزاء.

ومنشأ الخلاف ـ فيما يرجح ـ هو البحث فى أسماء الله وصفاته فقد وردت فى القرآن الكريم نصوص يوهم ظاهرها المشابهة بالحوادث مثل إثبات اليد لله سبحانه والوجه والعين، والمعية والقرب، والمجىء والاستواء، وفى الحديث الشريف وردت نسبة القدم والأصبع والصورة والنزول والضحك والكف لله سبحانه مع أن فى القرآن نصًا عاصمًا من اعتقاد التشبيه والتجسيم وأية مماثلة؛ وهو قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شىء**﴾.

ففريق من العلماء أجرى هذه الأمور على ظواهرها، وأبقاها على مدلولاتها؛ لأن الله وصف بها نفسه، وكذلك رسوله، ولن يصف الله أعلم بالله من الله، ورسوله لا ينطق عن الهوى، وهو أعرف الخلق بالله، وأعلمهم بما يجب له من كمالات، وما ينزه عنه من نقائص.

أجل، أقروها على ما هى عليه من غير تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل، وفريق توقف ولم يقل فى ذلك شيئًا، وهذان المذهبان يعرفان بأنهما مذهب السلف.

ووقف آخرون موقفًا آخر فأوَّلوا كل ما أوهم ظاهره تمثيلاً أو تجسيمًا، فأولوا اليد بالقدرة والقوة والنعمة، والأصبع بالأثر، والوجه بالذات، والاستواء على العرش بالهيمنة، والمجىء بمجىء الأمر، والنزول والقرب والمعية: باستجابة الدعاء ومنح النفحات وقرب العلم ومعية العلم والنصر والتأييد، ولكل من الفريقين أدلة يعتمد عليها.

وهكذا أخذ المجاز ينمو ويزدهر وتعترك حوله الأذهان فى ظلال العقيدة والتوحيد، وأخذ مثبتوه ومنكروه يتبارون حوله، وجميعهم كان يقصد تنزيه الله ـ سبحانه ـ عن الحوادث وإن اختلف المنهج من فريق إلى فريق، فمن أبقى النصوص على ظواهرها ومن أوَّلَهَا وصرفهَا سواءٌ فى نزاهة القصد ونبل الغاية، بيد أن منكريه رموا مجوِّزيه ـ وبخاصة

فى الأسماء والصفات ـ بأنهم معطلون حيث نفوا ما أثبته الله لنفسه، وما وصفه به رسوله، ولكل فعل رد فعل؛ فوجه المجوزون للمانعين تهمة التشبيه والتجسيم، وكل فريق كان يعتقد أنه على صواب.

والمتابع لسير النزاع بين الفريقين يرى أن الخلاف بينهما كان هادئًا طوال القرون الأولى حتى النصف الثانى من القرن السابع والربع الأول من القرن الثامن، حين اتجه الخلاف إلى الشدة والعنف، ولكن من جانب منكريه وحدهم دون مجوِّزيه؛ فقد برز على الساحة الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية «٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ» وقد وهبه الله ذاكرة واعية، وقلبًا ذكيًا، ولسانًا فصيحًا، وقلمًا جريئًا، وتبنى مذهب السلف من حيث الجملة، وتصدى لأقاويل كثير من الفرق ولم يترك مجالاً من مجالات الفكر الإسلامى إلا وكان له فيه قصب السبق، وكان مما أدلى فيه بدلوه موضوع المجاز فاختار مذهب المنع، وكتب فصلاً ضافيًا فى كتابه: «الإيمان» ينكر فيه المجاز ويحشد بين يدى إنكاره ما شاء أن يحشد من أدلة نقلية وعقلية وواقعية، وشدد النكير على مجوِّزيه ورماهم بالكذب حينًا، وبالجهل حينًا آخر، ومن يقرأ كتابه «الإيمان» يجد نفسه أمام صخرة عاتية، لا تعمل فيها المعاول إذا أريد النيل منها.

وكان السبب المباشر لهذه الحملة القاسية التى حملها على المجاز ومجوِّزيه أن فريقًا من العلماء قال: إن الإيمان هو التصديق القلبى... أما الأعمال فلا تدخل فى الإيمان حقيقة، وإنما تدخل فيه مجازًا.

والإمام ابن تيمية يرى أن الإيمان هو التصديق والعمل معًا، ولكى يصح له ما أراد أجهد نفسه وعقله فى إنكار المجاز على النحو الذى وصفناه.

ثم حمل لواء المنع من بعده تلميذه ابن القيم، فكان أقسى وأعنف من شيخه وكتابه الذى ضمنه الرد على مجوزى المجاز يشهد عنوانه على ما نقول، فقد سمَّاه: «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» كما سمى المجاز بـ «الطاغوت» وبذل طاقة ذهنية هائلة ليتوصل إلى إنكار المجاز من خلال اثنين وخمسين وجهًا سطَّرها فى كتابه المشار إليه.

وتوارثت الأجيال هذا الخلاف، وما يزال يتردد فى معاهد العلم وجامعاته، ويتخذ من المنع الآن كثير من المسلمين مذهبًا وعقيدة بفضل ما كتبه الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وقد ساعد على هذا ما للإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من غزارة فى النتاج العلمى، وشهرة فى البيئات الإسلامية، ثم انتماؤهما إلى ما عرف بمذهب السلف ـ رضى الله عنهم أجمعين.

ولكن إذا تجاوزنا كلاً من ابن تيمية وتلميذه، واتجهنا صوب الجمهور من علماء الأمة وأعلامها وصانعى حضارتها، ورائدى نهضتها العلمية والفكرية والثقافية والتشريعية، فإننا نرى شيئًا آخر مختلفًا جداً عما أبداه الإمام ابن تيمية ومن قبله ومن بعده من منكرى المجاز، فالنحاة واللغويون، والأدباء والنقاد، والأعجازيون والبلاغيون، والمفسرون والمحدثون، والأصوليون والفقهاء كل هؤلاء لهم مسلك آخر، ومنهج آخر أطبقوا عليه، وهو العمل بالمجاز كلٌّ فى دائرة اختصاصه، تشهد بذلك مصنفاتهم وآثارهم العلمية الصحيحة النسبة إليهم.

فها هو ذا ابن قتيبة فى كتابه «تأويل مشكل القرآن» يدافع بغيرة وحماس عن أهمية المجاز، فيقول: «ولو كان المجاز كذبًا، وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلاً ـ كان أكثر كلامنا فاسدًا. . .».

وينتقد الزركشى أولئك المعارضين الذين ينفون المجاز، ويصرِّح قائلاً: «. . . وهذا باطل، ولو وجب خلو القرآن من المجاز، لوجب خلوّه من التوكيد والحذف وتثنية القصص وغيره، ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن».

وممن ناقش هذه القضية السيوطى الذى تبنَّى هذا الاتجاه مكرِّرًا كلمات الزركشى، مضيفًا إليها قوله: «وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن، سقط منه شطر الحسن، فقد اتفق البلغاء على أنَّ المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز، وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها. . .»، وقد عالج السيوطى موضوع المجاز وأنواعه بصورة موسعة فى كتابه «الإتقان».

ترجمة سلطان العلماء

عصر سلطان العلماء

عاش الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى الفترة من خمسينات القرن السادس الهجرى إلى ستينات القرن السابع. إذ ولد بدمشق عام ٥٧٧ هـ، وعاش بها حتى هاجر إلى مصر عام ٦٣٩ هـ، وبها توفى عام ٦٦٠ هـ.

وإن إلقاء نظرة سريعة فاحصة على النواحى «السياسية والاجتماعية والعقائدية والفكرية» لعصر سلطان العلماء، من الأهمية بمكان، حتى يتحقق لنا وضوح الرؤية فى فهم شخصية هذا العالم الدينى الكبير، وتحليل مواقفه الحاسمة الجريئة أمام جميع التحديات التى قابلته وهو يعمل جاهدًا على إعلاء كلمة الحق، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، محاربًا كل بدعة وضلالة.

الناحية السياسية:

تميز عصر سلطان العلماء بكثرة الأحداث السياسية والحروب الطاحنة فى الداخل والخارج. لقد شهد عصر عز الدين بن عبد السلام مواصلة قوى التحدى الخارجية ـ الغزو المسلح لبلاد المسلمين فى الشام ومصر ـ وتمثلت هذه التحديات فى الحملات الصليبية وغزوات التتار.

والحركة الصليبية تعتبر أولى موجات الاستعمار الأوربى التى جاءت متسترة وراء صليب المسيح وهى أبعد ما تكون عن دعوة هذا المقام العظيم. أما غزوات التتار فقد ابتليت بها بلاد المسلمين حيث استطاع التتار تحطيم الخلافة الإسلامية فى بغداد عام ٦٥٦ هـ ومواصلة الغزو إلى الشام ومصر حاملين معهم الخراب والدمار.

وأمام هذه التحديات الخارجية خاض المسلمون معارك طاحنة ضد أعداء الدين، وبذلوا النفس والنفيس قربانًا من أجل النصر، ويشهد التاريخ على الدور الذى قامت به مصر فى هذا الجهاد، فقد تحملت مسئوليات جسام ـ مادية وعسكرية وأدبية ـ فى رد هذه الغزوات.

وكان على سلطان العلماء وأمثاله واجب يقومون به أمام هذا العدو الذى يتربص

بالإسلام وبالمسلمين، فنجد للشيخ عز الدين بن عبد السلام مواقف حاسمة فى ميدان الجهاد، لعل من أهمها إعلان استنكاره لسلطان دمشق الصالح إسماعيل الذى تحالف مع الصليبيين ضد ابن أخيه الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر. وأكثر من هذا نجد الشيخ عز الدين يشترك اشتراكًا إيجابيًا فى الجهاد المسلح جنبًا إلى جنب مع جنوده المسلمين خاصة فى معارك دمياط ضد العدو الصليبى. ونجده أيضًا يحرض السلطان المظفر قطز على حرب التتار ويرشده ويثير معه حمية أمرائه ونخوة جنده حتى كتب الله للمسلمين النصر وهزموا التتار في موقعتين فاصلتين، هما عين جالوت وبيسان عام ٦٥٨هـ.

أما فى الداخل فقد أدرك سلطان العلماء فترة الدولة الأيوبية التى تلى وفاة مؤسسها صلاح الدين الأيوبى، وشهد الصراع بين أفراد البيت الأيوبى خاصة بعد وفاة السلطان الكامل، ولم يلبث النزاع الذى دب بينهم أن أوقع الدولة الأيوبية فى حالة شديدة من الفوضى وعدم الاستقرار، فى الوقت الذى تعرضت فيه البلاد للغزو الخارجي، وكان من نتيجة اشتداد هذا الصراع بين أفراد البيت الأيوبى أن طلب بعضهم الاستعانة بقوى الصليبيين أعداء الدين كما سبق أن أشرنا.

وهكذا اكتوى المجتمع الإسلامى فى مصر والشام بنيران هذه الفتن السياسية، نتيجة شهوة الحقد والطمع التى سيطرت على أفراد البيت الأيوبى، بدلاً من الاتحاد والتضامن من أجل عزة الإسلام وحماية بلاد المسلمين.

وعاش الشيخ عز الدين وهو يرى كل هذا، فآلمه هذا الواقع وعمل جاهدًا على إصلاح الأحوال، وتوجه بالنصح والإرشاد إلى أولى الأمر، وتحمل فى سبيل ذلك متاعب كثيرة، فالشيخ عز الدين هو الذى نصح الملك الأشرف بالصلح مع أخيه الملك الكامل بمصر خاصة والوقت كان وقت هجوم التتار وهو فى مرض الموت، وانصاع السلطان لهذه اللفتة الصادقة المخلصة. والشيخ عز الدين هو الذى غادر دمشق عام ٦٣٩ هـ تاركًا إياها تئن تحت وطأة حكم الخائن الصالح إسماعيل الذى تحالف مع أعداء الدين ضد ابن أخيه الصالح نجم الدين أيوب فى مصر، كما سبق أن ألمحنا، وكما سنفصله فيما بعد. ويهاجر الشيخ إلى القاهرة لكى يواصل من هناك أداء رسالته السامية، ووجد من سلطان مصر الصالح نجم

الدين أيوب كل احترام وتقدير.

الحالة الإجتماعية والعقائدية:

عاش الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى مجتمع متعدد الأجناس، فقد كان المجتمع فى مصر والشام آنذاك يموج بكثير من الأجناس المختلفة، بل المتباينة فى الطباع والعادات والتقاليد، وفى فهم الحياة وألوان المعيشة. وتمثلت هذه الأجناس فى الترك، والعرب، والفرنج والتتار «الذين وقعوا فى الأسر، وأقاموا فى البلاد» والأرمن.

هؤلاء جميعًا وآخرون غيرهم، عاشوا فى كنف مجتمع واحد، مما وَلَّدَ الصراع الاجتماعى وعدم الاستقرار، وكان لهذا أثر بالغ خطير فى الحياة السياسية والفكرية والقضائية حين ذاك.

ومن المنطقى أن مجتمعًا كهذا لابد أن يكون تركيبه الطبقى معقدًا، حيث تتعدد الطبقات على شكل سلم هرمى يتلو بعضها بعضًا، فمن طبقة متميزة تعيش فى ترف وبذخ متناهيين، إلى طبقة كادحة تعيش عيشة الكفاف أو دونه، ونستطيع أن نحدد أهم الطبقات فى ثلاث:

الطبقة الأولى: هى طبقة الأمراء وعلى رأسهم السلطان، وكان لها نصيب الأسد من النفوذ والجاه، إن لم يكن النصيب كله.

والطبقة الثانية: هى طبقة العلماء والفقهاء وكبار رجال الدين، وكان لهؤلاء نفوذ ضخم لدى السلاطين والجماهير، مستمد من منصبهم الدينى.

والطبقة الثالثة: هى طبقة جماهير الشعب من تجار وصناع وزراع، وهى الطبقة العاملة الكادحة التى تخضع أحيانًا كثيرة لظلم المكوس المختلفة.

وإن مجتمعًا متعدد الأجناس والطبقات كهذا الذى يعيش فى كنفه سلطان العلماء لابد أن تصاحبه أديان وعقائد متباينة، بل إن الدين الواحد كانت تتنازعه نحل ومذاهب عدة، وكان هذا من بواعث القلق والفتنة والاضطراب.

نعم.. كان هنالك المسلمون «أهل البلاد والكثرة الغالبة بطبيعة الحال» وأهل الذمة من اليهود والنصارى، والإسماعيلية وغيرهم من الشيعة .

وكان المسلمون فرقًا مختلفة من ناحيـة العقائد الدينية، ومن ثم تجلت الخلافات المذهبية واحتدمت المجـادلات والمناظرات، وشغل كثيـر من العلماء بالنظر في العقائـد وغيرها من أمور الدين، والمناقشة فيها، وتعزيز الرأي الذي يذهبون إليه.

وانشغل المسلمون بهذه الخلافات المذهبية وكانوا يتعصبون ويتحزبون لهذا المذهب أو ذاك خاصة مـذهب الأشعرية، أو مذهب أهل الظاهر من الحـنابلة المتعصبين، وكـان الشيخ عز الدين بن عبـد السلام أشعـريّ العقيدة، ومن ثم واجـه فتنًا كثـيرة من الحنابلة المتعـصبين، واستطاع أن يدحض آراءهم ويرد على مفترياتهم.

ومع شيوع هذه النزعة الدينيـة في عصر سلطان العلماء ظهرت أقوى طريقـة صوفية في زمنها وهي الطريقة «السهـروردية»، وإمامها الشيخ شهاب الدين السهـروردي، واستهدفت قلوب الناس، واسـتطاعت أن تستـميل قلب الشـيخ عز الدين أيضًـا حتى أنه بايع الـشيخ شهاب الدين وهو بدمشق، وظهرت أيضًا في مصر الطريقـة الشاذلية، وصاحبها الشيخ أبو الحسن الشـاذلي، وقد التقى به ابن عبـد السـلام وصاحـبه، وانتفع كل منهمـا بعلم الآخر ومعرفته.

الناحية العلمية والفكرية:

كان عـصر عز الدين زاخـرًا بالعلم والعلماء والنـتاج الكثيـر الضخم في جمـيع العلوم الإسلامية أمـهاتها وفروعها، ولقـد كانت مصر والشام من مراكز العلم الكـبيرة في العالم الإسلامي ثم زادت أهمـيتهما في هذه النـاحية بعد زوال الخلافـة من بغداد سنة ٦٥٦ هـ، وقد كان هذا سببًا طبيعيًا لهجرة جمهرة العلماء، أو فرارهم من بغداد إليها وإلى دمشق، أو إلى غيـرهما من مدن مـصر والشام واستـقرارهم فيـها واتخاذها أوطانًا لهم تكون مـجال نشاطهم الفكري وانتاجهم العلمي في ضروبه العديدة المختلفة.

ومن ثم فقد تـعددت مراكز العلم في مـصر والشام، وكان لكل مركـز من هذه المراكز جامع يفد إليه الكثيرون من طلاب العلم ورجاله، ومكتبته الضخمة التي تضم عيون التراث الإسلامي المجيد، فيتزود الراغبون في المعارف والعلوم من المساجد والمكتبات الملحقة بها ما

يفيدهم فى دينهم ودنياهم.

ولا مراء أن الجامع الأزهر كان قمة هذه الجوامع وأهم موطن للعلم والمعرفة منذ نشأته، هذا بخلاف الجوامع الكثيرة فى القاهرة والإسكندرية وفى الشام، وبعد ذلك ظهرت مراكز أخرى للحياة العقلية والفكرية وهى المدارس والمكتبات العامة، وكان الفضل الكبير فى إنشاء هذه المدارس أو المراكز العلمية الهامة للسلطان صلاح الدين الأيوبى ولأبنائه الملوك والأمراء من بعده.

ومن أهم هذه المدارس تلك التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى لتدريس الشافعية والحنفية. والمدرسة الفضلية التى بناها القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى سنة ٥٨٠ هـ، وجعلها لطائفتى الفقهاء الشافعية والمالكية، والمدرسة الصالحية التى بناها الصالح نجم الدين أيوب، وجعلها لفقهاء المذاهب الأربعة، إذ رتب لكل أصحاب مذهب درسًا فيها.

وقد عاش عز الدين بن عبد السلام فى هذا الوسط الزاخر بالمعرفة والعلم، وتتلمذ على كبار مشايخ وأساتذة عصره، واقبل على العلم فكان أعلم أهل زمانه.

سيرته وحياته (١)

هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلمى الدمشقى الشافعى.

ولد بدمشق عام ٥٧٧ هـ، وقد أهمل مترجموه القدامى، الذين كتبوا سيرته، فترة طفولته وصباه، اللهم إلا «السبكى» فى كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» فقد أورد رواية سمعها من والده الإمام توضح النشأة الدينية لعز الدين بن عبد السلام، وبداية تعلمه بعد بلوغه، حيث لم تتيسر له سبل العلم من صغره لشدة فقره.

يقول السبكى (٢) :

«كان الشيخ عز الدين فى أول أمره فقيراً جداً، ولم يشتغل إلا على كبر، وسبب ذلك أنه كان يبيت فى الكلاسة(٣) من جامع دمشق، فبات بها ليلة ذات برد شديد، فاحتلم، فقام مسرعًا ونزل فى بركة الكلاسة، فحصل له ألم شديد من البرد، وعاد فنام، فاحتلم ثانيًا، فعاد إلى البركة؛ لأن أبواب الجامع مغلقة، وهو لا يمكنه الخروج، فطلع، فأغمى عليه من شدة البرد، ثم سمع النداء فى المرة الأخيرة: يابن عبد السلام أتريد العلم أم العمل؟ فقال الشيخ عز الدين: العلم؛ لأنه يهدى إلى العمل، فأصبح وأخذ «التنبيه» فحفظه فى مدة يسيرة، وأقبل على العلم، فكان أعلم أهل زمانه، ومن أعبد خلق الله تعالى».

وتتلمذ ابن عبد السلام على أئمة دمشق الثقات، حيث سمع الحديث من الحافظ أبى

(١) مصادر الترجمة : العبر ٥/ ٢٦٠، الوافى بالوفيات ١٨/ ٥٢٠، طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٠٩-٢٥٥)، طبقات الشافعية للإستوى (٢/ ١٩٧-١٩٩)، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (٢/ ١٣٧-١٤٠)، شذرات الذهب ٥٢٢/٧، الأعلام (٤/ ١٤٤)، مفتاح السعادة ٢/ ٢١٢، النجوم الزاهرة ٢٨/٧، البداية والنهاية ١٣/ ٢٣٥، مرآة الجنان ١٥٣/٤، رفع الأصر ٢/ ٣٥٠، ذيل الروضتين ص٢١٦، طبقات المفسرين للداوودى ٣٠٩/١ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٨٢ .

(٣) زاوية الباب الشمالى لجامع دمشق.

محمد القاسم ابن الحافظ الكبير على بن عساكر، ومن شيخ الشيوخ عبد اللطيف بن إسماعيل البغدادى، ودرس الفقه الشافعى على الشيخ الإمام فخر الدين بن عساكر حتى تخرج عليه، وأخذ علم الأصول عن سيف الدين الآمدى(١)، أحد الأئمة الأعلام فى الأصول، وحضر فى البداية على بركات بن إبراهيم الخشوعى، والقاضى جمال الدين بن الحرستانى(٢).

وفى عام ٥٩٧ هـ سافر إلى بغداد فى طلب العلم أيضًا، فسمع الحديث بها من أبى حفص عمر بن طبرزد، وحنبل بن عبد الله الرصافى(٣)، ولم يمكث بها طويلاً وعاد إلى دمشق(٤).

وكان لهؤلاء الأساتذة تأثير كبير فى تكوين شخصية الشيخ عز الدين الفقهية، الأصولية، العلمية، الاجتماعية، القضائية، ونخص بالذكر ثلاثة من هؤلاء الأستاذة، وهم الذين تتلمذ عليهم ابن عبد السلام لمدة أطول، واستفاد منهم أكثر.

فالأول وهو الفخر بن عساكر، الذى تفقه عليه عز الدين، ولازمه مدة طويلة، وكان له أثر كبير فى سلوكه الشخصى، ـ عدا ما تأثر به فى ميدان الفقه والإفتاء ـ من صلاح وورع وإخلاص وقناعة، فالشيخ الفخر اشتهر بعلمه، وورعه، وزهده، وهذه أوصاف سنرى أن للشيخ عز الدين حظًا كبيرًا منها، كما يظهر تأثر ابن عبد السلام بالشيخ الفخر فى سلوكه الإجتماعى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فنجد عند كليهما مواقف مشابهة من

---

(١) هو على بن أبى على بن محمد بن سالم سيف الدين الآمدى، شيخ المتكلمين فى زمانه، ومصنف الأحكام، توفى سنة ٦٣١ هـ «وفيات الأعيان ٢: ٤٥٥، طبقات الشافعية للسبكى ٥: ١٢٩، البداية والنهاية ١٣: ١٤٠، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٣٧٩».

(٢) هو عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل بن على بن عبد الواحد، أبو القاسم بن الحرستانى، توفى سنة ٦١٤ هـ «طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٣٥٨، البداية والنهاية ١٣: ٧٧، النجوم الزاهرة ٦: ٢٢٠، طبقات الشافعية للسبكى ٥: ٧٤».

(٣) هو حنبل بن عبد الله الرُّصافى، المُكبِّر، أبو عبد الله راوى المسند، توفى سنة ٦٠٤ هـ «شذرات الذهب ٧: ٢٤، العبر ٥ / ١٠».

(٤) تاريخ علماء بغداد ص ١٠٦ .

بعض السلاطين في إنكارهما عليهم بعض الأمور، كما سنفصل ذلك فيما بعد.

أما الأستاذ الثاني، قاضي قضاة دمشق، الشيخ جمال الدين بن الحرستاني، فزيادة على زهده، وورعه، وعلمه، اشتهر بنزاهته في القضاء وجرأته في الحكم، ومساواته في الإنصاف بين الراعي والرعية، وسنرى آثار ذلك السلوك الشخصي والقضائي بارزة في سيرة الشيخ عز الدين.

ويأتي أخيرًا أستاذه الثالث، وهو العالم الأصولي الشهير سيف الدين الآمدي الذي أسهم في تكوين شخصية ابن عبد السلام الفقهية الأصولية بقسط كبير، وكان الآمدي غزاليّ عصره في الأصول، والكلام، والفلسفة، وأستاذ عصره، والشيخ عز الدين نفسه أشاد بذكره، وأبان عن فضله عليه، واعترف بتأثيره فيه.

الإمام الخطيب:

لا مراء أن منصب الخطابة في الجامع الأموي بدمشق، كان منصبًا عظيمًا في عصر الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ولم يكن يتولى هذا المنصب إلا كبار علماء هذا العصر، وقد ولي ابن عبد السلام خطابة الجامع الأموي من قبل الملك الصالح إسماعيل[١] في ربيع الآخر سنة ٦٣٧ هـ، كما ولي خطابة جامع عمرو بن العاص[٢] بمصر من قبل الملك نجم الدين أيوب بعد أن غادر الشيخ عز الدين دمشق عام ٦٣٩هـ.

وعندما تولى الشيخ عز الدين الخطابة بالجامع الأموي، أحال هذا الجامع إلى مركز إشعاعي إسلامي يصون للإسلام هيبته وكرامته، واتخذ من المنبر مذياعًا ينطق بكلمة الحق، لا يخاف لومة لائم، أو جبروت متكبر، وأخذ يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر محاربًا كل بدعة وضلالة.

وقد نوه مترجموه القدامى بذلك:

---

(١) هو عماد الدين الملك الصالح إسماعيل بن العادل، تملك دمشق مدة، وكان ملكًا شهمًا محسنًا إلى خدمه وغلمانه وحاشيته، توفي سنة ٦٤٨ هـ «شذرات الذهب ٥: ٢٤١».

(٢) أول جامع أنشيء بديار مصر، أنشأه عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ (٦٤٢م) ويعرف بتاج الجوامع، والجامع العتيق، ويعتبر الأثر الوحيد الذي بقي من عصر الخلفاء الراشدين.

قال الكتبى: «وكان أمارًا بالمعروف، نهاءًا عن المنكر، لا يخاف فى الله لومة لائم»(١).

وقال ابن العماد الحنبلى: «. . . وهذا مع الزهد والورع، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»(٢).

وقال السبكى: «. . . القائم بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر فى زمانه»(٣).

ولم يكن الشيخ عز الدين يكتفى بمجرد الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، بل كان يتخذ موقفًا إيجابيًا فى دعوته، ويباشر فورًا بإبطال المنكرات إذا تباطأ الحكام، أو المسئولون، ولقد أشار السبكى إلى هذا بقوله: «. . . ويباشر بنفسه إبطال بعضها»(٤) ومثال ذلك: قيامه هو وأولاده بهدم «الطبلخانة» التى بناها وزير الدولة المصرية على سطح أحد المساجد بمصر فقد رأى .

وكان الشيخ عز الدين جادًا فى إزالة البدع، ووقف موقفًا متشددًا من ظهور المحدثات فى أمور الدين ومحاربتها بكل ما أوتى من قوة وطاقة، وكان يعمل بنفسه ـ كما عرفنا ـ على إزالة هذه البدع والمحدثات والضلالات وهو يقول:

«طوبى لمن تولى شيئًا من أمور المسلمين فأعان على إماتة البدع، وإحياء السنن».

ويقول الشيخ شهاب الدين أبو شامة -أحد تلامذته-:

«كان أحق الناس بالخطابة والإمامة، فقد أزال كثيرًا من البدع التى كان الخطباء يفعلونها، من دق السيف على المنبر، وغير ذلك، وأبطل صلاتى الرغائب، ونصف شعبان»(٥).

ويقول المؤرخ الفقيه ابن الحنبلى:

«وقد ولى الخطابة بدمشق، فأزال كثيرًا من بدع الخطباء، ولم يلبس سوادًا، ولا سجع

(١) فوات الوفيات: ١/ ٥٩٥ .
(٢) شذرات الذهب: ٥/ ٣٠٢ .
(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٨٠ .
(٤) نفس المرجع السابق.
(٥) نفس المرجع السابق .

خطبته، كان يقولها مترسلاً، واجتنب الثناء على الملوك، بل كان يدعو لهم، وأبطل صلاة الرغائب والنصف»[(١)].

إن ابن عبد السلام فى محاربته هذه البدع، والمحدثات، والضلالات كان يستند إلى شريعة القرآن، وسنة رسول الله ﷺ، وكان لا يخشى اعتراض أحد من المبتدعين أو المنحرفين، ومن ثم كان يدور بينه وبينهم حوار، ومناقشات، ومناظرات، كانت كلها تنتهى بترجيح كفة الشيخ عز الدين، وهى - بلا شك - كفة الحق والصواب، فمثلاً عندما أنكر الشيخ عز الدين صلاة الرغائب والنصف من شعبان، وقام بإبطالهما، «وقع بينه وبين شيخ دار الحديث الإمام أبى عمرو بن الصلاح - رحمه الله - فى ذلك منازعات ومحاربات شديدات، وصنف كل واحد منهما فى الرد على الآخر، واستصوب المتشرعون المتحققون مذهب الإمام ابن عبد السلام فى ذلك، وشهدوا له بالبروز بالحق، والصواب فى تلك الحروب والضراب»[(٢)].

قاضى القضاة :

ولي الشيخ عز الدين منصب القضاء فى دمشق من قبل السلطان الكامل عام ٦٣٥ هـ، ولم يدم ابن عبد السلام فى هذا المنصب كثيراً، إذ تركه فى نفس العام عندما تولى الحُكْمَ الصالح إسماعيل الذى لم يكن على وفاق مع الشيخ عز الدين.

وعند قدوم سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام القاهرة عام ٦٣٩ هـ، ولاه الصالح نجم الدين أيوب[(٣)] منصب رئيس القضاة لمصر والوجه القبلى فى «١٠ جمادى الأولى من نفس العام»، بعد وفاة قاضى القضاة شرف الدين بن عين الدولة.

وقد اشتهر الشيخ عز الدين بالنزاهة والعدالة فى القضاء، وامتاز بالجرأة فى الحكم والتنفيذ، لم يخضع فى قضائه إلا للحق، وكان العدل أساس أحكامه، لم يترك فرصة

(١) شذرات الذهب ٥/ ٣٠٢ .
(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ـ٤/ ١٥٥ .
(٣) هو أبو الفتوح أيوب بن محمد بن أبى بكر نجم الدين الملك الصالح، وكان من كبار الملوك الأيوبيين بمصر، وكان شجاعًا مهيبًا، عفيفًا، من آثاره قلعة الروضة بالقاهرة، توفى سنة ٦٤٧ هـ.

لأهل الهوى لكى يتـدخلوا فى تغيير مجـرى العدالة، ولم يترك فرصـة لأهل الباطل لكى يزهقوا الحق، وإنما كـان جريئًا لا يخـاف إلا الله، ومن ثم استطاع أن يجـابه أهل الباطل، ويتحدى تدخلهـم فيما لا يعنيهم، وكـان يهدد بالاستقالة دائـمًا، إذا وقع تحت ضغط من السلطة الحاكمة، أو إذا حكم بالحق، ولم يجد الحق طريقًا للتنفيذ.

ولعل من أهم الأحداث التى صادفته، وهو فى منصب القضاء، حادث بيع أمراء الدولة الأتراك المماليك، فقد رأى قاضى القضاة عز الدين بن عبد السلام أن هؤلاء الأمراء ما زالوا عبيدًا أرقاء من الوجهة الشرعيـة، ولم يثبت عنده أنهم نالوا الحرية حسب الشريعة، فحكم عليهم بأنهم مـن أملاك بيت المسلمين، وطالب بعتـقهم بالطريق الشـرعى، وعندما تدخل السلطان فى هذه القضية؛ غضب الشيخ وقدم استـقالته وقرر العودة مرة أخرى إلى الشام، وهنا تلطف مـعه السلطان، وترك لـه حرية الرأى والحكم ورده إلى منصـبه ليـأخذ العـدل مجراه، وتعلو راية الحق، وسنتناول هذه الحادثة بالتفصيل فيما بعد.

أما الحـادثة الأخرى التى كـانت سببًـا فى استـقالة الشيـخ عز الدين نهائيًـا من منصب القـضاء، فكانت بسـبب حكم ابن عـبد السـلام على وزير المملكـة معين الدين بن شـيخ الشيـوخ وزير الملك الصالح نجم الدين، وقـد وقعت هذه الحادثة فى أواخـر عام ٦٤٠ هـ «فقد بنى أحد غلمان الصاحب معين الدين -بأمر مخدومه- بناء على سطح مسجد بمصر، وجعل فيه طبلخـانة عماد الدين بن شيخ الشيوخ، فأنكر ذلك قـاضى القضاة عز الدين بن عبـد السلام، ومضى بنـفسه وأولاده، حـتى هدم البناء، ونقل ما على السطح، ثم أشـهد «قاضى القضاة» على نفسه أنه قد أسقط شـهادة الوزير معين الدين، وأنه قد عزل نفسه من القضاء[1].

المفتى السديد:

عرف الشيخ عز الدين بمفتى الشام، وكـان الشيخ عز الدين جديرًا بهذا المنصب، وذلك لصدقه وبراعته، وسعة أفقه، وحرصه على أمور الدين.

---

(١) السلوك للمقريزى: القسم الثانى حـ ١، ص ٣١٢ .

قال عنه الشيخ اليافعي: «... وأفتى الفتاوى السديدة»[١].

وكان من نتائج هذا أن جاوزت شهرته بلاد الشام، وقُصِدَ بالفتاوى من الآفاق، ويؤيد ذلك قصد أهل الموصل له بالاستفتاء حتى جمع فى ذلك مجموعة تعرف باسم «الفتاوى الموصلية».

ولما استقر مقامه بمصر أكرمه حافظ الديار المصرية وزاهدها عبد العظيم المنذرى، وامتنع عن الفتيا، قائلاً:

«كنا نفتى قبل حضور الشيخ عز الدين، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه»[٢].

وتجمعت للشيخ عز الدين مجموعة من الفتاوى عرفت فى مؤلفاته باسم «الفتاوى المصرية».

وقد أورد السبكى رواية تدل على مدى حرص واهتمام الشيخ عز الدين بإصدار الفتاوى السديدة، وملخصها أن الشيخ عز الدين أفتى مرة بشيء، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنادى فى مصر والقاهرة على نفسه: من أفتى له فلان بكذا، فلا يعمل به فإنه أخطأ[٣].

الأستاذ العلامة:

درَّس الشيخ عز الدين بعدة مدارس بدمشق، كما قال مترجموه، من أهمها المدرسة الغزالية، والمدرسة الشبلية البرانية، وقد باشر التدريس فى المدرسة الأولى أيام الملك الأشرف، وتولى التدريس فى الأخرى بتكليف من الملك الكامل.

وفى مصر تولى سلطان العلماء التدريس فى المدرسة الصالحية المعروفة بين القصرين فى القاهرة، وقد بناها السلطان الصالح نجم الدين أيوب فى سنة ٦٣٩ هـ، وأنشأ فيها لأول مرة أربعة دروس لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، وقد عهد السلطان إلى الشيخ عز الدين تدريس الفقه الشافعى بهذه المدرسة بعد أن قدم الشيخ استقالته من منصب قاضى

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان: جـ ٤ .
(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٨١ .
(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٨٣ .

القضاة .

قال ابن العماد الحنبلى:

«وأخذ التفسير فى دروسه، وهو أول من أخذه فى الدروس»[1].

وكذلك نوَّه به السيوطى قائلاً:

«وألقى التفسير بمصر دروسًا»[2].

وقد تخرج على الشيخ عز الدين كثير من التلاميذ الأئمة، الذين تأثروا بشخصية الشيخ، وانتفعوا بعلمه، واقتدوا بأخلاقه وسلوكه.

ومن أقرب تلاميذه إليه شيخ الإسلام تقى الدين بن دقيق العيد[3]، وكان إمامًا فقيهًا أصوليًا، وكان من تقديره لأستاذه وعرفانه لمكانته أن لقبه بـ «سلطان العلماء» فاشتهر بهذا اللقب الشيخ عز الدين.

ومن تلاميذه البارزين قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأغر[4]، وكان إمامًا فقيهًا وقاضيًا عادلاً، وأستاذًا جليلاً، وهو الذى فوض إليه الشيخ عز الدين التدريس فى المدرسة الصالحية عند وفاته، وكان نائبه فى الحكم.

ومن تلاميذه أيضًا الإمام علاء الدين أبو الحسن الباجى[5]، والحافظ أبو محمد

---

(١) شذرات الذهب: ٥/ ٣٠٢ .

(٢) حسن المحاضرة: ٢/ ١٧٣ .

(٣) هو محمد بن على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى، شيخ الإسلام تقى الدين أبو الفتح، ابن دقيق العيد، توفى سنة ٧٠٢ هـ «طبقات الشافعية للسبكى ٦: ٢، البداية والنهاية ١٤: ٢٧، النجوم الزاهرة ٨: ٢٠٦، الدرر الكامنة ٩: ٩١، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٥١٧».

(٤) هو عبد الوهاب بن خلف بن بدر، العلامى، قاضى القضاه تاج الدين، الشهير بابن بنت الأغر - والأغر كان وزير الكامل بن العادل - توفى سنة ٦٦٥ هـ «شذرات الذهب ٧: ٥٥٥، طبقات الشافعية الكبرى ٥: ١٣٤، البداية البادية والنهاية ١٣: ٢٤٩، النجوم الزاهرة ٧: ٢٢٢».

(٥) هو على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، علاء الدين، أبو الحسن الباجى، المصرى، توفى سنة ٧١٤ هـ «طبقات الشافعية الكبرى ٦: ٢٢٧، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٥٢١، الدرر الكامنة ٣: ١٠١».

الدمياطي(١)، والحافظ أبو بكر بن مسدى الأندلسي، والشيخ شهاب الدين أبو شامة المقدسي المؤرخ الفقيه، والعلامة أحمد أبو العباسي الدشناوي(٢)، والعلامة أبو محمد هبة الله القفطي، والشيخ تاج الدين الفركاح، والقاضي صدر الدين موهوب بن عمر الجزري(٣).

الفقيه المجتهد :

قلنا إن الشيخ عز الدين تلقى دروسه في العلوم العربية والحديث والتفسير والفقه والأصول على أساتذة دمشق الثقات، وعلى الرغم من أنه عُرِف كواحد من أئمة الفقهاء الشافعية، وزاول تدريس الفقه الشافعي زمنًا طويلاً، فهو في الحقيقة ليس فقيهًا شافعيًا بمعنى الكلمة الضيق؛ لأنه تخطى كثيراً حدود الفقه الشافعي، ولم يتقيد به دائمًا، ولذلك عدَّ من المجتهدين، ونصَّ على ذلك كثير من مترجميه .

ثناء العلماء عليه:

قال السيوطي: «. . . ثم كان في آخر عمره لا يتعبد بالمذهب، بل اتسع نطاقه، وأفتى بما أدى إليه اجتهاده»(٤).

وقال شيخ الإسلام الذهبي: «وقرأ الأصول والعربية، وبرع في المذهب، وبلغ رتبة

---

(١) هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى، الحافظ الكبير، شرف الدين أبو محمد، وأبو أحمد، الدمياطي، توفي سنة ٧٠٥ هـ «البداية والنهاية ١٤ : ٤٠، طبقات الشافعية للسبكي ٦: ١٣٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٩٠٥، النجوم الزاهرة: ٨: ٢٠٨».

(٢) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، الكندي، الشيخ جلال الدين الدَّشْنَاوي ـ منسوب إلى دشنا، وهي بلدة من صعيد مصر الأدنى، توفي سنة ٦٧٧ هـ «الأعلام ١: ١٤٣، طبقات الشافعية للسبكي ٥: ٩، طبقات ابن قاضي شهبة ٤٢٩».

(٣) هو موهوب بن عمر بن موهوب بن إبراهيم الجزري، ثم المصري، أبو منصور، توفي سنة ٦٦٥ هـ «شذرات الذهب ٥: ٣٢٠، طبقات الشافعية الكبرى ٥: ١٦٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤٥٣».

(٤) حسن المحاضرة: ٢/١٧٣ .

الاجتهاد، وقصده الطلبة من الآفاق، وتخرَّج به أئمة...»[1].

وقال الحافظ أبو بكر بن مسدى الأندلسي:

«أحد فقهاء هذا المذهب، ممن فَرَّعَ على أصوله وَهذَّبَ، ورأس على فقهاء بلده»[2].

وبالغ العلامة ابن الحاجب المالكي قائلاً: «ابن عبد السلام أفقه من الغزالي»[3].

وقال ابن العماد الحنبلي: «وبرع في الفقه، والأصول والعربية، وفاق الأقران والأضراب، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه، واختلاف أقوال الناس ومآخذهم، وبلغ رتبة الاجتهاد، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد»[4].

---

(١) النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٠٨ .

(٢) تاريخ علماء بغداد: ص ١٠٥ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٨١ .

(٤) شذرات الذهب: ٥/ ٣٠١ .

مؤلفاته

أولاً: علوم القرآن:

١ ـ اختصار تفسير «النكت والعيون» للماوردى، توفى سنة ٤٥٠ هـ، وقد حققه دكتور عبد الله الوهيبى، وهو مطبوع فى الرياض .

٢ ـ تفسير كامل للقرآن الكريم «خ».

٣ ـ الفوائد فى مشكل القرآن، حققه سيد رضوان على، وطبع فى الكويت سنة ١٩٦٧ .

ولهذا المخطوط عدة عناوين هى: «مسائل وأجوبة فى علوم متعددة من القرآن والحديث والفقه»، و«فوائد العزّ بن عبد السلام»، و «فوائد فى علوم القرآن»، و«أمالى عز الدين بن عبد السلام على القرآن الكريم».

٤ ـ مجاز القرآن، أو «الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز»، وهو هذا الكتاب الذى بين أيدينا.

ثانيًا: الحديث الشريف:

٥ ـ شرح حديث أم زرع «خ».

٦ ـ مختصر صحيح مسلم «خ».

ثالثًا: العقائد:

٧ ـ المِلْحة فى اعتقاد أهل الحق، حققه الأستاذ: إياد خالد الطباع، ونشر فى دمشق ١٩٩٥م.

٨ ـ الأنواع فى علوم التوحيد، حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر فى دمشق ١٩٩٥م.

٩ ـ الفرق بين الإيمان والإسلام، حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر فى دمشق ١٩٩٥م.

١٠ ـ نبذة مفيدة من الردّ على القائل بخلق القرآن، حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر في دمشق ١٩٩٥م.

١١ ـ رسالة في التوحيد، حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر في دمشق ١٩٩٥م.

١٢ ـ وصية الشيخ عز الدين عبد السلام إلى ربه الملك العلام، حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر في دمشق ١٩٩٥م.

رابعًا: الفقه وأصوله:

١٣ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام: طبع ثلاث مرات في القاهرة دون تحقيق علمي، وتحمل الأصول المخطوطة لهذا الكتاب عدة عنوانات متقاربة: «قواعد الشريعة»، و«القواعد الكبرى»، و «القواعد في المصالح والمفاسد».

١٤ ـ القواعد الصغرى: وهي اختصار للكتاب السابق «القواعد الكبرى»، وتحمل نسخه المخطوطة عناوين عدة أيضًا: «الفوائد في مختصر القواعد» و «الفوائد في اختصار المقاصد» و «الأمالي في المصالح والمفاسد»، حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر في دمشق.

١٥ ـ الإلمام في بيان أدلة الأحكام «خ».

١٦ ـ الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة، وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشروعة: حققه محمد ناصر الدين الألباني، وزهير الشاويش، وطبع في دمشق تحت عنوان: «مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين: العزّ بن عبد السلام، وابن الصلاح».

١٧ ـ الغاية في اختصار «نهاية المطلب في دراية المذهب» للإمام الجويني «خ».

١٨ ـ الجمع بين «الحاوي» و «النهاية»: «خ»، وهو اختصار لكتابي الحاوي للماوردي، والنهاية للجويني.

١٩ ـ مقاصد الصلاة، حققه الأستاذ: إياد خالد الطباع، ونشر في دمشق.

٢٠ ـ مقاصد الصوم: حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر في دمشق.

٢١ ـ أحكام الجهاد وفضائله: حققه وعلّق عليه د. نزيه حماد ـ دار الوفاء بمكة المكرمة ١٩٨٦م.

٢٢ ـ مناسك الحج: حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر في دمشق.

خامسًا: الفتاوى:

٢٣ ـ الفتاوى الموصلية: حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر في دمشق.

٢٤ ـ الفتاوى المصرية: صدر في القاهرة عن مكتبة القرآن بعنوان «فتاوى سلطان العلماء» العزّ بن عبد السلام، حققه وقدَّم له مصطفى عاشور.

سادسًا: التصوّف:

٢٥ ـ شجرة المعارف: حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر في دمشق، ١٩٩٢ م.

٢٦ ـ مقاصد الرعاية: أو «مختصر الرعاية»: وهو اختصار لكتاب «الرعاية لحقوق الله»، للمحاسبي، وحققه الأستاذ: إياد خالد الطباع، ونشر بدمشق ١٩٩٥ م.

٢٧ ـ شرح الأسماء الحسنى: «خ».

سابعًا: موضوعات مختلفة:

٢٨ ـ مُنية السول في تفضيل الرسول، وقد حققه الدكتور صلاح الدين المنجد، ونشر في بيروت ١٩٨١م، وقد طبع بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ونشره المكتب الإسلامي تحت عنوان «بداية السول في تفضيل الرسول»، وكذلك حققه الأستاذ: إياد خالد الطباع، ونشر بدمشق ١٩٩٥م.

٢٩ ـ فوائد البلوى والمحن، حققه الأستاذ: إياد خالد الطباع، ونشر بدمشق ١٩٩٢م.

٣٠ ـ ترغيب أهل الإسلام في سُكنَى الشام، حققه الأستاذ: إياد خالد الطباع، ونشر بدمشق.

٣١ ـ بيان أحوال الناس يوم القيامة: حققه الأستاذ إياد خالد الطباع، ونشر في دمشق ١٩٩٥م.

كرامات الشيخ

والشيخ عز الدين بن عبد السلام، وهو فى ورعه، وتقواه، وإيمانه، وإخلاصه لله، له مواقف هي بمنزلة الكرامات، بإرادة من الله جل وعلا.

قال السيوطى: «وله كرامات كثيرة».

وقال ابن إياس المصرى: «وكانت له كرامات خارقة».

وقد أورد السبكى فى طبقات الشافعية الكبرى بعض هذه الكرامات:

يقول السبكى:

«سمعت الشيخ صدر الدين أبا زكريا يحيى بن على السبكى يقول: كان فى الريف شخص يقال له عبد الله البلتاجى من أولياء الله تعالى، وكانت بينه وبين الشيخ عز الدين صداقة، فكان يهدى له فى كل عام، فأرسل إليه مرة حمل جمل هدية، ومن جملته وعاء فيه جبن، فلما وصل الرسول إلى باب القاهرة انكسر ذلك الوعاء فتبدد ما فيه، فتألم الرسول لذلك، فرآه شخص ذمى، فقال له: لم تتألم؟ عندى ما هو خير منه، قال الرسول: فاشتريت منه بَدَلَه، وجئت، فما كان إلا بقدر أن وصلت إلى باب الشيخ، ولم يعلم بى ولا بما جرى لى غير الله تعالى، وإذا بشخص نزل من عند الشيخ وقال: اصعد بما جئت، فناولته شيئًا فشيئًا إلى أن سلمته ذلك الجبن، فطلع ثم نزل، فقلت: أعطيته للشيخ؟ فقال: أخذ الجميع إلا الجبن ووعاءه، فإنه قال لى: ضعه على الباب.. فلما طلعت أنا، قال لى: يا ولدى أيش تعمل بهذا.. إن المرأة التى حلبت لبن هذا الجبن كانت يدها متنجسة بالخنزير! وردَّه وقال: سلم على أخى»[1].

ومن كراماته أيضًا، ما يحكى في واقعة الفرنج «الصليبيين» فى دمياط التى كاد المسلمون أن ينهزموا فيها لشدة الريح والطوفان فى النيل، فنادى الشيخ بأعلى صوته مشيرًا بيده إلى الريح:

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٨١ .

«يا ريح.. خذهم» عدة مرات، فعادت الريح على مراكب الفرنج وكان الفتح، وصرخ أحد المسلمين بقوله:

«الحمد لله الذى أرانا من أمة محمد ﷺ رجلاً سخر له الريح»[١].

مواقف حاسمة فى حياة سلطان العلماء

(١) خيانة سلطان دمشق:

عندما اشتد الصراع بين أفراد البيت الأيوبى، بعد وفاة السلطان الكامل عام ١٢٣٨م، لجأ كل واحد منهم إلى محالفة غيره، وتكونت بذلك عدة كتل متصارعة، وبلغ النزاع قمته بين الصالح إسماعيل سلطان دمشق وبين ابن أخيه الصالح نجم الدين أيوب الذى استطاع أن يملك السلطة فى مصر عام ١٢٤٠م.

ولم يجد الصالح إسماعيل قوة أمامه يمكنه أن يستعين بها سوى قوة الصليبيين أعداء الوطن والدين، فمد يده إليهم وطلب محالفتهم ضد الصالح أيوب فى مصر، ولكى يبرهن صاحب دمشق على صدق نيته تجاه الصليبيين بادر فوراً بتسليمهم القدس وطبرية وعسقلان، فضلاً عن قلعة الشقيف وأعمالها، وقلعة صفد وبلادها، ومناصفة صيدا وطبرية وأعمالها، وجبل عاملة وسائر بلاد الساحل.

وأكثر من هذا فإن الصالح إسماعيل لم يتورع عن التصريح للصليبيين أعداء الإسلام فى دخول دمشق، وترك لهم حرية شراء السلاح من أهل دمشق.

وهنا ثار الرأى العام الإسلامى وذهب المسلمون إلى العلماء واستفتوهم فى ذلك، فأفتى الشيخ عز الدين بتحريم بيع السلاح للصليبيين، ولم يكتف الشيخ بإصدار الفتوى فحسب، بل قام بقطع الدعاء للسلطان من الخطبة، وصار يحث الناس على الجهاد ومقاطعة الصليبيين، مهاجمًا السلطان لتعاونه مع أعداء الدين، وحرص على ترديد هذا الدعاء بعد فراغه من الخطبتين:

---

(١) المرجع السابق: ص ٨٤ .

«اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد، تعز فيه أولياءك، وتذل فيه أعداءك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك».. والناس يضجون بالدعاء.

وكان الصالح إسماعيل غائبًا عن دمشق، فكاتبه أعوانه بما حدث، وحرفوا القول، فورد كتابه بعزل الشيخ عز الدين عن الخطابة، واعتقاله هو والشيخ أبى عمرو بن الحاجب المالكى؛ لأنه رفع صوته فى الإنكار عليه مع عز الدين .

«ثم لما قدم إسماعيل إلى دمشق أفرج عنهما، وألزم ابن عبد السلام بملازمة داره، وأن لا يفتى، ولا يجتمع بأحد البتة، فاستأذنه فى صلاة الجمعة، وأن يعبر إليه طبيب أو مزين إذا احتاج إليهما، وأن يعبر الحمام، فأذن له فى ذلك»[1].

ولم يكن بالإمكان أن يواصل الشيخ عز الدين رسالته وهو فى هذه العزلة الجبرية المفروضة عليه، فقرر الهجرة من دمشق إلى أى أرض من أراضى الله الواسعة يستطيع فيها مواصلة جهاده فى سبيل الله، ووقع اختياره على مصر، فخرج من دمشق فى أواخر عام ٨٣٦ هـ تاركًا إياها تئن تحت وطأة حكم عدو الدين الصالح إسماعيل.

ويصف ابنه الشيخ عبد اللطيف ما حدث له فى طريقه إلى مصر فيقول:

«... انتزح منها -من دمشق- إلى بيت المقدس، فوافاه الملك الناصر داود فى الفور فقطع عليه الطريق، وأخذه، وأقام عنده بنابلس مدة، وجرت له معه خطوب، ثم انتقل إلى بيت المقدس، حيث أقام مدة، ثم جاء الصالح إسماعيل والملك المنصور صاحب حمص، وملوك الإفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس، يقصدون الديار المصرية، فسيَّر الصالح إسماعيل بعض خواصه إلى الشيخ بمنديله وقال له: تدفع منديلى إلى الشيخ، وتتلطف به غاية التلطف، وتستنزله وتعده بالعودة إلى مناصبه على أحسن حال، فإن وافقك فتدخل به عليَّ، وإن خالفك فاعتقله فى خيمة إلى جانب خيمتى».

فلما اجتمع الرسول بالشيخ شرع فى مسايسته، وملاينته، ثم قال له:

- بينك وبين أن تعود إلى مناصبك، ما كنت عليه وزيادة، أن تنكسر للسلطان وتقبل

---

(١) السلوك للمقريزى: ١/ ٣٠٤ .

يده، لا غير.

فقال الشيخ: «والله.. يا مسكين.. ما أرضاه أن يُقَبِّلَ يدى فضلاً عن أن أُقبِّل يده».. «يا قوم أنتم فى واد، وأنا فى واد، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به».

فقال: قد رسم لى أن توافق على ما يطلب منك، وإلا اعتقلتك، فقال الشيخ: «افعلوا ما بدا لكم».

فأخذه واعتقله فى خيمة إلىْ جانب خيمة السلطان.. وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه. فقال يومًا لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشيخ الذى يقرأ القرآن؟

قالوا: نعم.

قال: هذا أكبر قسوس المسلمين وقد حبسته لإنكاره علىَّ تسليمى لكم حصون المسلمين، وَعَزَلْته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه، ثم أخرجته فجاء إلى القدس، وقد حددت حبسه واعتقاله لأجلكم!

فقالت ملوك الفرنج: «لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها».

«ثم جاءت العساكر المصرية، ونصر الله الأمة المحمدية، وقتلوا عساكر الفرنج، ونجى الله سبحانه وتعالى الشيخ، فجاء إلى الديار المصرية»[1] واستقبله الملك الصالح نجم الدين أيوب أحسن استقبال، ورحب به، ومضى الشيخ عز الدين مواصلة رسالته من القاهرة.

(٢) بيع أمراء الدولة المماليك فى المزاد:

تعد هذه الحادثة من أهم المواقف الحاسمة فى تاريخ الشيخ عز الدين بن عبد السلام، الذى لم يخف فى الله لومة لائم أو جبروت متكبر، لقد استطاع وهو فى منصب قاضى القضاة أن يثير قضية فى غاية الخطورة، تمس مصالح طبقة قوية لها كيانها ونفوذها فى مصر آنذاك، وهى طبقة أمراء الدولة المماليك، والتزم موقفًا حاسمًا لم يحد عنه، ولم يتراجع، ولم يتردد، ولم يقبل أنصاف الحلول، وإنما استهدف إيجاد الحل الأوحد لهذه القضية وهو

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى: ـ٥/١٠١، وما بعدها.

بيع هؤلاء الأمـراء فى المزاد الـعلنى لصـالح بيت مـال المسلمـين، وذلك لتـحـريرهم من عبوديتـهم وعتقهم من حكم الرق بالطريق الشـرعى؛ حتى يجوز لهم أن يتصـرفوا تصرف الأحرار فى مجالات الحياة المختلفة.

ومن أجل هذا بدأ ابن عـبد السـلام يبطل أنواع العقـود التى يعقـدونها من بيـع وشراء ونكاح وطلاق وما إليـها، فتعطلت مـصالحهم بذلك، واضطربت شـؤونهم، وضاقت بهم الحياة.

وكان من جملة هؤلاء نائب السلطنة، فاشتد غـضبًا وثار وهاج، واجتمع القوم وأرسلوا إلى الشيخ عـز الدين يستفـسرونه: ماذا ينوى بهم؟ فـأتى إليهم من الشيخ جـواب صريح جرىء:

«نعـقد لكم مـجلسًـا، وينادى عليكم لبـيت مال المـسلمين، ويحصل عـتـقكم بطريق شرعى».

ولم يقـتنع الأمـراء بهـذا الرأى، ورفعـوا الأمر إلى السلطان، مـتـأكـدين من تدخله لصالحهم، لإقنـاع الشيخ بالرجوع عن هذا الموقف، فطلب السلطان من الشـيخ أن يتركهم وشأنهـم، فلم يرجع الشيخ عن حكمـه وصمـد فى موقـفه، وأصـيب بذلك السلطان فى كبـريائه وعظمتـه، وجرت على لسانـه كلمة ضد الشـيخ عنيفـة ملؤها النقمـة والسخط، وحـاصلها أن الشـيخ لا يجـوز له أن يحكم هذا الحكم القـاسى على أمراء دولتـه ونائب سلطنته وهو أمر لا علاقة له به، وهو بذلك يتجاوز صلاحيته.

وغضب قاضى القضاة لتدخل السلطان، وترك القضـاء محتجًا، وعزم على ترك البلاد، وحمل فعلاً أمتـعته على حمار... وأركب عائلته على حمار آخر، وسـار مترجلاً خلفهم خارجًـا من القاهرة، قاصـدًا الشام، وعندمـا علم المسلمون بهـذا سارع أغلبهم ـ خـاصة العلمـاء والصالحون والتـجار وأمـثالهم ـ رجالاً ونسـاء وأطفالاً ـ باللحـاق به، وبلغ ذلك السلطان، وقيل له: «متى راح ذهب ملـكك»، فركب السلطان بنفسه، ولحقه واسـترضاه، وطيَّب خاطره، فرجع واتفق على أن ينادى على الأمراء فى المزاد.

وحاول نائب السلطنة مرة أخرى إقناع الشيخ عز الدين بالعدول عن رأيه، لم يتردد ولم يتراجع عن حكمه، وعند ذلك فقد نائب السلطنة صوابه، وصاح في كبرياء وخيلاء:

«كيف يُنَادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا، ونحن ملوك الأرض؟ والله.. لأضربنه بسيفي هذا».

فركب بنفسه وأخذ معه جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده، وطرق الباب، فخرج ولد الشيخ، ورأى من الوزير ما رأى، فعاد إلى أبيه يخبره، وهو فزع خائف على والده، فما اكترث الشيخ بذلك ولا تغير وقال:

«يا ولدى.. أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله» ثم خرج الشيخ إلى نائب السلطنة.

يروى السبكى فى كتابه قائلاً:

«وحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله، فبكى، وسأل الشيخ أن يدعو له؟».

وقال: يا سيدى.. خير، أى شىء تعمله؟

قال الشيخ: «أنادى عليكم وأبيعكم».

قال النائب: فأين تصرف ثمننا؟

قال الشيخ: فى مصالح المسلمين.

وتم له ما أراد، ونادى على الأمراء واحداً واحداً، وغالى فى ثمنهم، وقبضه وصرفه فى وجوه الخير».

٣ ـ فتنة الحنابلة:

كان الملك الأشرف موسى بن العادل، لما أخذ دمشق ـ وبها يومئذ الشيخ عزّ الدين ـ وشى به إليه أنه يخالفه فى المعتقد، وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ رأساً فى مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرىّ، وكان الأشرف على خلاف الأشعرىّ، فدسَّ أعداؤه عليه فتوى فى مسألة الكلام، فكتب عليها العقيدة المشهورة، وهى طويلة تشتمل على طريقة أبى الحسن

الأشعرىّ، ووضع فيـها من الحنابلة وغضَّ منهم، فلما وقف عليها الأشرف اشتـد غضبه، ووقع فى حق الشيخ بعظيـمة، وكان عنده جمع من الفـقهاء فلم يستطيـعوا أن يردوا قوله سوى بعض الأعيان فإنه قال: السلطان أولى بالعـفو والصَّفح، فكثرت القالة، وقام الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب فى حق الشـيخ عزّ الدين، ومضى إلى القضاة والعلماء الذين حضروا مجلس الأشرف وعاتبـهم على سكوتهم، وما زال بهم حتى كتبوا خُطُوطَهم على فتـوى بصورة الحال وافقـوا فيهـا ابن عبد السلام، وطلـب ابن عبد السلام أن يَعْـقِدَ الأشرف مجلسًا يحضره الشافعية والحنابلة والمالكية والحنفية، فكتب الأشرف بخطه: وصل إلىَّ مـا التمسـه الفقـيهُ ابنُ عـبد السـلام، أصلحه الله، من عَـقْدِ مـجلس وجمع المُفْـتين والفقهاء، وقد وقفنا على خطِّه وما أفتى به، وعلمنا مِن عَقيدته ما أغنى عن الاجتماع به، ونحن فَتَّـبع ما عليـه الخُلفاءُ الراشـدون الذين قال ﷺ فى حـقِّهم: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتى وَسُنَّةِ الخُلَفَاء الرَّاشدِينَ مِنْ بَعْدِى**» وعقائد الأئمة الأربعة فيها كفاية لكلّ مسلم يغلبُ هواه ويتَبع الحَق ويتَخلص من البـدَع، إلا إن كنتَ تدَّعى الاجتهاد، فَعليْك أن تُـثْبِتَ، ليكونَ الجوابُ على قدْر الدَّعوى، لتكون صاحبَ مذهب خـامس، وأمَّا مَا ذكرته عن الذى جَرى فى أيام والدى ـ تغمَّده الله برحمته ـ فذلك الحال أنا أعْلَمُ به منك، وما كان لك سبب إلا فَتْحَ باب السلامة لأمر دينى.

وجُرْمِ جـــرَّه سُفَهــــاءُ قَوْمٍ فحلَّ بِغَيرِ جـــانيه العَــذَابُ

ومع هذا فقد ورد فى الحديث:

«**الفِتْنَةُ نائمةٌ لَعَنَ اللهُ مُثِيرها**» ومَن تعرَّض لإثارتها قاتلناه بما يُخَلِّصنا من الله تعالى، وما يَعْضُد كتابَ الله وسُنَّةَ رسوله ﷺ.

فلما قـرأها الشيخ عـز الدين بن عبـد السلام كـتب جوابهـا بعد البـسملة: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّـهُمْ أَجْمَعِينَ عَـمَّا كَانُـوا يَعْمَلُونَ**﴾ أما بعـدَ حمْد الله الذى جلَّـت قُدرتُه، وعظمت كلمتُه، وعـمَّت رحمتُه، وسـبغت نعمتـه، فإن الله قال لأحبِّ خلقه إليه وأكـرمهم لديه: ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْـثَـرَ مَنْ فى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَـبِيل الله إِنْ يَتَّبِعُـونَ إِلاَّ الظنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام:١١٦]، وقد أنزل الله كتُبَه وأرسَل رسُله لنصـائح خلقه، فالسَّعيد من

قبل نصائحَه وحَفظ وصاياه، وكان فيما أوصى به خلقه أن قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، فهو سُبحانَه أولى مَنَ قُبلت نصيحتُه، وحُفظت وصيتُه.

وأما طَلَبُ المجلس وَجمْع العُلماء، فما حملني عليه إلا النصحُ للسلطان وعامَّة المسلمين، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن الدِّين، فقال: «الدين النصيحةُ» قيل: لمنْ يا رسولَ الله قال: «لله ولكتابه ولرسوله وأئمةَّ المُسلمين وعامَّتهمْ» فالنُصحَ لله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولكتابه بالعمل بموجَبه، ولرسوله باتباع سُنَّته، وللأئمة بإرشادهم إلى أحكامه والوقوف عند أوامره ونواهيه، ولعامةَ المسلمين بدلالتهم على ما يُقرِّبُهم إليه ويُزْلفُهم لديه، وقد أدَّيتُ ما عليَّ في ذلك.

والفُتيا التي وقعت في هذه القضية يُوافقُ عليها علماء المسلمين، من الشافعيَّة والمالكيَّة والحنفيَّة والفضلاء من الحنبلية، وما يخالف في ذلك إلاَّ رعاعٌ لا يَعْبأُ الله بهم، وهو الحق الذي لا يجوز دَفْعُه، والصواب الذي لا يمكن رَفْعُه، ولو حضر العلماء مجلسَ السلطان لعلم صحَّة ما أقول، والسلطان أقْدَرُ على تحقيق ذلك، وقد كتب الجماعةُ خُطوطَهم على ما قلتُه، وإنما سكَت مَن سكَت في أوَّل الأمرِ لما رأوا من غضب السُّلطان ولولا ما شاهدوه من غضب السلطان لما أفتوا أولاً إلا بما رجعوا إليه آخرًا، ومع ذلك فنكتُب ما ذكرتُه في الفُتيا، وما ذكره الغيرُ، وتَبعثُ به إلى بلاد الإسلام، ليكتُب فيها كلّ من يحب الرجوعُ إليه ويُعتَمدُ في الفتيا عليه، ونحن نُحضِر كُتُبَ العلماء المعتبرين، ليقفَ عليها السلطان.

وبلغني أنهم ألقَوْا إلى سمْع السلطان أنَّ الأشعَريَ يستهين بالمصْحَف، ولا خلافَ بين الأشعريَّة وجميع علَماء المسلمين أن تعظيم المصحف واجبٌ، وعندنا أنَّ مَن استهان بالمصحف أو بشيء منه فقد كفر، وانفسخ نكاحُه، وصار مالُهَ فَيْئًا للمسلمين، ويُضْرَب عُنقُه، ولا يُغَسَّل ولا يُكفَّنُ، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدْفنُ في مقابر المسلمين، بل يُترِكُ بالقاع طُعمَةَ للسباع.

ومَذْهَبُنا أن كلام الله تعالى قديمٌ أزليٌّ قائمٌ بذاته، لا يُشبه كلامَ الآدميين، كما لا يشبه ذاتهُ ذاتَ الخلقِ، ولا يُتصَوَّرُ في شيء من صفاته أن تُفارقَ ذاته، إذ لو فارقَتْه لصار ناقصًا،

تعالى الله عما يقول الظالمون عُلواً كبيراً، وهو مع ذلك مكتوبٌ فى المصاحف، محفوظٌ فى الصُّدور، مقروءٌ بالألسنة، وصفةُ الله القديمة ليست بمداد للكاتبين، ولا ألفاظ اللافظين، ومَنْ اعتقد ذلك فقد فارق الدِّين، وخرج عَن عقائد المسلمين، بل لا يعتقدُ ذلك إلا جاهلٌ غبى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

وليس رَدّ البدع وإبطالها من باب إثارة الفتن، فإنَّ اللهَ سبحانه أمر العلماء بذلك، وأمرهم ببيان ما عَلمُوه، ومن امتثل أمرَ الله، ونصر دينَ الله، لا يجوز أن يقال: لعنه رسول الله ﷺ.

وأما ما ذُكِر من أمر الاجتهاد، والمذْهب الخامس، فأصولُ الدين ليس فيها مذاهب، فإنَّ الأصلَ واحدٌ، والخِلاف فى الفروع، ومثْل هذا الكلام فلا أعتمد فيه قولَ من لا يجوز أن يُعتَمدَ قوله، والله أعلم بمن يعْرف دينَه ويقفُ عند حدوده، وبعد ذلك فإنا نعلم أنا من جُمْلة حزْبِ الله، وأنصارِ دينه وجُنْدِه، وكُلّ جُنْدِىٍّ لا يُخاطر بنفسه فليس بجُندىٍّ.

وأما ما ذُكر من أمر باب السلامة، فنحن تكلمنا فيه بما ظهر لنا، من أن السلطانَ الملكَ العادلَ تغمده الله برحمته، إنما فعل ذلك إعزازًا للدِّين، ونُصرةً للحقِّ، ونحن نحكم بالظاهر، والله يتولَّى السرائر، والحمد لله وحدَه، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ.

فلما وقف الأشرف على جوابه اشتد غضبه وبعث إليه بالغرس خليل أستاداره، فبلغه غضب السلطان مما وقف من مخاطبته بما لا يعهده من مخاطبة الناس للملوك، مع ما ذكره من مخالفة اعتقاده، وأنه شرط أنه لا يُفتي، ولا يجتمع بأحد، ويلزم بيته، فأظهرَ البشرَ لذلك، وخلع على الغرس سجادة كان يصلى عليها، فبقى على هذا ثلاثة أيام.

واجتمع الجمال الحَصيرىّ شيخ الحنفية بالسلطان، وحدثه فى أمر ابن عبد السلام، فأوقفه على ورقته، فقال: هذا اعتقاد المسلمين، ومن خالف وذهب إلى إثبات الحرف والصوت فهو حمار، وما زال به حتى بعث إلى الشيخ يحايله، وتقدم إلى الفريقين بالإمساك عن الكلام فى مسألة الكلام وأن لا يُفتى فيها أحدٌ بشىء.

فلما قدم السلطان الملك الكامل من القاهرة إلى دمشق، وكان على رأى الأشعرىّ، أكرم

ابن عبد السـلام وطلب منه أن يكتب له ما جرى فى هذه القـضية بطوله، فأمـر ولده عبد اللطيف بذلك، فكتبـه، وأعـجب به الكامل، وعاتب أخـاه الأشرف على مـنعه ابن عـبد السلام من الكلام فى مسـألة الكلام، وعنَّفه على ميله للحنابلة، فـأخذ الأشرف فى طلب مصنَّفات الـشيخ، وقُرِىء عليه منها كـتاب «الملحة فى اعتـقاد أهل الحق» وكتاب «مـقاصد الصلاة» وكرر قـراءته فى يوم واحد ثلاثَ مرَّات، فلما بلغ ذلك ابن عبـد السلام قال: لو قرئت «مقـاصدُ الصلاة» على بعض مشـايخ الزَّوايا أو على متزهد، أو مُريد، أو مـتصوف مرَّة واحدة فى مجلس، لما أعادها فـيه مرَّة أخرى، فاشتهر كتاب «مـقاصد الصلاة» بدمشق وكتب منه عدة نسخ.

(٤) جهاده فى الحرب ضد التتار:[١]

تحملت مـصر المسئـولية المادية والعسكرية فى ردِّ غـزوات التتار الذين اجـتاحوا سـهول الشرق حاملين الخراب معهم والدمار، واستجابت مصر إلى استغاثة أمراء الشام الذين طلبوا النجدة من مصر قلعة العروبة والإسلام.

وكان على عرش مصـر آنذاك المنصور على بن المعز أيبك، وهو صغير، ووصـيُّه الأمير قطز، وكان عـمر الشيخ عز الدين إذ ذاك ثمـانين عامًا، ولا يقوم بعـمل إلا بالتدريس فى المدرسة الصالحية والإفادة فى البيت، ويُسأل ويُستشار فى الملمات.

وقبل دخـول المعركة جمع قطز القـضاة والفقـهاء والأعيان لمشـاورتهم واتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة التتار، فحضروا دار السلطنة بـقلعة الجبل، وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام والقـاضى بدر الدين السنجارى قـاضى الديار المصرية وغيـرهما من كبـار العلماء، وجلس الملك المنصور فى العرش.

«فلما تكامل المجلس قـام درع، وذكر هيئة سـؤال فى أمر هلاكو واستيـلائه على البلاد ووصوله إلى حلب، وأن بـيت المال خالٍ من الأموال، والسـلطان صـغيـر السن، وضاعت مصالح الرعية، وأن الوقت محتاج إلى إقـامة سلطان كبير تخشاه الناس ويدفع العدو، وأن

(١) تاريخ مصر لابن إياس: ١/ ٩٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٢ .

بيت المال محتاج إلى المساعدة بشيء من أموال الرعية لإقامة الجند، وتجهيزهم للسفر وما يعينهم على ذلك.

وكان المشار إليه فى ذلك المجلس شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، سكت الأمراء والقضاة والعلماء على كلام مدعى السلطان، ولم يجرؤ أحد على أن يعترض على ما عزم عليه الملك الجديد أبو المظفر قطز من فرض ضرائب باهظة على الرعية لتمويل الحرب، وكادت جماهير الشعب أن ترزح وحدها تحت وطأة الضرائب الفادحة وتكابد الشدة والحاجة دون الأعيان وبيت السلطان، فقام الشيخ عز الدين وقال:

«إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم، بشرط أن لا يبقى فى بيت المال شيء من السلاح والسروج الذهبية والفضية «والكبابيس المزركشة» وإسقاط السيوف والفضة وغير ذلك. وتبيعوا ما لكم من الحوائض الذهبية والآلات النفيسة، ويقتصر كل الجند على سلاحه ومركوبه ويتساووا هم والعامة، وأما أخذ الأموال من العامة مع بقاء ما فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا».

وانفضّ المجلس على كلمته هذه التوجيهية الرشيدة الجريئة، وطبّق قطز ما قاله الشيخ، وكان لحسن توجيهه وتشجيعه، ودعائه أثر كبير فى نفس السلطان والقواد والجنود وجماهير الشعب، فخاضوا المعركة، وهم واثقون مطمئنون إلى نصر الله الذى أعزّ جنده ونصرهم فى معركة «عين جالوت» الشهيرة.

شخصيته:

تظهر شخصية سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام فى أبعادها الحقيقية وسماتها الطبيعية من خلال مواقفه الحاسمة الجريئة التى تناولناها فيما سبق.

إن هذه المواقف الخالدة لو دلت على شيء فإنما تدل على قوة شخصية هذا العالم الكبير، الذى منحه الله بجانب علمه الغزير: التقوى والورع، وتوضح هذه المواقف سر هيئته الجذابة التى تفرض احترامها على كل من احتك به وعاشره، كما تفرض احترامها أيضًا على كل قارئ معاصر يقرأ سيرته.

كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام مهيبًا جليلاً، مقبول الصورة، يملك قوة التأثير على محدثيه، وقوة الإقناع على مناظريه، وقوة الغلبة على مخالفيه، يملك كل ذلك؛ لأنه يملك قوة الإيمان بالله.

وكان من أبرز سمات شخصية الشيخ عز الدين، الجرأة في الحق والصلابة في الدين، وما مواقفه الحاسمة إلا صدى لهذه الشجاعة الطبيعية والصلابة الدينية، ولقد نوَّه مترجموه بذلك كثيراً:

قال اليافعي:

«وكان عز الدين رحمه الله يصدع بالحق، ويعمل به، متشددًا في الدين، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يخاف سطوة ولا سلطانًا، بل يعمل بما أمر الله»[1].

وقال السبكي:

«.. لم ير مثل نفسه، ولا رأى من رآه مثله علمًا وورعًا وقيامًا في الحق، وشجاعة وقوة جنان، وسلاطة لسان».[2]

وروى السبكي في «طبقاته»، قال:[3]

«طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه، ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذ الأمراء يقبلون الأرض بين يدي السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه:

ـ يا أيوب.. ما حجتك عند الله، إذا قال لك ألم أبوئ لك ملك مصر، ثم تبيح الخمور؟

فقال: هل جرى هذا؟

---

(١) مرآة الجنان: ص ٤، ص ١٥٥ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٨٠ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٨١ .

فقال الشيخ: نعم، الحانة الفلانية تباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة، وأخذ الشيخ يناديه كذلك بأعلى صوته، والعساكر واقفون.

فقال السلطان: يا سيدى. . هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبى، فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: ﴿إنَّا وجدنا آباءنا على أمَّة﴾.

وهنا اضطر السلطان إلى استجابة مطالب الشيخ، وأصدر مرسومًا بإغلاق تلك الحانة.

وعندما شاع هذا الخبر بين جمهور المسلمين، سأل أحد تلاميذ الشيخ مستفسرًا عن سبب هذه المؤاخذة والانتقاد أمام الملأ فى مثل هذا اليوم العظيم؟

فأجابه الشيخ: «يا بنى رأيته فى تلك العظمة، فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه، فتؤذيه.

فقال التلميذ لأستاذه الشيخ: أما خفته؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه: والله يا بنى. . استحضرت هيبة الله تعالى، فصار السلطان أمامى كالقط».

وفى هذه الكلمات البسيطة المخلصة كشف سلطان العلماء عن سر جرأته فى الحق وشجاعته وهو استحضار هيبة الله وعظمته، الذى يجعل أشداء الملوك كأضعف الدواب أمامه.

ومن الأمثلة على سلاطة لسانه وشجاعته وشدَّته فى الدين قوله للملك الظاهر بيبرس وقد أراد أن يأخذ لنفسه بيعة من الشيخ عز الدين بعد ما نادى نفسه ملكًا لمصر:

قال الشيخ: «يا ركن الدين. . أنا أعرفك مملوك البندقدار»[1].

فما بايعه حتى قامت الشهادة الشرعية على عتقه أولاً.

وكان الشيخ عز الدين مع علمه وفضله وجلالة شأنه لدى السلاطين، متواضعًا مع الناس، متواضعًا مع الله.

---

(١) البندقدار: نسبة إلى البندق، وهى كرات صغيرة تستخدم فى صيد الطيور، وتصنع من الحجارة أو الرصاص، وكان البندقدار يحمل جراوة البندق - أى كيسه - خلف السلطان أو الأمير.

كان متواضعًا في مظهره، بعيـدًا عن التكلف، لا يتأنق لكاذب الحشمة ومألوف الوقار، حتى لم يكن يتقـيد بلبس العمة على عادة العلمـاء الفقهاء، بل ربما لبس قبع لبـادة «طاقية صوف» وكان يحضر المواكب السلطانية به.

ولم يكن هذا التواضع ليجعله ضـعيفًا متخاذلاً أمام أقويـاء الملوك وأشداء الأمراء، فقد كان ينادى سلاطين مصر بأسمائهم فى مجـالسهم العظام، بينما أكثر العلماء يقبلون أيديهم بل الأرض بين أيديهم، ولم يكـن يتأول، أو يتـعلل، أو يقـبل أنصـاف الحلول وكم تأول العلماء الفقهاء وتراجعوا وتخاذلوا!

وكان الشـيخ عز الدين صادقًا مـخلصًا مع الله ومع الناس، ومع السلاطين، فـقد كان الناصح الأمين، والمرشد الصادق الـذى يوجه جمهور المسلمين وسـلاطين الدولة إلى الخير دون مجاملة، أو منافقة، أو مجاراة.

فالشيخ عز الدين هو الذى نصح الأشرف بعد انتهاء فتنة الحنابلة بالمبادرة إلى صلح أخيه الكبير الـسلطان الكامل، خاصة يتربص بالمسلمين، وانصـاع السلطان لهذه اللفتـة الصادقة المخلصة، وانصـاع أيضًا لنصيـحة الشيخ بإغـلاق بعض الحانات التى تباع فـيها الخـمور، وبإلغاء المكوس الجائرة المفروضة على الرعية، وكانت لنصائح الشيخ الصادقة تأثير فى نفس السلطان الذى قدَّره حق القدرْ -بعد المحنة- وأمر بتنفيذ نصائحه فورًا.

والشـيخ عز الدين هو الذى نصح الملـك قطز، قاهر التـتار، بعـدم جمع الأمـوال من الرعية، مـادام السلطان والأمراء يملكون أموالاً زائدة عن حـاجاتهم، وكان لهذه النصـيحة الصادقة المخلصة دور كبير فى إحراز النصر على أعداء الدين.

والشيـخ عز الدين هو الذى نصح المسلمين بعـدم بيع الأسلحة إلـى الصليبـيين، وكان الصالح إسماعيل قد سمح لهم بالنزول إلـى دمشق وابتياع الأسلحة التى يريدونها، وأصدر الشيخ فـتواه إلى المسلمين قائلاً: «يحـرم عليكم مبايعـتهم لأنكم تتحـققون أنهم يشـترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين»[1].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ١٠١ .

وكان الشيخ عز الدين رغم فقره، كثير الصدقات ـ وعلى حد تعبير السبكي ـ أنه ربما قطع من عمامته وأعطى فقيرًا يسأله، إذا لم يجد معه غير عمامته.

حكى أن الشيخ لما كان بدمشق وقع مرة غلاء كبير حتى صارت البساتين تباع بالثمن القليل، فأعطته زوجته مصاغًا لها، وقالت: اشتر لنا به بستانًا، فأخذ ذلك المصاغ وباعه، وتصدق بثمنه، فقالت: يا سيدى.. اشتريت لنا؟ قال: نعم، بستانًا في الجنة؛ إنى وجدت الناس فى شدة فتصدقت بثمنه، فقالت له: جزاك الله خيرًا»[(١)].

ولقد اتفق مترجموه على ورعه وزهده، ودلت على ذلك سيرته ومواقفه الحاسمة.

قال الكتبى: «وكان ناسكًا ورعًا»[(٢)].

وقال ابن العماد الحنبلى: «.. هذا مع الزهد والورع»[(٣)].

وكان الشيخ عز الدين مع صلابته وشدته فى أمور الدين، ومع زهده وورعه، لطيف الذوق خفيف الظل، فقد رزق من الرقة النفسية والذوق العالى ما جعله يتذوق الشعر الرقيق ويجيد النثر ويحسن التعبير.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٨٢، ٨٣ .

(٢) فوات الوفيات: ١/ ٥٩٥ .

(٣) شذرات الذهب: ٥/ ٣٠٢ .

وفاته

عاش الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثلاثة وثمانين عامًا، كلها خير وبركة، وعمل وجهاد، وتضحية وبذل، وتدريس وإفتاء وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

وعندما لازم الشيخ عز الدين فراشه فى أواخر أيامه، أرسل له الظاهر بيبرس قائلاً: عيِّن مناصبك لمن تريد من أولادك.

فقال الشيخ: ما فيهم من يصلح، وهذه المدرسة الصلاحية للقاضى تاج الدين[1] مع العلم بأن ابنه الشيخ عبد اللطيف كان عالمًا فقيهًا، ولكن سلطان العلماء لم يرد أن يجعل منصب التدريس وراثة لأولاده.

وتوفى الشيخ بعد ظهر يوم السبت التاسع من شهر جمادى الأولى عام ٦٦٠ هـ، ودفن فى اليوم التالى -الأحد- بسفح المقطم، وخرجت أفواج كثيرة من جماهير المسلمين، رجالاً ونساء، شيبًا وشبانًا وأطفالاً، يودعون سلطان العلماء، التقى الورع، ولقد شارك فى جنازته وصلى عليه ملك مصر والشام الظاهر بيبرس.

نقل السبكى عن شرف الدين ابن الشيخ عز الدين عند ذكر وفاته: «فحزن «بيبرس» عليه كثيرًا حتى قال: لا إله إلا الله، ما اتفقت وفاة الشيخ إلا فى دولتى، وحمل نعشه، وحضر دفنه»[2].

ولم ينس أهل دمشق ابنهم الشيخ الذى هاجر من دياره إلى القاهرة متحديًا السلطان الجائر، عاملاً على نشر كلمة الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعندما علم أهل دمشق بوفاة الشيخ عز الدين حزنوا، وأخذوا يترحمون عليه، ويذكرون مواقفه الحاسمة، وصلوا على روحه الطاهرة فى الجامع الأموى وجوامع دمشق الأخرى.

وليس أفضل ما أختتم به ترجمة «سلطان العلماء» من الكلمة التاريخية التى قالها الملك

---

(١) فوات الوفيات: ١/ ٥٩٥ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ١٠٢ .

الظاهر بيبرس المؤسس الحقيقى لدولة المماليك فى مصر والشام، عندما مرت جنازة الشيخ تحت القلعة وشاهد كثرة الخلق الذين معها.. قال بيبرس لبعض خواصه:

«اليوم استقر أمرى فى الملك؛ لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس: اخرجوا عليه لانتزعوا الملك منى»[1].

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٨٤ .

وصف نسخ الكتاب الخطية

اعتمدت فى تحقيق كتاب «مجاز القرآن» على ثلاث نسخ خطية، ووصفها كالتالى :

١ - صورة من نسخة عاطف أفندى فى اسطانبول، ورمزنا لها بالحرف (أ) وهى تحت رقم (٥٩) وتقع فى (١٤٢) ورقة، وهى مكتوبة بخط نسخ واضح. وعنوانها هو«الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز» .

٢ - صورة مخطوط السليمانية فى اسطانبول تحت رقم (١٠١٦)، ورمزنا لها بالحرف (ب)، وهى نسخة جيدة كاملة، وناسخها مجهول ، وكتبت هذه النسخة سنة ٧٠٩ هـ، وتقع هذه النسخة فى (١٦٣) ورقة .

٣ - صورة من نسخة معهد المخطوطات العربية فى القاهرة، برقم (٧٤)، وتقع فى (١٤٥) ورقة، ورمزنا لها بالحرف (جـ)، وليس بها ذكر للناسخ ولا لتاريخ النسخ.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن هناك نقص وفراغات فى السياق فى بعض المواضع من هذه النسخ التى تحت أيدينا، والتى سنشير إليها فى مواضعها من التحقيق .

عنوان الكتاب وصحة نسبته للعز بن عبد السلام

أشار مترجمو العز بن عبد السلام - السبكى، وابن الملقن، وابن قاضى شهبة، والسيوطى- إلى أن عنوان هذا الكتاب «مجاز القرآن» . وهو عند الداوودى «كتاب المجاز»، ويسميه الزركشى فى كتابه «البرهان» باسم «المجاز» .

ويشير شهاب الدين الخفاجى فى كتابه «طراز المجالس» إليه باسم «مجاز القرآن» ، وأحياناً يشير إليه باسم «الإشارة إلى الإيجاز».

ومما تقدم فالمرجح أن العنوان الأصلى لهذا الكتاب هو « مجاز القرآن»، وهو الذى اخترناه.

منهج التحقيق

لقد نهجت فى تحقيق هذا الكتاب نهجًا علميًا يقوم على النحو التالى:

١ - شرعت فى نسخ الكتاب، وراعيت فى النسخ قواعد الرسم الإملائى بعد تقويم النص ورد المحرف إلى أصله، وذلك بالرجوع إلى غالب المصادر المتاحة، ولم أشر إلى حالات التصحيف والتحريف الواردة فى النُّسَخ.

٢ - عند اقتضاء السياق فى بعض المواطن -وهى نادرة- إضافة لكلمة أو عنوان إتمامًا للفائدة، أو إظهارًا للمعنى، أو استكمالاً لسقط، أضفتها إلى الأصل بين معقوفين [ ] ولم أشر إلى ذلك فى الهامش اكتفاءً بهذا التنويه.

٣ - عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها، وبينت أرقامها، وخرجت الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ - عُنيت بالتعريف بالأعلام الواردة أسماؤهم فى الكتاب حسبما اقتضت الحاجة إلى ذلك.

٥ - عُنيت بضبط الآيات القرآنية والشعر وكل ما يحتمل اللبس.

٦ - أحلت كل حديث أو ترجمة أو شعر إلى مصادره الأصلية، مكتفيًا بذكر اسم الكتاب دون ذكر اسم صاحبه، أو طبعته تاركًا ذلك للفهارس.

٧ - وضعت ترجمة وافية لسلطان العلماء .

٨ - وضعت كشافات تحليلية متنوعة للكتاب وهى:

أ ـ كشاف للأحاديث الشريفة.

ب ـ كشاف للأشعار.

جـ ـ كشاف أنصاف الأبيات .

وفى الختام لا يسعنى إلا أن أتقدم بالشكر لكل من ساعد فى خروج هذا الكتاب بهذه الصورة، والتى أعتذر مسبقًا عما قد يشوبها من خلل وقصور، بما يعرفه روّاد هذا الفن الشائك من الصعوبات والمشقات التى يواجهها المحقق، وقد قال الشاعر:

لا يعرف الشوق إلا من يُكابدهُ ولا الصبابة إلا من يُعانيها

القاهرة فى الاثنين

٣١ / ٨ / ١٩٩٨

دكتور

مصطفى محمد حسين الذهبى


بسم الله الرحمن الرحيم



للشيخ الإمام سلطان العلماء
عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام
السلمي الدمشقي الشافعي
(٥٧٧ - ٦٦٠هـ)

تحقيق
الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي

تقديم
أحمد زكي يماني

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

وما توفيقي إلا بالله[2]

قال الشيخ[3] الإمام العلامة، فريد دهره، ووحيد عصره، مفتي المسلمين[4]، عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي، الشافعي الدمشقي، فسح الله في مدّته، ونفع المسلمين ببركته:

الحمد لله الذي بعث نبينا[5] ﷺ بجوامع الكلم، واختصر له الحديث اختصاراً؛ ليكون أسرع إلى فهم الفاهمين، وضبط الضابطين، وتناول المتناولين، فكل كلمة يسيرة جمعت معاني كثيرة فهي من جوامع الكلم.

والاختصار هو الاقتصار على ما يدل على الغرض مع حذف أو إضمار، والعرب لا يحذفون ما لا دلالة عليه، ولا وصلة إليه؛ لأن حذف ما لا دلالة عليه مناف لغرض وضع الكلام من الإفادة والإفهام، وفائدة الحذف تقليل الكلام وتقريب معانيه إلى الأفهام.

[أنواع الحذف]

والحذف أنواع:

---

(١) هكذا في (أ)، وفي (ب) «صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما».

(٢) هكذا في (ب)، وفي (أ) «رب أعن» وفي (ج) «رب يسر يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين».

(٣) في (أ) «شيخنا».

(٤) هكذا في (أ)، وفي (ب) «الإمام العالم العارف العامل الورع الزاهد شيخ شيوخ الإسلام».

(٥) في (ج) «نبينا محمد».

أحدها: حذف المضافات

وله أمثلة كثيرة:

منها: نسبة التحليل والتحريم والكراهة والإيجاب والاستحباب إلى الأعيان، فهذا من مجاز الحذف إذ لا يتصور تعلق الطلب بالأجرام وإنما تطلب أفعال يتعلق بها، فتحريم الميتة تحريمٌ لأكلها، وتحريم الخمر تحريمٌ لشربها، وتحريم الحرير تحريمٌ لاستعماله، وكذلك تحريم أواني الذهب والفضة، وتحريم الصدقة في قوله ﷺ: **«لا تحل الصدقة لمحمد، ولا لآل محمد»**(١)، وفي قوله: **«لا تحل الصدقة لغني»**(٢) تقديره فيهما: لا يحل أخذ الصدقة أو تناول الصدقة، والمراد بالصدقة ههنا: الزكاة، إذ لا تحرم صدقة التطوع على الغني، ولا على ذي المرة السوي.

وكذلك قوله تعالى: **﴿حَرَّمْنَا عَلَيهِمْ طَيِّبَات أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾** [النساء: ١٦٠] أي: حرمنا عليهم أكل طيبات أو تناول طيبات أحل لهم أكلها أو تناولها، وتقدير التناول أولى ليدخل فيه شرب ألبان الإبل؛ فإنها من جملة ما حُرِّم عليهم.

وكذلك قوله تعالى: **﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾** [الأعراف: ١٥٧] تقديره: ويحل لهم أكل الطيبات، أو تناول الطيبات كالأنعام، ويُحرِّم عليهم أكل الخبائث أو تناول الخبائث كالميتة والدم وما ذكر بعدهما.

وكذلك تحليل الأنعام في قوله تعالى: **﴿وأُحلَّت لكم الأنعام﴾** [الحج: ٣٠] تقديره: وأحل لكم أكل الأنعام، وكذلك تحليل كل الطعام لبني إسرائيل في قوله: **﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل﴾** [آل عمران: ٩٣] تقديره: تناول أكل كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل.

وكذلك قوله تعالى: **﴿وعلى الَّذين هَادوا حرَّمنا كل ذي ظُفرٍ﴾** [الأنعام: ١٤٦] أي: حرمنا أكل كل ذي ظفر.

---

(١) أخرجه: النسائي في الزكاة ٢٥٩٧، أحمد في المسند ٨٨١٨.

(٢) أخرجه: الترمذي في الزكاة ٦٥٢، أبو داود في الزكاة ١٦٤٣، أحمد في المسند ٦٧٥٩، الدارمي في الزكاة ١٦٣٩.

وأما قوله تعالى: **﴿وأنعامٌ حُرِّمت ظُهورها﴾** [الأنعام: ١٣٨] فيحتمل: حُرِّم ركوب ظهورها، ويحتمل حُرِّمت منافع ظهورها، وهو أولى؛ لأنهم حرموا ركوبها وتحميلها.

وكذلك قوله ﷺ: **«حرَّم رسول الله ﷺ كل ذى ناب من السباع»**[1] تقديره: حرم أكل كل ذى ناب من السباع.

وكذلك قوله **«إن هذين»** فى الحرير والذهب **«حرامٌ على ذكور أمتى حلٌ لإناثها»**[2] تقديره: أن استعمال هذين، أو أن لبس هذين حرام.

وكذلك قوله ﷺ: **«اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة وإنِّى حرمت المدينة»**[3] معناه: اللهم إن إبراهيم حرَّم صيد مكة، وإنى حرَّمت صيد المدينة.

وكذلك تحريم الدماء، والأموال، والأعراض تحريمٌ لما يتعلق بها من الأفعال، فقوله ﷺ: **«فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»**[4] تقديره: فإن سفك دمائكم، وغصب أموالكم، وسلب أعراضكم عليكم حرام.

وكذلك نهيه ﷺ عن الدُّباء[5] والحنتم[6] والمُزَفَّت[7] والنَّقير[8] نهىٌ عن الانتباذ فيها.

---

(١) أخرجه: البخارى فى الذبائح والصيد ٥٥٢٧، مسلم فى الصيد والذبائح ١٩٣٢، ١٩٣٦، الترمذى فى الصيد ١٤٧٧، السير ١٥٦٠، النسائى فى الصيد والذبائح ٤٣٢٥، ٤٣٢٦، أبو داود فى الأطعمة ٣٨٠٢، ابن ماجه فى الصيد ٣٢٣٢، أحمد فى المسند ١٧٢٧٧، ١٧٢٨٤، ١٧٢٩٣، مالك فى الصيد ١٠٧٥، الدارمى فى الأضاحى ١٩٨٠، ١٩٨١.

(٢) أخرجه: النسائى فى الزينة ٥١٤٨، الترمذى فى اللباس ١٧٢٠.

(٣) أخرجه: مسلم فى الحج ١٣٧٣، الترمذى فى الدعوات ٣٤٥٤، ابن ماجه فى المناسك ٣١١٣، الأطعمة ٣٣٢٩، أحمد فى المسند ١٥٩٦، ٨١٧٣، مالك فى الجامع ١٦٣٧، الدارمى فى الأطعمة ٢٠٧٢.

(٤) أخرجه: البخارى فى العلم ١٠٥، مسلم فى القسامة والمحاربين والقصاص ١٦٧٩، ابن ماجه فى المقدمة ٢٣٣، أحمد فى المسند ١٩٨٧٣، ١٩٨٩٤، ١٩٩٣٦، ١٩٩٨٥، الدارمى فى المناسك ١٩١٦.

(٥) الدباء: هو القرع، الواحدة دُباءة. وقيل المراد اليابس منه.

(٦) الحنتم: الجرة الخضراء.

(٧) المزفت: ما طلي بالزفت.

(٨) النقير: أصل النخلة ينقر فيتخذ منه وعاء، فينبذ فيه فيشتد نبيذه.

أنواع أدلة الحذف

أحدها: ما يدل العقل على حذفه والمقصود الأظهر على تعيينه، وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿حُرِّمَتْ عليكم الميتة﴾ [المائدة:٣].

المثال الثاني: قوله: ﴿حُرِّمَتْ عليكم أُمهاتكم﴾ [النساء: ٢٣].

فإن العقل يدل على الحذف إذ لا يصح تحريم الأجرام؛ لأن شرط التكليف أن يكون الفعل مقدوراً عليه، والأجرام لا يتعلق بها قدرة حادثة، وكذلك لا يتعلق بها قدرة قديمة إلا فى أول أحوال وجودها، فما لا يتعلق به قدرة ولا إرادة فلا تكليف به إلا عند من يرى التكليف بما لا يُطاق، والمقصود الأظهر يُرشد إلى أن التقدير: حُرِّمَ عليكم أكل الميتة، وحُرِّم عليكم نكاح أمهاتكم؛ لأن الغرض الأظهر من هذه الأشياء أكلها، والغرض الأظهر من النساء نكاحهن.

وكذلك إذا قال القائل: حرمت عليك هذه العمامة وهذا القميص؛ فإنه يتبادر إلى الأفهام أن تقدير المحذوف: حَرَّمت عليك لبس هذه العمامة، أو اعتمام هذه العمامة، ولبس هذا القميص على ما هو معتاد فيهما.

ومثل ذلك إذا قال القائل: آجرتك الدار والثوب والقدوم والمنشار والقوس، ولم يذكر منفعة، فإنه يتبادر إلى الأفهام من إجارة الدار: السكنى، ومن إجارة الثوب: اللبس، ومن إجارة القدوم: النجارة به، ومن إجارة المنشار: النشر، ومن إجارة القوس: الرمى، ولا تحمل الإجارة على منفعة أخرى إلا أن تكون دون المنفعة المعينة، وكذلك إيجار البساط، واللحاف، والفراش، والأوانى، والآلات، بأسرها.

ولو قال: آجرتك الدابة لم تصح الإجارة لإجمال الانتفاع المقصود بالعقد؛ فإنها تصلح للركوب والتحميل، ثم يختلف التحميل باختلاف الأجناس المحمولة.

وكذلك يختلف الركاب بالثقل والخفة، فلا بد من تعيين الغرض المقصود بالعقد.

النوع الثـانى : ما يدل عليه العقل بمجرده، وله أمثلة :

أحدها: قوله: ﴿**وجاء ربك**﴾ [الفجر:٢٢] تقديره: وجاء أمـر ربك أو عذاب ربك، أو بأس ربك.

المثال الثانى: قوله: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيـهم الله فى ظُلل مِنَ الغمـام**﴾ [البقرة:٢١٠] تقديره: ما ينظرون إلا أن يأتيهم عذاب الله، أو أمر الله، فى ظلل من الغمام.

المثال الثالث: قوله: ﴿**فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا**﴾ [الحشر:٢] تقديره: فأتاهم أمر الله، أو عذاب الله، من حيث لم يحتسبوا.

المثال الرابع: قوله: ﴿**فأتى الله بُنيانهم من القواعد**﴾ [النحل:٢٦] تقديره: فأتى الله نقض بنيانهم أو شق بنيـانهم، أو قلع بنيانهم، من القواعد، أو فـأتى تخريب الله، أو نقض الله بنيانهم من القواعد.

ومما يدل العـقل فـيه على الحـذف: قوله تـعالى: ﴿**أوفوا بالعقود**﴾ [المائدة:١] وقوله: ﴿**وأوفوا بعهد الله**﴾ [النحل:٩١] أى: بمقتضى العقود وبمقتـضى عهد الله؛ لأن العقد والعهد قولان قد دخلا فى الوجود وانقضيا فلا يتـصور فيهما نقضٌ ولا وفاء، وإنما النقض والوفاء لمقتضاهما وما ترتب عليهما من أحكامهما، وكذلك نكثهما إنما هو نكثٌ لمقتضاهما.

وكذلك نقض الطهارات كالوضوء والغسل إنما هو نقضٌ لما ترتب عليهما من الإباحات، ومعنى انتقضت طهارته: انتقض حكم طهارته، وكـذلك فسخ عقود المعاملات إنما هو فسخٌ لمقتضياتها وأحكامها .

النـوع الثالث من أنواع أدلة الحذف : ما يدل عليه الوقوع وله مثالان:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿**وما أفاء الله على رسوله منهم**﴾ [الحشر: ٦] تقديره: وأى شىء أفـاء الله على رسوله مـن أموالهم، ويدل على هـذا المحذوف أن رسـول الله ﷺ لم يملك رقـاب بنى النَّضـيـر، ولم يكونوا من جـمـلة الفىء، وأن الذى أفـاء الله عليـهم إنما كـان أموالهم.

المثال الثانى: قوله تعالى: ﴿**فما أوجفتم عليه**﴾ [الحشر: ٦] تقديره: فمـا أوجفتم على

أخذه، أو على حيازته، أو على اغتنامه، أو على تحصيله؛ فيقدر من هذه المحذوفات أخفها، وأحسنها، وأفصحها، وأشدها موافقة للغرض في هذه الآية.

فتقدير أخذه ههنا أحسن من تقدير اغتنامه؛ لأنه أخصر، ومن تقدير: حيازته لثقل التأنيث الذي في حيازته.

وكذلك جميع حذوف القرآن من المفاعيل والموصوفات وغيرهما لا يُقدَّر إلا أفصحها وأشدها موافقة للغرض؛ لأنّ العرب لا يُقدِّرون إلا ما لو لفظوا به لكان[1] أحسن وأنسب لذلك الكلام كما يفعلون ذلك في الملفوظ به.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿**جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس**﴾ [المائدة: ٩٧] قدر أبو على[2] «جعل الله»: نصب الكعبة، وقدر بعضهم «جعل الله»: حرمة الكعبة، وهو أولى من تقدير أبي على؛ لأن تقدير الحرمة في الهدى والقلائد والشهر الحرام لا شك في فصاحته، وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة.

وكذلك التقدير في قوله ﷺ: «**فإن سفك دمائكم**» أحسن من تقدير، فإن صبّ دمائكم، أو فإن إراقة دمائكم: لأن في الإراقة ثقل التأنيث، وفي الصبِّ ثقل التشديد، ولا يقدر: فإن سفح دمائكم تيمنًا بذكر السفك لكونه في القرآن في قوله تعالى: ﴿**ويسفك الدماء**﴾ [البقرة: ٣٠].

وكذلك تقدير: وغصب أموالكم أولى من تقدير: وأخذ أموالكم؛ لأن الأخذ منقسمٌ إلى الحلال والحرام، فتعين هذا التقدير بالشرع.

وكذلك تقدير: وثلب أعراضكم أولى من تقدير: وأذية أعراضكم، لبعده من تقدير: وانتهاك حرمة أعراضكم لما فيه من الطول؛ ولأن اختصار المحذوفات أحسن من إطالتها فلا يقدَّر ما فيه طول إلا عند الاضطرار إلى الإطالة؛ كقوله تعالى: ﴿**إن الله مُبتليكم بنهر**﴾ [البقرة: ٢٤٩] تقديره: إن الله مبتليكم بشرب ماء نهر.

---

(١) هنا يبتدىء خرم كبير في (ج).

(٢) هو: الحسن بن أحمد، من أئمة النحويين، له مصنفات كثيرة مفيدة، منها «الحجة» و «الإيضاح» و «التكملة» وغيرها توفي سنة ٣٧٧هـ (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٧٩، إنباه الرواة ١/ ٢٧٣).

وكقوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قبضة من أثر الرسول﴾ [طه: ٩٦] تقديره: فقبضت قبضة من أثر حافر فرس الرسول.

وكقوله: ﴿أَجَعَلَ الآلهة إلهًا واحدًا﴾ [ص: ٥] تقديره: أجعل بدل عبادة الآلهة عبادة إله واحد.

وكقوله: ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدورُ أعينهم كالذى يُغْشَى عليه من الموت﴾ [الأحزاب: ١٩] تقديره: فإذا جاء الخوف أبصرتهم ناظرين إليك دائرة أعينهم دورانًا كدوران أعين الذى يُغشى عليه من حذر الموت، أو من خوف الموت.

وكقوله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى»(١) أى: أمرت بإتيان قرية يأكل أهلها أموال أهل القرى، أو خراج أهل القرى.

وكقوله ﷺ: «الماء من الماء»(٢) تقديره: وجوب استعمال الماء من خروج الماء أو استعمال الماء، واجب من خروج الماء.

وكقوله ﷺ «وأنهاكم عن الدُّباء والحنتم والمُزَفَّت والنَّقير»(٣) تقديره: وأنهاكم عن شرب نبيذ الدباء والحنتم والمزفت والنقير .

وكذلك قوله ﷺ: «شاهداك أو يمينه، ليس لك إلا ذلك»(٤) تقديره: لك إقامة شاهديك

(١) أخرجه: البخارى فى الحج ١٨٧١، مسلم فى الحج ١٣٨٢، أحمد فى المسند ٧١٩١، ٧٣٢٣، ٨٧٥٨، ٩٣٧٨، مالك فى الجامع ١٦٤٠.

(٢) أخرجه: أبو داود فى الطهارة ٢١٧، مسلم فى الحيض ٣٤٣، أحمد فى المسند ١٠٨٥٠، ١٠٩١٥، ١١٤٠٢.

(٣) أخرجه: البخارى فى المغازى ٤٣٦٩، مسلم فى الإيمان ١٧، الأشربة ١٧، ١٩٩٧، الترمذى فى السير ١٥٩٩، الإيمان ٢٦١١، النسائى فى الإيمان وشرائعه ٥٠٣١، الأشربة ٥٥٤٨، ٥٦٤٣، ٥٦٩٢، أبو داود فى الأشربة ٣٦٩٠، ٣٦٩٢، ٣٦٩٦، السنة ٤٩٧٧، أحمد فى المسند ٤٠١٠، ٢٤٧٢، ٢٤٩٥، ٢٦٠٢، ٢٦٢٠، ٢٦٤٥، ٢٧٦٤، ٣٠٧٦.

(٤) أخرجه: البخارى فى المساقاة ٢٣٥٧، الخصومات ٢٤١٧، الرهن ٢٥١٦، الشهادات ٢٦٦٧، ٢٦٧٠، ٢٦٧٣، ٢٦٧٧، تفسير القرآن ٤٥٥٠، ٦٦٥٩، ٦٦٧٦، الأحكام ٧١٨٣، التوحيد ٤٤٥، مسلم فى الإيمان ١٣٨، الترمذى فى البيوع ١٢٦٩، تفسير القرآن ٢٩٩٦، أبو داود فى الأيمان والنذور ٣٢٤٣، ٣٢٤٤، الأقضية ٣٦٢١، ٣٦٢٢، ابن ماجه فى الأحكام ٢٣٢٢، أحمد فى المسند ٢١٣٣٤.

أو طلب يمينه، ليس لك إلا ذلك الذى ذكرته، وهو أحد الأمرين.

وأما قول العرب: أنت علىَّ كظهر أمى فأصله: إتيانكِ حرامٌ علىَّ كحرمة ركوب ظهر أمى، فحذف المضاف الذى هو الإتيان، فانقلب الضمير المجرور المتصل ضميرًا مرفوعًا منفصلاً، شبهوا تحريم إتيانها بتحريم ركوب ظهر الأم.

النوع الرابع : ما يدل العقل على حذفه والعادة على تعيينه :

كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿**فذلكُنَّ الذى لُمْتُنَّنى فيه**﴾ [يوسف: ٣٢] دل العقل فيه على الحذف؛ لأن اللوم على الأعيان لا يصح، وإنما يُلام الإنسان على كسبه وفعله، فيحتمل أن يكون المقدر: لمتننى فى حبه لقولهن: ﴿**قد شغفها حُبًا**﴾ [يوسف: ٣٠].

ويحتمل أن يكون: لمتننى فى مراودته لقولهن: ﴿**تُراودُ فَتَاهَا عَنْ نفسه**﴾ [يوسف: ٣٠].

ويحتمل أن يكون: لمتننى فى شأنه وأمره فيدخل فيه المراودة والحب، والعادة دالة على تعين المراودة؛ لأن الحب المفرط لا يُلام الإنسان عليه فى العادة لقهره وغلبته، وإنما يُلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التى يقدر الإنسان أن يدفعها عن نفسه بخلاف المحبة، ولذلك لا يقدر الشأن والأمر؛ لأنه لو قدر لدخلت فيه المحبة.

النوع الخامس : ما تدل العادة على حذفه وتعيينه :

كقوله تعالى: ﴿**لو نعلم قتالاً لاتَّبعناكم**﴾ [آل عمران: ١٦٧] مع أنهم كانوا أخبر النَّاس بالقتال، ويتعيرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فلا بد من حذف قدَّره مجاهد[(١)]: لو نعرف مكان قتال، يريدون: أنكم تقاتلونهم فى موضع لا يصلح للقتال ونخشى عليكم منه، ويدل عليه أنهم أشاروا على رسول الله ﷺ أن لا يخرج من المدينة، وأن الحزم البقاء فى المدينة.

النوع السادس : ما يدل عليه السياق، وله أمثله:

أحدها: قوله: ﴿**فمن يملك لكم من الله شيئًا**﴾ [الفتح: ١١] أى: فمن يملك لكم من دفع

---

(١) هو أبو الحجاج المكى بن جبر، شيخ القراء والمفسرين (الأعلام للزركلى ٦/ ١٦١) .

مراد الله شيئًا، أو من دفع فتنة الله شيئًا؛ بدليل قوله: ﴿إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعًا﴾ [الفتح:١١].

المثال الثانى: قوله: ﴿ومَن يُرد الله فتنته فلن تَمْلكَ له من الله شيئًا﴾ [المائدة:٤١] تقدير المحذوف: فلن تملك له من دفع مراد الله شيئًا، أو من دفع فتنة الله شيئًا.

المثال الثالث: قوله: ﴿فَمَنْ يملك من الله شيئًا إن أراد أن يُهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعًا﴾ [المائدة: ١٧] تقديره: فمن يملك من رد مراد الله شيئًا، أو من دفع مراد الله شيئًا .

المثال الرابع: قوله: ﴿إنا رُسل ربِّك لن يصلوا إليك﴾ [هود:٨١] أى: لن يصلوا إلى حزنك فى ضيفك، أو لن يصلوا إلى أذيتك.

المثال الخامس: قوله: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ [القصص: ٢٠] تقديره: إن الملأ يتشاورون فى قتلك ليقتلوك .

المثال السادس: قوله: ﴿إنى تركت ملَّة قوم﴾ [يوسف: ٣٧] تقديره: أى تركت اتباع ملة قوم؛ بدليل مقابلته بقوله: ﴿واتبعت ملة آبائى﴾ [يوسف: ٣٨].

المثال السابع: قوله: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [آل عمران: ١٢٢] يقدر فى كل مكان[1] ما يليق به، فيقدر فى قوله تعالى: ﴿فكَفَّ أيديَهُمْ عَنكُمْ﴾ ﴿وعلى﴾ وقاية ﴿الله فليتوكل المؤمنون﴾ [المائدة: ١١] لأن الكف وقاية، أو يقدر ﴿وعلى﴾ كفِّ ﴿الله﴾ المكاره ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ فتارة يقدر من لفظه ومعناه، وتارة يقدر من معناه دون لفظه.

وكذلك يقدر فى قوله: ﴿فإذا عزمت فتوكل على﴾ نصر ﴿الله﴾ [آل عمران:١٥٩] ومعونته.

وأما قوله تعالى: ﴿إن العهد كان مسئولاً﴾ [الإسراء:٣٤] فقد قدر بعضهم: إن ناقض العهد كان مسئولاً عن نقضه، وقدر بعضهم: إن وفاء العهد كان مسئولاً: أى مطلوبًا من

---

(١) هنا ينتهى الخرم فى (ج) المشار إليه سابقاً .

المكلفين أن يقوموا به، وقدر بعضهم: إن وفاء العهد كان مسئولاً عنه، وقدر بعضهم: إن العهد كان مسئولاً لم نقضت.

كقوله: ﴿وإذا الموءُودة سُئلت * بأى ذنب قُتلت﴾ [التكوير: ٨، ٩] وهذا من مجاز التعقيد لما فى تقدير سؤال العهد من البعد بخلاف الموءودة، فإنها تسأل حقيقة، ولا يجعل هذا كمساءَلة الديار فى أشعار العرب؛ فإن ذلك على التقدير والتنزل، إذ يصح تقدير الديار ناطقة مسؤولة، ولا يصح مثله فى العهد.

النوع السابع : ما دل العقل على حذفه والشرع على تعيينه:

ومثاله: قوله: ﴿لا ينهاكم الله عن الَّذين لم يُقاتلوكم فى الدين... إنَّمَا ينهاكم الله عن الَّذين قاتلوكم فى الدين﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩] دل العقل على الحذف فيه؛ إذ لا يصح النهى عن الأعيان، ودل الشرع على الصلة لقوله ﷺ لأسماء لما سألته عن صلة أمها وهى مشركة: «صِلِى أمك»(١) فكان التقدير: لا ينهاكم الله عن صلة الَّذين لم يقاتلوكم فى الدين إنما ينهاكم الله عن صلة الَّذين قاتلوكم فى الدين، أو عن برِّ الَّذين لم يقاتلوكم فى الدين.

ومثله قوله ﷺ: «فإن دماءكم وأموالكم»(٢) التقدير فى «أموالكم»: وغصب أموالكم، وهو أولى من تقدير: وأخذ أموالكم، أو وسلب أموالكم؛ لانقسام السلب والأخذ إلى مباح وغير مباح.

النوع الثامن: ما دل الشرع على حذفه وتعيينه:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تقربوا الصَّلاة وأنتم سُكارى﴾ [النساء:٤٣] أى: لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكارى، وهذا عند من رأى ذلك.

---

(١) أخرجه: البخارى فى الهبة ٢٦٢٠، مسلم فى الزكاة ١٠٠٣، أبو داود فى الزكاة ١٦٦٨، أحمد فى المسند ٢٦٣٧٣، ٢٦٤٥٤.

(٢) أخرجه: أحمد فى المسند ١٤٥٧٢.

ومن جملة الأدلة على الحذف: أن لا يستقيم الكلام بدونه ولا يصح المعنى إلا به كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لا تجدُ لك به علينا وكيلاً﴾ [الإسراء: ٨٦] فإنك لو لم تقدر: «ثم لا تجد لك برده إليك علينا وكيلاً» لم يستقم الكلام.

وقوله: ﴿فلما استيأسوا منه خَلَصوا نَجيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] أى: فلما استيأسوا من رده.

وكذلك قوله: ﴿ومن قبل ما فَرَّطتم فى يوسف﴾ [يوسف: ٨٠] أى: فى حفظ يوسف، ولا يقدر فى رد يوسف على أبيه لغلبة استعمال التفريط والتضييع فيما يجب حفظه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم﴾ [المائدة: ١٠٥] أى: عليكم إصلاح أنفسكم.

وكذلك قوله ﷺ حكاية عن ربه عزَّ وجلَّ: «من ابتليته بحبيبتيه فصبر فله الجنة»[١] أى: من ابتليته بفقد حبيبتيه، ويحتمل: بأخذ حبيبتيه؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ [الأنعام: ٤٦].

وكذلك قوله ﷺ حكاية عن ربه سبحانه وتعالى: «أين المتحابون بجلالى؟»[٢] أى: أين المتحابون بمعرفة جلالى، أى: بسبب معرفة جلالى.

وكذلك قوله ﷺ: «لأن يلج أحدكم بيمينه فى أهله آثم له عند الله من أن يؤدى كفارته»[٣] أى: لأن يلج أحدكم ببر يمينه، أو بحفظ يمينه فى حرمان أهله، أو فى مضارة أهله.

وكذلك قوله ﷺ: «إياك والحلوب»[٤] أى: إياك وذبح الحلوب.

ومنه قوله ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالاً»[٥] تقديره: لا حسد إلا فى

---

(١) أخرجه: البخارى فى المرضى ٥٦٥٣، الترمذى فى الزهد ٢٤٠٠، أحمد فى المسند ١٢٠٥٩، ١٢١٨٥، ١٣٦٠٧.

(٢) أخرجه: مسلم فى البر والصلة والأدب ٢٥٦٦، أحمد فى المسند ٧١٩٠، ٨١٩٠، ٨٦١٤، ١٠٤٠١، ١٠٥٢٧، مالك فى الجامع ١٧٧٦، الدارمى فى الرقاق ٢٧٥٧.

(٣) أخرجه: مسلم فى الإيمان ١٦٥٥، البخارى فى الأيمان والنذور ٦٦٢٥، ٦٦٢٦، ٢١١٤، أحمد فى المسند ٢٧٤٢٧.

(٤) أخرجه: ابن ماجه فى الذبائح ٣١٨٠، مسلم فى الأشربة ٢٠٣٨، الترمذى فى الزهد ٢٣٦٩.

(٥) أخرجه: مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها ٨١٥، البخارى فى فضائل القرآن ٥٠٢٥، التوحيد=

خصلتين اثنتين: خصلة رجل آتاه الله مالاً، أو لا حسد إلا في طريقتين اثنتين: طريقة رجل آتاه الله مالاً. والأول أظهر لابتداره إلى الأفهام.

ومنه قوله ﷺ: **«من منع فضل الماء ليمنع به الكلأ»** تقديره: ليمنع بمنع فضل الماء رعى الكلأ.

ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «العجز عن دَرَك الإدراك إدراك»(١) معناه: معرفة العجز عن درك المدرك إدراكٌ للعظمة عن أن يدركها البشر.

وأما قوله ﷺ حكاية عن ربه: **«مرضتُ فلم تعدني، واستطعمتك فلم تطعمني، واستسقيتك فلم تسقني»** فيحمل على حذف المضاف، تقديره: مرض عبدى فلم تعده، واستطعمك عبدى فلم تطعمه، واستسقاك عبدى فلم تسقه، فلما حذف المضاف - الذى هو العبد - انقلب الضمير - الذى هو الياء المجرورة - تاء مرفوعة بالفاعلية التى كان يستحقها العبد، ويدل على هذا أن الملوم لما قيل له: استطعمتك فلم تطعمنى، قال استبعادًا لذلك وتعجبًا منه لما لم يتفطن لحذف المضاف وإرادة الرب: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ حملاً للكلام على ظاهره، فأظهر الله سبحانه وتعالى مراده من تأويل كلامه، فقال: **«مرض عبدى فلم تعده، واستطعمك عبدى فلم تطعمه، واستسقاك عبدى فلم تسقه»**.

وأما قوله فى تمام الحديث **«ولو عُدْتَه لوجدتنى عنده»** فمعناه: لوجدتنى حاضرًا عنده من جملة عائديه، وهذا حثٌ على عيادة المؤمنين؛ لأن من عاده الله - عزَّ وجلَّ - جديرٌ بأن يعوده العائدون، وهذا من مجاز التشبيه، ومعناه: إنى أعامله معاملة العائد.

وعلى الجملة فالمضاف قسمان:

أحدهما: ما يتعين تقديره كقوله تعالى: **﴿آمنوا بالله﴾** [النساء: ١٣٦] تقديره: آمنوا بوحدانية الله، ولا يقدر: آمنوا بوجود الله؛ لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مؤمنين بوجوده، وأنه خلق السموات والأرض، وسخر الشمس والقمر، وأنزل من السماء المطر، فيقدر فى

=٧٥٢٩، الترمذى فى البر والصلة ١٩٣٦، ابن ماجه فى الزهد ٤٢٠٩، أحمد فى المسند ٤٩٠٥، ٥٥٨٦، ٦١٣٢، ٦٣٧٦.

(١) لم أعثر عليه فيما تحت يدى من مصادر.

كل مكان ما يليق به، فإن كان الخطاب مع المشركين قدرت: فآمنوا بوحدانية الله ورسوله، لأن الكلام مع قوم جحدوا الوحدانية، وإن كان الكلام مع اليهود كان التقدير: ولو آمن أهل الكتاب بدين الله، وإن كان مع النصارى جاز أن يقدر: آمنوا بدين الله وآمنوا بوحدانية الله، وكذلك فى الكفر تقدر فى كل مكان ما يليق به، فيقدر فى قوله تعالى: **﴿كيف تكفرون بالله﴾** [البقرة: ٢٨]: كيف تكفرون بقدرة الله على بعثكم وقد كنتم أمواتًا فأحياكم، ويقدر فى قوله تعالى: **﴿ألا إن عادًا كفروا ربَّهم﴾** [هود: ٦٠]: ألا إن عادًا كفروا نعم ربهم.

الثانى: ما لا يتعين تقديره ولو قدره لجاز:

كقوله تعالى: **﴿آمنوا بالله ورسوله﴾** [النساء: ١٣٦] يجوز أن يكون التقدير: آمنوا بوحدانية الله وبإرسال رسوله أو بنبوة رسوله، ولك أن تأخذ الصفة مع الموصوف فلا تحتاج إلى تقدير، ولا يتأتى لك ذلك فى اسم الله إذا جعلته غير مشتق.

وكقوله تعالى: **﴿فليعلمن الله الذّين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾** [العنكبوت: ٣] معناه: فليعرفن الله صدق الذين صدقوا وليعرفن كذب الكاذبين، ولك أن تأخذ الفريقين مع صفتى الصدق والكذب فلا تحتاج إلى تقدير.

ومثله قوله تعالى: **﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾** [العنكبوت: ١١] إن أخذتهما مع الصفتين فلا حاجة إلى حذف، وإن لم تفعل ذلك كان التقدير: وليعرفن الله إيمان الذين آمنوا وليعرفن نفاق المنافقين.

وكذلك قوله تعالى: **﴿وآمنوا بما نُزِّل على محمد﴾** [محمد: ٢] تقديره: وآمنوا بإنزال ما نزل على محمد، وإن أخذته مع صفة كونه منزلاً لم تحتج إلى حذف.

فائدة:

ليس حذف المضاف من المجاز، لأن المجاز: استعمال اللفظ فى غير ما وضع له أولاً، والكلمة المحذوفة ليست كذلك، وإنما التجوز فى أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوبًا إلى المضاف كقوله تعالى: **﴿واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها﴾**

[يوسف: ٨٢] فنسبة السؤال إلى القرية والعير هو التجوُّز، لأن السؤال موضوعٌ لمن يفهمه، فاستعماله فى الجمادات استعمال اللفظ فى غير موضعه، فكونهما مسئولين من جهة اللفظ دون المعنى هو المجاز، ومصحح هذا المجاز ما بين أهل القرية وأصحاب العير من ملازمتهما، وشرط مجاز الملازمة أن تقع الملازمة فى غالب الأمر، ولا يشترط عدم الانفكاك.

فصل فيما يتعلق بالله من الأقوال والأعمال

وهى ضربان:

أحدهما لا حذف فيه، كقوله تعالى: ﴿**اذكروا الله**﴾ [الأحزاب: ٤١]، و﴿**واعبدوا الله**﴾ [النساء: ٣٦]، و ﴿**أطيعوا الله**﴾ [النساء: ٥٩] وكبروا الله، وعظموا الله، ومنه: ﴿**وكبره تكبيراً**﴾ [الإسراء: ١١١] ومعناه: انسبوا الله إلى العظمة والكبرياء وأخبروا بهما عنه، وهذا كقولك: عدَّله الحاكم وفسَّقه إذا نسبه إلى العدالة والفسق ولم يفده إياهما، وكذلك قولك: سبَّحْتَ الله، معناه: برأته من العيوب والنقائص بأن أخبرت عنه بالبراءة ونسبتها إليه، ولم تفده البراءة كما يفيدها فى قولك: برأت زيداً من الدين؛ فإنك أفدته البراءة منه.

الضرب الثانى ما لا يتم إلا بحذف، وهو أنواع:

أحدها: حذف المضاف، وهو أنواع:

أحدها: قوله: ﴿**اتقوا ربكم**﴾ [النساء: ١] أى: اتقوا عذاب ربكم، أو معصية ربكم، أو مخالفة ربكم.

النوع الثانى: قوله: ﴿**واتقوا الله**﴾ [البقرة: ٢٣١] أى: واتقوا عذاب الله، أو معصية الله، أو مخالفة الله.

النوع الثالث: قوله: ﴿**يخافون ربَّهم**﴾ [النحل: ٥٠] تقديره: يخافون عذاب ربهم.

النوع الرابع: قوله: ﴿**لمن كان يرجو الله**﴾ [الأحزاب: ٢١] أى: يرجو ثواب الله، أو رحمة الله، وقد ظهر هذان المضافان فى قوله: ﴿**ويرجون رحمته ويخافون عذابه**﴾ [الإسراء:

٥٧] وإنما وجب تقدير ذلك؛ لأن الرجاء: توقع حصول الخير، والخوف: توقع حصول الشر، ولا يتعلق شيء من ذلك التوقع بذات الله، ولا بصفاته، بخلاف تعلق التكبير والتعظيم والمهابة والإجلال بذات الله وصفاته.

فائدة:

تقدير ما ظهر في القرآن أولى في بابه من كل تقدير، وله أمثله:

أحدها: قوله: **﴿حتى تأتيهم البينة * رسولٌ من الله﴾** [البينة: ١، ٢] تقديره: رسولٌ من عند الله؛ لأنه قد ظهر في قوله: **﴿ولما جاءهم رسولٌ من عند الله﴾** [البقرة: ١٠١].

المثال الثاني: قوله **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾** تقديره: فمن عند الله **﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾** [النساء: ٧٩] تقديره: فمن عند نفسك؛ لأنه قد ظهر في قوله تعالى: **﴿وإن تُصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تُصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌّ من عند الله﴾** [النساء: ٧٨].

المثال الثالث: قوله: **﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا﴾** [ص:٤٣] تقديره: رحمة من عندنا؛ لأنه قد ظهر في سورة الأنبياء في قوله: **﴿رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾** [الأنبياء: ٨٤].

المثال الرابع: قوله: **﴿يا أبت إني أخافُ أن يمسَّك عذابٌ من الرحمن﴾** [مريم:٤٥] تقديره: من عند الرحمن؛ لأنه قد ظهر في قوله: **﴿أن يُصيبَكُم الله بعذاب من عنده﴾** [التوبة: ٥٢].

المثال الخامس: قوله: **﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته﴾** [هود:٦٣] تقديره: فمن يمنعني من بأس الله إن عصيته؛ لأنه قد ظهر في قوله: **﴿فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا﴾** [غافر: ٢٩].

المثال السادس: قوله: **﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي﴾** [الرعد: ٣٧] تقديره: ما لك من دون الله من ولي؛ لأنه قد ظهر في قوله: **﴿ما لهم من دونه من ولي ولا يُشرك في حكمه أحدًا﴾** [الكهف: ٢٦].

وكذلك قوله: ﴿ما لك من الله من ولى ولا واق﴾ [الرعد: ٣٧] أى: ما لك من دون الله من ولى ولا واق.

المثال السابع: قوله: ﴿ومَنْ رزقناه منّا رزقًا حسنًا﴾ [النحل: ٧٥] تقديره: ومن رزقناه من لدنا؛ بدليل قوله: ﴿يُجبى إليه ثمرات كل شىء رزقًا من لدنا﴾ [القصص: ٥٧] أو من عندنا بدليل قوله: ﴿قالت هو من عند الله﴾ [آل عمران: ٣٧].

المثال الثامن: قوله: ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾ [المائدة: ١٥] تقديره: قد جاءكم من عند الله نورٌ وكتابٌ مبين؛ بدليل قوله: ﴿ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدق لما معهم﴾ [البقرة: ٨٩].

المثال التاسع: قوله: ﴿قل ربى أعلم بعدَّتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ [الكهف: ٢٢] تقديره: قل ربى عارفٌ بعدتهم ما يعرف عدَّتهم إلا قليل، وإنما جعل العلم هنا بمعنى المعرفة لاقتصاره على مفعول واحد فى قوله: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ أى: ما يعرفهم، ولو كان على بابه لتعدى إلى مفعولين وكان أعلم ههنا بمعنى عالم من جهة أن عِدَّتهم حقيقة واحدة لا يتصور فيها تفاوت فى العلم .

المثال العاشر: قوله: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] تقديره: والَّذين جاهدوا فى سبيلنا لنهدينهم سبلنا؛ بدليل قوله: ﴿وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ [التوبة: ٢٠]، وقوله: ﴿والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا﴾ [الحج: ٥٨]. ولك أن تقدر «والَّذين جاهدوا» فى طاعتنا.

ومثل ذلك فى تقدير الفعل فى صلة «الَّذين» فى مثل قوله: ﴿كالذين من قبلكم﴾ [التوبة: ٦٩] يحتمل كالذين كانوا من قبلكم؛ بدليل قوله: ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾ [غافر: ٢١] «وكان» تامة بمعنى وجدوا، أو خلقوا، ويحتمل كالذين خلوا من قبلكم؛ بدليل قوله: ﴿ولما يأتكم مثل الَّذين خلوا من قبلكم﴾ [البقرة: ٢١٤].

وترجيح أحد هذين المضافين ونحوهما موقوفٌ على توفيق الله لمن ألهمه الله رشده

ويسَّر له فهم كتابه ومعرفة خطابه.

ومثل ذلـك قوله: ﴿ويُخَوِّفـونك بالذين من دونه﴾ [الزمر: ٣٦] تقديره: ويخـوفونك بالذين يدعـون من دونه؛ بدليل قـوله: ﴿والذين تدعـون من دون الله لا يخلقـون شـيئًا﴾ [النحل: ٢٠].

ويحتمل: ويخوفونك بالذين تعبدون من دونه بدليل قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ [يونس: ١٠٤] وقوله: ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا﴾ [العنكبوت: ١٧] وتقديره العبادة أولى لأنه صريح.

وأما قوله: ﴿كمثل الَّذين من قـبلهم قريبًا﴾ [الحشر: ١٥] فتقديره: مـثلهم كمثل الَّذين عذبوا من قبلهم قريبًا؛ بدليل قوله: ﴿ذاقوا وبَال أمرهم﴾ [الحشر: ١٥]، ويحتمل: خلوا أو كانوا كما ذكرناه.

وكذلك قوله: ﴿فأنجيناه والَّذين معه برحمة منَّا﴾ [الأعراف: ٧٢] تقديره: والَّذين آمنوا معـه؛ بدليل قوله: ﴿لنخرجـنَّك يا شعيب والَّذين آمـنوا معك﴾ [الأعراف: ٨٨]، وكذلك نظائره.

* * *

وأما وصف الفاعل والمفعول بالمصدر

فقد قيل: إنه من مجاز الحذف، وقيل: إنه من مجاز المبالغة في الصفة.

ويجوز أن يكون بعض ذلك من مجاز التعبير بالمتـعلق عن المتعلق به كالتعبير بالأمر عن المأمور به، وبالهزء عن المـهزوء به؛ لأنهما قولان عـبِّر بهما عن متعلقـهما، وكذلك التعـبير بالسمع عن المسمـوع، وقد يكون بين محلى الحقيـقة والمجاز تعلقات متنوعـة يصح التجوز بكل واحد منها على ما سنذكره في صفات الرب سبحانه وتعالى.

وللتعبير بالمصدر عن الفاعل أمثلة :

منها: قوله: ﴿يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة: ٣] أى: يؤمنون بالغائب، أو يكون مخففًا من الغيِّب كالميْت من الميِّت والهيْن من الهيِّن واللين من الليِّن.

ومنها: قوله: ﴿فاحتمل السيل زبداً رابيًا﴾ [الرعد: ١٧] معناه: فاحتمل الماء السائل.

وكذلك الحيض مصدر حاض الوادى يحيض حيضًا، ثم يتجوز بالمصدر عن الماء الحائض، وكذلك فى المرأة، فقولك: حاضت المرأة حيضًا فهى حائض، كقولك: سال الوادى سيلاً فهو سائل، والمعنى: حاض دم المرأة، وسال ماء الوادى.

ومنه قوله: ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ [الرعد: ١٧] أى: فسالت مياه أودية بقدرها.

ومنها: الرجع والصدع فى قوله: ﴿والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع﴾ [الطارق: ١١، ١٢] ومعناهما: والسماء ذات المطر الراجع فى كل عام، والأرض ذات النبات الصادع أى: الشاق للأرض، وهذا قول ابن عباس.

ومنها: قوله: ﴿إنه لقولٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: ١٣] أى: لقولٌ فاصلٌ بين الحق والباطل، كقولك: إنه لرجل عدل أى: عادل.

ومنها: لفظ الرب، فإنه مصدر ربَّ يربّ ربًا فهو رابّ، فمعنى قوله: ﴿ربٌّ العالمين﴾ [الفاتحة: ٢] أى: رابٌّ العالمين.

ومنها: قول الشاعر (بسيط) :

ترتعُ ما رتعتْ حتَّى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنَّمَا هِيَ إقبالٌ وإدبارُ[1]

أى: هى ذات إقبال وإدبار.

ولك أن تقدر مثل هذا فى جميع ما ذكرناه، فتقدر ﴿يؤمنون﴾ بذى الغيب، وكذلك يقدر ﴿فاحتمل الماء﴾ ذو السيل، وكذلك يقدر: والسماء ذات المطر: ذى الرجع، والأرض ذات النبات ذى الصدع، وكذلك يقدر ذى رب العالمين، وكذلك إنه لقول ذو فصل، وإنه

---

(١) البيت للخنساء، انظر الديوان ص: ٧٨، الكامل ١/٢٨٧، البيان ٣/٢٠١ .

لرجل ذو عدل.

وللتعبير بالمصدر عن المفعول أمثلة:

منها: قوله: ﴿**هذا خلق الله**﴾ [لقمان: ١١] أي: مخلوق الله.

ومنها: قوله: ﴿**إن في خلق السموات والأرض**﴾ [البقرة: ١٦٤] أي: مخلوقهما.

ومنها: قوله: ﴿**لا تقتلوا الصيد**﴾ [المائدة: ٩٥] أي: المصيد.

ومنها: قوله ﴿**أحل لكم صيد البحر**﴾ [المائدة: ٩٦] أي: أحل لكم أكل مصيد البحر.

ومنها: ﴿**ليبلونكم الله بشيء من الصيد**﴾ [المائدة: ٩٤] أي: من المصيد.

ومنها: قوله: ﴿**وَحُرِّمَ عليكم صيد البر ما دُمْتُمْ حُرُمًا**﴾ [المائدة: ٩٦] يحتمل أن يراد بالصيد: الاصطياد، ويحتمل أن يعبر به عن المصيد.

ومنها: قوله: ﴿**ذلك الفوز العظيم**﴾ [التوبة: ٨٩] أي: المفوز به.

ومنها: ﴿**كتابٌ كريم**﴾ [النمل: ٢٩] أي: مكتوبٌ كريم.

ومنها: ﴿**ذلك الكتاب**﴾ [البقرة: ٢] أي: المكتوب.

ومنها: قوله: ﴿**ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله**﴾ [البقرة: ٢٣٥] معناه: حتى يبلغ ما كتبه الله عليهن من العدة أجله، أي: آخره، فإن الأجل يطلق على المدة كلها ويطلق على آخرها.

ومنه قوله: ﴿**وتفصيل الكتاب**﴾ [يونس: ٣٧] أي: تفصيل ما كتبه الله على عباده من أحكامه.

ومنها: قوله: ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتا**﴾ [النساء: ١٠٣] أي: كانت على المؤمنين مكتوبًا موقوتًا.

ومنها: قوله: ﴿**ولا ينالون من عدو نَيْلاً**﴾ [التوبة: ١٢٠] أي: شيئًا منيلاً كالقتل والغنيمة.

ومنها: قوله: ﴿**يلقون السمع**﴾ [الشعراء: ٢٢٣].

ومنها: قوله: ﴿إلا من استرق السمع﴾ [الحجر: ١٨] أي: المسموع من الملائكة اختطافًا.

ومنها: ﴿يخرج الخبأ﴾ [النمل: ٢٥] أي: المخبوء.

ومنها: قوله: ﴿من بعد وصية يُوصى بها﴾ [النساء: ١٢] تجوَّز بالوصية عن المال الموصى به، والتقدير: من بعد أداء وصية، أو إخراج وصية. وقد تكون الوصية مصدرًا مثل الفريضة، أو تكون من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه؛ لأن الوصية قول.

ومنها: قوله: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ [المائدة: ٥] أي: ومن يكفر بالمؤمن به، تجوَّز بالإيمان عن متعلقه، وهو التوحيد. وقيل: ومن يكفر بموجب الإيمان.

ومنها: قوله: ﴿وإنه لتنزيل ربِّ العالمين﴾ [الشعراء: ١٩٢] أي: لمنزل رب العالمين، أو لذو تنزيل رب العالمين.

ومنها: قوله: ﴿إلا تذكرةً لمن يخشى * تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العُلى﴾ [طه: ٣، ٤] معناه: إلا تذكرة ذات تنزيل ممن خلق الأرض والسموات العلى.

ومنها: قوله: ﴿إن يتخذونك إلا هُزُوًا﴾ [الأنبياء: ٣٦] أي: ما يتخذونك إلا مهزوًا به.

ومنها: قوله: ﴿واتخذوا آياتي وما أنذروا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦] أي: مهزوًا بهما.

ومنها: قوله: ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هُزُوًا ولعبًا﴾ [المائدة: ٥٨] أي: مهزوًا بها وملعوبًا بها.

ومنها: قوله: ﴿الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولَعبًا﴾ [الأعراف: ٥١] أي: ملهوًا به وملعوبًا. ولك أن تقدر: اتخذوها ذات هزء ولعب، أو محل هزء ولعب، وكذلك اتخذوا دينهم ذا لهو ولعب، أو محل لهو ولعب.

ومنها: قوله: ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ [الكهف: ٥٠] أي: فخرج عن مأمور ربه، وهو ما أمره به من السجود لآدم.

ومنها: قوله: ﴿حتى تفيء إلى أمر الله﴾ [الحجرات: ٩] أي: إلى ما أمر الله به من الصلح.

ومنها: قوله: ﴿وكأين من قرية عَتَتْ عن أمر ربِّها﴾ [الطلاق: ٨] أى: عن ما أمرها به من الطاعة والإيمان.

ويجوز أن يكون من مجاز الحذف، تقديره: عتت عن اتباع أمر ربها، أو عن امتثال أمر ربها.

ومنها: قوله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(١) أى: إذا أمرتكم بمأمور فأتوا من ذلك المأمور ما استطعتم.

ويجوز أن يكون هذا من مجاز التعبير بالمتعلق عن المتعلق به؛ لأن الأمر قول متعلق بالمأمور به.

ومنها: قوله: ﴿ثم يُجْزَاه الجزاء الأوفى﴾ [النجم: ٤١] أى: المجزى الأوفى.

ومنها: قوله: ﴿ألا ترون أنى أوفى الكيل﴾ [يوسف: ٥٩] أى: أوفى الحب المكيل، أو الطعام المكيل.

ومنها: قوله: ﴿مُنِعَ منَّا الكيل﴾ [يوسف : ٦٣] أى: الطعام المكيل، أو الحب المكيل.

ومنها: قوله: ﴿فأَوْفِ لنا الكيل﴾ [يوسف : ٨٨] أى: الطعام المكيل، أو الحب المكيل.

ومنها: قوله: ﴿أوفوا الكيل﴾ [الشعراء :١٨١] أى: المكيل.

وسأذكر فى آخر هذا الكتاب ما حضرنى من حذف المضافات فى القرآن من غير استقصاء إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) أخرجه البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة ٧٢٨٨، مسلم فى الحج ١٣٣٧، الفضائل ١٣٣٧، الترمذى فى العلم ٢٦٧٩، النسائى فى مناسك الحج ٢٦١٩، ابن ماجه فى المقدمة ١، ٢، أحمد فى المسند ٧٣٢٠، ٧٤٤٩، ٨٤٥٠، ٩٢٣٩، ٩٤٨٨، ٩٥٧٧، ٩٨٩٠.

النوع الثاني من أنواع الحذف:
حذف المفعولات

وهي ضربان:

أحدهما: ما يصير الفعل فيه كاللازم الذي لا مفعول له كقوله: ﴿**والله يُحيي ويُميت**﴾ [آل عمران: ١٥٦].

الثاني: ما ليس كذلك كقوله: ﴿**الذي خلق فسوى * والذي قدَّر فهدى**﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

وكقوله: ﴿**رزقًا من لَدُنَّا ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون**﴾ [القصص: ٥٧] تقديره: لا يعلمون أن الأرزاق المجبية إليهم من عندنا لغفلتهم عنا ووقوفهم مع الأسباب.

وكقوله: ﴿**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق النَّاس ولكن أكثر النَّاس لا يعلمون**﴾ [غافر: ٥٧] تقديره: لا يعلمون أن خلقهما أشد من خلق النَّاس بل عجزوا ربهم عن تجديد خلق النَّاس يوم القيامة مع اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض، ولك أن تقدر: لخلق السموات والأرض أكبر من تجديد خلق الناس.

وكذلك قوله: ﴿**إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر النَّاس لا يؤمنون**﴾ [غافر: ٥٩] تقديره: لا يؤمنون بإتيانها، والسياق قد أرشد إلى هذه المفاعيل.

وكذلك قوله: ﴿**لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين**﴾ [القصص: ١٠] تقديره: لتكون من المصدقين بوعد الله؛ لأن الله وعدها برده إليها وإرساله إلى خلقه، فصدقت بهذا الوعد.

وكذلك قوله: ﴿**فَبَصُرَتْ به عَنْ جُنُب وهم لا يشعرون**﴾ [القصص: ١١] تقديره: وهم لا يشعرون بأنها أخته؛ لأن السياق دل على ذلك.

وكذلك قوله: ﴿**أو نَتَّخذه ولداً وهم لا يشعرون**﴾ [القصص: ٩] تقديره عند قوم: وهم

لا يشعرون أنه يكون لهم عدواً وحزنًا، وقيل: أو نتخذه ولداً، وبنو إسرائيل لا يشعرون أنا اتخذنا ولداً بل يظنون أنه ولدنا حقيقة.

وقد يُختلف في بعض ذلك كقوله: **﴿أضحك وأبكى﴾** [النجم: ٤٣] فمنهم من يجعله كاللازم، ومنهم من يقول: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النَّار في النَّار.

النوع الثالث
حذف الموصوفات

وهو ضربان:

أحدهما: ما يظهر المراد به من السياق كقوله تعالى: **﴿ولئن رُجِعْتُ إلى ربِّي إن لي عنده للحُسنى﴾** [فصلت: ٥٠] تقديره: إن لي عنده للمنزلة الحسنى.

الضرب الثاني: ما تقوم الصفة فيه مقام الموصوف كالعاقبة والآخرة والأولى.

النوع الرابع
حذف الأقوال

وله أمثلة:

منها: قوله: **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كلِّ باب * سلامٌ عليكم﴾** [الرعد: ٢٣، ٢٤] تقديره: يقولون سلامٌ عليكم ويقدر في كل موضع أحسن تقديره، فيقدر في قوله: **﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم[1] أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾** [الحج: ٢٢] وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق، ولا يقدر: ويقال لهم؛ لأن «وقيل» يناسب أعيدوا.

وكذلك يقدر في قوله: **﴿فأما الَّذين اسودَّتْ وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم[2]﴾**

(١) سقطت «من غم» من جميع النسخ.

(٢) سقطت «أكفرتم بعد إيمانكم» من جميع النسخ.

[آل عمران: ١٠٦] فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم، ولا يقدر: فقيل لهم، لتقدم تبيض وتسود.

وكذلك قوله: ﴿يوم يُسْحَبُونَ فى النَّار على وجوههم ذُوقوا مَسَّ سَقَر﴾ [القمر: ٤٨] يقدر فيه: ويقال لهم: ذوقوا مس سقر لمناسبة ﴿يُسحبون﴾.

النوع الخامس
حذف الشروط وذلك فى الأمر والدعاء

فأما فى الأمر، فله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿فاتَّبعونى يُحبِبْكُم الله﴾ [آل عمران: ٣١] تقديره: فإن اتبعتمونى يُحببكم الله.

الثانى: قوله: ﴿فاتَّبعنى أَهْدِكَ﴾ [مريم: ٤٣] تقديره: فإن تتبعنى أهدك.

وأما فى الدعاء، فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فهب لى من لَدُنْكَ وليًا * يَرِثُنى﴾(١) [مريم: ٥، ٦] التقدير: فإن تهبنيه يرثنى.

المثال الثانى: قوله: ﴿فأرسله معى ردءًا يُصَدِّقُنى(٢)﴾ [القصص: ٣٤] تقديره: فإن أرسلته(٣) معى رِدْءًا يصدقنى.

المثال الثالث: قوله: ﴿ربَّنا أخرنا إلى أجل قريب نُجبْ دعوتك﴾ [إبراهيم: ٤٤] تقديره: فإن تؤخرنا إليه نُجب دعوتك.

---

(١) قرأ أبو عمرو الكسائى بجزم (يرثنى) ، وقرأ الباقون بالرفع (المحرر الوجيز ٩/ ٤٣٠).
(٢) قرأ عاصم برفع القاف «يصدقنى »، وقرأ الباقون بالجزم (المحرر الوجيز ١١/ ٣٠٠).
(٣) هنا يبتدىء خرم فى (أ) .

النوع السادس
حذف أجوبة الشروط

وهو أنواع:

أحدها: ما يدل عليه ما قبله: كقوله: **﴿واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾** [المائدة: ٥٧] تقديره: إن كنتم مؤمنين فاتقوا الله.

وكقوله: **﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾** [المائدة: ٢٣] تقديره: إن كنتم مؤمنين فتوكلوا على الله.

وكقوله: **﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفُرْقان﴾** [الأنفال: ٤١] تقديره: فاعلموا أن الخمس للمستحقين المذكورين.

وكذلك قوله: «أنت طالق إن دخلت الدار» تقديره: إن دخلت الدار فأنت طالق، ولا يجوز أن يكون قوله: «أنت طالق» جوابًا للشرط؛ لأن جواب الشرط لا يتقدم عليه: ومعنى قولهم سدَّ مسد الجواب: أنه دلَّ عليه.

النوع الثاني: ما تدل عليه العادة:

كقوله: **﴿وإن عزموا الطلاق فإن الله سميعٌ عليم﴾** [البقرة: ٢٢٧] لما كانت العادة أن المولى إذا طلق آذى المطلقة بقوله وفعله، هُدد بأن الله يسمع قوله ويعلم فعله؛ زجرًا له، كأنه قال: وإن عزموا الطلاق فلا تؤذوهن بقول ولا فعل، فإن الله يسمع أقوالهم ويعلم أفعالهم.

وكقوله: **﴿فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم﴾** [هود: ٥٧] ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم، ولكن العادة شاهدة بأن الرسول إذا بلغ ما كلفه سقط عنه اللوم فيكون التقدير: فإن تولوا فلا لوم عليَّ لأجل إبلاغي، أو يكون الجواب: فإن تولوا فلا عذر لكم عند ربكم؛ لأني أبلغتكم ما أرسلت به إليكم.

ومثله قوله: ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ [النحل: ٨٢] جوابه: فلا لوم عليك، لأنك قد بلَّغت ما أوحينا عليك.

وكذلك قوله: ﴿فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّلَ﴾ [النور: ٥٤] وجوابه: فلا لوم عليه؛ لأنه ليس عليه إلا البلاغ، وقد بلغ، ولهذا قال: ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾ [الذاريات: ٥٤].

النوع الثالث: ما يدل عليه السياق:

كقوله: ﴿وإن يُكَذِّبوك فقد كُذِّبت رسلٌ من قبلك﴾ [فاطر: ٤] جواب الشرط: فتأسَّ بمن كُذب قبلك من الرسل، أو فاصبر كما صبروا، ولا يجوز أن يكون «فقد كذبت» جوابًا للشرط؛ لأنه ماض، ولا يصح أن يترتب على شرط مستقبل.

وكذلك قوله: ﴿وإن يعودوا فقد مَضَتْ سُنَّة الأولين﴾ [الأنفال: ٣٨] جواب الشرط على الحقيقة، فليحذروا أن يصيبهم مثل ما أصاب الأولين، فذكر ذلك لدلالته على جزاء الشرط لا أنه هو الجزاء؛ لأن مُضِيَّ سنة الأولين لا يكون مشروطًا بعودهم.

النوع السابع من أنواع الحذف:
حذف جواب «لو»

وهو ضربان:

أحدهما: أن يُحذف لدلالة سياق متقدم أو متأخر، فلا تمس الحاجة إليه؛ لأن الغرض حاصل بما دل عليه، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿قل أو لو كانوا لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون﴾ [البقرة: ١٧٠] جوابه: لاتبعتموهم.

الثاني: قوله: ﴿قل[1] أوَلَوْ جِئْتُكُمْ بأهدى مما وَجَدْتُمْ عليه آباءكم﴾ [الزخرف: ٢٤] جوابه: لاقتديتم بهم.

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وهي قراءة الجماعة باستثناء ابن عامر وحفص عن عاصم حيث قرأ «قال» (المحرر الوجيز ١٣/ ٢١٢).

المثال الثالث: قوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كارهين﴾ [الأعراف: ٨٨] جوابه: لعدنا في ملتكم.

الضرب الثاني: أن يُحذف تفخيمًا له وتهويلاً ليذهب السامع فيه إلى كل ممكن من ترغيب، أو ترهيب؛ فإنه لو عيَّن اقتصر السامع عليه وربما خف أمره عنده، وإذا حذف فما من شيء يسمعه السامع لا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه، وقد غلب على هذا النوع وقوعه في سياق التهديد، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ولو ترى إذْ وُقِفُوا على النار﴾ [الأنعام: ٢٧].

الثاني: قوله: ﴿ولو ترى إذْ وُقِفُوا على ربِّهم﴾ [الأنعام: ٣٠].

الثالث: قوله: ﴿ولو ترى إذِ المجرمون نَاكسو رءُوسهم عند ربِّهم﴾ [السجدة: ١٢].

الرابع: قوله: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت﴾ [سبأ: ٥١].

الخامس: قوله: ﴿ولو ترى إذْ يتوفَّى الَّذين كفروا الملائكة﴾ [الأنفال: ٥٠].

السادس: قوله: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غَمَرَات الموت﴾ [الأنعام: ٩٣] تقديره: لرأيت أمرًا هائلاً منكرًا لا يُعرف مثله.

النوع الثامن
حذف جواب «لولا»

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمته وأن الله توابٌ حكيم﴾ [النور: ١٠] جوابه: لعاقبكم بالعصيان المذكور في هذه السورة كالزنا، والقذف، وكذب أحد المتلاعنيْن، وقيل جوابه: لفضح الكاذبين من المتلاعنيْن.

المثال الثاني: قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءُوفٌ رحيم﴾ [النور: ٢٠] جوابه: لعاجلكم بالعقوبة على الإفك المذكور في هذه السورة.

المثال الثالث: قوله: ﴿ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات﴾ [الفتح: ٢٥]... الآية،

جــوابه: لسلطكم على أهل مكة بــالقتل والأســر؛ بدليل قــوله: ﴿لو تَزَيَّلُوا لعـذبنا الَّذين كفروا﴾ [الفتح: ٢٥].

النــوع التــاســع
حذف القسم

وأمثلته كثيرة:

منها: قوله: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم﴾ [الأنبياء: ١٠] تقديره: والله لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم.

ومنها: قوله: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ [الحجر: ٢٤] تقديره: والله لقــد عرفنا المستقدمين منكم.

ومنها: قوله: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ [الأحزاب: ١٥] تقديره: والله لقد كانوا عاهدوا الله من قبل.

ومنها: قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لَنُدْخِلَنَّهُمْ في الصالحين﴾ [العنكبوت: ٩] تقديره[1]: والله لندخلنهم فى الصالحين.

ومنها: قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ [العنكبوت: ٧] تقديره: والله لنكفرن عنهم سيئاتهم.

ومنها: قوله: ﴿فليعلمن الله الَّذين صدقوا﴾ [العنكبوت: ٣] تقديره: فوالله ليعرفن الله الَّذين صدقوا.

ويختــلف ما يحذف مــن القسم باخــتلاف عادة المقــسمين، فـيقــدر فى قول فــرعون: ﴿لأُقطعنَّ أيديكم﴾ [الشعراء: ٤٩] فبعزتى لاقطعن أيديكم؛ لأنه كـان لا يقر بالله فيقسم به، والذى عهد فى عصره قول السحرة ﴿بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾ [الشعراء: ٤٤].

---

(١) هنا ينتهى الخرم فى (أ) المشار إليه سابقًا .

النوع العاشر
حذف أجوبة القسم

ولا بد أن يكون السياق السابق أو اللاحق دالاً عليه ومرشدًا إليه، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**ص والقرآن ذي الذكر**﴾ [ص: ١] تقديره: لنهلكن أعداءك؛ لأنه مردف بقوله: ﴿**كم أهلكنا من قَبْلهم من قَرْن**﴾ [ص: ٣].

المثال الثاني: قوله: ﴿**ق والقرآن المجيد**﴾ [ق: ١] تقديره: لتبعثن؛ بدليل قوله: ﴿**ذلك رجعٌ بعيد**﴾ [ق: ٣].

ويجوز أن يكون الجواب: لقد أرسلنا محمدًا؛ بدليل قوله: ﴿**بل عجبوا أن جاءهم مُنْذرٌ منهم**﴾ [ق: ٢].

المثال الثالث: قوله: ﴿**والنازعات غرقًا**﴾ [النازعات: ١] تقديره: لتبعثن ﴿**يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة**﴾ [النازعات: ٦، ٧] بدليل إردافه بذكر الراجفة، والرادفة، والردُّ في الحافرة.

النوع الحادي عشر
حذف المبتدأ

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**فقالوا ساحرٌ كذاب**﴾ [غافر: ٢٤] تقديره: فقالوا هذا ساحرٌ كذاب.

المثال الثاني: قوله: ﴿**إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون**﴾ [الذاريات: ٥٢] تقديره: إلا قالوا هذا ساحرٌ، أو مجنون.

المثال الثالث: قوله: ﴿**وقالوا أساطير الأولين**﴾ [الفرقان: ٥] تقديره: وقالوا هذا القرآن أساطير الأولين.

المثال الرابع: قوله: ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم**﴾ [الكهف: ٢٢] تقديره: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وكذلك هم خمسة سادسهم كلبهم، وكذلك هم سبعة وثامنهم كلبهم.

المثال الخامس: قوله: ﴿**بل قالوا أضغاث أحلام**﴾ [الأنبياء: ٥] تقديره: بل قالوا القرآن أضغاث أحلام، أو هو أضغاث أحلام، أو هذا أضغاث أحلام.

المثال السادس: قوله: ﴿**قالوا أضغاث أحلام**﴾ [يوسف: ٤٤] تقديره: قالوا رؤياك أضغاث أحلام.

المثال السابع: قوله: ﴿**طاعةٌ وقولٌ معروف**﴾ [محمد: ٢١] تقديره: طاعتكم طاعة معروفة.

المثال الثامن: قوله: ﴿**مَتَاعٌ قليل**﴾ [آل عمران: ١٩٧] تقديره: تقلبهم متاعٌ قليل، ثم مأواهم جهنم.

المثال التاسع: قوله: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**﴾ [البقرة: ١٨] تقديره: هم صمٌّ بُكْمٌ عُمي.

المثال العاشر: قوله: ﴿**التائبون العابدون**﴾ [التوبة: ١١٢] تقديره: هم التائبون العابدون.

المثال الحادي عشر: قوله: ﴿**ولا تقولوا ثلاثة**﴾ [النساء: ١٧١] قدر الفراء[1]: ولا تقولوا هم ثلاثة.

وقدر بعض النحاة: ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة.

وقدر أبو علي: ولا تقولوا: هو ثالث ثلاثة، فحذف المبتدأ والمضاف من الخبر، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**لقد كفر الَّذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**﴾ [المائدة: ٧٣] وتقدير ما ظهر في القرآن أولى من كل تقدير.

---

(١) هو: أبو زكريا يحيى بن زياد بن الفراء، توفي سنة ٢٠٧ هـ (طبقات النحويين واللغويين ١/ ١٣٢، الأعلام للزركلي ٩/ ١٧٨).

النوع الثاني عشر
حذف الخبر

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وطعام الَّذين أُوتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حلٌّ لهم والمحصنات من المؤمنات﴾ [المائدة: ٥] تقديره: والمحصنات من المؤمنات حلٌّ لكم، أو والمحصنات من المؤمنات كذلك.

المثال الثاني: قوله: ﴿واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدَّتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يَحِضْن﴾ [الطلاق: ٤] تقديره: واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر، أو واللائى لم يحضن كذلك، ويجوز أن يقدر: وكذلك اللائى لم يحضن، فيكون الخبر هو المحذوف مع تقدمه، وكذلك نظائره.

المثال الثالث: قوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة: ٦٢] تقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه.

المثال الرابع: قوله: ﴿فصبرٌ جميل﴾ [يوسف: ١٨، ٨٣] تقديره: فصبرٌ جميل أمثل بى وأليق، أو فصبر جميل أمثل من الجزع، أو خير منه، ويجوز أن يكون هذا مبتدأ قُدِّم خبره فيكون تقديره: فعليَّ صبر جميل.

ومثله قوله: ﴿ففديةٌ من صيام﴾ [البقرة: ١٩٦] أى: فعليه فدية من صيام.

وكذلك قوله: ﴿فعدة من أيام أُخر﴾ [البقرة: ١٨٤، ١٨٥] تقديره: فعليه صوم عدة من أيام أخر.

وكذلك قوله: ﴿فصيام ثلاثة أيام فى الحج﴾ [البقرة: ١٩٦] تقديره: فعليه صيام ثلاثة أيام فى الحج.

ومثله قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مؤمنًا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مُسَلَّمة إلى أهله﴾ [النساء: ٩٣] تقديره: فعليه دية مُسَلَّمة إلى أهله.

ومثله قوله: ﴿**ومَنْ قتلـه منكم متـعمدًا فـجزاءٌ مـثلُ ما قـتل من النَّعم**﴾ [المائدة: ٩٥] تقديره: فعليـه جزاء مثل ما قتـله كائنًا من النعم، ويجوز أن يكون التقـدير: فكفارته جزاء فيكون المبتدأ هو المحذوف؛ بدليل قوله: ﴿**فكفارته إطعام عشرة مساكين**﴾ [المائدة: ٨٩] .

وكذلك قوله: ﴿**ثم يعودون لما قالوا فتـحرير رقبة**﴾ [المجادلة: ٣] تقديره: فـعلى العائد تحرير رقبة، أو فكفارته تحرير رقبة، أو فعلى كل واحد منهم تحرير رقبة.

وأما قوله: ﴿**فشهادة أحـدهم أربع شهادات**﴾ [النور: ٦] فلا يحسن تقـديره: فعليهم شهادة أحدهم؛ لأن «على» للإيجاب، واللعان لا يجب إلا نادرًا، ولا يحمل كتاب الله على ما ندر من الصور إذ لا حاجة إليه، فيـجوز أن يكون التقدير: فلهم شهادة أحدهم، وعلى هذا قـرأ من نصب ﴿**أربع شهادات**﴾[1]؛ لأن التـقديـر: فلهم أن يشهـد أحـدهم أربع شهادات، ومن قـرأ بالرفـع لـم يحتـج إلـى حـذف؛ لأن شهـادة أحدهم: مبتـدأ، خبره: ﴿**أربع شهادات**﴾.

النوع الثالث عشر
حذف بعض حروف الجر وهو غالبٌ مع «أنْ» و «أنَّ»

فمثاله في «أنْ» المخـففة قوله: ﴿**يمنون عليك أنْ أسلمـوا**﴾ [الحجرات: ١٧] أي: بأن أسلموا.

﴿**بل الله يمن عليكم أن هداكم**﴾ [الحجرات: ١٧] أي: بأن هداكم.

وقوله: ﴿**لا يستـأذنك الَّذين يؤمنون بالله واليوم الآخـر أنْ يجاهدوا**﴾ [التوبة: ٤٤] أي: في أن يجاهدوا.

وكذلك: ﴿**يعظكم الله أنْ تعودوا**﴾ [النور: ١٧] تقديره: في أن تعودوا.

وكذلك قوله: ﴿**نودي أنْ بُورك مَنْ في النار**﴾ [النمل: ٨] تقديره: نودي بأن بورك على

---

(١) قرأ الأخوان وحفص (أربع)، رفعًا، وقرأ الباقون نصبًا (تلخيص العبارات ص ١٢٧).

من جاء فى طلب النار.

وكذلك قوله: ﴿والذى أطمع أنْ يغفر لى خطيئتى﴾ [الشعراء: ٨٢] أى: فى أن يغفر لى خطيئتى.

وكذلك قوله: ﴿ونَطمَعُ أنْ يُدْخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾ [المائدة: ٨٤] أى: ونطمع فى أن يُدخلنا ربنا مع القوم الصالحين.

ومثاله فى المشددة: قوله: ﴿وبشِّر الَّذين آمنوا وعملوا الصالحات أنَّ لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ [البقرة: ٢٥] أى: بأن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار.

وقوله: ﴿وقلوبهم وجلة أنَّهم إلى ربهم راجعون﴾ [المؤمنون: ٦٠] أى: لأنهم إلى ربهم راجعون، أو من أنهم إلى ربهم راجعون.

وكذلك قوله: ﴿وأنَّ أكثركم فاسقون﴾ [المائدة: ٥٩] تقديره: ولأن أكثركم فاسقون.

وكذلك قوله: ﴿وأنَّ المساجد لله﴾ [الجن: ١٨] أى: ولأن المساجد لله.

ومثله قوله: ﴿وأنَّ الله يهدى من يريد﴾ [الحج: ١٦] تقديره: ولأن الله يهدى من يريد.

وكذلك قوله: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم﴾ [المؤمنون:٣٥] أى: أيعدكم بأنكم إذا متم.

ومثاله: فى غير «أنْ»، «وأنَّ»قوله: ﴿واختار موسى قومه﴾ [الاعراف: ٥٥] أى: من قومه، وقوله: ﴿وقدره منازل﴾ [يونس: ٥] أى: وقدر له منازل، وقوله: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ [البقرة: ٢٣٥] أى: على عقدة النكاح.

وكذلك قوله: ﴿وتبغونها عوجًا﴾ [الاعراف: ٨٦] تقديره: وتطلبون لها عوجًا.

النوع الرابع عشر
حذف الأفعال العاملة

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿انتهوا خيراً لكم﴾ [النساء: ١٧١] تقديره: انتهوا، وأتوا خيراً لكم.

المثال الثاني: قوله: ﴿**قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً**﴾ [الطلاق: ١٠، ١١] تقديره: وأرسل رسولاً.

المثال الثالث: قوله: ﴿**فأجمعوا أمركم وشركاءكم**﴾ [يونس: ٧١] تقديره: وادعوا شركاءكم.

المثال الرابع: قوله: ﴿**والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم**﴾ [الحشر: ٩] تقديره: وآثروا الإيمان من قبل هجرتهم، أو ولابسوا الإيمان من قبل هجرتهم، أو واختاروا الإيمان من قبل هجرتهم، أو واعتقدوا الإيمان من قبل هجرتهم.

النوع الخامس عشر
حذف المفاعيل التي يغلب حذفها
كمفعول المشيئة والإرادة في باب الشرط وباب «لو»، وكمفعول الإفساد

فأما حذف مفعول المشيئة والإرادة في باب «لو» وباب الشرط فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلوا**﴾ [البقرة: ٢٥٣] تقديره: ولو شاء الله أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا، فحذف مفعول المشيئة لدلالة ما بعده عليه.

المثال الثاني: قوله: ﴿**ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾ [النحل: ٩] تقديره: ولو شاء هدايتكم كلكم لهداكم أجمعين.

المثال الثالث: قوله: ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هُدَاها**﴾ [السجدة: ١٣] تقديره: ولو شئنا هداية الأنفس لآتينا كل نفس هداها.

المثال الرابع: قوله: ﴿**ولو شاء الله ما فعلوه**﴾ [الأنعام: ١٣٧] تقديره: ولو شاء الله أن لا يفعلوه ما فعلوه.

المثال الخامس: قوله: ﴿**أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء**

أصبناهم بذنوبهم﴾ [الأعراف: ١٠٠] تقديره: أن لو نشاء إصابتهم بذنوبهم أصبناهم.

وقد ظهر مفعول الإرادة في قوله: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا﴾ [الأنبياء:١٧]، وفي قوله: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى﴾ [الزمر: ٤] وظهر مفعول المشيئة في قول الشاعر:

فلو شئتُ أن أبكي دمـًا لبكيتهُ عليكَ، ولكنْ ساحةُ الصَّبرِ أوسع[1]

وأما حذف مفعول الإفساد فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿إن الله لا يُحب المفسدين﴾ [القصص: ٧٧].

المثال الثاني: قوله: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مُصلحون﴾ [البقرة: ١١].

المثال الثالث: قوله: ﴿يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون﴾ [الشعراء: ١٥٢].

المثال الرابع: قوله: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ [الأعراف:٥٦].

وأما ما يحذف لدلالة السياق عليه، فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر النَّاس لا يعلمون﴾ [سبأ: ٣٦] تقديره: ولكن أكثر النَّاس لا يعلمون أن الله هو القابض الباسط.

المثال الثاني: قوله: ﴿وما يُخَادِعون[2] إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ [البقرة: ٩] تقديره: وما يشعرون أنهم لأنفسهم خادعون.

المثال الثالث: قوله: ﴿ألا إنهم هم السُّفهاء ولكن لا يعلمون﴾ [البقرة: ١٣] تقديره: ولكن لا يعلمون أنهم هم السفهاء.

المثال الرابع: قوله: ﴿والذى أُنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر النَّاس لا يؤمنون﴾ [الرعد: ١] تقديره: لا يؤمنون بإنزاله إليك من ربك.

---

(١) البيت لأبي يعقوب إسحاق بن حسان الخزيمي» (الديوان ص ٤٣)، بديع القرآن ١٨٨، دلائل الإعجاز ١٨٤، نهاية الأرب ٧/ ٧٩، هارون ١/ ٢١٦.

(٢) هكذا «يُخَادِعون» في جميع النسخ وهي قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأ الباقون «يَخْدَعون» (المحرر الوجيز ١/ ١٦٠).

المثال الخامس: قوله: ﴿**ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**﴾ [الواقعة: ٨٥] تقديره: وملائكتنا، أو رسلنا أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرونهم.

والعرب ينظرون إلى مقصود الإفادة فى هذا الباب ونحوه، فإن كان المقصود نسبة الفعل إلى الفاعل اقتصروا عليه فقالوا: فلان يعطى ويمنع، ويصل ويقطع، والله يحيى ويميت؛ لأنه ليس الغرض ذكر المُعْطَى والممنوع، والموصول والمقطوع، والمُحيا والممات، ولكن الغرض وصف الفاعل بهذه الأفعال.

وإن كان الغرض ذكر المفعول لا غير لم يتعرضوا للفاعل كقوله: ﴿**قُتِلَ الخرَّاصون**﴾ [الذاريات: ١٠]. وقوله: ﴿**قُتِل الإنسان ما أكفره**﴾ [عبس: ١٧]. وقوله: ﴿**كُبِتوا كما كُبِت الَّذين من قبلهم**﴾ [المجادلة: ٥]. وقوله: ﴿**ولُعِنوا بما قالوا**﴾ [المائدة: ٦٤]. وقوله: ﴿**أولئك الَّذين أبسلوا بما كسبوا**﴾ [الأنعام: ٧٠] ليس الغرض ههنا ذكر الكابت، ولا القاتل، ولا اللاعن، ولا المبسل، وإنما الغرض فى نسبة القتل واللعن، والكبت، والإبسال إلى المذكورين.

وإن تعلق الغرض بالفاعل والمفعول أتوا بهما كقوله: ﴿**وخلق كل شيء**﴾ [الفرقان: ١].

وقوله: ﴿**خلق الله السموات والأرض**﴾ [العنكبوت: ٤٤]. وقوله: ﴿**بل لعنهم الله بكفرهم**﴾ [البقرة: ٨٨]. وقوله: ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لَعَنَّاهم**﴾ [المائدة: ١٣].

النوع السادس عشر
حذف ضمائر الموصولات

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**أهذا الذى بعث الله رسولاً**﴾ [الفرقان: ٤١] تقديره: أهذا الذى بعثه الله رسولاً.

المثال الثاني: قوله: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله**﴾ [الأنبياء: ٩٨] تقديره: إنكم وما تعبدونه أو تعبدونهم من دون الله.

المثال الثالث: قوله: ﴿**وما ذرأ لكم في الأرض**﴾ [النحل: ١٣] تقديره: وما ذرأه لكم في الأرض.

المثال الرابع: قوله: ﴿**وما خلق الله من شيء**﴾ [الأعراف: ١٨٥] تقديره: وما خلقه الله من شيء.

النوع السابع عشر
حذف فعل الأمر

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿**إنما أُمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة**﴾ [النمل: ٩١] تقديره: قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة.

المثال الثاني: قوله: ﴿**أفغير الله أبتغي حكمًا**﴾ [الأنعام: ١١٤] تقديره: قل: أفغير الله أبتغي حكما.

وكذلك قوله: ﴿**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون**﴾ [الصافات: ٣٥] تقديره: إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله.

النوع الثامن عشر
حذف الجملة

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت**﴾ [البقرة: ٦٠] و﴿**فانبجست**﴾ [الأعراف: ١٦٠] تقديره: فضربه فانفجرت وفانبجست.

المثال الثاني: قوله: ﴿**فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فَعِدَّة من أيام أُخر**﴾ [البقرة: ١٨٤] تقديره: فأفطر فعليه صوم عدة من أيام أخر.

المثال الثالث: قوله: ﴿فإن أُحصرتم فما استيسر من الهدى﴾ [البقرة: ١٩٦] تقديره: فإن أحصرتم فتحلَّلتم فعلى كل واحد ما استيسر من الهدى.

المثال الرابع: قوله: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفورٌ رحيم﴾ [البقرة: ١٧٣] تقديره: فمن اضطر إلى أكل شيء من ذلك فأكله فلا إثم عليه.

النوع التاسع عشر
حذف الجملة الكثيرة استغناء عنها لدلالة السياق عليه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين * أنْ أرسل معنا بنى إسرائيل * قال ألم نُربِّك﴾ [الشعراء: ١٦ - ١٨] تقديره: فأتياه فأبلغاه ذلك، فلما سمعه قال: ألم نربك.

المثال الثاني: قوله: ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الَّذين كذبوا بآياتنا فدمَّرناهم تدميراً﴾ [الفرقان: ٣٦] تقديره: فأتياهم فبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم تدميراً.

المثال الثالث: قوله: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيُّها الصديق﴾ [يوسف: ٤٥، ٤٦] تقديره: فأرسلوه فأتاه فقال: يوسف أيُّها الصديق.

❋ ❋ ❋

بـــاب المجـــاز

المجاز فرعٌ للحقيقة؛ لأن الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع دالاً عليه أولاً.

والمجاز استعمال لفظ الحقيقة فيما وضع دالاً عليه ثانيًا لنسبة وعلاقة بين مدلولى الحقيقة والمجاز، فلا يصح التجوز إلا بنسبة بين مدلولى الحقيقة والمجاز، وتلك النسبة متنوعة على ما سنذكره، فإذا قوى التعلق بين محلى الحقيقة والمجاز فهو المجاز الظاهر الواضح، وإذا ضعف التعلق بينهما إلى حدٍّ لم تستعمل العرب مثله ولا نظيره فى المجاز فهو مجاز التعقيد، فلا يحمل عليه شىء من الكتاب والسنة، ولا ينطق به فصيح، وقد تقع علاقة بين الضعيفة والقوية فمن العلماء من يتجوز بها لقوتها بالنسبة إلى العلاقة الضعيفة، ومنهم من لا يتجوز بها لانحطاطها عن العلاقة القوية.

مثال العلاقة القوية: قول الرجل لامرأته: اعتدى واستبرئى رحمك؛ يريد بذلك الطلاق، فهذا مجاز قوى من جهة أن الاستبراء والاعتداد مسببان عن الطلاق، والتعبير بلفظ المسبب عن السبب كثير فى كلام العرب.

ومثال العلاقة الضعيفة: قول الزوج لامرأته: بارك الله فيك، أو أطعمينى، أو اسقينى، أو تنعمى؛ ينوى بذلك الطلاق، فهذا لا يقع به طلاق لضعف العلاقة المصححة للتجوز إذ لم تستعمل العرب مثله، وفى قوله: «اقعدى» نظر أخذًا من قوله: ﴿**والقواعد من النساء**﴾ [النور: ٦٠] أى: اللاتى قعدن عن النكاح.

ومثال المختلف فيه قوله: «أغناك الله» يريد بذلك الطلاق أخذًا من قوله: ﴿**وإن يتفرَّقا يُغنِ الله كلاً من سعته**﴾ [النساء: ١٣٠] ولو نوى بارك الله فيك، أغناك الله فلا عبرة بنيته لفرط تعقيده وألغازه، وإن قال: «اشربى» فلا عبرة به على الظاهر، وأبعد من اعتبره لقول القائل (طويل) :

* سَقَيْنَاهُمُ كـــــــأسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا[1] *

وإن قال: ذوقى وتجرعى فقد تستعمل العرب الذوق والتجرع فى وجدان كل ما يشق على النفوس.

ومنه قوله تعالى: ﴿فذوقوا العذاب﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقوله: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٤٩].

وقوله: ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ [الطلاق: ٩] فهذا من مجاز التشبيه: شبَّه وجدانها مشقة الفراق والطلاق بتجرع ما يشق تجرعه وذوق ما يشق ذوقه.

فنذكر أنواعًا من التعلقات المصححات للمجاز:

فمنها: تجوُّز العرب بلفظ العلم عن المعلوم، وبلفظ المعلوم عن العلم، وبلفظ القدرة عن المقدور، وبلفظ المقدور عن القدرة، وبلفظ الإرادة عن المراد، وبلفظ المراد عن الإرادة، وبلفظ الأمل عن المأمول، وبلفظ السمع عن المسموع، وبلفظ الوعد والوعيد عن الموعود به من ثواب وعقاب، وبلفظ العهد والعقد عن الملتزم بهما، وبلفظ البشرى عن المبشر به، وبلفظ القول عن المقول فيه، وبلفظ النبأ عن المنبأ عنه، وبلفظ الاسم عن المسمى، وبلفظ الكلمة عن المتكلم فيه، وبلفظ اليمين عن المحلوف عليه، وبلفظ الأمر عن المأمور به، وبلفظ الحكم عن المحكوم به، وبلفظ القضاء عن المقضى به، وبلفظ العزم عن المعزوم عليه، وبلفظ الهوى عن المهوى به، وبلفظ الخشية عن المخشى، وبلفظ الحب عن المحبوب، وبلفظ الظن عن المظنون، وبلفظ اليقين عن المتيقن، وبلفظ الشهوة عن المشتهى، وبلفظ الحاجة عن المحتاج إليه.

وبالاستطاعة عن المستطاع فى قوله: ﴿هل يستطيع ربك أن يُنَزِّلَ علينا مائدة من السماء﴾ [المائدة: ١١٢] معناه: هل يفعل ربك ما يستطيعه من الإنزال، هذا قول الحسن.

---

(١) البيت للنابغة (الديوان ص ٧٢)، هارون ١/ ١٤٠، ونسبه السيوطى فى شرح شواهد المغنى لزفر بن الحارث الكلابى ٢/ ٩٣٠.

وقال السُّدِّى(١): معناه هل يستجيب ربك؟ وهو حسن؛ لأنه يعبر بالإطاعة عن الإجابة؛ بدليل قوله: ﴿ولا شفيع يُطاع﴾ [غافر: ١٨] أى: تُستجاب شفاعته، وهذا مجاز تشبيه، شبَّه إجابة الشفيع إلى مطلوبه بإجابة المأمور إلى مطلوب الآمر.

وقرأ الكسائى(٢): ﴿هل يستطيع ربك﴾(٣) أى: هل تستطيع سؤال ربك، أو دعاء ربك، فهذه كلها من مجاز التعبير بلفظ المتعلق عن المتعلق به، أو بلفظ المتعلق به عن المتعلق.

وأما التعبير بلفظ السبب عن المسبب، وبلفظ المسبب عن السبب، وبلفظ القارب عن المقارب، وبلفظ المحل عن الحال؛ فمصححه ما بينهما من النسبة، إما بالسببية، أو بالمقاربة، أو بالحلول.

وقد يعبِّرون بالشيء عن ضده لاشتراكهما فى المضادة، وبالنظير عن نظيره لاشتراكهما فى المماثلة، وبالملازم عما لازمه للملازمة التى بينهما، وكذلك بالملزوم عن اللازم، وكذلك التجوز بالبعض عن الكل، وبالكل عن البعض.

واختلفوا فى التعبير عن جميع أنواع المجاز بالاستعارة:

فمن العلماء من يجعل المجاز كله استعارة كأنك استعرت اللفظ من مستحقه الذى وضع له أولاً، ونقلته إلى ما تجوزت به عنه، ولهذا سموه مجازًا؛ لأنك جزت به عن مدلول الحقيقة إلى مدلول المجاز فأشبه المجاورة من محل إلى محل، ومن مكان إلى مكان، فإذا قلت: رأيت أسدًا، تعنى الرجل الشجاع، فقد استعرت من الأسد اسمه للرجل الشجاع بسبب اشتراكهما فى الشجاعة، وكذلك جزت باسم الأسد إلى الرجل الشجاع، ومن العلماء من لا يجعل الجميع استعارة ويخص الاستعارة بما لم يذكر المستعار له؛

(١) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّى، تابعى، حجازى الأصل، سكن الكوفة، صاحب التفاسير والمغازى والسير، توفى سنة ١١٨هـ (طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٣ ، الأعلام ١/ ٣١٧).

(٢) هو على بن حمزة الكسائى، أبو إسحاق الأسدى، مولاهم الكوفى، المقرئ، النحوى توفى سنة ١٨٩ (التاريخ الكبير ٦ / ٢٦٨، الجرح والتعديل ٦/ ١٨٢، البداية والنهاية ١١/ ٢٠١).

(٣) النشر ٢/ ٢٤٧، تفسير القرطبى ٦/ ٣٦٤ .

كقولك: رأيت أسدًا، أو بحرًا، تريد بذلك الشجاع والجواد.

وهذا خلاف لا فائدة له إلا فى المجاورات.

واختلفوا فى جمع اللفظة الواحدة لمدلولى الحقيقة والمجاز:

فمن رأى ذلك عده من المجاز؛ لأنه استعمال اللفظ فى غير ما وضع له؛ لأنه وضع أولاً للحقيقة وحدها، ثم استعمل ثانيًا فيها وفى المجاز.

وقد تجوَّزت العرب فى الأسماء والحروف والأفعال:

فمن التجوز فى الأسماء: التعبير بالأسد عن الشجاع، وبالبحر عن الجواد، وبالنور والحياة عن الإيمان والعرفان، وبالظلمة والموت عن الجهل والضلال، وبالسراج والنور والضياء عن الهدى، وبالحظر عن النميمة لإثارتها نار الحقد والغضب، وبالإنسان عن تمثاله، وكذلك تمثال الأشجار والحيوان والبلدان.

وأما الحروف فقد تجوزت العرب ببعضها وهو أنواع:

أحدها: «هل»

ويتجوَّز بها عن الأمر والنفى والتقرير:

فأما الأمر، فله أمثلة:

أحدها: قوله: **﴿فهل أنتم مسلمون﴾** [هود: ١٤] معناه: فأسلموا.

الثانى: قوله: **﴿فهل أنتم منتهون﴾** [المائدة: ٩١] معناه: فانتهوا.

الثالث: قوله: **﴿فهل أنتم شاكرون﴾** [الأنبياء: ٨٠] معناه: فاشكروا.

الرابع: قوله: **﴿فهل من مدكر﴾** [القمر: ١٧] معناه: فادَّكروا.

وأما النفى، فله أمثلة:

أحدها: قوله: **﴿فهل ترى لهم من باقية﴾** [الحاقة: ٨] معناه: فما ترى لهم من باقية.

الثانى: قوله: **﴿فهل يُهْلَكُ إلا القوم الفاسقون﴾** [الأحقاف: ٣٥] معناه: فلا يهلك إلا القوم الفاسقون.

الثالث: قوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظُلَل من الغَمَام﴾ [البقرة: ٢١٠] معناه: ما ينتظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام.

الرابع: قوله: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمن: ٦٠] معناه: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

الخامس: قوله عليه الصلاة والسلام: «هل أنت إلا أصبع دميت»[1] أى: ما أنت إلا أصبع دميت.

واختلف فى قوله تعالى: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ [ق: ٣٠] فقيل: إنه نفى الاستزادة، معناه: لا مزيد فيَّ. وقيل: إنه طلبٌ لها، معناه: زدنى.

وأما التقرير، فله مثالان:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿هل عندكم من علم فَتُخْرِجوه لنا﴾ [الانعام: ١٤٨].

الثانى: قوله: ﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شُركاء فى ما رزقناكم﴾ [الروم: ٢٨].

النوع الثانى

همزة الاستفهام

ويتجوز بها عن النفى والإيجاب والتقرير والتوبيخ.

فأما النفى، فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿أفأنت تُكْره النَّاس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس: ٩٩] معناه: لست مكرهًا النَّاس حتى يكونوا مؤمنين.

الثانى: قوله: ﴿أفأنت تُنقذ من فى النار﴾ [الزمر:١٩] معناه: لست منقذًا من فى النار.

الثالث: قوله: ﴿أفأنت تُسمع الصُّم أو تهدى العُمى﴾ [الزخرف: ٤٠] معناه: لستَ مُسمعًا للصم، ولا هاديًا للعمى.

---

(١) أخرجه: البخارى فى الجهاد والسير ٢٨٠٢، مسلم فى الجهاد والسير ١٧٩٦، الترمذي في تفسير القرآن ٣٣٤٥، أحمد فى المسند ١٨٣٢٠، ٢٧٦٦٩.

الرابع: قوله: ﴿أفغير الله أبتغى حكمًا﴾ [الانعام: ١١٤] معناه: لا أطلب غير الله حكمًا بيني وبينكم.

وأما الإيجاب فله أمثلة :

أحدها: قوله: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ [الزمر: ٣٦] معناه: الوعد بكفاية العباد.

الثاني: قوله: ﴿أليس الله بعزيز ذى انتقام﴾ [الزمر: ٣٧].

الثالث: قوله: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يُحيي الموتى﴾ [القيامة: ٤٠].

الرابع: قول جرير(وافر) :

أَلسْتُمْ خَيْرَ مَنْ ركب المَطايا وأنْدى العالمينَ بطونَ راحِ(١)

وأما التقرير فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿أأنت قلت للناس اتَّخذوني وأُمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة: ١١٦].

الثاني: قوله: ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾ [الأنبياء: ٦٢].

الثالث: قوله: ﴿آلذكرين حرَّم أم الأنثيين﴾ [الانعام: ١٤٣].

وأما التوبيخ فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿أفغير الله تتقون﴾ [النحل: ٥٢].

الثاني: قوله: ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٨٠].

الثالث: ﴿أتأمرون النَّاس بالبر وتَنْسَوْنَ أنفسكم ﴾ [البقرة: ٤٤].

الرابع: قوله: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ [البقرة: ٨٥].

الخامس: قوله: ﴿أفغير الله تأمروني أعبد أيُّها الجاهلون﴾ [الزمر: ٦٤].

السادس: قوله: ﴿أفتتَخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ [الكهف: ٥٠].

السابع: قوله: ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعًا﴾ [المائدة: ٧٦].

---

(١) انظر ديوانه (٨٩)، الخصائص ٢/ ٤٦٣، المغني ١١، شواهد المغني ١/ ٤٣، هارون ١/ ٨٨ .

ولا تدخل همـزة التوبيخ إلا على فـعلٍ قبيح مـكتسب، أو على مـا يترتب عليـه فعلٌ قبيح.

النـوع الثالـث

«فـي»

وهى حقـيقة فى احـتواء جـرم على جرم كقـولك: المال فى الكيس، وزيد فى الدار، وكقوله: ﴿**أفأنت تُنقذ من فى النار**﴾ [الزمر: ١٩] وكقوله: ﴿**وهم فى الغرفات آمنون**﴾ [سبأ: ٣٧]، أو فى احتـواء جرم على معنى كـقوله: ﴿**فى قلوبهم مرض**﴾ [البقرة: ١٠]، وقوله: ﴿**ويقولون فى أنفسهم لولا يُعذبنا الله بما نقول**﴾ [المجادلة: ٨]، وقوله: ﴿**وإن تُبدوا مـا فى أنفسكم أو تُخفوه يُحاسبكم به الله**﴾ [البقرة: ٢٨٤] وكقوله ﴿**إنْ فى صـدورهم إلا كِبْرٌ**﴾ [غافر: ٥٦].

والتجوز بها أنواع:

أحـدهـا:

أن يجعل المعنى ظرفًا لتعلق معنى آخر، وله أمثلة:

أحدها: قـوله: ﴿**وجـاهدوا بأموالكم وأنفسكـم فى سبيل الله**﴾ [التوبة: ٤١] جعل سبيل الله ـ وهى طاعته واجتناب مـعصيته، أو القـتال فى سبـيله ـ ظرفًا لتعلق الجـهاد، والجهاد قائم بالمجاهدين.

المثال الثانى: قوله: ﴿**لا ريب فيه**﴾ [البقرة: ٢].

المثال الثالث: قوله: ﴿**وأن الساعة آتيـة لا ريب فيها**﴾ [الحج: ٧] جعل الساعة والكتاب ظرفين لتعلق الريب لا لنفس الريب، فإن الريب حالٌّ فى المرتاب قائم به.

المثال الرابع: قوله: ﴿**ويستفتونك فى النساء**﴾ [النساء: ١٢٧] أى: فى توريثهن، فجعل التوريث محلاً لتعلق الاستفتاء، ثم قال: ﴿**قل الله يُفتيكـم فيهن**﴾ [النساء: ١٢٧] أى: فى توريثهن، فجعل التوريث محلاً لتعلق الفُتيا وهى قول المفتى.

المثال الخامس: قوله: ﴿فهدى الله الذى آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق﴾ [البقرة: ٢١٣] جعل الحق محلاً لتعلق الاختلاف، والاختلاف قائم بالمختلفين.

المثال السادس: قوله: ﴿فادارأتم فيها﴾ [البقرة: ٧٢] أى: فادَّارأتم فى قتلها، فجعل القتل محلاً لتعلق التدارء.

المثال السابع: قوله: ﴿فذالكُنَّ الذى لُمتننى فيه﴾ [يوسف: ٣٢] جعلت حبه ومراودته ظرفًا لتعلق لومهن لا لنفس اللوم، فإن لومهن قائم بهن، وكذلك قولهم: ما تقول فى مسألة كذا، جعلوا المسألة محلاً لتعلق القول القائم بالقائل.

ومنه قولهم: «لا تأخذه فى الله لومة لائم» أى: لا تأخذه فى طاعة الله لومة لائم، جعل الطاعة محلاً لتعلق اللوم هو قول.

وكذلك قولك: «رغبت فى علم زيد» جعلت علمه محلاً لتعلق الرغبة.

وكذلك قوله: ﴿تُشَاقون فيهم﴾ [النحل:٢٧] أى: فى عبادتهم، جعل العبادة محلاً لتعلق المشاقة.

وكذلك الطعن فى الأعراض والأديان، جعلت الأديان والأعراض محلاً لتعلق السب والشتم كما فى قوله: ﴿وَطَعَنُوا فى دينكم﴾ [التوبة: ١٢] جعل الدين محلاً لتعلق الطعن والسبّ.

وكذلك قوله: ﴿وليس عليكم جناحٌ فيما أخطأتم به﴾ [الأحزاب: ٥] أى: بسبب ما أخطأتم به.

ومثله قوله: ﴿يقاتلون فى سبيل الله﴾ [التوبة: ١١١] أى: بسبب نصرة سبيل الله، وكذلك الحب في الله، أي: بسبب تعظيم الله.

وكذلك قوله ﴿فإذا أوذى فى الله﴾ [العنكبوت: ١٠] أى: بسبب توحيد الله.

وكذلك قوله: ﴿لولا كتابٌ من الله سبق لمسَّكُم فيما أخذتم عذابٌ عظيم﴾ [الأنفال: ٦٨] أى: بسبب أخذكم الفداء.

وكذلك قوله: ﴿لمسَّكُم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيم﴾ [النور: ١٤] أي: بسبب ما أفضتم فيه.

ولما كان المسبب متعلقًا بالسبب جعل السبب ظرفًا لتعلق المسبب لا لنفس المسبب، فلذلك يفيد الظرف معنى السببية، ومن لا يفهم هذه القاعدة يحمل كون «في» دالة على السببية، وما ذكرناه من الشواهد ردٌّ عليه، ثم لا يستقيم المعنى إلا بحملها على السببية كما في قوله: ﴿لمسَّكُم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيم﴾ [النور: ١٤] معناه: لمسكم بسبب إفاضتكم في الإفك عذاب عظيم، فجعل الإفك سببًا في العذاب العظيم لتعلقه به وانتسابه إليه، وكذلك نظائره، وهذا كله من مجاز التشبيه؛ لأنه شبه المتعلق به بالظرف وَشبه التعلق بالمظروف.

النوع الثاني

أن يجعل الجرم محلاً لتعلق المعنى، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٩١] جعل الأجرام محلاً لتعلق الفكر لا لنفس الفكر، فإن الفكر قائم بالمتفكر.

المثال الثاني: قوله: ﴿أوَلَمْ ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ [الأعراف: ١٨٥] جعل السموات والأرض والمخلوقات كلها محلاً لتعلق النظر لا لنفس النظر، فإن النظر قائم بالناظر حالٌّ فيه.

المثال الثالث: قوله: ﴿أوَلَمْ يتفكروا في أنفسهم﴾ [الروم: ٨].

النوع الثالث

أن يجعل المعنى محلاً للجرم

وهو مجاز تشبيه أيضًا يتجوَّز به عن كثرة ما جعل ظرفًا مجازيًا لما كان الحاوي أعظم من المحوي، شبه به ما توالى أو كثر من المعاني، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿قل من كان في الضلالة﴾ [مريم: ٧٥].

المثال الثاني: قوله: ﴿إنا لنراك فى سفاهة﴾ [الأعراف: ٦٦].

المثال الثالث: قوله: ﴿إنا لنراك فى ضلال مُبين﴾ [الأعراف: ٦٠].

المثال الرابع: قوله: ﴿صم وبكم فى الظلمات﴾ [الأنعام: ٣٩] أى: فى الضلالات.

المثال الخامس: قوله ﴿فهم فى ريبهم يترددون﴾ [التوبة: ٤٥].

المثال السادس: قوله ﴿ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم﴾ [فصلت: ٥٤].

المثال السابع: قوله: ﴿بل قلوبهم فى غَمْرَة من هذا﴾ [المؤمنون: ٦٣].

المثال الثامن: قوله: ﴿لقد كنت فى غفلة من هذا﴾ [ق: ٢٢].

المثال التاسع: قوله: ﴿وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ [آل عمران: ١٦٤].

المثال العاشر: قوله: ﴿فإن كنت فى شكٍّ مما أنزلنا إليك﴾ [يونس: ٩٤].

المثال الحادى عشر: قوله: ﴿وإن كنتم فى ريبٍ مما نزلنا على عبدنا﴾ [البقرة: ٢٣].

المثال الثانى عشر: قوله: ﴿فلا تكن فى مرية منه﴾ [هود: ١٧].

المثال الثالث عشر: قوله: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ [سبأ: ٢٤] ومنه قولهم: فلان فى أكل وشرب، وأتيته فى عنفوان شبابه.

وأما قوله: ﴿إن المتقين فى ظلال[1] وعيون * وفواكه﴾ [المرسلات: ٤١، ٤٢] ﴿فى جنات ونهر﴾ [القمر: ٥٤] ﴿فى جنات ونعيم﴾ [الطور: ١٧] فمن جمع بين الحقيقة والمجاز جعل «فى» بالنسبة إلى الجنات ظرفًا حقيقيا وبالنسبة إلى النعيم والنهر والعيون والفواكه ظرفًا مجازيًا، ومن لم يجمع بينهما يقدر: إن المتقين فى جنات، وفى نعيم، وفى نهر، وفى عيون وفواكه، فتكون «فى» الثانية: مجازًا محضًا مشعرًا بكثرة النعيم والأنهار والعيون والفواكه، وتدع الأولى على حقيقتها.

ولك أن تجعل الجميع مجازًا حذفيا تقديره: إن المتقين فى لذات جنات ونعيم، وفى لذات جنات ونهر، وفى لذات جنات وعيون وفواكه، أو يقدر: إن المتقين فى نعيم جنات

(١) فى جميع الأصول: «فى جنات» وهو خطأ من الناسخ.

وعيون وفواكه، وفي نعيم جنات ونهر.

ولا يقدر مثل هذا في قوله: ﴿في جنات ونعيم﴾ [الطور: ١٧] إذ يبقى التقدير: وفي نعيم نعيم، وهو سمج لا يقدر مثله في كتاب الله سبحانه.

وأما قوله: **﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾** [الحج: ١٨] فظاهره عند من جمع بين الحقيقة والمجاز بحمله في من يعقل على السجود المعهود، وفي ما لا يعقل على الانقياد للقدرة والإرادة، ومن لا يجمع بين الحقيقة والمجاز يحمل ذلك على مجاز الانقياد للقدرة والإرادة.

وأما قوله: **﴿أفي الله شك﴾** [إبراهيم: ١٠] فالتقدير فيه: أفي وحدانية الله شك؟ فهو من جعل المعنى ظرفًا لتعلق المعنى.

وأما قوله: **﴿يدخلون في دين الله أفواجًا﴾** [النصر: ٢]، فإن الدخول والمدخول فيه مجازيان.

وأما قوله: **﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾** [الأنعام: ٣]، وقوله: **﴿كل يوم هو في شأن﴾** [الرحمن: ٢٩] فليس الظرف ههنا متعلقًا بجوهر، ولا عرض، وإنما هذا من مجاز التشبيه، عبر بكونه في السموات والأرض عن علمه بما فيهن؛ لأن من حضر مكانًا لم يخف عليه ما فيه.

وأما قوله: **﴿كل يوم هو في شأن﴾** [الرحمن: ٢٩] فهو مشبه بقوله: **﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شُغُل فاكهون﴾** [يس: ٥٥] وبقولهم: إنا في شغلك وحاجتك، ولا يخفى وجه النسبة فيه.

النوع الرابع
من أنواع الحروف المتجوَّز بها: «على»

وحقيقتها استعلاء جرم على جرم، كقوله: **﴿وعلى الأعراف رجالٌ﴾** [الأعراف: ٤٦]، وقوله: **﴿لتستووا على ظهوره﴾** [الزخرف: ١٣]، ثم يتجوز بها على الثبوت والاستقرار:

كقوله: ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ [البقرة: ٥]، وقوله: ﴿قل إنى على بينة من ربى﴾ [الانعام:٥٧]، وكقوله: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى﴾ [سبأ: ٢٤]، وكقوله: ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾ [القلم: ٤]، وهذا أيضًا من مجاز التشبيه؛ شبه التمكن من الهدى والأخلاق العظيمة الشريفة، والثبوت عليها بمن علا على دابة يصرفها كيف يشاء.

وكذلك قولهم: «عليه دين» قال سيبويه: كأنه شيء اعتلاه فأشار إلى مجاز التشبيه.

وقد يجعل المعنى على الجرم تجوزًا كقوله: ﴿سلام عليكم﴾ [الاعراف: ٤٦]، وكقوله: ﴿رحمت الله وبركاته عليكم﴾ [هود: ٧٣]، وكقوله: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ [البقرة: ١٥٧]، وكقوله: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء﴾ [النحل: ٨٩] والغرض بهذا كثرة السلامة والرحمة؛ لأن ما علاك وظلَّلك فقد أحاط بك.

وأما قوله: ﴿ونزلنا عليكم المنَّ والسلوى﴾ [طه: ٨٠] فهو نزول جرم على جرم، ولا بد فيه من حذف تقديره: ونزلنا على أشجاركم، أو على محلتكم المنَّ والسلوى.

وأما قوله: ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ [القصص: ٧٩] فمعناه: فخرج على نادى قومه، أو على محل قومه في زينته.

وأما قوله: ﴿وقالت اخرج عليهن﴾ [يوسف: ٣١] فمعناه: اخرج على مجلسهن، أو مكانهن.

وأما قوله: ﴿كُلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا﴾ [آل عمران: ٣٧] فتقديره: كلما دخل عليها صحن المحراب، أو ساحة المحراب وجد عندها رزقًا.

النوع الخامس

«عن»

وهي حقيقة فى مجاوزة جِرْم عن جِرْم وتعديه عنه، ثم تستعمل فى المعانى على طريق التشبيه فى مثل قوله: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكًا﴾ [طه: ١٢٤] شبه انصراف البصيرة عن تأمل ذكره بانصراف المجاوز عما يجاوزه.

وكذلك: ﴿فَأَعْرِضْ عنهم﴾ [النساء: ٦٣] إن حُمل على القتال كان المعنى: فانصرف عن قتالهم، وإن حمل على غيره فمعناه: فتجاوز عن أذيتهم.

وتقول: تجاوز فلان عن ذنب فلان، وفى الحديث: «وتجاوز عما تعلم»[1] بمعنى: ترك المؤاخذة؛ لأن المتجاوز عن الشىء تاركٌ له، وعفا عنه بمعنى: تجاوز عنه؛ لأنه ترك المؤاخذة، ورضى عنه بمعنى: تجاوز عن محل السخط عليه إلى محل الرضى.

وأما قوله: ﴿تراود فتاها عن نفسه﴾ [يوسف: ٣٠] فعلى تضمين تُخادع فتاها عن نفسه أى: تصرفه عن غرض نفسه فى العصمة.

النوع السادس

«من»

وهى حقيقة فى ابتداء غاية الأمكنة، ويُتجوَّز بها عن الغاية فى الأزمنة فى مثل قوله: ﴿لمسجدٌ أُسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ [التوبة: ١٠٨] فاستعملها غاية فى الأزمان لشبهها بالأماكن.

وكذلك يُتجوَّز بها عن التعليل فى مثل قوله: ﴿مما خطيئاتهم أُغرقوا﴾ [نوح: ٢٥] أى من أجل خطاياهم أغرقوا؛ لأن ابتداء غاية المعلول صادر من علته، فشبه ذلك بابتداء الغاية فى المكان.

النوع السابع

«ثم»

وتستعمل حقيقة فى تراخى الزمان والمكان، ثم يُتجوَّز بها فى تراخى بعض الرتب عن بعض بالتباعد المعنوى تشبيهًا للتراخى المعنوى بالتراخى الزمانى والمكانى، ولها أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ثم كان من الَّذين آمنوا﴾ [البلد: ١٧] جاء بـ «ثم» للتراخى الذى بين

(١) أخرجه: النسائى فى البيوع ٤٦٩٤، البخارى فى البيوع ٢٠٧٨، أحاديث الأنبياء ٣٤٨٠، مسلم فى المساقاة ١٥٦٢، أحمد فى المسند ٧٢٥٢.

الإيمان والعمل الصالح، فإن الإيمان أفضل من فك الرقاب وإطعام السغبان، فهما يتراخيان عن الإيمان فى الفضل فهو مؤخر فى اللفظ مقدم فى الفضيلة والرتبة على تباعد وتراخ؛ يدل على ذلك أن رسول الله ﷺ لما سئل: أى الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**جهاد فى سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»[1] وهذا أيضًا تراخ فى رتب الفضائل.

ويدل على أن «ثم» فى الآية لتراخى الترتيب لا لتراخى الزمان: أن الإيمان شرط فى اعتبار فك الرقاب وإطعام السغبان فلا يجوز أن يتقدم المشروط على شرطه.

وأما قوله: ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾ [البقرة: ٢٩] فيحتمل أن يكون «ثم» لتراخى خلق السماوات عن خلق الأرض، أو لتفاوت الرتبة بين خلق السموات والأرض؛ فإن خلق السموات أعلى رتبة كما فى قوله: ﴿**ثم كان من الَّذين آمنوا**﴾ [البلد: ١٧].

الثانى: قول الشاعر (خفيف):

* إنَّ من سَادَ ثُمَّ سَادَ أبوهُ *

جاء بـ «ثم» لتراخى ما بين السؤددين من الفضل.

الثالث: قوله: ﴿**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ [الأعراف: ١١] على قول بعضهم: جيء بثم لتفاوت ما بين نعمة التصوير ونعمة السجود لآدم، فإن إسجاد الملائكة أكمل إحسانًا وأتم إنعامًا من التصوير.

وقدر بعضهم: ولقد خلقنا آباءكم، ثم صورنا آباءكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.

وقدر بعضهم: ولقد خلقنا طينتكم، ثم صورناكم فى ظهر أبيكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.

وقال بعضهم: نسبة الخلق والتصوير إلينا من مجاز نسبة ما يتعلق بالواحد إلى جماعته

---

(١) أخرجه: البخارى فى الإيمان ٢٦، الحج ١٥١٩، النسائى فى الجهاد ٣١٣٠، أحمد فى المسند ٧٥٣٦، ٧٥٨٥، الدارمى فى الجهاد ٢٣٩٣ .

وأمته، ولا سيما إذا كان زعيمًا، أو مقدمًا، كآدم عليه السلام.

ومثاله قوله: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الَّذين عاهدتم من المشركين﴾ [التوبة: ١] نسب المعاهدة إلى الجماعة، والمراد بها معاهدة رسول الله ﷺ.

ومثله قوله: ﴿ألا تُقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم﴾ [التوبة: ١٣] نسب النكث إلى الكل وإنما نكث بعضهم.

ومثله قوله: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النَّصارى المسيح ابن الله﴾ [التوبة: ٣٠] ولم يقل اليهود كلهم عزير ابن الله، وكذلك النصارى، فإن بعضهم قال: هو ابن الله، وبعضهم قال: هو الله. وقال بعضهم: هو ثالث ثلاثة. وقال بعضهم: هو عبد الله ورسوله، فنسب إلى الفريقين ما وُجِدَ من بعضهم، ومثله قول امرئ القيس (متقارب):

* فَإنْ تَقْتُلونَا نُقَتِّلْكُمُ(١) *

وأما من يقول إن «ثم» تستعمل فى تراخى بعض الأخبار عن بعض، فلا يستقيم فى هذه الآية، ولا فى قوله (خفيف):

* إنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوه (٢) *

لأنا نعلم أن الله ما راخى بين الأخبار فى قوله: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ [الأعراف: ١١]، وبين قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة﴾ [الأعراف: ١١].

وكذلك قول الشاعر:

* إن من ساد ثم ساد أبوه *

نعلم أنه لم يقل: إن من ساد ثم وقف زمنًا طويلاً متراخيًا، ثم قال: ثم ساد أبوه؛ ولأن استعمالها فى تراخى الأخبار بعيدٌ فى استعمال العرب؛ لأن التراخى الموجود فى كلامهم إنما يقع بين مدلولات الألفاظ لا بين أنفس الألفاظ، وهذا إنما يصح استعماله فى

(١) انظر ديوانه ص ١٨٦، المحرر الوجيز ١/ ٤٨١، البحر المحيط ٢/ ٦٧.
(٢) صدر بيت لأبى نواس (ديوانه ص ٤٩٣، رصف المبانى ١٧٤، الدرر ٢/ ١٧٣، الهمع ٢/ ١٣١).
وعجزه: * ثم سارَ قَبْلَ ذلك جدُّهُ *

الفاء؛ لأن الإخبار فيها متعاقب إن ثبت أنه قول من يعتمد على قوله فى الشان.

النـــــوع الثـــامن
«البـــــاء»

قال سيبويه: هى للإلصاق. والإلصاق أضرب:

أحدها: حقـيقى وهو إلصاق جرم بجـرم كقولك: ألصـقت القوس بالغراء، والخشـبة بالجدار.

الثانى: إلصاق المعنى بالجرم كقـولك: لطفت بزيد، ورأفت به، كأنك ألصقت اللطف به والرأفة به لتعلقهما به، وكقوله: مررت بزيد، ولا بد فيه من حذفٍ تقديره: مررت بمكان زيد، أو بمحل زيد، وهو من مجاز التشبيه كأنك ألصقت المرور بالمكان.

الثالث: إلصاق المعنى بالمعنى كقوله: ﴿**النفس بالنفس والعين بالعين**﴾ [المائدة: ٤٥] أى: النفس مقـتولة بقـتل النفس، والعين مفقـوءة بفقء العين، أتى بالباء ليـكون المسبب ـ وهو القصاص ـ منسوبًا إلى الجناية نسـبة السببية؛ فأشبه لذلك الإلصــاق الحقيقى، وهو جارٍ فى جميع الأسباب.

النـــــوع التــــاسع
«لعـل» و «عســـى»

وكلاهمـا مجاز تشبيه، أو تسـبـيب -على مـا سنذكـره فى كل صـفـة- لا يليق بالرب الاتصاف بحقيقتها بل يصح حملها على مجاز التشبيه، أو على مجاز التسبيب.

وكذلك الـترجى فى «لعل»، والتـوقع فى «عسى» يجـوز أن يكون مجـاز تشبـيه، أو تسبيب.

أما مجاز التشبيه فلأن معاملتـه بالأمر، والنهى، والوعد، والوعيد مشـبه بمعاملة ملك عادل عـبيده بذلك على رجـاء إجابتهم، فـإن كل من سمع الملك يأمر وينهى ويعـد ويوعد يرجو إجابة المأمور وإثابته، ولا سيما إذا كان الملك كريمًا صدوقًا لا يخلف الميعاد.

وأما مجاز التسبيب فلأن رجاء الإجابة وما يترتب عليها من الفلاح مسبب عن لين الخطاب، وحسن الترغيب والترهيب فى حق العبيد، فكذلك أمر الرب ونهيه مع وعيده وإيعاده يوجبان لكل من سمعهما خوفًا ورجاء لا يوجد مثلهما فى حق غيره، ويحقق ذلك أن الكلام المنفر لا يتوقع منه إجابة ولا إثابة، والكلام اللين المرغب يتوقع كل من سمعه الإجابة والإثابة.

ولذلك قيل لموسي وهارون: **﴿فقولا له قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى﴾** [طه: ٤٤] لما كان القول اللين سببًا للتذكر والخشية أمرهما به لتقوم عليه الحجة فهذا الرجاء المتعلق بكلامه.

وأما الرجاء المتعلق بأفعاله فكما فى قوله: **﴿والله أخرجكم من بطون أُمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾** [النحل: ٧٨] لما ذكر هذه النعم الجسام التى لا يتصور وجودها من غيره أردفها بقوله: **﴿لعلكم تشكرون﴾** من جهة أن الشكر مرجو من المُنْعَم عليه متوقع منه ولا سيما بمثل هذه النعم؛ ولأنه عاملهم بهذه النعم معاملة الراجى كما عاملهم باليقين معاملة الفاتن، فوصفه نفسه بكونه راجيًا كوصفه نفسه بكونه فاتنًا، وكذلك نظائره.

وأما الأفعال فالتجوز فيها أنواع

أحدها

التجوز بالماضى عن المستقبل تشبيهًا له فى التحقيق

وذلك فى الشرط وجوابه، وفى غيرهما

مثاله فى غير الشرط: قوله تعالى: **﴿وإذْ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾** [المائدة: ١١٦]، وقوله: **﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾** [الأعراف: ٤٨]، وقوله: **﴿ونادى أصحاب الجنَّة أصحاب النَّار﴾** [الأعراف: ٤٤]، وقوله: **﴿ونادى أصحاب النَّار أصحاب الجنَّة﴾** [الأعراف: ٥٠]، وقوله: **﴿ونادوا يا مالك ليقض**

علينا ربك﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقوله: ﴿وقال قرينه هذا ما لدى عتيد﴾ [ق: ٢٣].

وكذلك قوله: ﴿قال قرينه ربَّنا ما أطغيته﴾ [ق: ٢٧]، وقوله: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ [فصلت: ٢١].

وكذلك قوله: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سُرادقها﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله: ﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا﴾ [الأعراف: ٤٣].

ومثله قوله: ﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر: ٤٣].

وقوله: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ [ص: ٦٢].

وكذلك قوله: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النَّار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذب بآيات ربنا﴾ [الأنعام: ٢٧].

وقوله: ﴿ولو ترى إذْ فزعوا﴾ [سبأ: ٥١].

وكذلك قوله: ﴿فَكُبَّتْ وجوههم فى النَّار﴾ [النمل: ٩٠].

وقوله: ﴿وقيل لهم ذوقوا عذاب النار﴾ [السجدة: ٢٠].

وقوله: ﴿وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق﴾ [الأنفال: ٥٠].

وقال المبرد(١) فى قوله: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ [الوقعة: ١]: التقدير: إذا تقع الواقعة، ويقال لكل متوقع قد وقع.

ومن ذلك قوله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ [النحل: ١]، أو تكون «أتى» بمعنى: قرب.

وأما فى الشرط؛ فكقوله: ﴿وإن كُنْتُمْ فى ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ [البقرة: ٢٣] معناه: وإن تكونوا فى ريب مما نزلنا على عبدنا.

وكقوله: ﴿فإن تبتم فهو خير لكم﴾ [التوبة: ٣] معناه: فإن تتوبوا.

---

(١) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى، أبو العباس، توفى سنة ٢٨٦ هـ (الأعلام للزركلى ١٥/٨).

وكقوله: ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك﴾ [يونس: ٩٤] معناه: فإن تك فى شك مما أنزلنا إليك.

وكذلك قوله: ﴿إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا﴾ [يونس: ٨٤] معناه: إن تكونوا مؤمنين بالله فعليه توكلوا.

وأما فى جواب الشرط؛ فكقوله: ﴿الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة﴾ [الحج: ٤١]، وكقوله: ﴿ولئن أرسلنا ريحًا فرأوه مُصْفَرّا لظلوا من بعده يكفرون﴾ [الروم: ٥١] قال الخليل: معناه: ليظلن.

وكذلك قوله: ﴿وإن عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨] معناه: وإن تعودوا إلى قتال محمد ﷺ نعد إلى نصره؛ لأن الشرط لا يكون إلا بمستقبل، والمرتب على المستقبل مستقبل لا محالة، وهذا من مجاز التشبيه: شبه المستقبل فى تحققه وثبوته بالماضى الذى دخل فى الوجود بحيث لا يمكن رفعه.

النوع الثانى

التعبير بالمستقبل عن الماضى

كقوله: ﴿واتَّبعوا ما تتلو الشياطين على مُلْك سُليمان﴾ [البقرة: ١٠٢] أى: واتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان.

وكقوله تعالى: ﴿فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون﴾ [البقرة: ٨٧] معناه: وفريقًا قتلتم، ومثله، قول الشاعر (كامل):

وَلَقَدَ أَمُرُّ على اللئيمِ يَسُبُّنِى ... فمضيتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينى(١)

معناه: ولقد مررت.

ويجوز أن يكون الفعل فى هاتين الآيتين حكاية للحال ماضية مثله فى قوله: ﴿تريدون

---

(١) البيت لشمر بن عمرو، ونسب أيضاً إلى رجل مجهول من بنى سلول، وهو من شواهد الكتاب ٣/ ٢٤، أمالى ابن الشجرى ٢/ ٣٠٣، الخصائص ٣/ ٣٣٠، الهمع ١/ ٩، المغنى ١/ ١٠٢ .

أن تصدونا عمَّا كان يعبد آباؤنا﴾ [إبراهيم: ١٠] وفي قوله: ﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم﴾ [هود: ١٠٩].

وكذلك قوله: ﴿وكانوا يُصرون على الحِنْث العظيم﴾ [الواقعة: ٤٦]، وقوله: ﴿وقد كانوا يُدعون إلى السجود﴾ [القلم: ٤٣].

وكذلك قوله: ﴿وإذْ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك﴾ [الاحزاب: ٣٧] معناه: وإذ قلت، أو تكون حكاية حال ماضية.

وكذلك قوله: ﴿إنى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾ [الصافات: ١٠٢] معناه: إنى رأيت فى المنام أنى أذبحك، أو تكون حكاية حال ماضية كقوله: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ [البقرة:١٨٩]، وقوله: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ [البقرة: ٢٢٢] وكقوله: ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وقوله: ﴿ويسألونك ماذا يُنفقون﴾ [البقرة: ٢١٩]،

وأما قوله: ﴿وما نُرسل المرسلين إلا مُبشرين ومُنذرين﴾ [الكهف: ٥٦] فيحتمل معانى:

أحدها: وما أرسلنا المرسلين إلا مبشرين ومنذرين تعبيراً بالمستقبل عن الماضى، فيدخل فيهم نبينا ﷺ؛ لأن إرساله قد تقدم على هذه الآية.

الثانى: أن يكون حكاية حال ماضية.

الثالث: أن تكون للحال المستمرة الدائمة.

وأما قوله: ﴿إن الَّذين كفروا ويصدُّون﴾ [الحج: ٢٥] ففيه تقديرات:

أحدها: إن الَّذين كفروا وصدُّوا، تعبيراً بالمستقبل عن الماضى.

الثانى: إن الَّذين يكفرون ويصدون تعبيراً بالماضى عن المستقبل.

الثالث: إن الَّذين كفروا وهم يصدون؛ فيكون موضعه نصبًا على الحال.

وأما التعبير بالمضارع عن الحال المستمرة؛ فإنه مجاز أيضًا؛ لأنه وضع للحال والاستقبال فكان استعماله فى الأزمان الثلاثة استعمالاً له فى غير ما وضع له، وهذا كقوله: ﴿والله يُحيى ويُميت﴾ [آل عمران: ١٥٦]، وكقوله: ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وكقول

خديجة رضى الله عنها: لرسول الله ﷺ: «**إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق**»(١).

النوع الثالث

التجوز بلفظ الخبر عن الأمر

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**والوالدات يُرضعن أولادهن حَوْلين كاملين**﴾ [البقرة: ٢٣٣] أى: لترضع الوالدات أولادهن حولين كاملين.

المثال الثانى: قوله: ﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا**﴾ [البقرة: ٢٣٤] معناه: ليتربصن المتوفى عنهن أزواجهن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا.

المثال الثالث والرابع: قوله: ﴿**تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم**﴾ [الصف: ١١] معناه: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم، وأنفسكم، ولذلك أجيب بالجزم فى قوله: ﴿**يَغْفِرْ لكم ذنوبكم ويُدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار**﴾ [الصف: ١١]، ولا يصح أن يكون جوابًا للاستفهام فى قوله: ﴿**هل أدلكم**﴾ [الصف: ١٠] لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتب على مجرد الدلالة، وهذا من مجاز التشبيه: شبه الطلب فى تأكده بخبر الصادق الذى لا بدّ من وقوعه، وإذا شبهه بالخبر الماضى كان آكد.

وكذلك الدعاء والأمر والنهى إذا أريد تأكيدها عبَّر عنها بالخبر المستقبل، فإنْ بالغت فى التأكيد تجوَّزت عنها بالخبر الماضى.

---

(١) أخرجه: البخارى فى بدء الوحى ٤، مسلم فى الإيمان ١٦٠، ١٦١ الترمذى فى المناقب ٣٦٣٢، أحمد فى المسند ١٤٦١٥، ٢٤٦٧٦، ٢٥٣٣٧، ٢٥٤٢٨.

النـــوع الـرابــع

التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**﴾ [يوسف: ٩٢] معناه: اللهم اغفر لهم.

الثاني: قوله ﷺ: «**رحم الله أخي لوطاً**»(١) معناه: اللهم ارحم أخي لوطًا.

الثالث: قوله: ﷺ في تشـميت العاطس: «**يرحمك الله**»، وفي إجابته: «**يَهْدِيكم الله ويُصلح بالكم**»(٢) المعنى: اللهم ارحمه، اللهم اهدهم وأصلح بالهم.

النــــوع الخـــامــس

التجوز بلفظ الخبر عن النهي

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**وما تُنفقون إلا ابـتغاء وجه الله**﴾ [البقرة: ٢٧٢] معناه: ولا تنفـقوا إلا ابتغاء وجه الله.

المثال الثاني: قوله: ﴿**لا تعبدون إلا الله**﴾ [البقرة: ٨٣] معناه: لا تعبدوا إلا الله.

المثال الثالث والرابع: قوله: ﴿**لا تَسفكون دماءكم ولا تُخرجـون أنفسكم من دياركم**﴾ [البقرة: ٨٤] معناه: لا تسفكوا دماءكم، ولا تخرجوا أنفسـكم من دياركم.

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي (فيض القدير ٤٤١٥).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الأدب ٦٢٢٤، أبو داود في الأدب ٥٠٣٣، أحمد في المسند ٨٤١٧.

النـــوع الســادس
التجوز بلفظ الأمر عن الخبر توكيداً للخبر
لأن الأمر للإيجاب فيشبه الخبر به فى إيجابه

وله مثالان:

أحدهمـا: قوله: ﴿قل من كـان فى الضَّـلالة فليمددْ له الرحـمن مَـدّاً﴾ [مريم: ٧٥] تقديره: قل من كان فى الضلالة يمدد له الرحمن مداً.

المثال الثانى: قوله: ﴿اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ [العنكبوت: ١٢] تقديره: اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم.

النـــوع الســابع
التجوز بجواب الشرط عن الأمر

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿إنْ يكن منكم عشـرون صابرون يغلبـوا مائتين﴾ [الأنفال: ٦٥] معناه عند الجمهور: فليغلبوا مائتين.

المثال الثانى: قوله: ﴿وإنْ يكن منكم مائة يغلبـوا ألفًا﴾ [الأنفال: ٦٥] معناه: فليغلبوا ألفًا.

المثال الثـالث: قوله: ﴿فإنْ تَكُنْ(١) منكم مـائةٌ صابرةٌ يغلبـوا مائتين﴾ [الأنفال: ٦٦] معناه: فليغلبوا مائتين.

المثال الرابع: قوله: ﴿وإنْ يكن منكم ألف يغلبوا ألفين﴾ [الأنفال: ٦٦] معناه: فليغلبوا ألفين، والمراد به التأكيد؛ لأنه خبر تجوَّز به عن الطلب.

---

(٢) أخرجه: البخارى فى كتاب الأدب ٦٢٢٤، أبو داود فى الأدب ٥٠٣٣، أحمد فى المسند ٨٤١٧.

(١) هكذا بالتاء فى جميع الأصـول: قرأ الكوفيون بالياء على التذكير، وقرأ البـاقون بالتاء على التأنيث (المحرر الوجيز ٦/ ٣٧٣).

النــــوع الثــــامن

التجوز بلفظ النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى
وإنما المراد بها ما يقاربها أو يلازمها أو تكون مسببة عنه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وَذَرُوا البيع﴾ [الجمعة: ٩] نهى عن البيع فى اللفظ، وهو مباح، وأراد ما يلزم عنه من ترك السعى الواجب.

المثال الثاني: قوله: ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مُسْلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢] النهى عن الموت نفسه لا يصح؛ لأنه ينافي التكليف، لكنه تجوَّز به عما يقاربه من الكفر؛ فكأنه قال: لا تكفروا عند موتكم.

وكذلك قوله: «لا أرينك ههنا» معناه: لا تحضرن فأراك، فتجوَّز برؤيته عن سببها، وهو الحضور.

المثال الثالث: نهيه ﷺ عن البيع على بيع الأخ، ليس النهى عن نفس البيع؛ لأنه مستجمع لشرائط الصحة إنما النهى عن أذية الأخ المقترنة.

المثال الرابع: النهى أن يبيع حاضر لباد: النهى عما يلزمه من الإضرار بالناس لا عن نفس البيع.

المثال الخامس: النهى عن الخطبة على خطبة الأخ، ليس النهى عنها نفسها وإنما النهى عما يلازمها من تأذى الخاطب الأول.

النــــوع التــــاسع

التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه، والمراد به من يصح نهيه

وله أمثلة:

أحدها قوله: ﴿ولا تَعْدُ عيناك عنهم﴾ [الكهف: ٢٨] النهى فى اللفظ للعينين، والمراد بذلك ذو العينين أى: لا تنظر إلى غيرهم.

المثال الثانی: قوله: ﴿لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ [المنافقون: ٩] النهی فی اللفظ للأموال والأولاد، وفی المعنی لذوی الأموال والأولاد.

المثال الثالث: قوله: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تقلب الَّذين كفروا فی البلاد﴾ [آل عمران: ١٩٦] النهی فی اللفظ للتقلب، والمراد النهی عن الاغترار بالتقلب.

المثال الرابع: قوله: ﴿فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحياة الدنيا﴾ [لقمان: ٣٣] النهی فی اللفظ للحياة الدنيا، والمراد به نهی المخاطبين عن الاغترار بها.

المثال الخامس: قوله: ﴿فلا تُعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ [التوبة: ٥٥] النهی فی اللفظ للأموال والأولاد، وفی المعنی نهی المخاطب عن الإعجاب بهما.

المثال السادس: قوله: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة فی دين الله﴾ [النور: ٢] النهی للرأفة فی اللفظ وللمخاطبين فی المعنی كأنه قال: ولا ترأفوا بهما.

المثال السابع: قوله: ﴿واتَّقوا فتنة لا تُصيبن الَّذين ظلموا منكم خاصة﴾ [الأنفال: ٢٥] النهی لضمير الفتنة فی اللفظ والمخاطبين فی المعنی، والمعنی: ولا تتعرضن لإصابة الفتنة إياكم بسبب تقريرها وترك نكيرها، والتقدير: واتقوا تقرير فتنة لا تصيبن عقوبتها وشؤمها، أو وبالها الَّذين ظلموا منكم خاصة.

المثال الثامن: قوله: ﴿فلا يكن فی صدرك حَرَجٌ منه﴾ [الأعراف: ٢] النهی للحرج فی اللفظ، والرسول ﷺ منهیٌّ عن ضيق صدره عن الصبر، بسبب تكذيبه، أو بسبب إبلاغه، أو تجوَّز بالحرج عن الشك؛ لأنه مما يضيق الصدر، وتَجوَّزَ بالصدر عن القلب فيكون من مجاز الملازمة.

النوع العاشر

التجوز بنهی من يصح نهيه والمنهی فی الحقيقة غيره

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾ [القصص: ٨٧] معناه: ولا يصدن عن آيات الله بسبب صدهم إياك.

المثال الثاني: قوله: ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها﴾ [طه:١٦] معناه: فلا يصدن.

المثال الثالث: قوله: ﴿ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذين لا يوقنون﴾ [الروم: ٦٠] معناه: ولا تخفن لهم.

المثال الرابع: قوله: ﴿ولا يَغُرَّنَّكُمْ بالله الغَرور﴾ [لقمان: ٣٣] معناه: ولا يغترن بغروره.

المثال الخامس: قوله: ﴿لا يَحْطِمَنَّكُمْ سليمان وجنوده﴾ [النمل: ١٨] معناه: لا تلبثن فيحطموكم.

المثال السادس: قوله: ﴿فلا يُنَازعنك في الأمر﴾ [الحج: ٦٧] أي: فلا تنازعهم في الأمر، أو فلا تسمعن نزاعهم.

المثال السابع: قوله: ﴿لا يفتننكم الشيطان﴾ [الأعراف: ٢٧] معناه: لا تفتتنن بفتن الشيطان إياكم.

المثال الثامن: قوله: ﴿ولا يَصُدَّنَّكم الشيطان﴾ [الزخرف: ٦٢] معناه: ولا تصدن بصد الشيطان إياكم.

وقد تجوزت العرب بالتضمين أيضًا: فضمنوا اسمًا معنى اسم آخر، فعدُّوه تعديته ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه، وذلك اختصاراً منهم، وضمَّنوا فعلاً معنى فعل آخر فعدوه أيضًا تعديته.

مثاله في الأسماء قوله: ﴿حقيقٌ على أن لا أقول على الله إلاَّ الحق﴾ [الأعراف: ١٠٥] ضمن «حقيق» معنى حريص ليفيد حرصه على ذلك وكونه حقيقًا به، فعدَّاه تعدية حريص.

ومثاله: في الأفعال قوله: ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ [هود: ٢٣] ضمَّن «أخبتوا» معنى تابوا وأنابوا فعدَّاه بإلى ليفيد أنهم جمعوا بين التوبة والتواضع.

ونذكر فصولاً في أنواع المجاز.

أنواع المجاز

الفصل الأول

في التجوز بلفظ العلم عن المعلوم

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ولا يُحيطون بشيء من علمه﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: من معلومه.

المثال الثاني: قوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يَعْلَم الله الَّذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٢] معناه: ولما تجاهدوا وتصبروا.

المثال الثالث: قوله: ﴿أم حسبتم أن تُتركوا ولما يعلم الله الَّذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ [التوبة: ١٦] عبر بالعلم عن متعلقه الذى هو الجهاد وترك اتخاذ الوليجة.

المثال الرابع: قوله: ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ [النجم: ٣٠] أي: ذلك المراد - وهو متاع الحيوة الدنيا - مبلغهم من المعلوم.

المثال الخامس: قوله: ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ [الجاثية: ١٧] أي: النَّبى المعلوم عندهم؛ لأنهم عرفوه كما يعرفون أبناءهم.

المثال السادس: قوله: ﴿كونوا ربَّانيين بما كُنتم تُعلِّمون الكتاب وبما كُنتم تَدْرُسُون﴾ [آل عمران: ٧٩] معناه: كونوا عاملين بعلمكم الكتاب ودرسكم إياه؛ فتجوَّز بالعلم عما علموه من الواجبات والمندوبات كما تجوَّز بالدرس عن المدروس.

ومن ذلك قولهم: «عمل بعلمه» أي: بمعلومه الذى أمر به.

وقولهم: «نفعه الله بعلمه» أي: وفقه الله للعمل بمقتضى علمه، فإن العلم نفسه لا يعمل به، ومثل هذا قولهم: «عمل برأيه، وبإشارته» معناه: عمل رأيه، وبمقتضى إشارته.

* * *

الفصل الثانى

فى التجوز بلفظ المعلوم عن العلم

...........(١)

* * *

الفصل الثالث

فى التجوز بلفظ القدرة عن المقدور

فى قولهم: «رأينا قدرة الله» أى: مقدوره...(٢).

* * *

الفصل الرابع

فى التجوز بلفظ المقدور عن القدرة

...(٣).

* * *

الفصل الخامس

فى التجوز بلفظ الإرادة عن المراد

فى قوله: ﴿ويريدون أن يُفرقـوا بين الله ورسله﴾ [النساء: ١٥٠] والمعنى: ويفرقون بين الله ورسله بدليل أنه قـوبل بقوله: ﴿ولم يُفرقـوا بين أحد منهم﴾ [النساء: ١٥٢] ولم يقل: ولم يريدوا أن يفرقوا بين أحد منهم.

---

(١) بياض بالأصل.

(٢) بياض بالأصل.

(٣) بياض بالأصل.

الفصل السادس

فى التجوز بلفظ المراد عن الإرادة.

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فيكون﴾ [البقرة: ١١٧] معناه: إذا أراد قضاء أمر فإنما يقول له كن فيكون.

المثال الثانى: قوله: ﴿وإنْ حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ [المائدة: ٤٢] معناه: وإن أردت الحكم فاحكم بينهم بالعدل، وفيه مجاز من وجهين:

أحدهما: التعبير بالحكم عن إرادته.

الثانى: التعبير بالماضى عن المستقبل.

المثال الثالث: قوله: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا إذا قمتم إلى الصَّلاة فاغسلوا وجوهكم﴾ [المائدة: ٦] معناه: إذا أردتم القيام إلى الصَّلاة فاغسلوا وجوهكم.

المثال الرابع: قوله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به﴾ [النحل: ١٢٦] معناه: وإن أردتم المعاقبة فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به.

المثال الخامس: قوله: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان﴾ [المجادلة: ٩] معناه: فإذا أردتم التناجى فلا تتناجوا بالإثم والعدوان.

المثال السادس: قوله: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا إذا ناجيتم الرَّسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ [المجادلة: ١٢] معناه: إذا أردتم مناجاة الرَّسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة.

المثال السابع: قوله: ﴿إذا طلقتم النِّساء فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق: ١] معناه: إذا أردتم طلاق النساء فطلقوهن لعدتهن.

المثال الثامن: قوله: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل: ٩٨] معناه: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

المثال التاسع: قوله: ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسُنا﴾ [الأعراف: ٤] معناه: وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا.

المثال العاشر: قوله: ﴿وإذا حكمتم بين النَّاس أن تحكموا بالعدل﴾ [النساء: ٥٨] معناه: وإذا أردتم الحكم بين النَّاس أن تحكموا بالعدل.

المثال الحادى عشر: قوله: ﴿ونادى نوحٌ ربه فقال ربِّ إن ابنى من أهلى﴾ [هود: ٤٥] معناه: وأراد نوح دعاء ربه فقال: رب إن ابنى من أهلى، إذ لا يجوز أن يكون قوله: ﴿فقال رب﴾ مفسرًا للنداء لأجل الفاء، بخلاف قوله: ﴿إذْ نادى ربَّه نداء خفيا * قال ربِّ إنى وهن العظم منى﴾ [مريم: ٣، ٤]، فإن ﴿قال﴾: مفسرة لقوله: ﴿نادى﴾ وفائدة هذا أن نوحًا عليه السلام أراد ذلك، وجرَّد القصد إليه، ولم يقع منه خطأ.

المثال الثانى عشر: قوله: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تُنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾ [النساء: ١٥٣] أى: فقد أرادوا سؤال موسى أكبر من ذلك فقالوا: أرنا الله جهرة.

المثال الثالث عشر: قوله: ﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم﴾ [الأعراف: ١٣٦] معناه: فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم فى اليم، وفائدته: أنَّا إذا أردنا شيئًا نفذت فيه إرادتنا، وإن كان خارقًا للعادة كما صنع فى انتقامه بآل فرعون.

المثال الرابع عشر: قوله: ﴿من يهد الله فهو المهتدى﴾ [الأعراف: ١٧٨] قال ابن عباس: «من يرد الله هدايته فهو المهتدى» ولقد أحسن ـ رحمه الله ـ فيما قال لئلا يتحد الشرط والجزاء.

المثال الخامس عشر: قوله: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] معناه: وإذا أردتم القول فاعدلوا.

المثال السادس عشر: قوله: ﴿والَّذين إذا أنفقوا لم يُسْرفوا ولم يَقْتُروا﴾ [الفرقان: ٦٧] معناه: والَّذين إذا أرادوا الإنفاق لم يسرفوا ولم يقتروا.

المثال السابع عشر: قوله: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه﴾ [الفجر: ١٥] أى: إذا أراد ابتلاءه.

المثال الثامن عشر: قوله: ﴿ولئن نصروهم ليولن الأدبار﴾ [الحشر: ١٢] معناه: ولئن أرادوا نصرهم ليولن الأدبار، أو يكون التقدير: ولئن شرعوا في نصرهم، وأخذوا فيه ليولن الأدبار، فإن العرب يطلقون اسم الفعل على الجزء الأول منه، وعلى الجزء الأخير منه، ولذلك مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنَّ الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] أراد بالرمي المنفي: آخر أجزاء الرمي التي بها وصل التراب إلى أعينهم، وبالرمي المثبت: شروعه في الرمي وأخذه فيه، فيكون المعنى: وما أوصلت التراب إلى أعينهم إذ شرعت في الرمي وأخذت فيه.

الثاني: قوله ﷺ: «صلَّى بي جبريل الظهر حين زالت الشمس» أي: شرع في الصلاة، وأخذ فيها: «وصلى بي الظهر في اليوم الثاني حين صار ظل كل شيء مثله»(١) أراد بذلك آخر أجزاء الصَّلاة، وهو السلام، وهذا من مجاز التعبير بلفظ الكل عن الجزء.

المثال التاسع عشر: قوله: ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين(٢)﴾ [المطففين: ٣١] أي: إذا ابتدأوا بالانقلاب، فيكون من مجاز التعبير بلفظ الكل عن الجزء.

المثال العشرون: قوله: ﴿إن تطيعوا الَّذين كفروا يردوكم على أعقابكم﴾[آل عمران: ١٤٩] معناه: إن تُريدوا طاعة الَّذين كفروا يردوكم على أعقابكم.

المثال الحادي والعشرون: قوله: ﴿وإذا قاموا إلى الصَّلاة قاموا كُسَالى﴾ [النساء: ١٤٢] معناه: وإذا أرادوا القيام إلى الصَّلاة قاموا كسالى.

المثال الثاني والعشرون: قوله: ﴿وإذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارين﴾ [الشعراء: ١٣٠] معناه: وإذا أردتم البطش بأحد بطشتم به جبارين.

المثال الثالث والعشرون: قوله ﷺ: «من أتى منكم الجمعة فليغتسل»(٣) معناه: من

---

(١) أخرجه: الترمذي في الصلاة ١٤٩، أبو داود في الصلاة ٣٩٣، أحمد في المسند ٣٠٧١.

(٢) هكذا في جميع الأصول، قرأ حفص وأبو جعفر وأبو رجاء والحسن وعكرمة «فكهين»، وقرأها الباقون بالألف (المحرر الوجيز ١٥/٣٦٨).

(٣) أخرجه: مسلم في الجمعة ٨٤٤، البخاري في الجمعة ٨٧٧، ٨٩٤، ٩١٩، ٤٩٢، النسائي في الجمعة ١٣٧٦، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ١٠٨٨، الزكاة ١٨٠٨، أحمد في المسند ٤٥٣٩، ٤٩٠١، ١٩٢٣، ٤٩٨٥، ٤٩٨٨، ٥٠٦٨، ٥٠٦٣.

أراد منكم إتيان الجمعة فليغتسل.

المثال الرابع والعشرون: قوله ﷺ: **«من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم»**(١) معناه: من أراد الإسلاف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم.

المثال الخامس والعشرون: قوله ﷺ: **«فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»**(٢) معناه: فإذا أردتم القتل فأحسنوا القتلة، وإذا أردتم الذبح فأحسنوا الذبحة.

المثال السادس والعشرون: قوله ﷺ: **«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»**(٣) أي: إذا أردت السؤال فاسأل الله، وإذا أردت الاستعانة فاستعن بالله، ويصحح هذا النوع ما بين الإرادة، والمراد من النسبة، والتعليق، ويجوز أن يكون المصحح كون المراد سببًا عن الإرادة فيكون تجوزًا باسم المسبب عن السبب بخلاف التعبير بلفظ المعلوم عن العلم، فإنه ليس مسببًا عنه، ولا مؤثرًا فيه.

* * *

الفصل السابع

في التجوُّز بلفظ الأمل عن المأمول

وذلك في قوله: ﴿**والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربِّك ثوابًا وخير أملاً**﴾ [الكهف: ٤٦] أي: وخير مأمولاً.

* * *

(١) أخرجه: الترمذي في البيوع ١٣١١، البخاري في السلم ٢٢٣٩، المساقاة ١٦٠٤، النسائي في البيوع ٤٦١٦، أبو داود في البيوع ٣٤٦٣، ابن ماجه في التجارات ٢٢٨٠، أحمد في المسند ١٨٧١، ١٩٣٨، الدارمي في البيوع ٢٥٨٣.

(٢) أخرجه: الترمذي في الديات ١٤٠٩، مسلم في الصيد والذبائح وما يؤكل من ١٩٥٥، النسائي في الضحايا ٤٤٠٥، ٤٤١١، ٤٤١٢، ٤٤١٣، ٤٤١٤، أبو داود في الضحايا ٢٨١٥، ابن ماجه في الذبائح ٣١٧٠، أحمد في المسند ١٦٦٦٤، ١٦٦٧٩، ١٦٦٨٩، الدارمي في الأضاحي ١٩٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي في صفة القيامة والرقاق والورع ٢٥١٦، أحمد في المسند ٢٦٦٤، ٢٧٥٨، ٢٨٠٠.

الفصل الثامن

في التجوُّز بلفظ الوعد والوعيد عن الموعود به من ثواب أو عقاب

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**أفمن وعدناه وعداً حسنًا فهو لاقيه**﴾ [القصص: ٦١] معناه: أفمن وعدناه موعودًا حسنًا فهو لاقيه.

المثال الثاني: قوله: ﴿**إنه كان وعده مأتيا**﴾ [مريم: ٦١] معناه: إنه كان موعوده ـ وهو الجنة ـ مأتيًا محضورًا فيه تحضره أولياؤه، ويأتونه.

المثال الثالث: قوله: ﴿**واقترب الوعدُ الحق**﴾ [الأنبياء: ٩٧] أي: واقترب الموعود الثابت.

المثال الرابع: قوله: ﴿**فإذا جاء وعدُ أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا**﴾ [الإسراء: ٥] معناه: فإذا دنا مجيء موعود أولاهما، وهو بعث العباد الَّذين جاسوا خلال الديار.

المثال الخامس: قوله: ﴿**فإذا جاء وعدُ الآخرة ليسوءوا وجوهكم**﴾ [الإسراء: ٧] معناه: فإذا دنا مجيء موعود المرة الآخرة من مرتى الفساد بعثناهم ليسوءوا وجوهكم.

المثال السادس: قوله: ﴿**فإذا جاء وعدُ ربِّي جعله دكًّا**(١)﴾ [الكهف: ٩٨] معناه: فإذا دنا مجيء موعود ربي، وهو القيامة، أو فتح يأجوج ومأجوج، جعله دكاء.

المثال السابع: قوله: ﴿**ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد**﴾ [إبراهيم: ١٤] معناه: ذلك لمن خاف حيث أقيمه بين يدى للحساب وخاف عذابى.

المثال الثامن: قوله: ﴿**ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد**﴾ [ق: ٢٠] أي: ذلك يوم العقاب الموعود.

---

(١) هكذا «دكًّا» فى جميع الأصول، قرأ حمزة والكسائى وخلف بالمد والهمزة مفتوحًا من غير تنوين، ووافقه عاصم (المحرر الوجيز ٩/٤٠٩).

المثال التاسع: قوله: ﴿فذكِّر بالقرآن مَنْ يخاف وعيد﴾ [ق: ٤٥] أى: من يخاف عذابى.

ومن ذلك قوله: ﴿فذوقوا عذابى ونُذُر﴾ [القمر: ٣٧] أى: فذوقوا ما أنذرتكم به، عبَّر بالنذر عن العذاب المنذر به، وأراد بالعذاب: طمس أعينهم؛ لأنهم لم ينذروا به؛ فكأنه قيل: فذوقوا طمس أعينكم، وما خوفكم به لوط من عذابى.

* * *

الفصل التاسع

فى التجوُّز بلفظ العهد والعقد عن الملتزم بهما

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ [المائدة: ١].

المثال الثانى: قوله: ﴿وأوفوا بالعهد﴾ [الإسراء: ٣٤].

المثال الثالث: قوله: ﴿وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم﴾ [البقرة: ٤٠].

المثال الرابع: قوله: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ [النحل: ٩١].

عبَّر عن هذه العهود كلها بموجبها ومقتضاها، وهو الذى التزم بها، فإن قيل: فما الفائدة فى قوله: ﴿إذا عاهدتم﴾؟ قلنا: فائدته الاحتراز عن العهد الأول الذى أخذه عليهم لما أخرجهم من ظهر أبيهم آدم، وقال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الاعراف: ١٧٢] والمراد بهذا العهود مع الناس، ولذلك جعله مستقبلاً.

وأما قوله: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾ [الإسراء: ٣٥] فإنه احتراز من الاكتيال؛ لأن الكائل مأمورٌ بالتكميل والإيفاء، والمكتال مأمور بالمسامحة والإغضاء.

* * *

الفصل العاشر

في التجوُّز بلفظ البشرى عن المُبشر به

وذلك في قوله تعالى: ﴿بُشْرَاكُم اليوم جنَّات﴾ [الحديد: ١٢] وقال أبو علي: بشراكم اليوم دخول جنات، أو خلود جنات؛ لأن البشرى مصدر والجنات جرم، فلا يخبر بالجرم عن المعنى، ولا إلى هذا؛ لأن البشرى ليست عين المدخول، ولا عين الدخول، كما أنها ليست عين الجنات، ولا بد من تأويله على كلا القولين بما ذكرناه، وإلا كان خلفًا؛ لأن البشرى قول، فلا يجوز بأن يخبر عن القول بأنه جرم، ولا بأنه دخول وخلود، كيف والبشارة في القرآن إنما وقعت بالجنة نفسها في قوله: ﴿وأبشروا بالجنَّة التي كنتم توعدون﴾ [فصلت: ٣٠]، وفي قوله: ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنَّات لهم فيها نعيمٌ مقيم﴾ [التوبة: ٢١].

* * *

الفصل الحادي عشر

في التجوُّز بلفظ القول عن المقول فيه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿لو كان معه آلهة كما يقولون إذًا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢].

المثال الثاني: قوله: ﴿سبحانه وتعالى عمَّا يقولون عُلوا كبيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣] أي: عن مدلول قولهم، أو تجوَّز بلفظ القول عن المقول فيه.

المثال الثالث: قوله: ﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا﴾ [النمل: ٨٥] معناه: ووجب عليهم العذاب بظلمهم.

المثال الرابع: قوله: ﴿حقَّ عليهم القول﴾ [القصص: ٦٣] أى: ووجب عليهم العذاب المقول فيه.

المثال الخامس: قوله: ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء﴾ [النور: ١٣] أى هلا جاءوا على مدلول الإفك ومقتضاه ـ وهو الزنا ـ بأربعة شهداء.

المثال السادس: قوله: ﴿أولئك مُبَرءون مما يقولون﴾ [النور: ٢٦] أى: مُبرءون مما ينسبونه إليهم من مدلول قولهم.

المثال السابع: قوله: ﴿فَبَرَّأه الله مما قالوا﴾ [الأحزاب: ٦٩] أى: من مقولهم وهو الأُدْرَة[1]، أو من مدلول قولهم، أو من مقتضى قولهم، فيكون من مجاز الحذف.

المثال الثامن: قوله: ﴿ونرثه ما يقول﴾ [مريم: ٨٠] يجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره: ونرثه مدلول ما يقول، أو مقتضى ما يقول، أو موجب ما يقول، أو تجوَّز بالقول عن المقول فيه، وهو المال والولد.

المثال التاسع: قوله: ﴿ولا يأتين ببهتان يَفْتَرينه بين أيديهن﴾ [الممتحنة: ١٢] تجوَّز بالبهتان عن الولد الذى تبهت به المرأة الزوج بأنه ولده، وليس بولده بأن ينسبه إليه، أو يكون التقدير: ولا يأتين بولد ذى بهتان.

* * *

الفصل الثانى عشر

فى التجوُّز بلفظ النبأ عن المنبأ عنه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون﴾ [الانعام: ٥] أى: فسوف يأتيهم منبآت ما كانوا به يستهزءون.

---

(١) الأدرة: انتفاخ الخصية من فتق أو غيره.

المثال الثاني: قوله: ﴿قل هو نبأ عظيمٌ * أنتم عنه مُعْرِضُون﴾ [ص: ٦٧، ٦٨] إن أريد به القرآن كان مجاز التعبير بالبعض عن الكل؛ لأن القرآن كله ليس بنبأ، وإن أريد به البعث كان مجاز التعبير بالنبأ عن المنبأ عنه.

المثال الثالث: قوله: ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ [ص: ٨٨] إن قدرت: ولتعلمن صحة نبأه، أو صدق نبأه، كان من مجاز الحذف، وإن حملته على المخبر عنه كان من مجاز التعبير بالنبأ عن المنبأ عنه، ومن ذلك قوله: ﴿ونبلو أخباركم﴾ [محمد : ٣١] تجوَّز بالإخبار عن المخبرات، وهى أعمالهم.

* * *

الفصل الثالث عشر
فى التجوُّز بلفظ الاسم عن المسمى

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ما تعبدون من دونه إلاَّ أسماء﴾ [يوسف: ٤٠] معناه: ما تعبدون من دونه إلا مسميات.

المثال الثاني: قوله: ﴿سبِّحْ اسم ربِّك الأعلى﴾ [الاعلى: ١] أى: سبح ربك الأعلى، ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا إذا قرأوها قالوا: سبحان ربى الأعلى، وقال ﷺ: «اجعلوها فى سجودكم»(١).

المثال الثالث: قوله ﷺ: «بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض، ولا فى السماء»(٢) معناه: باسم الله الذى لا يضر معه شىء فى الأرض، ولا فى السماء.

ومن جعل الاسم هو المسمى فى قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم» كان التقدير فيه:

---

(١) أخرجه: أبو داود فى الصلاة ٨٦٩، ابن ماجه فى إقامة الصلاة والسنة فيها ٨٨٧، أحمد فى المسند ١٦٩٦١، الدارمى فى الصلاة ١٣٠٥.

(٢) أخرجه: الترمذى فى الدعوات ٣٣٨٨، ابن ماجه فى الدعاء ٣٨٦٩.

أقرأ بالله، أي: بمعونة الله وتوفيقه، ومن جعله التسمية كان التقدير: أتبرك بذكر اسم الله، وبهذا يُرد على من قدر: أبتدئ، أو بدأت باسم الله، إذ لا وجه للتبريك على بعض الفعل دون سائره، ولا لنسبة ابتداء الفعل إلى التوفيق دون سائره؛ لأن الحاجة داعية إلى التبريك والتوفيق فى جميع الفعل دون إنشائه وابتدائه.

المثال الرابع: قوله ﷺ: «**اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت**»(١) معناه: اللهم بك أحيا، وبك أموت، أي: بقدرتك أحيا، وبقدرتك أموت.

قال لبيد (طويل):

إلى الحولِ ثُمَّ اسمُ السلام عليكما وَمَنْ يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ(٢)

معناه: ثم السلام عليكما، واستدل بعضهم على ذلك بقوله: ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾ [مريم: ١٢] والمنادى مسمى يحيى لا لفظ يحيى.

وكذلك قوله: ﴿**يا لوط إنا رُسل ربك**﴾ [هود: ٨١]، وقوله: ﴿**يا زكريا إنا نُبشرك بغلام اسمه يحيى**﴾ [مريم: ٧]، وقوله: ﴿**يا نوح اهبط بسلام**﴾ [هود: ٤٨].

وكذلك قوله: «ركبت الفرس، واعتقلت الرمح، وتقلدت السيف، وأكلت الخبز، وشربت الماء» فإن هذه الأفعال لم تتعلق بأسماء هذه الأشياء، وإنما تعلقت بمدلولات الأسماء، فإن اللفظ لا يركب، ولا يعقل، ولا يتقلد، ولا يؤكل، ولا يشرب.

وكذلك قوله: «حمدت الله، وعبدته، وشكرته، واستغفرته» فإنك لم تحمد اسمه، ولم تعبده ،ولم تشكره، ولم تستغفره، وإنما نسبت ذلك إلى المسمى دون التسمية.

وهذا مجاز غالب يتعين الحمل عليه ما لم يدل الدليل على اعتبار الحقيقة فى مثل قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا**»، وفي قوله تعالى: ﴿**فله الأسماء الحسنى**﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) أخرجه: البخارى فى الشروط ٢٧٣٦، مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٦٧٧، الترمذى فى الدعوات ٣٥٠٦، ٣٥٠٧، ٣٥٠٨، ابن ماجه فى الدعاء ٣٨٦٠، ٣٨٦١، أحمد فى المسند ٧٤٥٠، ٧٥٦٨، ٧٨٣٦، ٩٢٢٩، ١٠١٠٣، ١٠١٥٤، ١٠٣٠٧ .

(٢) انظر ديوانه: ص ٢١٤ ، هارون ١/ ١٣٢، الأشباه والنظائر ١/ ٤/ ٢٨ .

ويجوز أن يراد بالأسماء الحسنى الصفات؛ فيكون تعبيرًا بالأسماء عن المسميات، فإن الحسن والشرف إنما يتحقق فى المسميات دون التسميات؛ لأنها ألفاظ، ولا تتصف الألفاظ بالحسن إلا إذا كانت حقيقة على اللسان فصيحة فى البيان، وكذلك لا تتصف الأجرام بالشرف والحسن إلا إذا قامت بها الصفات الشراف الحسان.

* * *

الفصل الرابع عشر

فى التجوُّز بلفظ الكلمة عن المتكلم فيه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: **﴿ولا مُبَدِّلَ لكلمات الله﴾** [الانعام: ٣٤] أى: ولا مبدل لعدات الله، أو ولا مبدل لمقتضى عدات الله، فيكون مجازًا حذفيا، وعبر بالعدات عن الموعود به، وهو ما وعد به رسله صلوات الله عليهم من نصرهم على أعدائه.

المثال الثانى: قوله: **﴿كذلك حقَّت كلمة ربك على الَّذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾** [يونس: ٣٣] معناه: وكذلك وجبت عقوبة ربك على الَّذين خرجوا عن توحيده، لأنهم ـ أو بأنهم ـ لا يؤمنون.

المثال الثالث: قوله: **﴿إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾** [آل عمران: ٤٥] تجوَّز بالكلمة عن المسيح لكونه تكوَّن من غير أب؛ بدليل قوله: **﴿وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾** [آل عمران: ٤٥]، ولا تتصف الكلمة بذلك.

وأما قوله: **﴿اسمه المسيح﴾** [آل عمران: ٤٥]، فإن الضمير فيه عائدٌ إلى مدلول الكلمة، والمراد بالاسم المسمى؛ فالمعنى مسمى المبشر به المسيح عيسى ابن مريم.

وأما قوله: **﴿يريدون أن يُبدلوا كلام الله﴾** [الفتح: ١٥] فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره: يريدون أن يبدلوا مقتضى كلام الله، أو مدلول كلام الله، ويجوز أن يكون عبر بالكلام عن المتكلم فيه، وهو ما وعدهم به من غنائم خيبر.

الفصل الخامس عشر

في التجوُّز بلفظ اليمين عن المحلوف عليه

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿**ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم**﴾ [البقرة: ٢٢٤] أي: ولا تجعلوا قسم الله، أو يمين الله مانعًا لما تحلفون عليه من البر، والتقوى، والإصلاح بين الناس.

المثال الثاني: قوله ﷺ: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه، وليأت الذى هو خير**» معناه: من حلف على شيء فرأى غيره خيرًا منه فليكفر عن يمينه، وليأت الذى هو خير.

* * *

الفصل السادس عشر

في التجوُّز بلفظ الحكم عن المحكوم به

وذلك في قوله: ﴿**إنَّ ربَّك يقضي بينهم بحكمه**﴾ [النمل: ٧٨] أي: بما يحكم به لكل واحد منهم من ثواب وعقاب، فتجوَّز بالحكم عن متعلقه، وهو المحكوم به.

وكذلك التعبير بلفظ القضاء عن المقضى به في قوله ﷺ: «**أعوذ بك من سوء القضاء**[1]» أي: من سوء ما قضيت به إذ لا يصح الاستعاذة من قضاء الله؛ لأنه صفة قديمة له لا يمكن تبديلها، ولا تغييرها.

ومثله قوله: ﴿**فاصبر لحكم ربِّك**﴾ [القلم: ٤٨] أي: فاصبر لما حكم به عليك ربك.

وكذلك قول الداعي: اللهم رَضِّني بقضائك، أي: بما تقضيه لي أو عليَّ، من غير معصية، فإن المعاصي مقضية أيضًا، وقد أمرنا بكراهتها، فيمتثل أمر الله في كراهتها، وإن وقعت.

(١) أخرجه: مسلم في الذكر والدعاء ٢٧٠٧، النسائي في الاستعاذة ٥٤٩٣، بنحوه.

الفصل السابع عشر

فى التجوُّز بلفظ العزم على المعزوم عليه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ولمن صَبَرَ وَغَفَرَ إنَّ ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣] أى: إن ذلك الصبر والعفو لما يعزم عليه من الأمور.

المثال الثانى: قوله: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإنَّ ذلك من عزم الأمور﴾ [آل عمران: ١٨٦] أى: من معزوم الأمور.

المثال الثالث: قوله: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ [البقرة: ٢٣٥] تجوَّز بالعزم عن المعزوم عليه لتعلقه به، ومعناه: ولا تعقدوا عقدة النكاح، أو يكون التقدير: ولا تعزموا على تنجيز عقدة النكاح.

وأما قوله: ﴿وألقوه فى غَيَابة الجُبِّ يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾ [يوسف: ١٠] فمعناه: إن كنتم عازمين؛ تعبيراً بالعام عن الخاص، وهو كثير فى الكلام.

* * *

الفصل الثامن عشر

فى التجوُّز بلفظ الهوى عن المهوى

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿ونهى النَّفس عن الهوى﴾ [النازعات: ٤٠] ومعناه: ونهى النفس عما تهواه من المعاصى، ولا يصح نهيها عن هواها، وهو ميلها؛ لأنه تكليف لما لا يطاق؛ إلا أن يقدر حذف مضاف معناه: ونهى النفس عن اتباع الهوى، ومثله قوله: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [ص: ٢٦] فيكون من مجاز الحذف.

المثال الثـانى: قوله: ﴿أفرأيت مَنِ اتَّخـذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣] يحتـمل أن يراد به مهويه؛ لأنهم كانوا يعبدون الصنم، فإذا استـحسنوا غيره عبدوه وتركوا الأول. ويحتمل أن يكون المراد به مجاز التشبـيه، فإن الإنسان إذا طاوع هواه فيما يأتيه ويتـركه فقد ترك الهوى منزلة المعـبود المطاع، ومثـله قوله: ﴿واتَّبعوا أهواءهم﴾ [محمد: ١٤] أى: وأطاعـوا أهواء أنفسهم، أو مهوياتهم؛ كقوله: ﴿واتَّبع الَّذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ [هود: ١١٦].

* * *

الفصل التاسع عشر

فى التجوُّز بلفظ الخشية عن المَخْشىِّ

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿إن الَّذين هم من خـشيـة ربِّهم مُشْفِقُون﴾ [المؤمنون: ٥٧] معناه: إن الَّذين هم من عقوبة ربهم خائفون.

المثال الثانى: قوله: ﴿وهم من خشيته مُشْفِقُون﴾ [الأنبياء: ٢٨] معناه: وهم من عقوبة ربهم خائفون.

* * *

الفصل العشرون

فى التجوُّز بلفظ الحب عن المحبوب

وذلك فى قوله: ﴿إنى أحببتُ حُبَّ الخـير عن ذكر ربِّى﴾ [ص: ٣٢] معناه: إنى أحببت محبوب الخيل عن ذكر ربى.

* * *

الفصل الحادى والعشرون

فى التجوُّز بلفظ الظن عن المظنون

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿وما ظن الَّذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ [يونس: ٦٠] معناه: أى شىء مظنونهم: أهو الهلاك، أم النجاة؟

المثال الثانى: قوله: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظَنُّ الَّذين كفروا﴾ [ص: ٢٧] معناه: ذلك الخلق الباطل مظنون الَّذين كفروا.

وأما قوله: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظَّنِّ إن بعض الظَّنِّ إثم﴾ [الحجرات: ١٢]، فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره: اجتنبوا كثيراً من اتباع بعض الظن إن اتباع بعض الظن ذنب، ويجوز أن يكون تجوَّز بالظن عن المظنون، وهذا أمرٌ بفعل مبهم.

* * *

الفصل الثانى والعشرون

فى التجوُّز بلفظ اليقين عن المُتَيقن

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿واعبد ربَّك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩] معناه: واعبد ربك حتى يأتيك الموت المتيقن لكل أحد.

المثال الثانى: قوله: ﴿وكُنَّا نُكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين﴾ [المدثر: ٤٦، ٤٧] معناه: حتى أتانا الموت المتيقن لكل أحد.

* * *

الفصل الثالث والعشرون

فى التجوُّز بلفظ الشهوة عن المُشْتَهى

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿زُين للنَّاس حُب الشهوات﴾ [آل عمران: ١٤] أى: حب المشتهيات بدليل أنه قال: ﴿من النِّساء والبنين﴾ [آل عمران: ١٤].

المثال الثانى: قوله: ﴿إن الَّذين يُحبون أن تشيع الفاحشة فى الَّذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ فى الدنيا والآخرة﴾ [النور: ١٩] معناه: إن الَّذين يشيعون الفاحشة فى أعراض الَّذين آمنوا لهم عذابٌ أليم فى الدنيا والآخرة، ولذلك أوجب عليهم فى الدنيا الحد، وفى الآخرة العذاب، ولا يتعلق الحد بمجرد حب الإشاعة.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

فى التجوُّز بلفظ الحاجة عن المحتاج إليه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يُغنى عنهم من الله من شىء إلاَّ حاجة فى نفس يعقوب قضاها﴾ [يوسف: ٦٨] معناه: ما كان دخولهم ليدفع عنهم من قضاء الله وقدره شيئًا، ولكن طلب حاجة فى نفس يعقوب قضاها، ويحتمل: ولكن حاجة فى نفس يعقوب قضى متعلقها؛ لأن الحاجة الحقيقية التى هى الافتقار لا تقضى وإنما يقضى متعلقها الذى هو المحتاج إليه.

المثال الثانى: قوله: ﴿ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ [الحشر: ٩] معناه: ولا يجدون فى قلوبهم تمنى شىء يحتاجون إليه مما أعطيه المهاجرون.

المثال الثالث: قوله: ﴿ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم﴾ [غافر: ٨٠] أى: ولتبلغوا

عليها ما يحتاجون إليه، أو لتبلغوا عليها قضاء حاجة فى صدوركم، المراد بالقضاء المقضى، أو يكون التقدير: متعلق حاجة.

المثال الرابع: قوله: ﴿ولِىَ فيها مآرب أخرى﴾ [طه: ١٨] معناه: ولى فيها حوائج أخرى، وأراد بالحوائج المنافع التى فى العصا دون الاحتياج إليها، فإن الاحتياج إليها قائمٌ به لا بها.

وهذه الأنواع كلها من مجاز التعبير بلفظ المتعلق عن المتعلق به، أو من مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق، ويصحح المجاز فيه ما بينهما من النسبة.

* * *

الفصل الخامس والعشرون

فى التجوُّز بلفظ السبب عن المسبب

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤] سمى عقوبة الاعتداء اعتداءً؛ لأنها مسببة عن الاعتداء.

ومثله قوله: ﴿فلا عُدْوان إلا على الظالمين﴾ [البقرة: ١٩٣] تجوَّز بالعدوان عن مكافأة الظالمين.

ومثله قول عمرو بن كلثوم (وافر):

ألا لا يَجْهَلَنَّ أحدٌ علينا　　فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا[1]

الجهل الأول حقيقى، والثانى مجازى، عبَّر به عن مكافأة الجهل.

ومن ذلك قوله ﷺ: «خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا» وجاء: «لا يمل حتى تملوا» السآمة والملل المضافان إلينا حقيقيان تجوَّز بهما عن قطع المزيد من

(١) الأمالى للمرتضى ١/ ٥٧، بديع القرآن ص ٣٢٦، شرح التلخيص للبابرتى ص ٥٥٠.

ثواب الله فهو مجاز من وجهين:

أحدهما: ما ذكرناه.

والثاني: أن يكون من مجاز التشبيه؛ شبَّه قطع المزيد من الأجر والثواب بقطع المال ما مل منه.

المثال الثاني: قوله: ﴿ونبلو أخباركم﴾ [محمد: ٣١] تجوَّز بالابتلاء عن العرفان؛ لأنه مسبب عن الابتلاء، كأنه قيل: ونعرف مخبراتكم.

المثال الثالث: وقوله: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ [البقرة: ١٥] سمى عقوبة استهزائهم استهزاء؛ لأنها مسببة عن استهزائهم، ويحتمل أن يكون استهزاء الله بهم من مجاز التمثيل بمعنى أنه عاملهم معاملة المستهزئ.

المثال الرابع: قوله: ﴿وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها﴾ [الشورى: ٤٠] تجوَّز بلفظ الجناية عن القصاص؛ لأنه مسبب عنها، والتقدير: وجزاء جناية قبيحة عقوبة مثلها في القبح، وإن عبرت بالسيئة عما ساء، أي: أحزن، لم يكن من هذا الباب؛ لأن الاستيفاء محزن في الحقيقة كالجناية.

المثال الخامس: قوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [آل عمران: ٥٤] تجوَّز بلفظ المكر عن عقوبته؛ لأنه مسبب لها، ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقيا؛ لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم خفية، وهذا متحقق من الله عزَّ وجلَّ باستدراجه إياهم بنعمه مع ما أعده لهم من نقمه.

المثال السادس: التجوُّز بالكتابة عن الحفظ، فإن الكتابة سبب لحفظ المكتوب، وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿سنكتبُ ما قالوا﴾ [آل عمران: ١٨١] أي: سنحفظه، فلا ننساه حتى نجازيهم به.

والثاني: قوله: ﴿كلا سنكتب ما يقول﴾ [مريم: ٧٩] أي: سنحفظه عليه، فإن الملائكة كتبوا ذلك لما قالوه، ولما قتلوا الأنبياء، فاستعمل اللفظ المستقبل في حفظه دون كتابته، ومن

عادة النَّاس أن يكتبوا الحساب والشهادات لحفظهما وضبطهما؛ فإنهما المقصودان بالكتابة.

وأما قوله: ﴿أولئك كَتَبَ فى قلوبهم الإيمان﴾ [المجادلة: ٢٢] فإنه تجوَّز بالكتابة عن الثبوت والدوام؛ لأن الكتابة مستمرة باقية فى العادة.

وأما قوله: ﴿إن المنافقين يُخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢] ففيه مذهبان:

أحدهما: تقديره: إن المنافقين يخادعون رسول الله، والله يخادعهم؛ فيكون خدع الرَّسول ﷺ حقيقيًا؛ وأما خدع الله إياهم فيجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب، ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه بمعنى أنه يعاملهم معاملة المخادع بما أخفاه عنهم من إرادة إضرارهم وإهلاكهم، ويجوز أن يكون حقيقة كما ذكرناه فى المكر.

المذهب الثاني: أن تكون مخادعتهم لله تعالى من مجاز التشبيه بمعنى: أنهم يعاملونه معاملة المخادع، ويكون خداعه إياهم من مجاز المعاملة، ويجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب فيكون من مجاز المجاز؛ لأن مخادعتهم مجازية تجوَّز بها عن شبهها، فكان إطلاق اللفظ عليها من مجاز التشبيه، وعلى مسببها من مجاز التسبب.

وأما قوله: ﴿إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق﴾ [الإسراء: ١٠٠] ففيه مذهبان:

أحدهما: تقديره: إذًا لأمسكتم خشية ضرر الإنفاق، فيكون من مجاز الحذف.

الثاني: التجوُّز بالإنفاق عن الإملاق؛ لأن الإملاق مسبب عن الإنفاق؛ فتجوَّز بلفظه عنه.

وأما قوله: ﴿ولا يرهق وجوههم قَتَرٌ ولا ذلة﴾ [يونس: ٢٦] فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره: ولا يغشى وجوههم قتر ولا أثر ذلة، أو تجوَّز بالذلة عن آثارها التى تظهر فى الوجوه؛ لأنها مسببة عن ذلة القلب.

ومثله قوله: ﴿وإذا تُتْلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الَّذين كفروا المُنكر﴾ [الحج: ٧٢] يجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره: وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الَّذين كفروا آثار الإنكار، أو أمارات الإنكار ودلالاته، أو تجوَّز بالسبب - وهو الإنكار عن المسبب- وهو آثاره التى تظهر فى الوجوه.

وكذلك قوله: ﴿قَدْ بَدَتِ البغضـاء من أفواههم﴾ [آل عمران: ١١٨] يحتمل: قد بدت أمارات البغضاء، أو أدلة البغضاء من أفواههم فيكون من مجاز الحذف، أو تجوَّز بالسبب ـ وهو البغضاء ـ عن المسبب، وهو أماراته ودلالاته.

المثال السابع قوله: ﴿هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ [الأنعام: ١٤٨] معناه: فتظهروه لنا، فتجوَّز بالإخراج عن الإظهار؛ لأن الإخراج سبب فى الظهور، وليس ذلك إظهارًا للأبصار بل هو إظهار للبصائر، وإظهاره إقامة الأدلة عليه، ويجوز أن يكون التقدير: هل عندكم من دليل علم فتظهروه لنا، أو تجوَّز بالعلم عن دليله لما بينهما من التعلق.

المثال الثامن: الرحمة فى مثل قوله: ﴿قال هذا رحمة من ربى﴾ [الكهف: ٩٨]، وقوله: ﴿وآتانى منه رحمة﴾ [هود: ٦٣]، وقوله: ﴿وأدخلنا فى رحمتك﴾ [الأعراف: ١٥١]، وقوله: ﴿يُبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان﴾ [التوبة: ٢١] وهذا كله من مجاز التعبير باسم السبب عن المسبب؛ لأن هذه كلها مسببات فى حق المخلوقين عن الرحمة الحقيقية، ولا يجوز أن تكون الرحمة ههنا بمعنى الإرادة، ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه على ما سنذكره فى صفات الرب سبحانه وتعالى، إن شاء الله تعالى.

المثال التاسع: التجوُّز بالسمع عن القبول فى مثل قولهم: سمع الله لمن حمده، وفى مثل قوله: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ [هود: ٢٠] معناه: ما كانوا يستطيعون قبول ذلك، والعمل به؛ لأن قبول الشىء مرتب على استماعه ومسبب عنه، ويجوز أن يكون نفى السمع لانتفاء فائدته، فيصير كقوله تعالى: ﴿إنهم لا أيمان لهم﴾ [التوبة: ١٢] أى: إنهم لا وفاء أيمان لهم.

وكقول الشاعر (طويل):

وإنْ حلفتْ لا يُنْقض النأى عهدها ... فَلَيْسَ لمخضوبِ البَنَانِ يمينُ(١)

معناه: فليس لمخضوب البنان وفاء يمين.

المثال العاشر: التجوُّز بالميزان عن وفاء العدل فى مثل قول الله تعالى: ﴿الله الذى أنزل

(١) الوشاء ص ١٥٨، العقد الفريد ٦/ ١٢٦، ولم ينسبها.

الكتاب بالحق والميزان﴾ [الشورى: ١٧] لما كان الميزان سببًا فى العدل والإنصاف تجوَّز به عنه.

المثال الحادى عشر: التجوُّز بلفظ العلم عن المثوبة والعقوبة فى مثل قوله: **﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾** [البقرة: ٢٧٠] أى: يعرفه.

وقوله: **﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾** [البقرة: ١٩٧] أى: يعرفه لكم.

وفى مثل قوله: **﴿عَرَّفَ بعضه﴾** [التحريم: ٣] أى: جازى عليه، ومنه قول العرب: لأعرفن لك صنيعك، أى: لأكافئنك عليه، وإنما صح التجوُّز بالعرفان عن المكافأة؛ لأن المكافأة موقوفة على معرفة الإساءة والإحسان.

المثال الثانى عشر: الإيمان، وهو حقيقةٌ فى تصديق الجنان، ومجازٌ فى العمل بالأركان؛ لأنه سبب عن تصديق الجنان، فعلى هذا كل طاعة إيمان، فتصح فيه الزيادة والنقصان لصحتهما فى الطاعة والعصيان.

وإن أطلق الإيمان على العرفان كما روى عن الشيخ أبى الحسن الأشعرى(١) -رحمه الله تعالى- كان من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن سببه؛ لأن التصديق بالشىء مسبب عن العرفان به.

ومن قال بقول أبى الحسن وأطلقه على الجميع كان جامعًا بين حقيقة ومجازين مختلفين، وفيه بُعْد، وإذا أطلقناه على العرفان قَبِلَ الزيادة والنقصان باعتبار تعدد متعلقه، ولا يقبله مع اتحاد المتعلق إلا بالتكرار والتوالى فى الأزمان.

وللتجوز بلفظ الإيمان عما نشأ عنه من الطاعة، أمثلة:

أحدها: قوله: **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾** [البقرة: ١٤٣] معناه: وما كان الله ليضيع أجر صلاتكم إلى الصخرة(٢) قبل النسخ.

المثال الثانى: قوله: **﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾** [البقرة: ٨٥] معناه:

(١) هو على بن إسماعيل بن إسحاق البصرى، توفى سنة ٣٢٤ هـ (الأعلام للزركلى ٥/ ٦٩).
(٢) أى صخرة بيت المقدس وذلك قبل تحويل القبلة.

أفتعملون ببعض التوراة وهو فداء الأسارى؛ فتجوَّز بالإيمان عن العمل بما يوافق الكتاب لأنه مسبب عن الإيمان، ويتركون العمل ببعض، وهو قتل إخوانهم، وهو إخراجهم من ديارهم.

المثال الثالث: قوله ﷺ: **«الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**(١) جعل القول وإماطة الأذى عن الطريق إيمانًا؛ لأنهما مسببان عن إيمان الجنان.

المثال الرابع: قوله ﷺ لوفد عبد القيس: **«هل تدرون ما الإيمان بالله ؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسًا من المغنم»**(٢). جعل الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأداء الخمس من المغنم إيمانًا؛ لأنها مسببة عن إيمان الجنان، فتجوَّز باسمه عنها.

* * *

الفصل السادس والعشرون

فى التجوُّز بلفظ المسبب عن السبب

وله أمثلة:

أحدها قوله: ﴿**وإن عَاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به**﴾ [النحل: ١٢٦] معناه: وإن أردتم معاقبة مسيء فعاقبوه بمثل ما بدأكم به من الإساءة، فتجوَّز بلفظ العقوبة عن الإساءة

---

(١) أخرجه البخارى فى الهبة ٢٦٣١، أبو داود فى الزكاة ١٦٨٣، أحمد فى المسند ٦٤٥٢، ٦٧٩٢، ٦٨١٤.

(٢) أخرجه: البخارى فى الإيمان ٥٣، مسلم فى الإيمان ١٧، الترمذى فى السير ١٥٩٩، الإيمان ٢٦١١، النسائى فى الإيمان وشرائعه ٥٠٣١، الأشربة ٥٥٤٨، ٥٦٤٣، ٥٦٩٢ أبو داود فى الأشربة ٣٦٩٠، ٣٦٩٢، ٣٦٩٦، السنة ٤٦٧٧، أحمد فى المسند ٢٠١٠، ٢٤٧٢، ٢٦٤٥، ٢٧٦٤، ٣١٥٦، ٣٣٩٦.

والجناية، فقوله: ﴿وإن عاقبتم﴾ من مجاز التعبير بلفظ الفعل عن إرادته، وقوله: ﴿بمثل ما عوقبتم به﴾ من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب، وقوله: ﴿فعاقبوا﴾ حقيقة اكتنفها المجازان المذكوران.

وكذلك قوله: ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عُوقب به ثم بُغى عليه لينْصُرَنَّه الله﴾ [الحج: ٦٠] فعاقب حقيقة، وعوقب به من مجاز تسمية السبب باسم المسبب.

المثال الثانى: قول العرب: «كما تدين تدان»(١) معناه: كما تفعل تجزى؛ لأن الدين هو الجزاء، فتجوَّز به عن الجناية لأنه مسبب عنها.

المثال الثالث: قول الشاعر (هزج):

ولم يبق سوى العُدْوَا ... ن دنَّاهُمْ كما دَانُوا(٢)

معناه: جزيناهم بما فعلوا، فدناهم حقيقة، ودانوا مجاز.

المثال الرابع: قوله: ﴿لا تأكلوا الرِّبا﴾ [آل عمران: ١٣٠] أى: لا تأخذوا الربا لما كان الأكل مسببًا عن الأخذ عبَّر به عن الأخذ.

المثال الخامس: قوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ [البقرة: ١٨٨] معناه: ولا تأخذوا أموالكم بينكم بالسبب الباطل كالقمار، ونحوه.

المثال السادس: قوله: ﴿إن يَكُنْ منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ [الأنفال: ٦٥] معناه: إن يكن منكم عشرون صابرون يقاتلوا مائتين، عبَّر بلفظ الغلبة عن المقاتلة؛ لأن الغلبة مسبب عن المقاتلة.

المثال السابع: قوله: ﴿والرُّجْزَ فاهجر﴾ [المدثر: ٥] تجوَّز بالرجز، وهو العذاب الشديد عن عبادة الأصنام؛ لأن العذاب مسبب عنها.

وأما قوله: ﴿ويُذهب عنكم رجز الشيطان﴾ [الأنفال: ١١] فهو من مجاز التعبير بلفظ

---

(١) ينسب إلى يزيد الكلابى (الكامل ١/ ١٩٢، مجمع الأمثال للميدانى ٢/ ١٥٥).

(٢) ينسب للفند الزمانى (هارون ١/ ٣٩٤، شرح ديوان الحماسة ١/ ٦).

المسبب عن سبب سببه؛ لأن وسواس الشيطان سبب لعقوبة الرحمن، ومعصية الرحمن سبب لعذاب الدَّيان، فالوسواس سبب للمعصية، والمعصية سبب للعذاب، ويجوز أن يجعل الوسوسة نفسها رجزًا لمشقتها على أهل الإيمان، وكل ما اشتدت مشقته على النفوس فهو رجز.

قال أبو عبيدة(١): الرجز والرجس: هما العذاب الشديد.

المثال الثامن: قوله: ﴿**تَوَقَّدُ(٢) من شجرة مباركة زيتونة**﴾ [النور: ٣٥] عبَّر عن الشجرة بالزيتونة؛ لأن الزيتون مسبب عن الشجر.

المثال التاسع: قوله: ﴿**وجنَّات من أعناب والزيتون والرُّمَّان**﴾ [الأنعام: ٩٩] عبر بالأعناب، والرمان، والزيتون عن أشجارها؛ لأن ثمارها مسببة عنها وحاصلة منها.

المثال العاشر: قوله: ﴿**أو تكون لك جنَّة من نخيل وعنب**﴾ [الإسراء: ٩١] تجوَّز بلفظ العنب عن شجره لأنه مسبب عنه.

المثال الحادي عشر: قوله: ﴿**وجعلنا فيها جنَّات من نخيل وأعناب**﴾ [يس: ٣٤].

المثال الثاني عشر: قوله: ﴿**يُنْبِتُ لكم به الزرع والزَّيتون والنَّخيل والأعناب**﴾ [النحل: ١١]، ويجوز أن يكون ذلك كله من مجاز الحذف فيقدر: توقد من شجرة مباركة، شجرة زيتونة؛ فتكون الزيتونة بدلاً من الشجرة مع حذف المضاف كما في قوله: ﴿**ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المُهين * من فرعون**﴾ [الدخان: ٣٠، ٣١] أي: من عذاب فرعون، فأبدل مع حذف المضاف.

ويقدر: وأشجارًا من شجر أعناب، وشجر الزيتون، والرمان، ويقدر: أو تكون لك أشجار من نخيل، ومن أشجار عنب. ويقدر: وجعلنا منها أشجارًا من نخيل، ومن أشجار أعناب.

(١) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي، صاحب «مجاز القرآن» وغيره، توفي سنة ٢٠٩ هـ، وقيل: ٢١٠هـ (سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٤٥، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٢، النجوم الزاهرة ٢/ ١٨٤، طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٣٢٦).

(٢) هكذا في جميع الأصول وهي قراءة أبو عمرة وأهل الكوفة والحسن وابن محيص (المحرر الوجيز ١٠/ ٥١١).

وكذلك يقدر: ينبت لكم به الزرع، وشجر الزيتون، والنخيل، وأشجار الأعناب.

والمراد بالجنات في قوله: ﴿وجنات من أعناب﴾: الأشجار دون البساتين؛ لأن البستان يعبر به عن الأرض ذات الأشجار، وهو من مجاز التعبير عن الشيء بلفظ بعضه، ويدل على هذا قوله تعالى: **﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون * فأنشأنا لكم به جنَّات من نخيل وأعناب﴾** [المؤمنون: ١٨، ١٩] أي: فأنشأنا لكم به أشجارًا من نخيل، ومن شجر أعناب؛ إذ لا يصح وصف الأرض ذات الأشجار بكونها منشأة بالماء، وكذلك لا يصح وصفها بالإخراج في سورة الأنعام في قوله: **﴿وجنات من أعناب﴾** [الأنعام: ٩٩] لأن الجنات متسوقة على قوله: **﴿فأخرجنا منه خَضِرًا﴾** [الأنعام: ٩٩] أي: فأخرجنا من نبات كل شيء نبتًا خضرًا نخرج من ذلك النبت حبا متراكبًا، وأشجارًا من شجر أعناب، ولا يجوز إخراج البستان من نبات كل شيء، وكذلك لا يجوز أن يكون المراد بالجنة: البستان في قوله: **﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب﴾** [الإسراء: ٩١] لأنه بيَّن نوع الجنة بقوله: **﴿من نخيل وعنب﴾**، ولا يجوز أن يكون النخيل والعنب نباتًا للأرض ذات الأشجار؛ لأنها ليست من نوع الأرض بل هي جنس برأسها.

المثال الثالث عشر: قوله: **﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه﴾** [البقرة: ٢٢١] تجوَّز بالمغفرة عن التوبة؛ لأن المغفرة مسببة عن التوبة، فاستعير للتوبة لفظ المغفرة.

المثال الرابع عشر: قوله: **﴿وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾** [يونس: ٧٨] تجوَّز بالكبرياء عن المُلك؛ لأنها مسببة عن الملك.

المثال الخامس عشر: قوله: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوَّة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم﴾** [الأنفال: ٦٠] تجوَّز عن الأسلحة بالقوة؛ لأن القوة على قتالهم مسببة عن الأسلحة فسماها باسم مسببها، أو يكون ذلك من مجاز الحذف تقديره: وأعدوا لهم ما استطعتم من أسباب قوة، أو من أدوات قوة.

المثال السادس عشر: التجوُّز بالإعطاء والإيتاء عن الالتزام لأنهما مسببان عن الالتزام، فمن ذلك قوله: **﴿فلا جُنَاح عليكم إذا سلَّمتم ما آتيتم بالمعروف﴾** [البقرة: ٢٣٣] يعني: إذا سلمتم ما التزمتموه بالمعروف، لما كان التسليم مسببًا عن الالتزام عبر به عنه.

ومن ذلك قوله: ﴿ولا جُنَاح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أُجورهن﴾ [الممتحنة: ١٠] أى: إذا التزمتم لهن مهورهن.

ومن ذلك قوله فى الإماء: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أُجورهن﴾ [النساء: ٢٥] أى: والتزموا لهن مهورهن، ويحتمل أن يكون هذا من مجاز الحذف تقديره: وآتوا أهلهن مهورهن.

ولا يدل قوله: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ [النساء: ٢٥] على صحة النكاح بغير ولى؛ لأنه لم يذكر المأذون له، فيحتمل أن يكون المراد به الوكيل، ويحتمل أن يكون المراد به الأمة، وحمله على الوكيل أولى؛ لأنه الغالب فى الأنكحة أنه يتولاها الرجل دون النساء فيجب الحمل على الغالب؛ لأن مباشرة المرأة النكاح فى غاية الندور، فلا يجوز حمل الكلام عليه إذا لا يوجد لمثل هذا نظير فى كلام العرب من أنهم إذا أرادوا بيان شىء والإرشاد إلى مصلحته أن يبينوا أندر أحواله مع الاستغناء عنه، ويهملوا الأغلب مع مسيس الحاجة إليه.

وكذلك فى قوله: ﴿فإن طلَّقها فلا تحل له من بَعْدُ حتى تنكح زوجًا غيره﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وفى قوله: ﴿فلا تَعْضُلُوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ [البقرة: ٢٣٢] لا يحمل على مباشرتهما النكاح لندرته فيكون إضافة النكاح إليهن فى الآيتين من مجاز إضافة الفعل إلى الإذن فيه على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وأما قوله ﷺ: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها»(١) فمحمولٌ على صيغة إيجاب النكاح اللغوية دون الشرعية، وذلك حقيقة بالنسبة إلى اللغة دون الشرع كالصلاة المحمولة على الدعاء فى قوله ﷺ: «وإن كان صائمًا فَلْيُصَلِّ»(٢) أى: فَلْيَدْعُ.

وكذلك نهيه ﷺ عن بيع الحر فإنه محمولٌ على البيع اللغوى دون الشرعى.

---

(١) أخرجه: الترمذى فى النكاح ١١٠٢، أبو داود فى النكاح ٢٠٨٣، ابن ماجه فى النكاح ١٨٧٩، ١٨٨٠، أحمد فى المسند ٢٢٦٠، ٢٣٦٨٥، ٢٣٨٥١، ٢٥٧٠٣، الدارمى فى النكاح ٢١٨٤.

(٢) أخرجه: الترمذى فى الصوم ٧٨٠، مسلم فى الصيام ١١٥٠، أبو داود فى الصوم ٢٤٦٠، ٢٤٦٤، ابن ماجه فى الصيام ١٧٥٠، أحمد فى المسند ٧٢٦١، ٧٦٩١، ١٠٢٠٧.

وأما نهى الحائض عن الصَّلاة فليست الصَّلاة فيه محمولة على العرف الشرعى لتعذره، ولا على اللغوى ـ الذى هو الدعاء ـ لأنه خلاف الإجماع، وإنما هو مجاز تشبيه؛ لأن صورة صلاتها مشبَّهة بصورة الصَّلاة الشرعية، فهو مجازٌ عن حقيقة شرعية، والمختار أن صلاتها مجازٌ عن مجاز شرعى بالنسبة إلى اللغة؛ لأن الأظهر أن تسمية الصَّلاة الشرعية بهذا اللفظ من مجاز تسمية الكل باسم جزئه؛ لأن الدعاء جزء من أجزاء الصَّلاة فتجوَّز به عنها، كما تجوِّز عنها بالقيام، والركوع، والسجود.

ومن ذلك قوله: **﴿حتى يُعْطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾** [التوبة: ٢٩] أى: حتى يلتزموها؛ لاتفاق العلماء على أن قتالهم ينتهى بالالتزام دون الإعطاء.

ومثله: التعبير بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة عن إلزامهما فى قوله: **﴿فإن تابوا وأقاموا الصَّلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾** [التوبة: ٥] للاتفاق على أن التوبة من الشرك موجبة لتخلية السبيل قبل إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

المثال السابع عشر: قوله ﷺ: «**إن من الكبائر شتم الرجل والديه**» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمّه فيسب أمه**»(١).

الثامن عشر: العَنَت: وهو المشقة الشديدة، ويتجوَّز بها عن الزنا فى مثل قوله: **﴿ذلك لمن خشى العَنَتَ منكم﴾** [النساء: ٢٥]؛ لأن الزنا سببٌ لحدِّ الدنيا، أو عذاب الآخرة.

وأما قوله: **﴿كبر مقتًا عند الله﴾** [الصف: ٣] فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره: كبر جدالهم سبب مقت عند الله، أو سمى الجدال مقتًا لأنه سبب فى المقت.

المثال التاسع عشر: قوله: **﴿فاقتلوا أنفسكم﴾** [البقرة: ٥٤] معناه ـ على قول ـ: فاستسلموا للقتل، فعلى هذا يكون المأمور بالقتل عبدة العجل، ويكون القتل مجازيًا، وإن جعل القتل حقيقيا كان المعنى: فاقتلوا إخوانكم الَّذين عبدوا العجل؛ فيكون المأمور بالقتل

---

(١) أخرجه: البخارى فى الأدب ٥٩٧٣، مسلم فى الإيمان ٩٠، الترمذى فى البر والصلة ١٩٠٢، أبو داود فى الأدب ٥١٤١، أحمد فى المسند ٦٤٩٣، ٦٨٠١، ٦٩٩٠.

الحقيقى من لم يعبد العجل.

وقد قيل فى قوله: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم﴾ [البقرة: ٨٤] لأنه من مجاز التسبيب أيضًا، معناه: لا تجنوا فيقتص منكم، نسب القصاص إلى الجانى لتسببه إليه بالجناية..

* * *

الفصل السابع والعشرون

فى نسبة الفعل إلى سببه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿لبئس ما قدَّمَتْ لهم أنفسهم أن سَخِطَ الله عليهم﴾ [المائدة: ٨٠] نسب تقديم السخط إليهم لتسببهم إليه بعصيانهم واعتدائهم.

المثال الثاني: قوله: ﴿ذلك بما قدَّمت يداك﴾ [الحج: ١٠] الله هو المُقَدِّمُ فى الحقيقة، ولكنه تسبب إليه بكفره، ومعصيته.

المثال الثالث: قوله: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران: ١٦٥] هو من عند الله على الحقيقة، ولكنه نسب ما أصابهم من قتل إخوانهم إليهم؛ لأنهم تسببوا إلى ذلك بمفارقة المركز، ومعصية رسول الله ﷺ.

المثال الرابع: قوله: ﴿ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون﴾ [الروم: ٤٤] الماهد على الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ، فنسب إليهم المهد لتسببهم إليه بالعمل الصالح.

المثال الخامس: قوله: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] نسب إصابتها إلى النفس؛ لأنها أصابتهم بسبب معصيتهم، وقوله: ﴿كلٌّ من عند الله﴾ [النساء: ٧٨] نسبة لإصابتها إلى الفاعل على الحقيقة، وقوله: ﴿فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] نسبة إلى السبب، وهو العصيان فإنه سبب لمصائب الدنيا والآخرة.

المثال السادس: قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أحضرت﴾ [التكوير: ١٤] لما كانت هي السبب في إحضاره نسب إليها الإحضار كما نسب المهد إلى الصالحين في قوله: ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾ [الروم: ٤٤].

المثال السابع: قوله: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ [الإسراء: ٧] المراد بالإحسان الأول: الأعمال، وبالإحسان الثاني: الثواب، ونيل المراد، فالإحسان الأول حقيقة، والإحسان الثاني مجاز، نسب إليهم لتسببهم إليهم بإحسان الأعمال.

وأما قوله: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمن: ٦٠] فكلاهما: حقيقة؛ لأن المعنى: ما جزاء من أحسن الأعمال إلا إحساننا إليه ببلوغ الآمال.

المثال الثامن: قوله: ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾ [الأنعام: ٢٦] نسب الإهلاك إليهم لما تسببوا إليه بنهيهم ونأيهم؛ لأن المهلك في الآخرة هو الله عزَّ وجلَّ على الحقيقة، وإن عبَّرت بالإهلاك عن نهيهم ونأيهم كان من مجاز تسمية السبب باسم المسبب؛ لأن نهيهم ونأيهم هما السبب في إهلاكهم.

المثال التاسع قوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلُكة﴾ [البقرة: ١٩٥] قيل: الباء زائدة، وتَجوَّزَ باليدين عن الجملة فكأنه قال: ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة، ونسب إليهم إلقاء الأنفس إلى التهلكة لأنهم تسببوا إليها بمعصيتهم، وتقاعدهم عن الجهاد، والنفقة في سبيل الله، والمُلْقِي على الحقيقة في التهلكة هو الله عزَّ وجلَّ.

ومثله قوله: ﴿وإن يُهْلكون إلا أنفسهم﴾ [الأنعام: ٢٦].

المثال العاشر: قوله ﷺ: «كل النَّاس يغدو فبائعٌ نفسه فمُعتقها أو مُوبقها» نسب الإعتاق والإباق إليه لتسببه فيهما، والمعتق والموبق على الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ؛ بدليل قوله: «أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار»، والإعتاق ههنا مجازيٌّ فإنه حقيقة في قطْع الرق، واستعمل ههنا في قطع العذاب.

المثال الحادي عشر: قوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» الموبق على الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ، ونسبة الإباق إلى هذه الذنوب من مجاز نسبة الفعل إلى سببه.

المثال الثاني عشر: قوله: ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] نسبة زيادة الخشوع إلى القرآن من مجاز النسبة إلى الأسباب.

المثال الثالث عشر: قوله: ﴿وأُبرِئُ الأكمه والأبرص وأُحيي الموتى بإذن الله﴾ [آل عمران: ٤٩] نسب إبراء الأكمه، وإحياء الموتى إليه لتسببه إلى ذلك بدعائه.

المثال الرابع عشر: قوله: ﴿فلما جاءهم نذيرٌ ما زادهم إلا نفوراً﴾ [فاطر: ٤٢] معناه: ما زادهم النذير، أو مجيء النذير، إلاّ نفوراً، ونسبة النفور إليه، أو إلى مجيئه من مجاز نسبة الفعل إلى ما يتوقف عليه.

المثال الخامس عشر: قوله: ﴿وكأين من قرية هي أشدُّ قوةً من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم﴾ [محمد: ١٣] التقدير: وكأين من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك الَّذين أخرجوك أهلكناهم، فنسب الإخراج إليهم؛ لأنه خرج فارا منهم إلى الغار لما اتفقوا على قتله، ولك أن تجعله من مجاز نسبة الشيء إلى سبب سببه؛ لأن عزمهم على قتله سبب تخوفه، وخوفه سبب لخروجه.

المثال السادس عشر: قوله: ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ [البقرة: ١٩١] أي: أخرجوهم حقيقة كما أخرجوكم مجازاً؛ لأنهم لما آذوهم فخرجوا نسب الإخراج إليهم.

المثال السابع عشر: قوله: ﴿قُوا أنفسكم﴾ [التحريم: ٦] الواقي على الحقيقة هو الله، ونسب الوقاية إليهم لتسببهم إليها بالطاعة والإيمان.

وأما وقاية الأهل فمن مجاز النسبة إلى سبب السبب؛ لأن تقوى الأهل سبب لوقاية النار، وأمرهم بالتقوى سبب لتقواهم، فأضيف الوقاية إلى سبب سببها، وهو أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وذلك جمعٌ بين مجازين، إلاّ أن يقدر: وقوا أهليكم ناراً فلا يكون جمعًا بين مجازين بل يكون الأول من مجاز النسبة إلى السبب، والثاني من مجاز النسبة إلى سبب السبب.

المثال الثامن عشر: قوله: ﴿فزادتهم إيمانًا﴾ [التوبة: ١٢٤].

المثال التاسع عشر: قوله: ﴿فزادتهم رجسًا إلى رجسهم﴾ [التوبة: ١٢٥].

المثال العشرون: قوله: ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربِّك طُغيانًا وكفراً﴾ [المائدة: ٦٤] نسب الزيادة إلى سببها لتوقفها عليه.

المثال الحادى والعشرون: قوله: ﴿وما زادهم إلاَّ إيمانًا وتسليمًا﴾ [الاحزاب: ٢٢] الزائد على الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ، ونظر الأحزاب سبب لذلك.

المثال الثاني والعشرون: قوله: ﴿وجعلها كلمة﴾ [الزخرف: ٢٨] نسب جعلها إليه؛ لأنه تسبب إلى فعلها بإيصائه بها فى قوله: ﴿ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ [البقرة: ١٣٢].

المثال الثالث والعشرون: قوله: ﴿فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾ [آل عمران: ٦١] نسب جعل اللعنة إليهم؛ لأنهم تسببوا إليه بالدعاء والابتهال.

المثال الرابع والعشرون: قوله: ﴿وذلكم ظَنُّكم الَّذى ظننتم بربكم أرداكم﴾ [فصلت: ٢٣] نسب الإرداء إلى الظن لكونه سببًا فيه، والمُردى حقيقة هو الله عزَّ وجلَّ.

المثال الخامس والعشرون: قوله: ﴿وإذا كانوا معه على أمرٍ جَامِعٍ﴾ [النور:٦٢] نسب الجمع إلى الأمر لأنه سبب فيه.

المثال السادس والعشرون: قوله: ﴿ومَنْ أحياها فكأنما أحيا النَّاس جميعًا﴾ [المائدة: ٣٢] معناه: ومن تسبب إلى إحيائها عند إشرافها على الهلاك فكأنما أنقذ النَّاس جميعًا من الهلاك، وهذا على الحقيقة تسبب فى استمرار الحياة.

المثال السابع والعشرون: قوله: ﴿آلر كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج النَّاس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ١] المُخرج على الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ، والرسول ﷺ متسببٌ إلى ذلك بدعائه إليه، وحثه عليه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿الله ولى الَّذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وأما قوله: ﴿هو الذى يُنزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ [الحديد: ٩] فإن جعلت المُخرج هو الله كانت نسبة الإخراج إلى الله حقيقة، وإن كان هو الرَّسول ﷺ كان الإخراج من مجاز نسبة الفعل إلى الآمر به؛ لأنه أمرهم بالخروج من الكفر إلى الإيمان، ومن الجهل إلى العرفان.

المثال الثامن والعشرون: قوله: ﴿لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧] نسب الإلهاء إلى التجارة؛ لأنها سببه.

المثال التاسع والعشرون: قوله: ﴿لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ [المنافقون: ٩] نسب الإلهاء إليهما لأنهما من أقوى أسباب الإلهاء.

المثال الثلاثون: قوله: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [ص: ٢٦] نسب الإضلال إلى الهوى؛ لأنه من أقوى أسباب الإضلال.

المثال الحادى والثلاثون: قوله: ﴿فأخذهم عذاب يوم الظُّلَّة﴾ [الشعراء: ١٨٩] نسبة الأخذ إليه مجازية؛ لأنه سبب هلاكهم، والله هو الآخذ حقيقة، والأخذ فى نفسه مجازٌ عن القهر والاستيلاء.

المثال الثانى والثلاثون: قوله: ﴿خُذْ من أموالهم صدقة تُطهرهم وتُزكيهم بها﴾ [التوبة: ١٠٣] إن نسب التطهير والتزكية إليه ﷺ كان من مجاز النسبة إلى السبب؛ لأنه تسبب إليهما بأخذ الصدقة، وإن نسبت التزكية والتطهير إلى الصدقة كان ذلك لتوقفه عليهما واستناده إليها.

المثال الثالث والثلاثون: قوله: ﴿وأخذن منكم ميثاقًا غليظا﴾ [النساء: ٢١] والميثاق: إنما أخذه الأولياء فنسب إليهن لأنهن كن سببًا فيه بإذنهن، وإنْ زُوِّجت إجبارًا صحت النسبة إليها لتوقف ذلك عليها، ويصير كقوله: ﴿إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وكقولهم: «فتنته فلانة بحسنها» مع أن الأصنام لم يصدر منها فعلٌ كما لم يصدر من الحسناء فعل يفتن به، بل قام بها سبب الفتنة وهو حسنها.

وكقوله: ﴿فآتت أُكلها ضعفين﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وقوله: ﴿كلتا الجنَّتين آتت أُكلها﴾ [الكهف: ٣٣].

وقوله: ﴿تؤتى أُكلها كل حين بإذن ربِّها﴾ [إبراهيم: ٢٥] نسب الإيتاء إليها لتوقفه عليها.

وكذلك نسبة الإنبات إلى الحبة لكونها سببًا فيه مع توقفه عليها، واستناده إليها فى

قوله: ﴿كمثل حبة أنبتت سبع سنابل﴾ [البقرة: ٢٦١] وهذا كما ينسب الإنبات إلى الأرض والماء فيقال: أنبتت الأرض العشب، وأنبت الماء البقل.

وكذلك قوله: ﴿فاتخذتموهم سِخْريًا حتى أنسوكم ذكرى﴾ [المؤمنون: ١١٠] مع أنهم لم ينسوهم الذكر، ولم يتسببوا فيه؛ لكنهم لما توقف النسيان عليهم نسب الإنساء إليهم.

وكذلك قوله: ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ [هود: ١٠١]، فإن الأصنام لم تتسبب فى زيادة التتبيب، ويجوز أن يكون التقدير: وما زادتهم عبادتهم إياهم غير تتبيب، فحذف المضاف.

وكذلك قوله: ﴿يومًا يَجْعَلُ الولدان شيبًا﴾ [المزمل: ١٧] نسب الجعل إلى اليوم لتوقفه عليه، واستناده إليه.

وكذلك قوله: ﴿ويقولون يا ويلتنا ما لِ هذا الكتاب لا يُغَادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها﴾ [الكهف: ٤٩] نسبة المغادرة والإحصاء إلى الكتاب مجازية لتوقفهما عليه، واستنادهما إليه.

* * *

الفصل الثامن والعشرون

فى نسبة الفعل إلى سبب سببه

وله أمثلة: أحدها: قوله: ﴿قالوا ربنا مَنْ قدَّم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا فى النار﴾ [ص: ٦١] نسبوا صلى النار إلى سبب سببه؛ لأن الكبراء أمروهم فامتثلوه، والمُقدم على الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ، وسببه كفرهم، وسبب كفرهم أمر رؤسائهم إياهم بالكفر.

المثال الثانى: قوله: ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ [البقرة: ٣٦].

المثال الثالث: قوله: ﴿كما أخرج أبويكم من الجنَّة﴾ [الأعراف: ٢٧].

المثال الرابع: قوله: ﴿فلا يخرجنكما من الجنَّة فتشقى﴾ [طه: ١١٧].

المثال الخامس: قوله: ﴿ينزع عنهما لباسهما﴾ [الأعراف: ٢٧] المخرج والنازع حقيقة هو

الله عزَّ وجلَّ، وسبب ذلك أكل الشجرة، وسبب أكل الشجرة وسواس الشيطان، ومقاسمته على أنه من الناصحين.

المثال السادس: قوله: ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ [إبراهيم: ٢٨] لما أمروهم بالكفر الموجب لحلول النَّار نسب ذلك إليهم؛ لأنهم أمروهم به، فالله هو المحل لدار البوار، وسبب إحلالها كفرهم، وسبب كفرهم أمر أكابرهم إياهم بالكفر الموجب لحلول النار.

وأما قوله: ﴿لأحتنكنَّ ذريته﴾ [الإسراء: ٦٢] فإن أراد بالاحتناك عذاب الآخرة وإهلاكهم فقد نسب الاحتناك إلى سببه، وإن أراد به الإيقاع في المعاصي فقد تجوَّز عن المعاصي بالاحتناك لأنها سبب له، فيكون من مجاز تسمية السبب باسم المسبب؛ لأن الإهلاك سبب عن عصيانهم، وعصيانهم سبب عن أمر الشيطان وتسويله، أو يجعل ذلك من مجاز التشبيه من قولك: احتنكت الدابة إذا جررتها بما تجعله في حنكها، شبَّه سوقه إياهم إلى المعاصي بتزيينها بالحبل الذي يجعل في حنك الدابة لتجر به.

* * *

الفصل التاسع والعشرون

في نسبة الفعل إلى سبَب سبَّبَ سببه

وذلك قوله: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾ [التوبة: ٤٩] نسب الفتنة إلى الرَّسول ﷺ؛ لأنه إذا أمره بالخروج كان ذلك سببًا في خروجه، وكان خروجه سببًا لرؤيته بنات الأصفر، وكانت رؤيته إياهن سببًا لافتتانه بهن(١).

* * *

(١) الدر المنثور ٣/ ٤٤٣ و ٤٤٤، تفسير الكاشف ٢/ ١٩٤ .

الفصل الثلاثون

في نسبة الفعل إلى الآمر به

وله أمثلة:

أحدها: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ [المائدة: ٣٨].

المثال الثاني: قوله: ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائة جلدة**﴾ [النور: ٢].

المثال الثالث: قوله: ﴿**فاجلدوهم ثمانين جلدة**﴾ [النور: ٤] إن كان هذا أمرًا للولاة فهو أمر بالآمر بإقامة الحدود، وإن كان أمرًا لمن يستوفى الحقوق ويباشرها فهو حقيقة.

وأما قوله: «**رجم رسول الله ﷺ ماعزًا والغامدية وقطع المخزومية**»، وقوله: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» فكل ذلك من مجاز نسبة الفعل إلى الآمر به.

وكذلك قوله: ﴿**ونادى فرعون في قومه**﴾ [الزخرف: ٥١] أي: وأمر من ينادى في قومه.

وكذلك قوله: ﴿**يُذَبِّحُ أبناءهم**﴾ [القصص: ٤] أي: يأمر بتذبيحهم.

وكذلك قوله: «**كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي**» كله من مجاز نسبة الفعل إلى الآمر به لأنه ﷺ كان أميًا لا يكتب، ولا يحسب.

وكذلك قوله: ﴿**فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا**﴾ [الكهف: ٩٤] من مجاز نسبة الفعل إلى الآمر، إذ لا يبنى هو السد بنفسه.

وكذلك قوله: ﴿**أَجْعَلْ بينكم وبينهم رَدْمًا**﴾ [الكهف: ٩٥] أي: آمر بجعل ذلك.

وكذلك قوله: ﴿**حتى إذا ساوى بين الصدفين**﴾ [الكهف: ٩٦] أي: أمر بالمساواة بينهما.

وكذلك قوله: ﴿**حتى إذا جعله نارًا**﴾ [الكهف: ٩٧] أي: أمر بجعله نارًا.

وكذلك نسبة إفراغ القِطْر إليه معناه الأمر بإفراغ القطر عليه.

وكذلك قوله: ﴿أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتًا﴾ [يونس: ٨٧] أي: مراهم بذلك

وكذلك قوله ﷺ: «من بدّل دينه فاقتلوه»(١) معناه: من بدل دينه فأمروا بقتله أيُّها الولاة.

وكذلك قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة» أي: فأمروا برجمهما إن جعل أمرًا للولاة.

وكذلك قولهم: ضرب السّلطان الدينار والدرهم، أي: أمر بذلك.

وكذلك قوله: حلقت رأسي.

وكذلك قوله: ﴿ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى مَحِلَّه﴾ [البقرة: ١٩٦] معناه: ولا تأمروا بحلق رءوسكم، أو ولا تأذنوا في حلق رءوسكم.

وأما قوله: ﴿مُحَلِّقين رءوسكم ومُقَصِّرين﴾ [الفتح: ٢٧] فيحتمل أن يكون من هذا، ويحتمل أن يكون معناه: محلقين رءوس إخوانكم ومقصرين؛ فيكون التحليق والتقصير حقيقتين، ويكون نسبتهما إلى الجمع من مجاز نسبة فعل البعض إلى الكل، والأول أظهر.

وأما قوله: ﴿يُذَبِّحون أبناءكم﴾ [البقرة: ٤٩]، وقوله: ﴿يُقَتِّلون أبناءكم﴾ [الأعراف:١٤١] فمن مجاز نسبة الفعل إلى الآمر به، وإن حمل الذبح والقتل على المباشرة كان من مجاز نسبة فعل البعض إلى الكل.

وأما قوله: ﴿يأيُّها الَّذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مُسَمى فاكتبوه﴾ [البقرة: ٢٨٢] فيحمل على الحقيقة، والظاهر حمله على الآمر بالكتابة، أي: فمروا بكتابته؛ لأنه الغالب في الوقوع، ولأن الغالب على العرب الأمية التي وصفهم الله بها، ويدل عليه قوله: ﴿وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل﴾ [البقرة: ٢٨٢] وهذا يدل على أن الكاتب غير رب الدَّين، ويدل عليه أيضًا قوله: ﴿ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علَّمه الله﴾ [البقرة : ٢٨٢].

---

(١) أخرجه: البخاري في الجهاد والسير ٣٠١٧، الترمذي في الحدود ١٤٥٨، النسائي في تحريم الدم ٤٠٥٩، ٤٠٦٠، ٤٠٦١، ٤٠٦٢، ٤٠٦٤، ٤٠٦٥، أبو داود في الحدود ٤٣٥١، ٢٥٣٥، أحمد في المسند ١٨٧٤، ١٩٠٤، ٢٥٤٧، ٢٩٦٠.

الفصل الحادى والثلاثون

فى نسبة الفعل إلى الآذن فيه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وأخذن منكم ميثاقًا غليظا﴾ [النساء: ٢١] الآخذ على الحقيقة هو الولى، والمرأة أذنت فيه، وهذا أخذٌ مجازى، ونسبته إليهن مجازيةٌ أيضًا كما ذكرناه.

وقد اختلف فى الميثاق فقيل: إنه العقد، وقيل: إنه قول الولى: أزوجك على ما أمر الله به من إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان.

المثال الثانى: قوله: ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ [البقرة: ٢٣٢].

المثال الثالث: قوله: ﴿فإن طلقها فلا تحل له مِنْ بَعْدُ حتى تنكح زوجًا غيره﴾ [البقرة: ٢٣٠] نسب النكاح إليهن لإذنهن.

* * *

الفصل الثانى والثلاثون

فى الإخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم وفى خطابهم بما يتعلق ببعضهم

وله أمثلة:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ [البقرة: ٥١] معناه: ثم اتخذ العجل بعض أسلافكم، فإن جميع الخلف والسلف لم يتخذوا العجل إلهًا، وإنما وجد من بعضهم؛ فصار هذا كقول امرئ القيس:

* فَإِنْ تَقْتلونا نُقَتِّلْكم *

معناه: فإن تقتلوا بعضنا نقتلكم؛ إذ لا يتصور أن يقتلوهم بعد استيعاب جميعهم بالقتل.

وهذا الباب كله من مجاز الحذف، فإن كان البعض واحدًا كان التقدير: وإذ فعل أحدكم، ومثاله قوله: ﴿**وإذ قتلتم نفسًا**﴾ [البقرة: ٧٢] أصله: وإذ قتل أحدكم نفسًا.

وإن كان البعض أكثر من واحد كان التقدير: وإذ فعل بعضكم، ومثاله قوله: ﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة**﴾ [البقرة: ٥٥] وكان القائلون سبعين، ومن زعم أنه نسب الفعل إليهم؛ لأنهم رضوا به لا يستقيم قوله؛ لأنَّا نعلم أنهم لم يتفقوا على الرضى بقتل النفس، ولا باتخاذ العجل، ولا بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، ولا بقولهم لن نصبر على طعام واحد، وأيضًا: فإن نسبة الفعل إلى الرضى به مجاز، وإلى فاعله حقيقة، فإذا حمل عليهما كان حملاً على حقيقة غالبة ومجاز مغلوب وذلك لا يجوز.

المثال الثاني: قوله: ﴿**لن نصبر على طعام واحد**﴾ [البقرة: ٦١] وإنما قال ذلك بعضهم.

المثال الثالث: قوله: ﴿**وإذ أنجيناكم من آل فرعون**﴾ [الأعراف: ١٤١] وإنما نجا منه أسلافهم.

المثال الرابع: قوله: ﴿**ويذبحون أبناءكم**﴾ [إبراهيم: ٦] تقديره: ويذبحون بعض أبنائكم؛ لأنهم لم يذبحوا الأصاغر، والأكابر.

المثال الخامس: قوله: ﴿**وإن نكثوا أيمانهم**﴾ [التوبة: ١٢] أي: نكث بعضهم.

المثال السادس: قوله: ﴿**فعقروها**﴾ [الشمس: ١٤] تقديره: فعقرها أحدهم بدليل قوله: ﴿**فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر**﴾ [القمر: ٢٩] وقوله ﷺ: «**أشقى الأولين والآخرين أحيمر ثمود الذي عقر الناقة**».

المثال السابع: قوله: ﴿**أولم يسيروا في الأرض**﴾ [غافر: ٢١] تقديره: أولم يسر بعضهم في الأرض؛ لأن الكل ما ساروا فيها، وكذلك نسبة الجواب إلى قوم الرسل في قوله: ﴿**فما كان جواب قومه إلاَّ أن قالوا اقتلوه أو حرقوه**﴾ [العنكبوت: ٢٤]، وفي قوله: ﴿**فما كان جواب قومه إلاَّ أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم**﴾ [النمل: ٥٦] إنما هي نسبة إلى بعض من كفر منهم.

المثال الثامن: قوله: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الَّذين عاهدتم من المشركين﴾ [التوبة:١] ومعلوم أن الذى تولى المعاهدة إنما هو رسول الله ﷺ وتقديره: إلى الَّذين عاهدهم رسولكم، أو نبيكم.

المثال التاسع: قوله: ﴿بل ادَّارك علمهم فى الآخرة بل هُمْ فى شَكٍّ منها بل هم منها عَمُون﴾ [النمل: ٦٦] وصف الكل بالشك والعمى لوجود كل واحد منهما من بعضهم.

المثال العاشر: قوله لحاطب بن أبى بلتعة: ﴿تُلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ [الممتحنة: ١].

وأما قوله: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ [الاعراف: ١١] فهو على قول أبى عليٍّ من هذا القسم.

المثال الحادى عشر: قوله ﷺ: «بم أنتم يا خُزَاعة قد قتلتم هذا القتيل من هُذَيْل»(١).

المثال الثانى عشر: قول الشاعر (خفيف):

* يا بنى وائلٍ قَتَلْتُمْ كُلَيْبًا * (٢)

وأما قوله: ﴿إذْ تُصْعدون﴾ [آل عمران: ١٥٣]، وقوله: ﴿وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقوله: ﴿ثم وَلَّيْتُمْ مدبرين﴾ [التوبة: ٢٥]، وقوله: ﴿قلتم أنّى هذا﴾ [آل عمران: ١٦٥] ونحوه، فيجوز أن يكون الخطاب مخصوصًا بمن فعل ذلك من غير حذف، ويجوز أن يكون الخطاب للجميع على حذف المضاف.

* * *

(١) أخرجه: الترمذى فى الديات ١٤٠٦، أبو داود فى الديات ٤٥٠٤، أحمد فى المسند ١٥٩٣٨، ١٥٩٤٢.

(٢) ينسب لامرىء القيس (الخصائص ٣/ ٢٢٩، هارون ١/ ١٧١).

الفصل الثالث والثلاثون

فى التعبير بلفظ البعض عن الكل

وله أمثلة:

أحدها: التعبير عن الصَّلاة ببعض ما شرع فيها من الواجبات، أو المندوبات؛ وله أمثلة:

أحدها: التعبير عن الصَّلاة بالقيام فى قوله: **﴿قم الليل إلا قليلاً﴾** [المزمل: ٢] أى: صلِّ الليل إلا قليلاً، وفى قوله: **﴿لا تقم فيه أبدًا﴾** [التوبة: ١٠٨] أى: لا تصلِّ فيه أبدًا، وفى قوله ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**»(١) معناه: من صلى رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

وفى قوله: **﴿وقوموا لله قانتين﴾** [البقرة: ٢٣٨] معناه: وصلوا لله مطيعين، فإن أهل الملل يعصونه بصلاتهم.

الثانى: التعبير عنها بالركوع فى قوله: **﴿واركعوا مع الراكعين﴾** [البقرة: ٤٣] معناه: وصلوا مع المصلين.

وفى قوله ﷺ: «**فإذا خشى أحدكم الصبح فليوتر بركعة(٢)؛ فإنها توتر له ما قد صلى**»

---

(١) أخرجه: البخارى فى الإيمان ٣٧، مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها ٧٦٠، الترمذى فى الصوم ٦٨٣، النسائى فى الصيام ٢١٩٨، ٢١٩٩، ٢٢٠٠، ٢٢٠١، ٢٢٠٣، ٢٢٠٤، ٢٢٠٥، ٢٢٠٦، ٢٢٠٧، الإيمان وشرائعه ٥٠٢٧، أبو داود فى الصلاة ١٣٧١، ١٣٧٢، أحمد فى المسند ٧١٣٠، ٧٢٣٨، ٧٧٢٩، ٧٨٢١، ٩١٨٢، ٩٩٣١، ١٠١٥٩، ١٠٤٦٢، الدارمى فى الصوم ١٧٧٦.

(٢) أخرجه: البخارى فى الصلاة ٩٩١، ٩٩٣، ٩٩٥، ٩٩٨، ١١٣٣٧، مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٤٩، الترمذى فى الصلاة ٤٣٧، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٦٩، النسائى فى قيام الليل وتطوع النهار ١٦٧٠، أبو داود فى الصلاة ١٢٩٥، ١٣٢٦، ١٤٣٦، ١٤٣٨، ابن ماجه فى إقامة الصلاة والسنة فيها ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١٣١٩، ١٣٢٠. ١٣٢٢، أحمد فى المسند ٤٥٥٧، ٤٨٣٢، ٤٨٦٣، ٤٨٣٢، ٤٩٥١، ٤٩٦٧، ٤٩٩٦، ٥٠١٢، مالك فى النداء للصلاة ٢٦٩، الدارمى فى الصلاة ١٤٥٨، ١٤٥٩.

فتجوَّز بالركعة عن الصلاة.

الثالث: التعبير عنها بالسجود في قوله: ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ [الإنسان: ٢٦] أي: فصلِّ له، وفي قوله: ﴿فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم﴾ [النساء: ١٠٢] أي: فإذا صلوا فليكونوا من ورائكم، وفي قوله: ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق: ١٩] أي: وصلِّ واقترب، وفي قوله: ﴿يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ [آل عمران: ١١٣] أي: وهم يصلون؛ لأن التلاوة منهيٌّ عنها في السجود الحقيقي فلا يصح المدح بما نهى عنه.

الرابع: التعبير عنها بالقراءة في قوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ [الإسراء: ٧٨]، وفي قوله: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ [المزمل: ٢٠].

الخامس: التعبير عنها بالتسبيح في قوله: ﴿وسبِّحه ليلاً طويلاً﴾ [الإنسان: ٢٦]، وفي قوله: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ [ق: ٣٩]، وفي قوله: ﴿وسبِّحوه بُكرة وأصيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٢]، وفي قوله: ﴿فسبحان الله حين تُمسون وحين تُصبحون﴾ [الروم: ١٧].

السادس: التعبير عنها بالذكر في قوله: ﴿واذكر اسم ربِّك بُكرةً وأصيلاً﴾ [الإنسان: ٢٥]، وفي قوله: ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ [البقرة: ٢٣٩].

السابع: التعبير عنها بالاستغفار في قوله: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٨] وحمله بعضهم على الحقيقة.

المثال الثاني: من أمثلة التعبير بلفظ البعض عن الكل: التعبير بالرأس عن الجملة وذى الرأس في قولهم: عندى عشرون رأسًا من البقر، وثلاثون رأسًا من الغنم.

المثال الثالث: التعبير بالذقن عن الوجه في قوله: ﴿ويخرون للأذقان سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، وفي قوله: ﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ [الإسراء: ١٠٩] أي: للوجوه.

المثال الرابع: التعبير بالأنف عن الوجه في قوله: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ [القلم: ١٦].

المثال الخامس: التعبير بالرقبة عن الجملة في قوله: ﴿**وتحرير رقبة**﴾ [النساء: ٩٢]، وفي قوله: ﴿**وفي الرقاب**﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي قوله: ﴿**فظلت أعناقهم لها خاضعين**﴾ [الشعراء: ٤]، فإن هذه الأفعال لا تختص بالرقاب بل تعم الأجساد.

المثال السادس: التعبير باليدين عن الجملة في قوله: ﴿**فبما كسبت أيديكم**﴾ [الشورى: ٣٠] أي: بما كسبتموه، وفي قوله: ﴿**ذلك بما قدَّمت يداك**﴾ [الحج: ١٠]، وفي قوله: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ [البقرة: ١٩٥] أي: ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة، فتجوَّز باليدين عن الجملة، والباء زائدة كما ذكرناه.

المثال السابع: التعبير باليمين عن الجملة في قوله: ﴿**وما ملكت أيمانكم**﴾ [النساء: ٣]، وفي قوله: ﴿**أوما ملكت أيمانهن**﴾ [النور: ٣١].

المثال الثامن: التعبير بالعضد عن الجملة في قوله: ﴿**سنشد عَضُدك بأخيك**﴾ [القصص: ٣٥]، وفي قول إحدى النسوة في حديث أم زرع: «وملأ من شحم عضدي»(١).

المثال التاسع: التعبير بالأصابع عن الأكف والأرجل في قوله: ﴿**واضربوا منهم كل بنان**﴾ [الأنفال: ١٢] والبنان: الأصبع، تجوَّز بها عن الأيدي والأرجل.

المثال العاشر: قوله: ﴿**وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة**﴾ [الغاشية: ٢، ٣] عبَّر بالوجوه عن الأجساد وذوي الوجوه؛ لأن العمل والنصب صفتان للأجساد.

وأما قوله: ﴿**وجوه يومئذ ناعمة**﴾ [الغاشية: ٨] فيجوز أن يكون من هذا الباب تعبيراً بالوجوه عن الرجال، ويجوز أن يكون من وصف البعض بصفة الكل؛ لأن التنعم منسوب إلى جميع الجسد.

المثال الحادي عشر: التعبير بالضحى عن جميع النهار في قوله: ﴿**والضحى * والليل إذا سجى**﴾ [الضحى: ١، ٢] ويدل على ذلك أنه قابله بالليل في قوله: ﴿**والليل إذا سجى**﴾.

المثال الثاني عشر: التعبير بالمسجد الحرام عن الحرم كله في قوله: ﴿**إنما المشركون نجس**

---

(١) أخرجه: البخاري في النكاح ٥١٨٩، مسلم في فضائل الصحابة ٢٤٤٨.

فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ [التوبة:٢٨] أى: فلا يقربوا الحرم، ويجوز أن يكون هذا من مجاز الحذف وتقديره: فلا يقربوا حرم المسجد الحرام.

وأما قوله: **﴿أن طَهِّرَا بيتى للطَّائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود﴾** [البقرة: ١٢٥] فيحتمل أن يريد ببيته المسجد الذى فيه الكعبة؛ لأن الصَّلاة والطواف والاعتكاف يقع فيه؛ فلا يكون من هذا الباب، ويحتمل أن يعبر بالكعبة عن المسجد الذى يحوى الكعبة؛ لأنها بعضه، فيكون من هذا الباب.

المثال الثالث عشر: التعبير بمكة عن الحرم كله فى قوله ﷺ: «**إن الله حرَّم مكة يوم خلق السموات والأرض فلا ينفر صيدها، ولا يُعْضَدُ شجرها**»(١) ومعلومٌ أن البلد نفسه لا صيد فيه ولا شجر.

وأما قوله: **﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾** [الحج: ٣٣] فإنه تجوَّز بالبيت العتيق عن الحرم كله إذْ لا يجوز النحر فيما اتصل بالبيت من المسجد المحيط به، ويجوز أن يكون من مجاز الحذف وتقديره: ثم محل نحرها إلى حرم البيت العتيق.

وكذلك قوله: **﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾** [البقرة: ١٩١] أى: فى حرمه.

* * *

الفصل الرابع والثلاثون

فى التعبير بلفظ الكل عن البعض

وله أمثلة:

أحدها: قوله: **﴿وإذا رأيتهم تُعجبك أجسامهم﴾** [المنافقون: ٤] ومعلومٌ أنه لم ير جملتهم وإنما رأى وجوههم وما يبدو منهم غالبًا.

(١) أخرجه: البخارى فى اللقطة ٢٤٣٤، مسلم فى الحج ١٣٥٥، أبو داود فى المناسك ٢٠١٧، العلم ٣٦٤٩، ابن ماجه فى الديات ٢٦٢٤، أحمد فى المسند ٧٢٠١، الدارمى فى البيوع ٢٦٠٠.

المثال الثاني: قوله: ﴿**فاجلدوهم ثمانين جلدة**﴾ [النور: ٤] مع أنه لا يجوز جلد وجوههم ولا سوآتهم ولا مقاتلهم.

المثال الثالث: قوله: ﴿**وامسحوا برءوسكم**﴾ [المائدة: ٦] ومثله قولك: مسحت رأس اليتيم، وقولك: مسح على خفيه.

المثال الرابع: قوله: ﴿**فاغسلوا وجوهكم**﴾ [المائدة: ٦]؛ فإنه لا يجب استيعاب الوجه بالغسل إذا ستره بعض الشعور الكثيفة، ولذلك لا يغسل ما بين العذار والأذن عند مالك -رحمه الله- وهذا مجاز غالب.

المثال الخامس: قوله: ﴿**يجعلون أصابعهم في آذانهم**﴾ [البقرة: ١٩] وإنما جعلوا بعض أناملهم.

المثال السادس: قوله: ﴿**وقال ادخلوا مصر**﴾ [يوسف: ٩٩] ومعلومٌ أنهم لا يستوعبونها بالدخول.

المثال السابع: قوله: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين**﴾ [الفتح: ٢٧]، ومثله: قولك: «خرجت من المسجد، وقطعت السارق» وإنما قطعت يده، «ولمست الركن» وإنما لمست بعضه، وكذلك قولك: «أمسكت الحبل» وإنما أمسكت بعضه، وقولك: «قبلت الحَجَر» وإنما قبلت بعضه، وقولك: «قبلت يده» وإنما قبلت بعض كفه، وكذلك قولك: «قبلت القوم، وشربت ماء دجلة، وماء النيل، وماء الفرات» ومعلومٌ أنك لم تستوعب ذلك كله بفعلك.

***

الفصل الخامس والثلاثون

في التجوُّز بصفة البعض بصفة الكل

كقوله: ﴿**يعلم خائنة الأعين**﴾ [غافر: ١٩] أي: يعرف خائنة ذوي الأعين.

وأما قوله: ﴿**تختانون أنفسكم**﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ فإنه لما كان وبال خيانة أمانة الله راجعًا

على الأنفس جعلت خيانة لها، وخيانة العبد ربَّه معصيته إياه؛ لأن التكاليف كلها أمانته عند عباده، فمن نقضها أو أضاعها فقد خان فيها مستحقها، وهو الله عزَّ وجلَّ، ويدل عليه قوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض﴾ [الأحزاب: ٧٢]... الآية؛ يريد بالأمانة: التكاليف.

وكقوله: ﴿لَنَسْفَعًا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة﴾ [العلق: ١٥، ١٦] الخطأ صفة للكل فوصفت به الناصية، وأما قوله: ﴿كاذبة﴾ فالكاذب على الحقيقة هو اللسان، ونسبة الكذب إلى الإنسان من مجاز وصفه بصفة بعضه، ثم تجوَّز عن هذا المجاز بأن وصفت به الناصية، فيكون مجازًا عن مجاز.

وكذلك نسبة الظن إلى الوجوه في قوله: ﴿تظن أن يُفْعَل بها فاقرة﴾ [القيامة: ٢٥]، فإن الظن وصفٌ للقلوب على الحقيقة، ويضاف إلى الأجساد على التجوُّز، ثم يضاف إلى الوجوه على التجوُّز؛ فيكون مجازًا عن مجاز.

ومثله وصف الوجوه بالخشوع، فإن محل الخشوع القلوب، ثم وصف بها الجملة، ثم توصف الوجوه بصفة الجملة.

وكذلك وصفها بالرضى في قوله: ﴿لِسَعْيِها راضية﴾ [الغاشية: ٩] وصف لها بصفة القلوب، وهذا كله من مجاز اللزوم.

* * *

الفصل السادس والثلاثون

في التجوُّز بوصف الكل بصفة البعض

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿إنَّا منكم وجلون﴾ [الحجر: ٥٢] فالوجل: الخوف، ومحله القلب، ويدل عليه قوله: ﴿وبشِّر المُخبتين * الَّذين إذا ذُكِرَ الله وجلت قلوبهم﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

المثـال الثاني: قـوله: ﴿لو اطلعت علـيهم لـوليت منهم فـراراً ولمُلئت منهم رُعْبًـا﴾ [الكهف:١٨] والرعب إنما يملأ القلوب فنسب إلى الأجسـاد، ووصف القلوب بالملء مـجاز أيضًـا، ومن ذلك: زيد عـالم، وجاهل، وراغب، وراهب، وخـائف، وآمن، ومـفكر، وناظر، وشاكٌّ، وحازم، ومـتذكر، وغافل، وقاس، ولين، وقانع، وطامع فـهذه كلها من أوصاف القلوب، وقد وصفت بها الجملة.

المثال الثالث: قوله: ﴿كتابٌ فُصلت آياته قُرآنًا عربيًا لقوم يعلمـون * بشيرًا ونذيرًا﴾ [فصلت:٣، ٤] وصف القرآن بالبشارة، والنذارة، وكلاهما بعض من أبعاضه لاشتماله على الأمر، والنهي، والحدود، والحلال، والحرام، وسائر الأحكـام، ونسبة البشارة والنذارة إليه مجازية أيضًا.

* * *

الفصل السابع والثلاثون

في التجوُّز بلفظ الفعل عن مقاربته ومشارفته

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وإذا طلقتم النِّساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف﴾ [البقرة: ٢٣١] معناه: وإذا طلقتم النِّساء فقاربن انقضاء أجل عددهن وشارفنه فأمسكوهن بمعروف.

المثـال الثاني: قـوله: ﴿والَّذين يتـوفـون منكم ويذرون أزواجًـا وصيـة لأزواجـهم﴾ [البقرة: ٢٤٠] معناه: والَّذين يقاربون الوفاة وترك الأزواج ويشارفونهما.

المثـال الثالث: قـوله: ﴿كـتب علـيكم إذا حـضـر أحـدكم الموت إن ترك خـيـرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] معناه: إن أشرف على ترك خير.

المثال الرابـع: قوله: ﴿فـإذا جاء وعـد أولاهمـا بعثنا علـيكم عبـادًا لنا﴾ [الإسراء: ٥] معناه: فإذا قارب مجيء موعود أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا.

المثال الخامس: قوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم﴾ [الإسراء: ٧] معناه:

فإذا دنا مجيء موعود المرة الآخرة من مرتى الفساد بعثناهم ليسوءوا وجوهكم.

المثال السادس: قوله: ﴿فإذا جاء وَعْـدُ ربِّى جعله دَكًّا[1]﴾ [الكهف: ٩٨] معناه: فإذا دنا مجيء موعود ربى جعله دكاء.

* * *

الفصل الثامن والثلاثون

فى تسمية الشيء بما كان عليه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ [النساء: ٢] معناه: الَّذين كانوا يتامى إذ لا يُتْمَ بعد البلوغ.

الثانى: قـوله تعالى: ﴿فـلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجـهن﴾ [البقرة: ٢٣٢] معناه: الذين كانوا أزواجـهن؛ لأنها نزلت فى معقـل بن يسار وأخته لما حلف أنه لا يزوجـها من زوجها عبد الله بن رواحة رضى الله عنه [2].

الثالث: قوله: ﴿والذين يتوفون منكم ويـذرون أزواجًا يتربَّصن بأنفسهن أربعـة أشهر وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] معناه: ويتركون من كن أزواجًا لهم، فإن الزوجية تنقضى بالموت.

الرابع: قوله: ﴿إنه من يأت ربَّه مُـجْـرِمًـا فـإن له جهنَّـم لا يموت فيـهـا ولا يحـيى﴾ [طه: ٧٤] سمَّاه بما كان عليه فى الدنيا من الإجرام.

الخامس: قوله: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكـفون فى المساجد﴾ [البقرة: ١٨٧] سماه إذا خرج وجامع عـاكفًا فى المسجـد نظرًا إلى ما كان عليـه، أو سماه بما يئول إليـه، أو عبَّر بالاعتكاف عن قصده؛ لأن المعتكف إذا خرج كان عازمًا على العود، ولا يحمل على نفس

---

(١) فى جميع الأصول «دَكًّا» وسبق تخريجها .

(٢) لم تكن أخت معقل زوجـة لعبد الله بن رواحة، بل كان زوجها هو أبا الـبداح بن عاصم الأنصارى (الاستيعاب ٤/ ١٠١٨، الإصابة ٤/ ١٧).

الاعتكاف؛ لأن الجماع فى المسجد حرام فى غير الاعتكاف.

السادس: قوله: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾ [النساء: ١٠٥] معناه: إنا أنزلنا إليك المكتوب فى اللوح المحفوظ، فسمَّاه وقت إنزاله بما كان عليه، ولا يكون هذا من مجاز تسمية الشيء بما يئول إليه؛ لأنه لو كان كذلك لما اختلفت الصحابة رضى الله عنهم فى كتابة المصحف لأنهم لو فهموا ذلك لم يترددوا فيه.

ومن ذلك تسمية السارق، والزانى، والكافر، والمؤمن، والطائع، والعاصى بما كانوا ملابسين له من السرقة، والزنا، والكفر، والإيمان، والطاعة، والعصيان.

* * *

الفصل التاسع والثلاثون

فى تسمية الشيء بما يؤول إليه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿كُتِبَ عليكم القصاص فى القتلى﴾ [البقرة: ١٨٧] أى فى قتل القتلى، معناه: الذين يئول أمرهم إلى القتل، أو الَّذين يشارفون القتل.

وكذلك قوله ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سلبه»(١)، فإن القتيل لا يقتل بل سمى ذلك بما شارفه ويئول إليه.

المثال الثانى: قوله: ﴿فإنْ طَلَّقَها فلا تحل له من بَعْدُ حتى تَنْكح زوجًا غيره﴾ [البقرة: ٢٣٠] سماه زوجًا؛ لأن العقد يئول إلى زوجته؛ لأنها لا تنكحه فى حال كونه زوجًا.

المثال الثالث: قوله: ﴿إنى أرانى أعصرُ خمرًا﴾ [يوسف: ٣٦] أى: أعصر عنبًا، فإن

(١) أخرجه: البخارى فى فرض الخمس ٣١٤٢، المغازى ٤٣٢٢، الأحكام ٧١٧٠، مسلم فى الجهاد والسير ١٧٥١، الترمذى فى السير ١٥٦٢، أبو داود فى الجهاد ٢٧١٧، ٢٨٣٧، أحمد فى المسند ٢٢٠١٢، ٢٢١٠١، ٢٢١٠٨، مالك فى الجهاد ٩٩٠، الدارمى فى السير ٢٤٨٥.

المثال الرابع: قوله: ﴿**إنا نُبشرك بغلام عليم**﴾ [الحجر: ٥٣].

المثال الخامس: قوله: ﴿**فبشرناه بغلام حليم**﴾ [الصافات: ١٠١] وصفه في حال البشارة بما يئول إليه أمره من العلم والحلم.

المثال السادس: قوله: ﴿**ولا يلدوا إلا فاجراً كفَّاراً**﴾ [نوح: ٢٧]، أي: لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه كقوله ﷺ: «**من قتل قتيلاً فله سلبه**»(١).

.... وإذا أخذ الشيطان من شاط يشيط إذا هلك، فإن أردت بالهلاك العذاب كان وصفًا له بما يئول إليه، وإن أردت بهلاكه عصيانه وكفره كان ذلك من مجاز تسمية السبب باسم المسبب.

وأما الأحوال المقدرة فليست كذلك؛ لأن الذى يقترن بالفاعل أو المفعول إنما هو تقدير ذلك وإرادته، فيكون المعنى فى قوله: ﴿**فتبسَّم ضاحكًا من قولها**﴾ [النمل: ١٩] فتبسم مقدراً ضحكه.

وكذلك قوله: ﴿**وخرّوا له سُجَّدًا**﴾ [يوسف: ١٠٠] على قول أبى على وهذا حمل منه للخرور على ابتدائه، وإن حملت الخرور على انتهائه كانت الحال الملفوظ بها ناجزة غير مقدرة.

وكذلك قوله: ﴿**فادخلوها خالدين**﴾ [الزمر: ٧٣] أى: فادخلوها مقدرين الخلود فيها، فإن من دخل مدخلاً كريمًا مقدراً أن لا يخرج منه أبدًا كان ذلك أتم لسروره ونعيمه، ولو توهم انقطاعه لتنغص عليه النعيم الناجز بما يتوهمه من الانقطاع اللاحق.

* * *

---

(١) يوجد هنا سقط فى جميع الأصول .

الفصل الأربعون

فى تنزيل المتوهم منزلة المتحقق

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿تَرَوْنَهُمْ[1] مثليهم﴾ [آل عمران: ١٣] أى: فى ظنكم وحسابكم.

المثال الثانى: قوله: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ [الصافات: ١٤٧] أى: فى ظن الناظرين إليهم وحسبانهم.

المثال الثالث: قوله: ﴿والقمر قدَّرناه منازل حتى عاد كالعُرجون القديم﴾ [يس: ٣٩] ولم يصر كالعرجون القديم إلا فى الظن والحسبان ورأى العيون، وكذلك تقديره: ﴿منازل﴾ إنما هى منازل فى رأى العين، فإن القمر فى الفلك الأول، والمنازل فى الفلك الثامن، ولا يتصور نزوله فى شىء منها، وإنما يقع ذلك فى نظر الناظرين وحسبان الظانين.

المثال الرابع: قوله: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تُدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ فى فلك يسبحون﴾ [يس: ٤٠] أى: يسبحون فى رأى العين، فإن الناظر إلى الفلك يعتقده ساكنًا، والكواكب جارية فيه، وليس كذلك.

المثال الخامس: قوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم: ٩] فى ظن رأيه وحسبانه، ومن ذلك قوله: ﴿وجدها تَغْرُبُ فى عين حَمِئَة﴾ [الكهف: ٨٦] أى: فى عين رائيها وحسبانه، ومن ذلك قوله: ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ٢٥] أى: فى ظنهم وتوهمهم.

ومن ذلك قول امرئ القيس (طويل):

تُلاعِبُ أولاد الوعـولِ رباعُهَا ... دُوينَ السماء فى رءوسِ المجادلِ[2]

---

(١) هكذا فى (ب) وهى قراءة أبان عن عاصم، ونافع، وقرأ الباقون بالياء للغائب (المحرر الوجيز ٣/ ٣٤).

(٢) ديوانه ص ٥٦.

يعنى: دوين السماء فى الظن والحسبان ورأى العين.

المثال السادس: قوله: **﴿وإن يومًا عند ربِّك كألف سنة مما تعدون﴾** [الحج: ٤٧] أى: فى ظن المعدين وحسبانهم.

المثال السابع: قوله: **﴿ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾** [الروم: ٥٥] أى: ما لبثوا فى ظنهم وحسبانهم غير ساعة؛ بدليل قوله: **﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلاَّ قليلاً﴾** [الإسراء: ٥٢].

المثال الثامن: قوله: **﴿وردَّ الله الَّذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا﴾** [الأحزاب: ٢٥] معناه: لم ينالوا خيرًا فى ظنهم أن ما ينالونه من المسلمين من القهر والغلبة خير، وهو شر عند الله عزَّ وجلَّ.

المثال التاسع: قوله: **﴿حُجتهم داحضة عند ربهم﴾** [الشورى: ١٦] سماها حجة إما لأنها تصورت بصورة الحجة فى حسبان المحتج بها، أو لأنها أخرجت مخرج الحجج وأن المحتج بها عالمًا ببطلانها.

وأما دحضها فمجاز تشبيه؛ لأن الدحض فى الأجرام إزالة وإذهاب فشبَّه زوال الحجة عن الحق والصواب بزوال الأجرام وذهابها.

المثال العاشر: قوله: **﴿ما كان حُجَّتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾** [الجاثية: ٢٥] جعلها حجة بالنظر إلى ظنهم وحسبانهم كما جعل اعتقادهم بأن لا بعث ولا نشور علمًا بالنظر إلى ظنهم وحسبانهم.

المثال الحادى عشر: قوله: **﴿فيومئذ لا ينفع الَّذين ظلموا معذرتهم﴾** [الروم: ٥٧] سماها: معذرة مع أنه لاعذر لهم؛ إما لأنها تصورت بصورة المعذرة، أو لأنها معذرة فى ظنهم وحسبانهم، ومثله قوله: **﴿ولو ألقى معاذيره﴾** [القيامة: ١٥] إذْ لا عذر لأحد فى معصية الله.

المثال الثانى عشر: وصف الزمن الطويل بالقصر، والقصر بالطول بناء على الظن والحسبان؛ وذلك فى مثل قول زهير (متقارب):

فظـلَّ قصيرًا على صحبـه وظلَّ على القوم يومًا طويلاً(١)

وفى مثل قول امرئ القيس (متقارب) :

* تـطـاول لـيـلـك بـالإثـمـد *(٢)

وفى مثل قوله (طويل) :

تطاولَ حتى قُـلْت ليس بمنقضٍ وليس الذى يرعى النجوم بـآيبِ(٣)

وفى مثل قوله (طويل) :

فيالك من ليلٍ كـأنَّ نجـومـه بكلِّ مـغار الفتلِ شدَّت بيـذبلِ(٤)

وفى مثل قوله (طويل) :

ألا أيُّها الليل الطويلُ ألا انجلى بصبح وما الإصباحُ منك بأمثلِ(٥)

وقد ينزل المعتقد منزلة المعلوم المحقق، وله مثالان:

أحـدهما: قـوله: ﴿فلمـا جـاءتهم رسلهم بالـبينـات فرحـوا بما عنـدهم من العلم﴾ [غافر:٨٣] معناه: فـرحوا بما عندهم من الاعتقـاد الذى ظنوه علمًا، وهو اعتـقادهم أن لا بعث ولا نشور، أو عبَّر بالعلم عن الجهل تهكمًا واستهزاء.

الثانـى: قوله: ﴿ومـا شـهدنـا إلا بما علمنا﴾ [يوسف: ٨١] أى: ومـا شهـدنا إلا بما اعتقدنا، تجوَّز بالعلم عن الاعتقاد، وهو من مجاز التشبيه لاشتراكهما فى الجزم.

* * *

(١) ثعلب ص ٢٠٥ .

(٢) شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢/ ٧٣١، نهاية الأرب ٧/ ١١٧، وينسب أيضًا لعمرو بن معد يكرب (ديوانه فى ١٨٨) .

(٣) ديوانه ص ١٩، الصناعتين لأبى هلال ص ٤٧٠ .

(٤) ديوانه ص ١٨، هارون ١/ ٣٠٤ .

(٥) ديوانه ص ١٨، هارون ١/ ٣٠٤ .

الفصل الحادى والأربعون

فى المخاطبة والإخبار المبنيين على زعم الخصم دون ما فى نفس الأمر

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ومن النَّاس مـن يتَّخــذ من دون الله أندادًا﴾ [البقرة: ١٦٥] ذكر ذلك بالنسبة إلى ظنهم وزعمهم؛ إذ ليس لله ندٌّ ولا ضد.

المثال الثانى: قوله: ﴿أين شُركائى﴾ [النحل: ٢٧] وليس هذا إثباتًا للشركاء بل هو منزل على قـول الخصم، مـعناه: أين شركـائى بزعمكم، ومـثله قوله ﷺ، حكاية عـن ربّه عزَّ وجلَّ: «فمن عمل لى عملاً أشركَ فيه غيرى تركته لشريكى» معناه: تركته لشريكى بزعمه.

المثال الثالث: قوله: ﴿إن رسـولكم الذى أُرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء: ٢٧] لم يقر فرعون برسالة موسى عليه السلام: بل، المعنى بزعمه أنه رسول.

المثال الرابع: قوله: ﴿وقالوا يأيُّها الذى نُزِّل علـيه الذكر إنك لمجنون﴾ [الحجر: ٦] ليس هذا إقرارًا بتنزيل الذكر، وإنما المعنى: يأيُّها الذى نزل عليه الذكر بزعمه إنك لمجنون.

المثال الخامس: قوله: ﴿وما نرى مـعكم شفعـاءكم الَّذين زعمتم أنَّهم فـيكم شُركاء﴾ [الانعام: ٩٤] أى: شفعاءكم فى زعمكم.

المثال السادس: قوله: ﴿اتخذوا أحـبارهم ورهبـانهم أربابًا من دون الله﴾ [التوبة: ٣١] أى: اتخذوهم فى زعمهم وظنهم أربابًا من دون الله.

المثال السابع: قوله: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [هود: ٨٧] أى: بزعمك واعتقادك.

المثال الثـامن: قوله: ﴿ذق إنك أنت العــزيز الكريم﴾ [الدخان: ٤٩] أى: فى نفـسك واعتقادك.

ويجوز أن يكون هذا كله على طريق التهكم والاستـهزاء الَّذين يراد بهما ضد المنطق به فيكنى بالندِّ والشريك عن نفيهما، وبالـرَّسول عن المفترى الرسالة، وكذلك بالذى نزل عليه

الذكر، ويكنى بالحليم الرشيد عن السفيه الجاهل، وبالعزيز الكريم عن الذليل المهان.

ونظير هذا أمر التهديد في مثل قوله: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ [فصلت: ٤٠]، وفي مثل قوله: ﴿**فاعبدوا ما شئتم**﴾ [الزمر: ١٥]، وفي مثل قوله: ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورَجِلك وشاركهم في الأموال والأولاد وَعِدْهُمْ وما يعدهم الشيطان إلا غُرورًا**﴾ [الإسراء: ٦٤]، فإن المراد بهذه الألفاظ: ضد ما أشعر به الأمر من طلب الفعل، فعبَّر بطلب الفعل عن طلب الترك.

وأنواع التهكمات كثيرة:

منها: قوله: ﴿**هذا نُزُلُهُمْ يوم الدين**﴾ [الواقعة: ٥٦].

ومنها: قول عمرو بن كلثوم (وافر):

قَرَيْنَاكُمْ فعجَّلنا قِرَاكُمْ   قُبَيْل الصُّبحِ مرداةً طَحُونَا(١)

ومنها: قول العرب: «عتابك السيف».

ومنها: قول الشاعر (وافر):

* تحية بينهم ضربٌ وجيعُ *(٢)

ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فأثابكم غَمًّا بغم**﴾ [آل عمران: ١٥٣].

ومنها: قوله: ﴿**هل ثُوِّبَ الكفار ما كانوا يفعلون**﴾ [المطففين: ٣٦] والمراد بالثواب ههنا العقاب.

ومنها: قوله: ﴿**قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله**﴾ [المائدة: ٦٠] أي: عقوبة عند الله، فإن الثواب هو الجزاء بالخير، فإذا أطلق لفظ الثواب على الشر كان تهكمًا واستهزاء. ومنها: قوله: ﴿**وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمُهْل يشوي الوجوه**﴾ [الكهف: ٢٩].

---

(١) ديوانه ص ١٩.

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب (هارون ١/٢٢٦)، المقتضب ٢/ ٢٠، وصدر البيت:

* وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ *

أما قوله: ﴿يستغيثوا﴾ فحقيقة معناه: يطلبون الغوث من شدة العطش.

وأما قوله: ﴿يغاثوا﴾ فتهكم واستهزاء بهم إذْ لا غوث فيما يشوى الوجوه.

ومنها: قوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران: ٢١].

وأما قوله: ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الَّذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً * وأن الَّذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابًا أليمًا﴾ [الإسراء: ٩، ١٠]، فإن البشارة فيه باقية على حقيقتها؛ لأن الله بشر المؤمنين بأنه يأجرهم أجراً كبيراً، وبأنه يعذب أعداءهم عذابًا أليمًا، ومن أُخبر بعقوبة عدوه وإهانته كان ذلك بشارة له على الحقيقة.

* * *

الفصل الثانى والأربعون

فى مجاز التضمين

وهو أن تضمن اسمًا معنى اسم لإفادة معنى الاسمين؛ فيعديه تعديته فى بعض المواطن؛ كقوله: ﴿حقيقٌ على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ [الأعراف: ١٠٥] ضمَّن ﴿حقيق﴾ معنى حريص ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه.

وتضمن فعل معنى فعل لإفادة معنى الفعلين فتعديه أيضًا تعديته فى بعض المواطن، قال الشاعر (رجز):

* قَدْ قَتَلَ الله زيادًا عَنِّى(١) *

ضمن «قتل» معنى صرف؛ لإفادة أنه صرفه بالقتل دون ما عداه من الأسباب فأفاد معنى القتل والصرف جميعًا.

---

(١) البيت للفرزدق (شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢/ ٩٦٤، تفسير القرطبى ١/ ٢٠٦، مغنى اللبيب ٢/ ٧٦٤)، وصدر البيت:

* كيف ترانى قالبًا مِجَنِّى *

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿لا تشرك بالله﴾ [لقمان: ١٣] ضمَّن ﴿لا تشرك﴾ معنى: لا تعدل، والعدل التسوية، أي: لا تُسَوِّ بالله شيئًا في العبادة والمحبة؛ فإنهم عبدوا الأصنام كعبادة الله، وأحبوها كحبه، ولذلك قالوا في النار: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نُسويكم برب العالمين﴾ [الشعراء: ٩٨، ٩٩] وما سووهم به إلا في العبادة والمحبة دون أوصاف الكمال، ونعوت الجلال.

المثال الثاني: قوله: ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ [هود: ٢٣] ضمَّن ﴿وأخبتوا﴾ معنى: أنابوا؛ لإفادة الإخبات والإنابة جميعًا.

المثال الثالث: قوله: ﴿إن كادت لَتُبْدي به﴾ [القصص: ١٠] ضمَّن معنى: ﴿لتبدي به﴾ معنى لتخبر به، أو لتعلم به؛ ليفيد الإظهار مع الإخبار؛ لأن الخبر قد يقع سرا غير ظاهر.

المثال الرابع: قوله: ﴿عينًا يشرب بها عباد الله﴾ [الإنسان: ٦] ضمَّن ﴿يشرب﴾ معنى: يروى؛ أو معنى يلتذ؛ ليفيد الشرب والري، أو الشرب والالتذاذ جميعًا.

المثال الخامس: قوله: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ [البقرة: ١٨٧] الرفث: هو الكلام القبيح كلفظ النيك تجوَّز بالرفث عن مدلوله ثم ضمن مدلوله معنى الإفضاء أو تجوز بالرفث عن الوطء لما كان الرفث سببًا فيه ثم ضمَّنه معنى الإفضاء لإفادة المعنيين، فعدَّاه تعديته، أو تجوَّز بالرفث عن متعلقه، وهو الجماع، فيكون من مجاز التعبير بلفظ القول عن المقول فيه.

المثال السادس: قوله: ﴿يؤلون من نسائهم﴾ [البقرة: ٢٢٦] ضمَّن معنى يمتنعون من وطء نسائهم بالألية لإفادة المعنيين.

المثال السابع: قوله: ﴿لا يألونكم خَبَالا﴾ [آل عمران: ١١٨] ضمن معنى لا يمنعونكم شرا، ولا فسادًا ليفيد معنى المنع، وترك التقصير في المنع.

المثال الثامن: قوله: ﴿قدَّرنا إنها لمن الغابرين﴾ [الحجر: ٦٠]، فضمَّن ﴿قدَّرنا﴾ معنى علمنا ليفيد التقدير والعلم جميعًا.

المثال التاسع: قوله: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [إبراهيم: ٣]، فضمَّن معنى يختارون راحة الحياة الدنيا وأعراضها على ثواب الآخرة، أو يؤثرون، وهو أحسن لقوله: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ [الأعلى: ١٦].

المثال العاشر قوله: ﴿أو لتعودن في ملَّتنا﴾ [الأعراف: ٨٨]، فضمَّن معنى: لتدخلن في ملتنا، أو معنى لتصيرن في ملتنا، وتستعمل «عاد» بمعنى «صار» في مثل قول الشاعر (بسيط):

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا[1]

أي: فصارا.

وفي قولهم: «عاد من فلان إلى فلان مكروه» أي: صار إليه، وفي مثل قول الشاعر أيضًا (طويل):

فإن تكن الأيام أحسنَّ مرةً إليَّ فَقَدْ عادتْ لهنَّ ذنوبُ[2]

أي: فقد صارت.

وأما قول شعيب عليه السلام: ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها﴾ [الأعراف: ٨٩] فليس اعترافًا بأنه كان فيها، وفيه التأويلان المذكوران، وتأويل ثالث؛ وهو أن يكون من مجاز نسبة فعل البعض إلى الجماعة كقول امرئ القيس:

* وإن تَقْتُلونَا نُقَتِّلْكُمُ *

لأن أكثر قومه كانوا في ملة الكفر؛ فصح استعمال العود في ذلك؛ لأن العود في المعاني أن يرجع الإنسان إلى مثل ما كان عليه، وإن لم يكن «شعيب» في ملتهم قط.

المثال الحادي عشر: قوله: ﴿لا يَسَّمَّعُونَ إلى الملأ الأعلى﴾ [الصافات: ٨]، فضمَّن معنى لا يصغون إلى كلام الملأ الأعلى.

---

(١) المزهر للسيوطي (١/ ١٨٣)، نهاية الأرب (٣/ ٧١)، هارون (١/ ٢٦٨).

(٢) الأخفش ص ٧٥٣، شرح شواهد المغني ٢/ ٦٩٢، وينسب لكعب بن سعد بن عمرو الغنوي.

المثال المثال الثاني عشر: قوله: ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ [يونس: ٤٢] ضمَّن «يستمعون» معنى يصغون، والتقدير: ومنهم فريق يصغون إلى قراءتك.

المثال الثالث عشر: التجوُّز بالكتابة عن الفرض في قوله: ﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس**﴾ [المائدة: ٤٥] الآية، أي: وفرضنا عليهم فيها أن النفس بالنفس.

وفي قوله: ﴿**فلما كُتِبَ عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم**﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وفي قوله: ﴿**ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله**﴾ [الحديد: ٢٧]، وفي قوله: ﴿**كُتب عليكم القتال**﴾ [البقرة: ٢١٦]، وفي قوله: ﴿**كُتِبَ عليكم الصيام**﴾ [البقرة: ١٨٣]، وفي قوله: ﴿**كتب عليكم القصاص**﴾ [البقرة: ١٧٨] أي: فرض عليكم القصاص، ضمَّن «كتب» معنى فرض لإفادة كونه مكتوبًا مفروضًا، والكتابة حادثة، والفرض قديم.

المثال الرابع عشر: التعبير بالكتابة عن القضاء في مثل قوله: ﴿**قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الَّذين كُتِبَ عليهم القتل إلى مضاجعهم**﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي: قضي عليهم في مثل قوله: ﴿**كُتِبَ عليه أنه من تولاه فأنه يُضله**﴾ [الحج: ٤] أي: فرض عليه، فاستفيد من هذا اللفظ كونه مكتوبًا مقضيا.

المثال الخامس عشر: التجوُّز بالوعظ عن الأمر في قوله: ﴿**ولو أنهم فعلوا ما يُوعظون به لكان خيراً لهم**﴾ [النساء: ٦٦] أي: ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به لكان خيرًا لهم.

المثال السادس عشر: التجوُّز بالتذكير عن الأمر في قوله: ﴿**فلما نسوا ما ذُكِّرُوا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء**﴾ [الانعام: ٤٤] أي: فلما تركوا ما أُمروا به فتحنا عليها أبواب كل شيء.

المثال السابع عشر: قوله: ﴿**يؤمنون بالغيب**﴾ [البقرة: ٣] أي: يقرون بالغيب لإفادة معنى التصديق بالقلب، والإقرار باللسان.

وكذلك قوله: ﴿**ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم**﴾ [آل عمران: ٧٣] معناه: ولا تقروا وتعترفوا إلا لمن تبع دينكم.

ومثله قوله: ﴿**آمنوا بالله**﴾ [النساء: ٣٦] معناه: صدقوا بوحدانية الله، وأقروا بها، ضمَّن

آمن معنى أقرَّ، فعدَّاه تعديته فصار متضمنًا لتصديق الجنان، وإقرار اللسان، وإنما سمى الإيمان إيمانًا لأن المصدق قد أمن المحدث من تكذيبه، فلما ضمَّن فيه الإقرار تعدى بالباء فأفاد معنى الأمن والاعتراف.

المثال الثامن عشر: قوله: **﴿قل يا عبادى الَّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾** [الزمر: ٥٣] ضمَّن **﴿أسرفوا﴾** معنى: جنوا.

المثال التاسع عشر: قوله: **﴿ومن يكسب إثمًا فإنما يكسبه على نفسه﴾** [النساء: ١١١] أى: فإنما يجنيه على نفسه، فضمَّن يكسبه معنى يجنيه.

المثال العشرون: قوله: **﴿ومن ضلَّ فإنما يضل عليها﴾** [الإسراء: ١٥] أى: فإنما يجنى على نفسه، فضمَّن **﴿يضل﴾** معنى يجنى.

المثال الحادى والعشرون: قوله: **﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى﴾** [سبأ: ٥٠] معناه: قل إن ضللت فإنما أجنى على نفسى، فضمَّن **﴿أضل﴾** معنى: أجنى.

المثال الثانى والعشرون: قوله: **﴿إلا من سفه نفسه﴾** [البقرة: ١٣٠] فضمن **﴿سفه﴾** معنى جهل لإفادة المعنيين.

المثال الثالث والعشرون: قوله: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وَعُلُوا﴾** [النمل: ١٤] ضمَّن **﴿جحدوا﴾** معنى: كفروا، أو كذبوا.

المثال الرابع والعشرون: قوله: **﴿وكانوا بآياتنا يجحدون﴾** [فصلت: ١٥].

وكذلك قوله: **﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم﴾** [هود: ٥٩] أى: كذبوا بآيات ربهم، أو كفروا بها، فضمَّن **﴿جحدوا﴾** معنى كذبوا أو كفروا، فعدى تعديته.

المثال الخامس والعشرون: قوله: **﴿ومن خَفَّتْ موازينه فأولئك الَّذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾** [الأعراف: ٩] أى: يكذبون بها، أو يكفرون بها ظالمين على التضمين.

المثال السادس والعشرون: قوله: **﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾** [الأعراف: ١٠٣] أى: فكذبوا بها ظالمين، أو فكفروا بها ظالمين، فضمَّن ظلموا

معنى: كذبوا، أو معنى: كفروا لإفادة المعنيين؛ لأن المكذب قد يكون ظالمًا في تكذيبه، وقد يكون محقا فيه.

المثال السابع والعشرون: قوله: ﴿إن الَّذين يلحدون فى آياتنا﴾ [فصلت: ٤٠] أى: يكذبون، ضمَّن ﴿يلحدون﴾ معنى: يكذبون، أى: يكذبون فى وصف آياتنا، أو يميلون عن الصدق، فى وصف آياتنا بأنها سحر وشعر.

وكذلك قوله: ﴿وذروا الَّذين يلحدون فى أسمائه﴾ [الأعراف: ١٨٠] ضمَّن ﴿يلحدون﴾ معنى: يكذبون، أى: يكذبون فى اشتقاق أسمائه فاشتقوا العُزَّى من العزيز، واللاَّت من الله، أو يميلون عن الحق فى أسمائه فتكون أسماؤه بمعنى أوصافه.

المثال الثامن والعشرون: قوله: ﴿وآتينا ثمود النَّاقة مبصرةً فظلموا بها﴾ [الإسراء:٥٩] أى: فكفروا بها ظالمين، أو فكذبوا بها ظالمين [وقيل: فظلموا بعقرها، أى: فظلموا أنفسهم بعقرها، فيكون من مجاز الحذف].

المثال التاسع والعشرون: قوله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك﴾ [الإسراء:٧٣] أى: ليصرفونك عن اتباع الذى أوحينا إليك مفتونًا.

وكذلك قوله: ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ [المائدة: ٤٩] معناه: واحذرهم أن يصرفوك عن اتباع بعض ما أنزله الله إليك مفتونًا.

المثال الثلاثون: قوله: ﴿إن الَّذين يأكلون أموال اليتامى ظُلْمًا إنما يأكلون فى بطونهم نارًا﴾ [النساء: ١٠] ضمَّن ﴿يأكلون﴾ معنى: يحشون، أو يلقون، أو يطرحون، أو يدخلون؛ لأن الأكل لا يقع فى البطون، وإنما يقع فى الأفواه.

ومثله قول الشاعر (وافر):

* كُلُوا فى بعض بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا(١) *

---

(١) لم أهتد لقائله، المقتضب للمبرد ٢/ ١٧٢، زاد المسير ١/ ٢٨، هارون ١/ ٢٠٣. وعجز البيت هو:
* فإنَّ زمانكم زمنٌ خميصُ *

المثال الحادى والثلاثون: قوله: ﴿إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ [القصص: ٨٥] ضمَّن ﴿فرض﴾ معنى: أنزل ليفيد معنى الفرض والإنزال.

المثال الثاني والثلاثون: قوله: ﴿ما كان على النّبى من حرج فيما فرض الله له﴾ [الاحزاب: ٣٨] مضمن معنى: أحل له.

المثال الثالث والثلاثون: قوله: ﴿وتخشى النّاسَ والله أحقُّ أن تخشاه﴾ [الاحزاب: ٣٧] مضمن معنى: وتستحيى النّاس والله أحق أن تستحييه.

المثال الرابع والثلاثون: قوله: ﴿يستخفون من النّاس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ [النساء: ١٠٨] أو جعله من مجاز الملازمة؛ لأن من استحيى من شيء استخفى منه غالبًا.

المثال الخامس والثلاثون: قوله: ﴿ومُطَهِّرُكَ من الَّذين كفروا﴾ [آل عمران: ٥٥] مضمن معنى: ومميزك من الَّذين كفروا.

المثال السادس والثلاثون: قوله: ﴿يأيُّها الَّذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ [النور: ٢٧] مضمن معنى: تستأذنوا ليفيد الاستئناس والاستئذان جميعًا.

المثال السابع والثلاثون: قوله: ﴿يأيُّها الَّذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النّبى إلا أن يُؤذن لكم إلى طعامٍ غير ناظرين إناه﴾ [الاحزاب: ٥٣] مضمن: إلا أن تُدْعَوْا إلى طعام غير ناظرين إناه.

المثال الثامن والثلاثون: قوله: ﴿إن الله لا يُصلح عمل المفسدين﴾ [يونس: ٨١] مضمن معنى: لا يرضى عمل المفسدين، أو يكون من مجاز الحذف تقديره: لا يُصلح عاقبة عمل المفسدين.

المثال التاسع والثلاثون: قوله: ﴿فاستقيموا إليه﴾ [فصلت: ٦] مضمن معنى: فأنيبوا إليه، أى: فارجعوا إلى توحيده، وقيل: مضمن معنى: فاذهبوا إليه كقوله: ﴿وقال إنى ذاهبٌ إلى ربِّى سيهدين﴾ [الصافات: ٩٩].

المثال الأربعون: قوله: ﴿فليحذر الَّذين يُخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يُصيبهم عذابٌ أليم﴾ [النور: ٦٣] مضمن معنى: يميلون، أو يعرضون، أو يعدلون.

المثال الحادى والأربعون: قوله: ﴿أن تبروهم وتُقسطوا إليهم﴾ [الممتحنة: ٨] ضمَّن ﴿تقسطوا﴾ معنى: تحسنوا؛ لإفادة معنى العدل والإحسان جميعًا؛ فعدَّاه تعدية تحسنوا.

المثال الثانى والأربعون: قوله: ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا﴾ [الأحزاب: ٦] ضمَّن ﴿تفعلوا﴾ معنى: أن تسدوا، أو توصلوا؛ لإفادة المعنيين.

المثال الثالث والأربعون: قوله: ﴿هلك عَنِّى سُلْطَانيه﴾ [الحاقة: ٢٩] ضمَّن ﴿هلك﴾ معنى: زال وذهب ليفيد المعنيين.

المثال الرابع والأربعون: قوله: ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ [البقرة: ١٨٥] أى: ولتحمدوا الله، فضمَّن ﴿تكبروا﴾ معنى: تحمدوا؛ لإفادة المعنيين.

المثال الخامس والأربعون: قوله: ﴿وإذا الرُّسل أُقتت﴾ [المرسلات: ١١] أى: جُمِعَتْ لوقتٍ، فضمَّن ﴿أُقتت﴾ معنى: جُمعت؛ لإفادة المعنيين.

المثال السادس والأربعون: قوله: ﴿وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم﴾ [الواقعة: ٦٠، ٦١] ضمَّن ﴿بمسبوقين﴾ معنى: بمغلوبين، يقال غلبه على كذا، أو سبقه إلى كذا، ولا يقال: سبقه على كذا إلا مضمنًا.

المثال السابع والأربعون: قوله: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا﴾ [المائدة: ٨] معناه: ولا يحملنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، فضمَّن يجرمنكم معنى يحملنكم؛ لإفادة المعنيين.

المثال الثامن والأربعون: تضمين «مَنْ» معنى النفى، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ومن يَرْغَبُ عن ملَّة إبراهيم إلا من سَفِهَ نَفْسَه﴾ [البقرة: ١٣٠] معناه: ولا يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه.

الثانى: قوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ﴾ [الأنعام: ٢١] معناه: ولا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا.

الثالث: قوله: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها﴾ [البقرة: ١١٤] معناه: ولا أحد أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعى فى خرابها.

الرابع: قوله: ﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته﴾ [هود: ٦٣] معناه: فلا أحد ينصرني من الله إن عصيته.

الخامس: قوله: ﴿ومن أصدق من الله حديثًا﴾ [النساء: ٨٧] معناه: ولا أحد أصدق من الله قولاً.

المثال التاسع والأربعون: تضمين «مَنْ» معنى الاستفهام، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿مَنْ إلهٌ غير الله يأتيكم به﴾ [الانعام: ٤٦].

الثاني: قوله: ﴿قل مَنْ يرزقكم من السماء والأرض﴾ [يونس: ٣١].

الثالث: قوله: ﴿وقيل مَنْ راق﴾ [القيامة: ٢٧].

وكذلك قوله: ﴿مَنْ إلهٌ غير الله يأتيكم بضياء﴾ [القصص: ٧١]، وقوله: ﴿مَنْ إلهٌ غير الله يأتيكم بليل﴾ [القصص: ٧٢] وهو كثير في النظم، والنثر، والقرآن.

المثال الخمسون: تضمين «مَنْ» معنى الشرط، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ومن يُولِّهم يومئذ دُبُرَهُ إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة فقد باء بغضب من الله﴾ [الانفال: ١٦].

الثاني: قوله: ﴿من يعمل سوءًا يُجْزَ به﴾ [النساء: ١٢٣].

الثالث: قوله: ﴿ومن يُردْ فيه بإلحاد بظلم نُذِقْه من عذاب أليم﴾ [الحج: ٢٥].

الرابع: قوله: ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يُضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف: ٩٠].

الخامس: قوله: ﴿إنه من يأت ربَّه مجرمًا فإن له جهنم﴾ [طه: ٧٤].

السادس: قوله: ﴿ومن يُوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩].

وهو كثير في النظم، والنثر، والقرآن، ومثاله في النظم قول الشاعر (طويل):

وَمَنْ يجعل المعروفَ مِنْ دون عرضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يتَّقِ الشتمَ يُشْتَمِ[1]

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى (نهاية الأدب ٣/ ٦٢).

وكذلك ما تضمن معنى الشرط والاستفهام.

وكذلك الذى تضمن معنى الشرط.

ومثاله فى الشرط قوله: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ [البقرة: ١٩٧].

ومثاله في الاستفهام قوله: ﴿الحاقة * ما الحاقة﴾ [الحاقة: ١، ٢]، وقوله: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ [عبس: ٣]، وقوله: ﴿وما أدراك ما هيه﴾ [القارعة: ١٠].

ومثاله فى «الذى» قوله: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم﴾ [البقرة: ٢٧٤].

* * *

الفصل الثالث والأربعون

فى مجاز اللزوم

وهو أنواع:

أحدها

التعبير بالإذن عن المشيئة

لأن الغالب أن الإذن فى الشىء لا يقع إلا بمشيئة الآذن واختياره، والملازمة الغالبة مصححة للمجاز، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ [آل عمران: ١٤٥] أى: إلا بمشيئة الله، ويجوز فى هذا أن يراد بالإذن أمر التكوين، والمعنى: وما كان لنفس أن تموت إلا بقول الله موتى، ونظيره قوله: ﴿فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾ [البقرة: ٢٤٣] تقديره: فقال لهم الله موتوا فماتوا، ثم أحياهم، فحذف فماتوا لدلالة قوله: ثم أحياهم عليه، ومثله قوله: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ [يونس: ١٠٠].

المثال الثانى: قوله: ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله﴾ [آل عمران: ٤٩]

أى: بمشيئة الله، أو بأمر التكوين، فإن الأمر يلازمه مشيئة الآمر غالبًا كما يلازم الإذن مشيئة المريد غالبًا.

المثال الثالث: قوله: ﴿الر كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ [إبراهيم: ١] أى: بمشيئة ربهم، أو بأمر ربهم إياك بذلك، فالإذن من مجاز الملازمة، والظُّلمات والنُّور، والصراط من مجاز المشابهة، ونسبة الإخراج إليه ﷺ من مجاز نسبة الفعل إلى سببه كما ذكرناه.

المثال الرابع: قوله: ﴿ويخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور بإذنه﴾ [المائدة: ١٦] أى: بمشيئته، أو بأمره إياه بذلك.

المثال الخامس: قوله: ﴿فهزموهم بإذن الله﴾ [البقرة: ٢٥١] أى: بمشيئته وإرادته.

وقال ابن عباس: بأمر الله، أى: بقوله: «كن». وهذا من مجاز التمثيل؛ شبَّه سهولة الأشياء فى قدرته بسهولة هذه الكلمة على من ينطق بها؛ تفهيمًا لسرعة نفوذ مشيئته وقدرته فيما يريده ويقصده.

النوع الثانى

التعبير بالإذن عن التيسير والتسهيل

فى مثل قوله: ﴿والله يدعو إلى الجنَّة والمغفرة بإذنه﴾ [البقرة: ٢٢١] أى: بتسهيله وتيسيره، إذْ لا يحسن أن يقال: دعوته بإذنى، ولا قمت، وقعدت بإذنى، وهذا قول الزمخشرى

ويجوز أن يراد بالإذن ههنا الأمر، أى: يدعوكم إلى الجنَّة والمغفرة بأمره إياكم بطاعته، وكلاهما من مجاز الملازمة.

النوع الثالث

تسمية ابن السبيل

فى قوله: ﴿وابن السبيل﴾ [البقرة: ١٧٧] لملازمته الطريق كما يلازم الولد أمه.

النـــوع الرابـع

نفى الشيء لانتفاء ثمرته وفائدته للزومهما عنه غالباً

فى مثل قوله: ﴿كـيف يكون للمشـركين عهـد﴾ [التوبة: ٧] أى: وفاء عـهد أم إتمام عهد، فنفى العهد لانتفاء ثمرته، وهو الوفا، والإتمام، وفى مثل قوله: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقـاتلوا أئمةَ الكفر إنهم لا أَيْمانَ لهم﴾ [التوبة: ١٢] نفى الأيمان بعد إثباتهـا لانتفاء ثمرتهـا، وهو البر، والوفاء، ويجوز أن يكون من مـجاز الحذف تقديره: إنهم لا وفاء أيمان لهم، ومثله قول الشاعر (طويل) :

وإنْ حلفتْ لا يُنقض النأىُ عَهْدَها فلـيس لمخضـوبِ البنـانِ يمـينُ

أى: وفاء يمين.

وأما قوله: ﴿وما آتيـتـم من ربا ليربوَ فى أموال النَّاس فلا يربو عند الله﴾ [الروم: ٣٩] فتـقديره: فلا يربـو أجره وثوابه عند الله أى: لا يزيد، ولا يضاعف كـما تربو الصـدقات وتضاعف، فهو ممـا نفى فرعه لانتفاء أصله؛ لأن الزيادة فرع للمـزيد عليه، فإذا نفى أصل الثواب المزيد انتفت الزيادة المضاعفة، وصار كقول الشاعر (طويل) :

* علـى لاحبٍ لا يُـهْـــتَـــدَى بمـنارِه[1] *

فإن الاهتداء بالمنار فرع له ومبنى عليـه، فإذا انتفى المنار انتفـى الاهتـداء، والمعنـى: لا ثواب له فيربو، ولا منار له فيهتدى به.

وأما قوله: ﴿ولم يكن له ولى من الذل﴾ [الإسراء: ١١١] فتـقديره: ولم يكن له ولى من خوف الـذل فنفى الولى لانتفـاء خوف الذل، فـإن اتخاذ الولى فرع مـن خوف الذل، ومسبب عنه، ويطلـق الولى على الذى يتولى النصر من الحلفاء، وأجناد الملوك فـيجوز أن يريد بالولى الحليف كما ذكره مجاهد؛ لأنه الذى كانت العرب تتعاطاه للخوف، ويجوز أن يراد به الجند والحلفاء جميعًا، لإجل ذكر الملك.

---

(١) البيت لامرئ القيس: ديوانه ص ٦٦، نهاية الأرب ٧/ ١٦٣، هارون ١/ ١٣٨، وعجز البت:

* إذا ساقه العود النباطىُّ جَرْجَرَا *

النـــوع الخـامس

التجوُّز بلفظ الريب عن الشك لملازمة الشك القلق والاضطراب

فإن حقيـقـة الريب قلق النفس؛ بدليل قوله: ﴿نتـربص به ريب المنون﴾ [الطور: ٣٠] أى: متعلقات الدهر، وبدليل قوله ﷺ: «فى الظبى الحاقف لا يربه أحد» أى لا يقلقه أحد، وقوله ﷺ: «إن فاطمة بضعة منى يريبنى ما يريبها»، وقال أبو ذؤيب الهذلى (كامل) :

* أمِـنَ المنـونِ وريبـه تتوجـــعُ *(١)

وأمثلته فى القرآن كثيرة، كقوله: ﴿لا ريب فيه﴾ [البقرة: ٢] أى: لا شك فى إنـزاله، أو فى هدايته، وكـقوله: ﴿وارتابت قلوبهم﴾ [التوبة: ٤٥] أى: وشكت قلوبهم وكـقوله: ﴿إن الساعة آتية لا ريب فيها﴾ [غافر: ٥٩] أى: لا شك فى إتيانها، أو فى جوازها.

النـــوع الســـادس

التعبير بالمسافحة عن الزنا

لأن السفح صب المنى، وهو مـلازم للجماع غـالبًا لكنه خص بالزنا، إذْ لا غرض فـيه سوى صب المنى بـخلاف النكاح، فإن مـقصوده الـولد، والتعاضـد، والتناصر بالأخـتان، والأصهـار، والأولاد، والأحفاد، ومثـاله قوله: ﴿محصنين غيـر مسافحين﴾ [النساء: ٢٤] أى: غير مزانين وقوله: ﴿محصنات غير مسافحات﴾ [النساء: ٢٥] أى: غير مزانيات.

النـــوع الســابــع

التعبير بالمحل عن الحال

لما بينهما من الملازمة الغالبة كالتعـبير باليد عن القدرة والاستيلاء، والعين عن الإدراك، والصدر عن القلب، وبـالقلب عن العقل، وبالأفواه عن الألسن، وبـالألسن عن اللغات، وبالقرية عن قاطنيـها، وبالساحة عن نازليها، وبالـنادى والندىّ عن أهلها، وبالغائط ـ وهو المكان المنخـفض ـ عمـا يخرج من الإنســان؛ لأنهم كانوا فى الغـالب يقـضون الحاجـة فى

(١) ديوان الهزليين ص ١، شرح شواهد المغنى ١/ ٢٦٢.

الأماكن المنخفضة تسترًا عن الناس.

فأما التعبير باليد عن القدرة والاستيلاء، فله أمثلة:

أحدها: قوله تبارك وتعالى: ﴿**تبارك الذي بيده المُلك**﴾ [الملك: ١] أي: بقدرته، أي: في قدرته وقهره واستيلائه الملك.

ومثله قوله: ﴿**قل لمن في أيديكم من الأُسَارى**[1]﴾ [الأنفال: ٧٠] أي: في قهركم واستيلائكم.

وكذلك القول المتداول من علماء الشريعة وغيرهم من قولهم: «الدار، والبستان، والحمام بيد فلان» أي: في استيلائه.

المثال الثاني: قوله: ﴿**أولَم يروا أنَّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا**﴾ [يس: ٧١] أي: مما صنعته قدرتنا.

المثال الثالث: قوله: ﴿**بيدك الخير**﴾ [آل عمران: ٢٦] أي: في استيلائك وقبضتك الخير.

وأما التعبير بالعين عن الإدراك، فله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿**أم لهم أعين يبصرون بها**﴾ [الأعراف: ١٩٥] أي يبصرون بإدراكها، أو بنورها.

المثال الثاني: قوله: «رأته عيناي» وإنما رآه بصر عينيه.

وأما التعبير بالصدر عن القلب، فله أمثلة:

أحدها: ﴿**فلا يكن في صدرك حرج منه**﴾ [الأعراف: ٢] أي: في قلبك.

المثال الثاني: قوله ﴿**وما تُخفي صدورهم أكبر**﴾ [آل عمران: ١١٨] معناه: وما تخفيه قلوبهم أكبر.

المثال الثالث: قوله: ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام**﴾ [الزمر: ٢٢] التقدير: أفمن وسَّع الله قلبه للإسلام.

---

(١) هكذا في سائر الأصول، وهي قراءة أبي جعفر وأبي عمرو وقتادة، ونصر بن عاصم وابن أبي إسحاق، وقرأ الباقون «الأسْرى» (المحرر الوجيز ٦/ ٣٨٤).

المثال الرابع: قوله: ﴿إنْ في صدورهم إلا كِبْرٌ ما هم ببالغيه﴾ [غافر: ٥٦] أي: ما في قلوبهم إلا طلب كبر، أو إرادة كبر ما هم ببالغيه.

وأما التعبير بالقلب عن العقل، فله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي: إن في ذلك لإيقاظًا لمن كان له عقل.

الثاني: قوله: ﴿لهم قلوبٌ لا يفقهون بها﴾ [الاعراف: ١٧٩] أي: لهم عقول لا يفهمون بها، ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره: لهم قلوب لا يفهمون بعقولها كما في قوله: ﴿ولهم آذانٌ لا يسمعون﴾ [الاعراف: ١٧٩] بأسماعها، أو بإدراكها، فإن السمع ليس في الأذن؛ فتعيَّن الحذف ههنا.

وكذلك قوله: «سمعته أذناي» معناه: سمعه سمع أذني أو إدراك أذني.

وأما التعبير بالأفواه عن الألسن، فله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿من الَّذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ [المائدة: ٤١] تقديره: من الَّذين قالوا بألسنتهم آمنا.

المثال الثاني: قوله: ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ [النور: ١٥] أي: بألسنتكم، وقد صرح بهذا في قوله: ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ [الفتح: ١١].

وأما التعبير بالألسن عن اللغات، فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ [مريم: ٩٧] أي: بلغتك.

المثال الثاني: قوله: ﴿بلسان عربيٍّ مُبين﴾ [الشعراء: ١٩٥] أي: بكلام عربي مبين.

المثال الثالث: قوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ [إبراهيم: ٤] أي: بلغة قومه.

المثال الرابع: قوله: ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ [الروم: ٢٢] أي: واختلاف لغاتكم وألوانكم.

المثال الخامس: قوله: ﴿واجعل لى لسانَ صدقٍ فى الآخرين﴾ [الشعراء: ٨٤] أى: ذكرًا جميلاً وثناءً حسناً.

المثال السادس: قوله: ﴿هو أفصح مِنِّى لسانًا﴾ [القصص: ٣٤] أى: هو أَبْيَنُ مِنِّى قولاً، وأوضح مِنِّى كلامًا.

وأما التعبير بالقرية عن قاطنيها، ففى قوله: ﴿واسأل القرية التى كُنَّا فيها﴾ [يوسف: ٨٢].

وأما التعبير بالساحة عن نازليها، ففى قوله: ﴿فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾ [الصافات: ١٧٧] معناه: فإذا نزل بهم.

وأما التعبير بالنادى والندى عن أهلها، ففى قوله: ﴿فليدعُ ناديه﴾ [العلق: ١٧] أى: فليدع أهل ناديه.

وقوله: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتُنا بيناتٍ قال الَّذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خيرٌ مقامًا وأحسن نَديا﴾ [مريم: ٧٣] معناه: وأحسن أهل مجلس.

وأما التعبير بالغائط - وهو المكان المنخفض - عما يخرج من الإنسان، ففى قوله: ﴿أو جاء أحدٌ منكم من الغائط﴾ [النساء: ٤٣].

النوع الثامن

التعبير بالإرادة عن المقاربة

لأن من أراد شيئًا قربت مواقعته إياه غالبًا

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿فوجدا فيها جداراً يُريد يريد أن ينقضَّ فأقامه﴾ [الكهف: ٧٧] أى: تقارب الانقضاض.

المثال الثانى: قول الشاعر (وافر):

يريدُ الرُّمحُ صدرَ أبى براءٍ ... ويرغبُ عن دماءِ بنى عقيلٍ[1]

(١) تأويل المشكل لابن قتيبة (ص ١٧٣) وعزاه للوليد بن عقبة. الاستذكار لابن عبد البر=

وأما قوله: ﴿يغشى الليل النهار يطلبه حثيثًا﴾ [الاعراف: ٥٤] فالطلب من مجاز التشبيه، شبَّه سرعة مجيء النهار فى أثر الليل بمن يطلب شيئًا طلبًا سريعًا.

النـــوع التـــاسع

التجوُّز بترك الكلام عن الغضب؛ لأن الهجران وترك الكلام يلازمان الغضب غالبًا

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم﴾ [البقرة: ١٧٤].

المثال الثانى: قوله: ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم﴾ [آل عمران: ٧٧].

النـــــوع العـــاشــر

التجوُّز بنفى النظر عن الإذلال والاحتقار؛ لأن الاحتقار بالشيء يلازمه فى الغالب الإعراض عنه

ومثاله قوله: ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ [آل عمران: ٧٧].

النـــــوع الحـــادى عشــر

التجوُّز باليأس عن العلم؛ لأن اليأس من نقيض العلوم ملازم للعلم غير منفك عنه

ومثاله قوله: ﴿أفلم ييأس الَّذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى النَّاس جميعًا﴾ [الرعد: ٣١].

النـــــوع الثـــانى عشـــر

التعبير بالدخول عن الوطء؛ لأن الغالب من الرجل إذا دخل بامرأته أن يطأها فى ليلة عرسها

ومثاله قوله: ﴿وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم

=(ص١٣١) وعزاه للحارثى، ولم ينسبه لقائله القرطبى فى أحكام القرآن ١١/ ٢٦ ، والشريف الرضى فى مجاز القرآن (٢١٧) .

تكونوا دخلتم بهن فلا جُنَاحَ عليكم﴾ [النساء: ٢٣].

النـــــوع الثـالـث عشـــر

وصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه

وله أمثلة:

أحدها: قـوله: ﴿فذلك يومئذ يومٌ عسير﴾ [المدثر: ٩] وصفـه بالعسر، وهو صـفة للخلاص من أهوال ذلكَ اليوم.

المثال الثـانى: قوله: ﴿فيأخذكم عـذاب يوم عظيم﴾ [الشعراء: ١٥٦] وصف اليـوم بالعظم، وهو صفة للعذاب الواقع فيه.

وكذلك قوله: ﴿إنى أخـاف عليكم عـذاب يوم أليم﴾ [هود: ٢٦] وصفـه بالألم، وهو صفة للعذاب الواقع فيه.

وأما قوله: ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ [الحج: ٥٥] فإنه من مجاز التشبيه شبَّه اليوم فى انقطاع خيره بانقطاع ولادة العقيم.

المثال الثالث: قوله: ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ [هود: ٧٧] وصفه بكونه عـصيبًا، وهو صفة للشر الذى يقع فيه.

المثال الرابع: قوله: ﴿وذلك يومٌ مشهود﴾ [هود: ١٠٣] وصفه بصفة ما يقع فيه، أى: مشـهود فيـه على النَّاس بأعمالهـم، والشهود: الحـفظة، والرسل، والجوارح، والأرض، ورب العالمين.

المثال الخامـس: وصفه بالعبوس والشـدة فى قوله: ﴿إنا نخـافُ من ربِّنَا يومًا عبـوسًا قمطريرًا﴾ [الإنسان: ١٠] والعبـوس صفـة للكفار، والشـدة صفة للعـذاب الواقع فى ذلك اليوم، ومن ذلك قولهم: «يوم بارد، ويوم حار، ويوم قـر، وليلة قرٌ، والبرد والحر والقر صفات للهواء الذى يشتمل عليـه الليل والنهار، ويقال: يوم ماطر، وليلة ماطرة، وإنما المطر فى اليوم والليلة.

المثال السادس: قوله: ﴿مثل الَّذين كفروا بربِّهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف﴾ [إبراهيم: ١٨] وصف اليوم بالعصف، وهو صفة للرياح، ويجوز أن يكون من مجاز الحذف ﴿اشتدت به الريح فى يوم﴾ ذى ريح ﴿عاصف﴾.

المثال السابع: قوله: ﴿والنَّهار مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧] أى: مبصرًا فيه، فوصفه بصفة المبصرين فيه. قال أبو عبيدة: «كل شىء يعمل فيه يصير العمل له».

قال جرير (طويل):

لقد لُمْتِنَا يا أمَّ غَيْلان فى السُّرى ... ونمتِ وما ليلُ المَطِىِّ بنائمِ(١)

وقال رؤبة (رجز):

* فنام لَيْلِى وتَجَلَّى هَمِّى *(٢)

والليل لا ينام وإنما ينام فيه.

الثامن: وصف الأشهر الحرم والشهر الحرام بالتحريم، وذلك صفة لها بصفة ما يقع فيها من القتال فى مثل قوله: ﴿منها أربعةٌ حرم﴾ [التوبة: ٣٦]، وقوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ [التوبة: ٥]، وقوله: ﴿لا تُحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام﴾ [المائدة: ٢]، ومثله قوله: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ [البقرة: ١٩٤].

النوع الرابع عشر

وصف المكان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ربِّ اجعل هذا البلد آمنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

الثانى: قوله: ﴿ربِّ اجعل هذا بلدًا آمنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] وصف البلد بالأمن، وهو صفة لأهله.

---

(١) الديوان ص ٥٥٣، تفسير القرطبى ٨/ ٣٣٢، هارون ١/ ٣٦٢.

(٢) الديوان ص ١٤٢، زاد المسير ١/ ٣٨، هارون ٢/ ٥٣٨. وعجز البيت:

* وقد تجلَّى كربُ المُحَتَّم *

الثالث: قوله: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ [التين: ٣].

الرابع: قوله: ﴿إن المتقين فى مقام أمين﴾ [الدخان: ٥١] وصفه بذلك، وهو صفة لأهله.

الخامس: وصف مكة بالتحريم فى قوله: ﴿إنما أُمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة الذى حَرَّمها﴾ [النمل: ٩١] أى: الذى حرم محرماتها كعضد شجرها، واختلاء خلاها، وتنفير صيدها، والتقاط لقطتها إلا لمنشد، فالتحريم صفة شرعية لهذه الأفعال المكتسبة الواقعة فيها.

السادس: قوله: ﴿بلدة طيبة﴾ [سبأ: ١٥] وصفها بالطيب وهو صفة لهوائها.

النوع الخامس عشر

وصف الأعراض بصفة من قامت به

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فإذا عزم الأمر﴾ [محمد: ٢١] والعزم صفة لذوى الأمر.

المثال الثانى: قوله: ﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾ [النمل: ٧٦] القاص على الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ.

المثال الثالث: قوله: ﴿يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين﴾ [يس: ١- ٣]، وصفه بالحكم أو الحكمة، وكلاهما وصف للمتكلم به يحتمل أن يكون أقسم بالقرآن الأزلى، أو أقسم بالمنزل؛ بدليل قوله: ﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ [الدخان: ١-٣] أقسم بالكتاب المنزل، وليس بقديم.

المثال الرابع: قول الشاعر (كامل):

* وغريبةٍ تأتى الملوكَ حكيمةٍ[1] *

وصفها بصفة مسببها.

---

(١) البيت للأعشى (معجم شواهد العربية لهارون ١/ ٢٧٣). وعجز البيت:

* قد قلتها ليقال من ذا قالها *

المثال الخامس: قوله: ﴿ويستفتونك في النِّساء قل الله يُفتيكم فيهن وما يُتلى عليكم في الكتاب في يتامى النِّساء﴾ [النساء: ١٢٧] فجعل المتلو مفتيا، والمفتي على الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ.

المثال السادس: قوله: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ [البقرة: ١٦] وصف التجارة بالربح، وهو صفة للتاجر، وقد يصف الأعيان بصفة مالكها كقولك: ربحت دراهمك، وخسرت دراهمك، والرابح والخاسر هو التاجر.

المثال السابع: قوله: ﴿يأيُّها الَّذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا﴾ [التحريم: ٨] وصف التوبة بالنصوح وهو صفة للتائب الناصح لنفسه بتوبته.

المثال الثامن: قوله: ﴿قالوا تلك إذًا كَرَّة خاسرة﴾ [النازعات: ١٢] وصف الكَرَّة بالخسران، وهو صفة للكارِّين.

المثال التاسع: قوله: ﴿فأمَّا من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية﴾ [الزلزلة: ٦، ٧]، وصف العيشة بالرضى وهو صفة للراضي بها، ويجوز أن يكون من باب النسب كلابن وتامر، ومعناه: فهو في عيشة ذات رضى.

المثال العاشر: قوله: ﴿إنما توعدون لصادق﴾ [الذاريات: ٥] معناه: إن وعدكم بالبعث لصادق.

المثال الحادي عشر: قولهم: «هذا شعرٌ شاعر» وصفوا الشعر بصفة الشاعر مبالغة، ومثله قولهم: «جد جده» وصفوا الجد بصفة الجاد.

النوع السادس عشر

الكنايات

كما جاء في قول إحدى النسوة في حديث أم زرع: «زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من النَّاد»[1] كنَّت برفعة عماده عن شرفه ومنزلته؛ لأن رفع العماد يلازم الشرف غالبًا، وكنت عن طول قامته بطول نجاد سيفه؛ لأن من طالت

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في النكاح ٥١٨٩، مسلم : في فضائل أعمال الصحابة ٢٤٤٨ .

قامته طال نجاد سيفه، وكنت بعظم رماده عن كثرة ضيافته وإطعامه؛ لأن الرماد لا يعظم إلا عن كثرة الطبخ والإحراق للحطب الكثير، وكنت بقرب بيته من المجلس عن كرمه؛ لأن البخلاء كانوا يبعدون بيوتهم عن المجلس كيلا يستتبعون الأضياف منه، وكانوا ينزلون في المواضع المنخفضة كيلا يراهم الضيفان فيأتونهم، ولذلك قال طرفة بن العبد (طويل) :

ولست بحلال التّلاع مخافةً   ولكنْ متى تسترفد القوم أرْفد(١)

والتّلاع جمع تلعة، وهي من الأضداد يطلق على الارتفاع والانخفاض.

والظاهر أن الكناية ليست من المجاز؛ لأنها استعملت اللفظ فيما وضع له، وأرادت به الدلالة على غيره، ولم تخرجه عن أن يكون مستعملاً فيما وضع له، وهذا شبيه بدليل الخطاب في مثل قوله: ﴿فلا تقل لهما أفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفي مثل نهيه ﷺ عن التضحية بالعوراء والعرجاء.

* * *

الفصل الرابع والأربعون

في مجاز التشبيه

العرب إذا شبّهوا جرمًا بجرم، أو معنى بمعنًى أو معنًى بجرم، فإن أتوا بأداة التشبيه كان ذلك تشبيهًا حقيقيا، وإن أسقطوا أداة التشبيه كان ذلك تشبيهًا مجازيا، ولذلك أمثلة:

منها: قوله: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب: ٦] أي: مثل أمهاتهم في الحرمة، وتحريم النكاح.

ومنها: قوله: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ [الأحزاب: ٤] أي: مثل أبنائكم في تحريم حلائلكم.

ومنها: قوله: ﴿أو نتّخذه ولدًا﴾ [يوسف: ٢١] أي: مثل ولد.

ومنها: قوله: في الدّعي: زيدُ بن محمد.

---

(١) الديوان ص ٢٤، هارون ١/ ١١٢ .

ومنها: قول رسول الله ﷺ للمغيرة: «**يا بني ما ينصبك منه**»(١) أى: من الدجال.

وكذلك قولك للأجنبي: «يا بنى» معناه: يا نظير بنى فى الشفقة والرحمة.

ومنها: قولهم: أبو يوسف، أبو حنيفة: يريد أنه مثله فى الفقه والفطنة.

ومنها: قول الناس فى مخاطباتهم: أنا عبدك ومملوكك، إنما يريدون بذلك: أنا لك مثل العبد والمملوك.

وكذلك قولهم: أنت سمعى، وبصرى، معناه: أنت عندى فى العزة والمنزلة مثل سمعى وبصرى.

ومنها: قوله ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**»(٢)، وفى هذا الحديث مجاز من وجهين:

أحدهما: تشبيههما بما يملكه الأب.

والثانى: أنه أمرٌ بلفظ الخبر، ومعناه: نَزِّل نفسك ومالك من أبيك منزلة المملوك من المالك، وهذا كله يسمى التشبيه البليغ؛ لأنك قد تشبِّه شيئًا بشيء لاشتراكهما فى وصف واحد، فإذا أردت المشابهة فى جميع الوجوه والصفات أسقطت أداة التشبيه حتى كأنه هو من غير فرق بينهما.

وكذلك قد يكون المُشبَّه دون المُشبَّه به فى الصفة كقولك: زيد كالأسد، وعمرو كالبحر، فإذا أردت المبالغة فى صفة الشجاعة والكرم قلت: زيد الأسد، وعمرو البحر؛ شبَّه الرجل الشجاع بالأسد لمشابهته الأسد فى القوة، وشبَّه الرجل الجواد بالبحر تشبيهًا لسعة عطائه بسعة البحر، ومثله قوله: ﴿**هذا الذى رُزقنا من قبل**﴾ [البقرة: ٢٥] أى: هذا مثل الذى رُزقناه من قبل.

ومنها: قوله: ﴿**فهل ينظرون إلا سنة الأولين**﴾ [فاطر: ٤٣] أى: مثل سُنَّة الأولين.

وقوله: ﴿**إلا أن تأتيهم سُنَّة الأولين**﴾ [الكهف: ٥٥] أى: مثل سنة الأولين.

---

(١) أخرجه: مسلم فى الآداب ٢١٥٢، أحمد فى المسند ١٧٧٠٢.

(٢) أخرجه: ابن ماجه فى التجارات ٢٢٩١، أحمد فى المسند ٦٨٦٣.

ومنها: قوله: ﴿**فإني أعذبه عذابًا لا أُعذبه أحدًا من العالمين**﴾ [المائدة: ١١٥] أي: لا أعذب مثله أحدًا من العــالمين، وكذلك قوله: ﴿**اتقوا ما بين أيديكم**﴾ [يس: ٤٥] أي: مثل ما بين أيديكم.

❁ ❁ ❁

فنذكر أنواعًا من مجاز التشبيه:

أحــــدهــا

قوله: لما نُحِتَ على صورة الإنسان إنسان، ولما صوِّر بصــورة الشجر شجرة، ولما صور على صور الحيوان حيوان، ومنه قوله تعالى: ﴿فأخرج لهم عجلاً جسدًا له خوار﴾ [طه: ٨٨] وهذا من مجاز تشبيه الأجرام بالأجرام.

النــــوع الثــــانــى

التجوُّز بلفظ الصراط، والطريق، والسبيل، والشرعة، والمنهاج والخطوات عن الطاعة، والعصيان، والكفر، والإيمان

وكل فـعل يؤدى إلى خيـر أو ضيـر الطريق الحقـيقى مـؤد إلى المقاصـد، فـتجـوَّزوا بلفظه عن كل مـا أدى إلى خـير أو شـر من العـقائد، والأقـوال، والأعمال لمشابـهته الطريق الحقيقى فـيما يؤدى إليه من المقاصد، وغـير المقاصد وهو من مجاز تشبيه المعانى بالأجرام.

أحدها: قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] قيل: المراد بالصراط المسـتقيم: الإسلام لأدائه إلى الجنان، ورضى الرحمن.

وقيل: الصراط المستقيم: اتباع القرآن.

وفى التعبيـر عن الدين بالصراط ترغيب فى اتباعه؛ لأن كونـه صراطًا مُشعرٌ بأدائه إلى رضى الله، وثوابه، والدين لا يشعر بمثل ذلك.

المثال الثانى: قوله: ﴿وأن هذا صراطى مستـقيمًا فاتَّبعوه ولا تتـبعوا السبل فتَفَرَّق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام: ١٥٣] أشار بـ ﴿هذا صراطى﴾ إلى دين الإسلام؛ لأنه مؤدٍّ إلى ثوابه، وعبَّر بالسبل عن اليهودية، والنصرانية، والمجوسية؛ لأنها مؤدية إلى عقابه.

المثال الثـالث: قوله: ﴿يهـدى إلى الحقِّ وإلى طريق مُسْتَقـيم﴾ [الأحقاف: ٣٠] معناه: يهدى إلى الدين الحق، وإلى شرع مستقيم.

المثال الرابع: قوله: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقًا * إلا طريقَ جهنم﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

المثال الخامس: قوله: ﴿واتَّبِعْ سبيل مَنْ أناب إليَّ﴾ [لقمان: ١٥] أى: واتبع دين من رجع إلى توحيدى وطاعتى.

المثال السادس: قوله: ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله﴾ [التوبة: ٤١] إن حملت السبيل على الإسلام كان التقدير: وجاهدوا ببذل أموالكم، وأنفسكم فى نصرة سبيل الله، وإن حملت السبيل على الطاعة كان التقدير: وجاهدوا ببذل أموالكم وأنفسكم فى قتال أعداء الله.

المثال السابع: قوله: ﴿الذين آمنوا يُقاتلون فى سبيل الله﴾ [النساء: ٧٦] أى: فى نصرة دين الله ﴿والذين كفروا يُقاتلون فى سبيل الطَّاغوت﴾ [النساء: ٧٦] أى: فى نصرة دين الشيطان؛ جعله سبيلاً لأدائه إلى غضب الديان كما جعل الإسلام سبيلاً لأدائه إلى رضى الرحمن.

المثال الثامن: قوله: ﴿وإن يروا سبيل الرُّشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلاً﴾ [الأعراف: ١٤٦] معناه: وإن يعرفوا سبيل الرشد، وإن يعرفوا سبيل الغى؛ لأن سبيلى الرشد والغى لا يريان بالأبصار.

المثال التاسع: قوله: ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٧٧].

المثال العاشر: قوله: ﴿يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا﴾ [هود: ١٩].

المثال الحادى عشر: قوله: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضلَّ أعمالهم﴾ [محمد: ١] تقديره: الَّذين كفروا، أو صرفوا النَّاس عن اتباع دين الله أضل أعمالهم.

المثال الثانى عشر: قوله: ﴿وكذلك نُفَصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ [الأنعام: ٥٥].

المثال الثالث عشر والرابع عشر: قوله: ﴿لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

المثال الخامس عشر: قوله: ﴿ولا تتبعوا خُطوات الشيطان﴾ [البقرة: ١٦٨] أي: لا تتبعوا طرائق الشيطان التى شرعها، ولم يرد بذلك طرائقه التى سلكها؛ فإنه يأمر بمعاصٍ كثيرة لا يسلكها، والخطوة الحقيقية عبارة عما بين قدمى السالك، فنهى عن سلوك طرائق الشيطان، كما نهى عن سلوك طرائق الجاهلين فى قوله: ﴿ولا تتبعانٌ سبيل الَّذين لا يعلمون﴾ [يونس: ٨٩].

النوع الثالث

مدح الأقوال والأفعال بلفظ الاستقامة

الاستقامة الحقيقية مدح فى الأجرام ويتجوَّز باستقامة المعانى عن فضلها وشرفها، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦].

المثال الثانى: قوله: ﴿وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢].

المثال الثالث: قوله: ﴿يهدى إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم﴾ [الاحقاف: ٣٠].

المثال الرابع: قول الشاعر (وافر):

أميرُ المؤمنين على صراطٍ إذا اعوجَّ المواردُ مستقيم[1]

وأما قوله: ﴿أقيموا الصَّلاة﴾ [البقرة: ٤٣] فإن أخذ من أقمت العود إذا قومته وأزلت عوجه كان المعنى بتقويم الصَّلاة: إزالة ما يشينها من تنقيص أدائها، وخضوعها، وخشوعها، وإن أخذ من أقمت السوق كان المعنى: أديموا الصَّلاة فى أوقاتها.

النوع الرابع

ذم الأقوال والأفعال بلفظ الاعوجاج

الاعوجاج الحقيقى ذم فى الأجرام، ويتجوَّز بعوج المعانى عن نقصها وعيبها، وله مثالان:

---

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة (١/ ٢٤)، تفسير القرطبى ١/١٤٧، والبيت لجرير بن عطية.

أحدهما: قوله: ﴿**ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا**﴾ [إبراهيم: ٣] أى: ويطلبون لها عيبًا وذمًا.

المثال الثانى قوله: ﴿**ولم يجعل له عوجًا * قيمًا**﴾ [الكهف: ١، ٢] أى: ولم يجعل له عيبًا كالتناقض والاختلاف، وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالأجرام، وفيه نظر من جهة اختلاف حركتى العين، والمجاز أن يستعمل اللفظ الحقيقى بسكناته وحركاته فيما تجوَّز به عنه.

النوع الخامس

مدح الأقوال والأفعال بالطيب والبركة والتطهير وذمهما بالخبث والنتن والنجاسة والرجس والدنس

فيشبَّه ما خفى حسنه بما ظهر حسنه ترغيبًا فيه، ويشبَّه ما خفى قبحه بما ظهر قبحه تنفيراً منه، فيشبَّه الأقوال والأفعال الحسنة بالطيب والزكاة والطهارة ترغيبًا فيها، وتشبَّه الأفعال والأقوال القبيحة بالخبث والنجس والنتن والدنس تنفيراً منها.

فمن ذلك التعبير عن الطاعات بالطيب والطهارة والزكاة، والتعبير عن الذنوب بالخبث والنجس والنتن والدنس.

وإنما عبروا بالطهارة والزكاة عن الطاعة؛ لأنها تطهر القلوب من أنجاس المعصية تشبيهًا بتطهير المحال النجسة بالمياه الطاهرة.

فمن ذلك قوله: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿**مَثَلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة**﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وقوله: ﴿**سلامٌ عليكم طبتم**﴾ [الزمر: ٧٣]، وقوله: «**طبت وطاب ممشاك**»، وقوله: «**التحيات الطيبات**»، وقوله: ﴿**ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة**﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وقوله: ﴿**قل لا يستوى الخبيث والطيب**﴾ [المائدة: ١٠٠] أى: لا يستوى الحلال والحرام؛ شبَّه الحلال بالطيب ترغيبًا فيه، وشبَّه الحرام بالخبيث تنفيراً منه، وهذا من مجاز تشبيه الأجرام بالأجرام.

وأما قوله: ﴿**قد أفلح من تَزَكَّى**﴾ [الأعلى: ١٤] فمعناه: قد أفلح من تطهر بالتوحيد من

الشرك، وبالإيمان من الكفر.

وكذلك قوله: ﴿قد أفلح من زكَّاها﴾ [الشمس: ٩] أي: قد أفلح من طهر نفسه من دنس الكفر بالتوحيد، شبَّه إزالة الشرك والعصيان بالتوحيد، والإذعان بإزالة المياه لنجاسات الأعيان.

ومنه قوله: ﴿إنما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهركم تطهيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] عبَّر عن الذنوب بالرجس، وعن إزالتها بالتطهير، ولذلك قال ﷺ: «أليس في الخمس ما يغنيكم عن أوساخ الناس»(١) فجعل الزكاة المطهرة للذنوب وسخًا.

وأما قوله: ﴿خُذْ من أموالهم صدقة تطهرهم وتُزَكِّيهم بها﴾ [التوبة: ١٠٣] فمعناه: تطهرهم بها من ذنوبهم، وكذلك تزكيهم بها.

وأما قوله: ﴿أولئك الَّذين لم يُرد الله أن يُطهر قلوبهم﴾ [المائدة: ٤١] فمعناه: أولئك الَّذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الكفر بالإيمان.

وأما قوله: ﴿يتلو صُحُفًا مُطهرة﴾ [البينة: ٢] فمعناه: إنما طهرت من الكذب والباطل.

وأما قوله: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ [البقرة: ٢٥]، فإن جعل حقيقة فهو تطهير من الأقذار كالبول، والغائط، والبصاق، والمخاط، وإن جعل مجازًا فهو طهارة من الريب، ومساوئ الأخلاق، وقد استعمله بعضهم في المجاز والحقيقة جميعًا، فقال: مطهرات من المخاط، والبصاق، والأقذار، والريب، ومساوئ الأخلاق.

وأما قوله: ﴿إنما المشركون نجس﴾ [التوبة: ٢٨] فمجاز من وجهين:

أحدهما: أنه شبَّههم بالأنجاس لاتصافهم بالكفر المستقبح كاستقباح الأجرام المستقبحة لأجل ما قام بها من الأرياح المستخبثة والأنتان، وهذا تشبيه جرم بجرم باعتبار صفتين خبيثتين.

الثاني: أنه من مجاز وصف الجملة بصفة بعضها؛ فإن الشرك في قلوبهم، فوصفهم

(١) أخرجه: الترمذي في البر والصلة ٢٠٠٨، ابن ماجه في ما جاء في الجنائز ١٤٤٣.

بأنهم رجس كما يوصف من قام بقلبه علم أو جهل، أو خوف أو أمن بأنه عالم، وجاهل، وخائف، وآمن.

وأما قوله: ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**﴾ [الحج: ٣٠] فتقديره: واجتنبوا الرجس من عبادة الأوثان فهو من مجاز تشبيه المعانى بالأعيان.

وأما قوله: ﴿**فزادتهم رجسًا إلى رجسهم**﴾ [التوبة: ١٢٥] فإنه من مجاز تشبيه المعانى بالمعانى.

وأما قوله: فى دعوى الجاهلية «**دعوها فإنها منتنة**»؛ فإنه من مجاز تشبيه المعانى بالأجرام، شبَّه دعوى الجاهلية بعين منتنة تنفيراً منها.

النوع السادس

اللباس

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**هُنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن**﴾ [البقرة: ١٨٧] شبَّه كل واحد من الزوجين لاشتماله على صاحبه فى العناق والضم باللباس المشتمل على لابسه، قال الشاعر (متقارب):

إذا ما الضجيعُ ثنى عِطْفَهَا تَثَنَّتْ عليه فكانت لِبَاسَا(١)

وهذا من مجاز تشبيه الأجرام بالأجرام، أو لأن كل واحد منهما يصون صاحبه عن الوقوع فى فضيحة الفاحشة، فيكون كاللباس الساتر للعورة.

الثانى: قوله: ﴿**وهو الذى جعل لكم الليل لباسًا والنَّوم سُبَاتًا**﴾ [الفرقان: ٤٧] شبَّه الليل باللباس؛ لأنه يستر بظلمته كما يستر اللباس، وهذا من مجاز تشبيه الأجرام بالأجرام، وإن جعل الليل عبارة عن الظلمة القائمة بالهواء كان من مجاز تشبيه المعانى بالأجرام.

وأما قوله: ﴿**والنَّوم سُبَاتًا**﴾ فإنه شبَّه النوم بالموت لاشتراكهما فى فقد الإحساس، وهو

(١) البيت للنابغة (ديوانه ص ٨١، الفائق فى غريب الحديث ٣/١٠٧).

من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني، ومثله قوله: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ [الأنعام: ٦٠] أي: يتوفى أنفسكم التي لم تمت في منامها، شبَّه النوم بالموت لاشتراكهما في فقد الإحساس، كما شبَّه اليقظة بالبعث لاشتراكهما في حصول الإحساس في قوله: ﴿يا ويلنا مَنْ بعثنا من مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] معناه: يا ويلنا مَنْ أيقظنا من نومنا؛ لأنهم ينامون بين النفختين.

وكذلك قوله ﷺ عند استيقاظه: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا»(١) أي: أيقظنا بعد ما أماتنا، وهذا كله من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني.

الثالث: قوله: ﴿وجعلنا الليل لباسًا﴾ [النبأ: ١٠].

الرابع: قول الشاعر (وافر):

* فِدًى لك من أخي ثقةٍ إزاري(٢) *

يريد: امرأتي، شبَّه المرأة بالإزار؛ لأنها تصون من القبائح والفواحش كما يصون الإزار العورات عن الظهور للأبصار.

وأما التعبير بلفظ الفراش عن المرأة في قوله ﷺ: «الولد للفراش»(٣) فليس من هذا؛ لأنه يقع استفراشها حقيقة في كثير من الأحوال، ويحتمل أن يكون تجوزًا للمشابهة التي بينها وبين الفراش، وفي الحديث حذف لا بد منه وتقديره: الولد لصاحب الفراش، أو لذي الفراش.

---

(١) أخرجه: البخاري في الدعوات ٦٣١٢، الترمذي في الدعوات ٣٤١٧، أبو داود في الأدب ٥٠٤٩، ابن ماجه في الدعاء ٣٨٨٠، أحمد في المسند ٢٢٧٣٣، ٢٢٧٦٠، ٢٢٧٧٥، ٢٢٨٦٠، ٢٢٨٨٢، ٢٢٩٤٩، الدارمي في الاستئذان ٢٦٨٦.

(٢) النهاية لابن الأثير (١/ ٤٠)، تفسير القرطبي (٢/ ٣١٦)، والبيت لأبي المنهال بقيلة بن الأكبر الأشجعي.

(٣) أخرجه: البخاري في البيوع ٢٠٥٣، مسلم في الرضاع ١٤٥٧، النسائي في الطلاق ٣٤٨٤، أبو داود في الطلاق ٢٢٧٣، ابن ماجه في النكاح ٢٠٠٤، أحمد في المسند ٢٣٥٦٦، ٢٤٤٥٤، ٢٥١١٦، ٢٥٣٣٦، ٢٥٤٧٠، ٢٥٥٦٢، مالك في الأقضية ١٤٤٩، الدارمي في النكاح ٢٢٣٦، ٢٢٣٧.

النـــوع الســـابع

الكبر والصغر والعظم والدق والجل والثقل والخفة والرقة

أما كبـر الأجرام فعبـارة عن كثرة أجزائهـا، وصغرها يعود إلى قلة أجـزائها، وكذلك عظم الأجرام عـبارة عن كثـرة أجزائها، وعظم الـذنوب وكبرها عـبارة عن عظم مفـاسدها وكبـرها، وعن عظم عقوبتـها، ومعـرتها، وصغـائر الذنوب مجاز عـما قلت مفـاسده، أو عقوبته، أو معـرَّته، ثم يتجوَّز بالعظم والكبر فى المعانى البليغة فى الحـسن، والقبح؛ مثال ذلك فى الحسن: قوله: ﴿وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم﴾ [القلم: ٤].

ومثاله فى القبح: قوله: ﴿هذا بهتانٌ عظيم﴾ [النور: ١٦].

وكذلك العذاب الكبير، والعظيم.

وكذلك كبائر الذنوب عـبارة عما أفرط قبحه منهـا، ويجوز أن توصف الذنوب بالصغر والكبر بناء على مـا عظم عقابه أو خف، فـقوله: ﴿فيهما إثم كبير﴾ [البقرة: ٢١٩] يريد به عظيمًا فى قبحه، أو فى عقوبته، أو فيهما.

وكذلك قوله: ﴿إن تجتنبوا كبـائر ما تنهون عنه﴾ [النساء: ٣١]، وقوله ﴿الذين يجتنبون كـبائر الإثم والفـواحش﴾ [النجم: ٣٢]، وقـوله: ﴿كـبرت كلـمة تخـرج من أفـواههـم﴾ [الكهف: ٥]، وقوله: ﴿كبـر مقـتًا عند الله﴾ [غافر: ٣٥] أى: عظم ذلك فى قـبحـه، أو فى جزائه، أو فيهما.

وأما وصف الرب سبحانه وتعالى بالكبير والعظيم فللمبالغة فى شرف ذاته وصفاته.

والدق والجل فى الأجرام عبارة عن الصغر والكبر، وفى المعانى عبارة عن عظم المفاسد وكثرتها، وعن خفتها وقلتهـا، والثقل فى الأجرام عبارة عن تراص أجزائها، أو عن أعراض قامت بها، وخفتـها عبارة عن قلة أعراضها، وفى المعانى عبـارة عن قلتها فى مثل قولهم: «فلان خفيف العقل».

وكذلك تقلـيل مشـاق التكاليـف كـقولـه: ﴿يُريد الله أن يُخَفِّفَ عـنكـم﴾ [النساء: ٢٨] وكقوله: ﴿الآن خَفَّفَ الله عنكم﴾ [الأنفال: ٦٦].

وفى الثقل قوله: ﴿فمن ثَقُلَتْ موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ [المؤمنون: ١٠٢] إذا أردت بالموازين الموزون.

وثقل التكاليف عبارة عن شدة مشاقها، لما كان حمل الأثقال شاقا على النفوس شُبِّهت به مشقة عقاب الذنوب ووبالها.

وكذلك شبهت به مشقة التكاليف فى مثل قوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ [الاحزاب: ٧٢]، وفى مثل قوله: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وفى مثل قوله: ﴿فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم﴾ [النور: ٥٤] شبَّه مشقة التكاليف بمشقة حمل الأثقال.

وأما أمثلة مشقة عقاب الذنوب ففى مثل قوله: ﴿وليحملُنَّ أثقالَهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ [العنكبوت: ١٣]، وفى مثل قوله: ﴿وإن تَدْعُ مُثْقَلَة إلى حملها لا يُحمل منه شىء﴾ [فاطر: ١٨]، وفى مثل قوله: ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ [العنكبوت: ١٢] أى: ولنحمل أثقال خطاياكم؛ شبَّه ما يئول إليه المعاصى من مشاق الآخرة بمشاق حمل الأوزار والأثقال.

وأما قوله: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ [الانعام: ٣١] فإنه أبلغ فى شدة مشقة عذابهم من جهة أن الشىء الثقيل قد يُحْمَل باليد، فإن أفرط ثقله حمل على الكتف، فإن أفرط ثقله حمل على الظهر؛ فشبَّه شدة مشقة العذاب بأثقل الأشياء المحمولة على الظهور لتعذر حملها على الأكتاف وفى الأيدى، والأوزار: الأثقال؛ شبَّه مشقة عهدة الذنوب بمشقة حمل الأثقال.

وأما قوله: ﴿فهم من مَغْرَم مُثْقَلون﴾ [الطور: ٤٠] فمعناه: فهم من دَيْنٍ أُلزِموه مشقوقٌ عليهم، فاستعار الثقل للمشقة الشديدة؛ لأن حمل الأثقال شاق فشبَّه مشقة حمل الذنوب بمشقة حمل الأثقال.

وكذلك قوله: ﴿ثقلت فى السموات والأرض﴾ [الاعراف: ١٨٧] أى: شق إخفاء علم وقتها، وكذلك الثقلاء الَّذين يستثقل النَّاس حركاتهم وأخلاقهم فيشق على الناس.

وقد يكون ثقل المعانى مجازًا عن شرفها، وعلو قدرها، ومنه قوله: ﴿إنا سنلقى عليك

قولاً ثقيلاً﴾ [المزمل: ٥] قيل: شاقا العمل به، وقيل: نفيسًا لا نظير له، ليس بخفيف، ولا سفساف، وقال ﷺ: «خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله، وأهل بيتى»(١) تجوَّز بثقلهما عن عظم قدرهما.

ومثال استعمال الدق والجل فى المعانى: قوله ﷺ: «اللهم اغفر لى ذنبى كلَّه دقَّه وجلَّه»(٢) أراد بالدق صغير الصغائر، وبالجل كبير الصغائر، إذْ لا كبيرة للأنبياء حتى يحمل الجل عليها.

وقولهم: هذا معنى دقيق، وفرق دقيق، يتجوَّز به عن الخفى على أكثر النَّاس كما يخفى الدقيق من الأجسام، ولا يتضح لكل أحد.

والرقة فى الأجرام عبارة عن رقة السمت ولطفه كالثوب الرقيق، والرداء الرقيق، والسحاب الرقيق، وفى رقة القلوب مجاز عن اللطف، والرحمة، وفى الرقائق من المواعظ؛ لأنها ترقق القلوب، وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالأجرام.

النوع الثامن

التجوُّز بالميزان عن العدل لكونه آلة للإنصاف

ومن ذلك قوله: ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾ [الشورى: ١٧] وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالأجرام.

النوع التاسع

التجوُّز بالحبال عن العهود والعقود

والعرب يعبرون بالحبال عن العهود والعقود، وتشبيهها للعقود بحبل عقد طرفه بطرف حبل آخر فاتصل كل واحد منهما بصاحبه، فاستعاروا لفظ العقد لكل وصلة بين اثنين، قال امرؤ القيس (كامل) :

---

(١) أخرجه: مسلم فى فضائل الصحابة ٢٤٠٨، أحمد فى المسند ١٨٧٨٠، ١٨٨٢٦، الدارمى فى فضائل القرآن ٣٣١٦.

(٢) أخرجه: مسلم فى الصلاة ٤٨٣، أبو داود فى الصلاة ٨٧٨.

* إنـي بحـــــبلـك واصل حـــــبلـي[1] *

ومن ذلك صلة الأحكام، وهو برها.

وكذلك استعير قطع الرحم لترك برها كما في قوله: ﴿**ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل**﴾ [البقرة: ٢٧] والنهى عن قطع الرحم إنما هو نهى عن قطع صلتها بالبر؛ فهو قطع مجازى؛ لأن القطع الحقيقى فصل جرم عن جرم.

وفى الحديث حكاية عن الله عزَّ وجلَّ أنه قال للرحم: «**أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك**»[2] فقول الله لها مجاز تشبيهى، وكذلك قطعها ووصلها.

وعقود الله: تكاليفه الموجبة لبره وصلته، فمن قطعها قطع الله بره، وإثباته والتمسك بها العمل بواجبها، ومن عمل بواجبها كان عمله وصلة له إلى النجاة من عذاب الله، وله أمثلة:

منها: قوله: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعًا**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومنها: قوله: ﴿**ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم**﴾ [آل عمران: ١٠١] أى: ومن يعتصم بحبل الله فقد هُدى إلى صراط مستقيم.

ومنها: قوله: ﴿**ضُرِبَتْ عليهم الذِّلَّة أين ما ثُقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس**﴾ [آل عمران: ١١٢] أى: إلا بعهد من الله وعهد من الناس.

ومنها: قوله ﷺ فى القرآن المبين: «**هو حبل الله المتين**»[3] أراد: من تمسك به نجا من عذاب الله.

ومنها: قوله: ﴿**أوفوا بالعقود**﴾ [المائدة: ١].

---

(١) الديوان ص ٤٦٥، هارون ١/٣١٨ .

(٢) أخرجه: البخارى فى تفسير القرآن ٤٨٣٢، مسلم فى البر والصلة والأدب ٢٥٥٤، أحمد فى المسند ٧٨٧٢، ٨١٦٧، ٨٧٥٢، ٩٠٢٠، ٩٥٦١.

(٣) أخرجه: مسلم فى فضائل الصحابة ٢٤٠٨، أحمد فى المسند ١٨٧٨٠، ١٨٨٢٦، الدارمى فى فضائل القرآن ٣٣١٦.

ومنها: قوله: ﴿إلا أن يعفون أو يعفوَ الذى بيده عُقْدَةَ النكاح﴾ [البقرة: ٢٣٧] لما كانت عقدة الحبل وصلة بين طرفيه شُبِّهَتْ بها عقدة النكاح؛ لاشتمالها على الوصلة بين الزوجين.

وأما قوله: ﴿بيده عقدة النكاح﴾ فإنه تجوز باليد عن القدرة لاشتمال اليد عليها، شبَّه القدرة على إنشاء العقد باللسان بقدرة اليد على ما يتصرف فيه من الأفعال، والتقدير: أو يعفو الذى يقدر على وصلة النكاح، فكلا العقدين من مجاز التشبيه.

وأما: قوله: ﴿واحلل عُقْدَةً من لسانى﴾ [طه: ٢٧] فمن مجاز التشبيه أيضًا، شبَّه عيب اللسان بالرتة، أو اللثغة بتعيب الحبل بما يعقد فيه من العقد التى لا حاجة إليها، فتجوَّز بالحل عن الإزالة، فالحل والإزالة كلاهما من مجاز التشبيه.

وكذلك عقود المعاملات لما كانت موصلة بكل واحد من المتعاقدين إلى غرضه شُبِّهَتْ بعقد أحد طرفى الحبل بالآخر لوصلها بين الطرفين، وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالأجرام.

النوع العاشر

النقض

النقض الحقيقى إزالة التأليف والالتئام، ثم تشبَّه به ترك الوفاء بمقتضى العهود والعقود، شبَّه العهد والعقد بشىء تألف محكمًا، ثم أزيل أُليفه بنقضه، مع أن بقاء تأليفه أصون من نقضه، والعهود فى نفسها لا تنقض، وإنما تنقض أحكامها، وكذلك لا توفى وإنما يوفى بأحكامها ومقتضياتها، وكذلك الوضوء لا ينتقض؛ لأن الوضوء حقيقة قد دخلت فى الوجود؛ لا يمكن نقضها، وإنما ينتقض أحكامه، أى: تنقطع كما ينقطع تأليف البناء ويتفرق بعد تأليفه، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿الَّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ [البقرة: ٢٧].

المثال الثانى: قوله: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ [الرعد: ٢٠].

المثال الثالث: قوله: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ [النحل: ٩١].

ولا بد من حذف مضاف تقديره: الَّذين ينقضون مقتضى عهد الله وموجبه، وكذلك: يوفون بمقتضى عهد الله ولا ينقضون موجب الميثاق، أو مقتضاه، وكذلك: ولا ينقضوا

مقتضى الأيمان ومدلولها الذى هو البر، وكذلك: قوله: ﴿أوفوا بعهدى﴾ [البقرة: ٤٠] معناه: أوفوا بمقتضى عهدى، وكذلك قوله: ﴿أوفوا بالعقود﴾ [المائدة: ١] معناه: أوفوا بمقتضى العقود، وكذلك قوله: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ [النحل: ٩١] تقديره: وأوفوا بمقتضى عهد الله ومدلوله إذا عاهدتم، إذْ توفية الشيء تسليمه وافيًا كاملاً، وما مضى من العهد والعقد لا يتصور أن يتعلق به أمر ولا نهى لاستحالة ذلك.

النوع الحادى عشر

الربط

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ [الكهف: ١٤].

المثال الثاني: قوله: ﴿إن كادت لَتُبْدى به لولا أن رَبَطْنَا على قلبها﴾ [القصص: ١٠] شبَّه حفظه لما في القلوب من يقين وإيمان بحفظ من ربط على شيء برباط ليحفظه ويمنعه من الانقلاب، فالرباط ههنا: الصبر، والمربوط عليه: اليقين والإيمان، والرابط: هو الله عزَّ وجلَّ، وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالمعانى.

النوع الثانى عشر

الشد وهو نظير الربط

ومثاله فى قوله: ﴿واشدد على قلوبهم﴾ [يونس: ٨٨] أى: واشدد على كفر قلوبهم حتى لا يخرج منها، كما يشد على الأوعية بالأوكية حفظًا لما فيها؛ شبَّه القلوب بالأوعية، وشبَّه ما خلقه فيها من موانع الإيمان بالشد على وعاء جعل فيه شيء، وهو من مجاز تشبيه المعانى بالمعانى.

النوع الثالث عشر

الكظم

وحقيقته أن يُملأَ السقاء ماء ثم يشد على فمه بكظامة، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ [آل عمران: ١٣٤] شبَّه امتناعهم من إنفاذ غيظهم بربط من ربط بخيط على سقاء ليمنعه من خروج ما فيه.

المثال الثاني: قوله: ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ [غافر: ١٨] شبَّه تعذر شكواهم لما نزل بهم بشدٍّ ما يشد على فم السقاء، فيمتنع الماء من الخروج والظهور، وهذا من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني.

المثال الثالث: قوله: ﴿وابيضت عيناه من الحُزْن فهو كظيم﴾ [يوسف: ٨٤] شبَّه امتلاء قلبه بالحزن على يوسف بامتلاء السقاء بالماء، وشبَّهه في صبره وتركه الشكوى إلى غير الله برباط ربط على فم السقاء المملوء بالماء كيلا يخرج منه شيء، وهذا من مجاز تشبيه الأجرام بالأجرام.

المثال الرابع: قوله: ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ [القلم: ٤٨] أي: مملوء غما وكربًا لا يطَّلع عليه أحد.

النوع الرابع عشر
الميل والزيغ والصغو والحنف

ولها أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فلا تميلوا كُلَّ الميل﴾ [النساء: ١٢٩].

المثال الثاني: قوله: ﴿لا تُزِغ قلوبَنا﴾ [آل عمران: ٨] أي: تملها.

المثال الثالث: قوله: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [الصف: ٥].

المثال الرابع: قوله: ﴿ومَنْ يزِغْ منهم عن أمرنا﴾ [سبأ: ١٢] أي: ومن يمل منهم عما أمرناه به.

المثال الخامس: قوله: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغَتْ قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] لما كان المائل عن طريق الصواب تاركًا لها، شبَّه ترك القلوب الصواب إلى الخطأ بمن كان على طريق تبلغه إلى مقصده فمال عنه إلى طريق تهلكه ولا تبلغه المقصد.

المثال السادس: قوله: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾ [الروم: ٣٠].

المثال السابع: في قوله في إبراهيم عليه السلام: ﴿قانتًا لله حنيفًا﴾ [النحل: ١٢٠].

المثال الثامن: قوله: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا﴾ [النحل: ١٢٣].

المثال التاسع: قوله ﷺ: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا»(١) الحنف الحقيقي ميل القدم، فجوّز به عن الميل عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، وهذا من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني.

النوع الخامس عشر

الحجاب

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿وإذا قرأتَ القرآن جعلنا بينك وبين الَّذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

المثال الثاني: قوله: ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ [فصلت: ٥] شبِّهت موانع الانتفاع بما يقوله ويدعوهم إليه بالحجاب المانع من الرؤية والسماع، وهذا من تشبيه المعاني بالأجرام.

وأما: قوله: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] فمعناه: كلا إنهم عن رؤية ربهم يومئذ لممنوعون.

النوع السادس عشر

الكفر

وحقيقته ستر جُرْم بجرم وتغطيته به كيلا تراه الأعين، ولما كان الكفروأضداد الإيمان والعرفان موانع للبصيرة من إدراك الحق شبَّه ما يمنع البصائر من أدراك المعلومات بما يمنع

(١) أخرجه: مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ٧٧١، الترمذي في الصلاة ٢٦٦، الدعوات ٣٤٢١، ٣٤٢٢، ٣٤٢٣، النسائي في الافتتاح ٨٩٧، أبو داود في الصلاة ٧٦٠، ١٥٠٩، ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ٨٦٤، ١٠٥٤، أحمد في المسند ٨٠٥، ٩٦٣، الدارمي في الصلاة ١٢٣٨، ١٣١٤.

الأبصار من إدراك المحسوسات.

قال زهير (كامل):

والسترُ دون الفاحشاتِ وما يلقاك دونَ الخيرِ من سترِ[1]

أراد: ولك المنع دون الفاحشات، وما يلقاك دون الخير من مانع.

وقد قيل في قوله: ﴿**كمثل غيث أعجب الكُفَّار نباته**﴾ [الحديد: ٢٠] أن المراد بالكفار: الزراع؛ لأنهم يكفرون الحب في الأرض، أي: يسترونه، وهذا من مجاز تشبيه المعاني بالأجرام، وأمثلته في القرآن كثيرة.

النوع السابع عشر

الطبع على القلوب والختم عليها

وهو من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني، ولهما أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم**﴾ [البقرة: ٧].

المثال الثاني: قوله: ﴿**وختم على قلوبكم**﴾ [الانعام: ٤٦].

المثال الثالث: قوله: ﴿**أولئك الَّذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم**﴾ [النحل: ١٠٨].

المثال الرابع: قوله: ﴿**وأضلَّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه**﴾ [الجاثية: ٢٣].

لما كان الختم والطبع على أوعية الأشياء مانعيْن من خروج ما في الظروف شبَّه ما يمنع من خروج الكفر والضلال من القلوب، وما يمنع من فهم دلالة المسموعات والمبصرات بما يمنع من خروج المحفوظات المخزونات.

وكذلك الرَّين في قوله: ﴿**بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾ [المطففين: ١٤] والرَّين أشد من الطبع، وهذا من مجاز تشبيه المعاني بالمعاني.

---

(١) شرح شواهد المغني للسيوطي (٢/ ٧٥١)، نهاية الزدب ٣/ ٦٢ .

النـــوع الثـــامـــن عشـــر

الأكنـــة والأغـــطية والأغـــشية

ولها أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وقالوا قلوبنا فى أكنَّة﴾ [فصلت: ٥].

المثال الثاني: قوله: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكِنَّة أن يفقهوه وفى آذانهم وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧].

المثال الثـالث: قوله: ﴿لقد كـنت فى غفلة من هذا فكشـفنا عنك غطاءك﴾ [ق: ٢٢] أى: فأزلنا عنك غفلتك فتـبينت ما كنت غافلاً عنه؛ فصـار بصرك حـادا نافذًا فيما لم يكن ينفذ فيـه، فشبه الغفلة بالغطاء، كـما شبهها بالغـمرة فى قوله: ﴿بل قلوبهم فى غَمْرَة من هذا﴾ [المؤمنون:٦٣] أى: فى غفلة وجهالة.

المثال الرابع: قوله: ﴿الَّذين كانت أعينهم فى غطاءٍ عن ذكرى﴾ [الكهف: ١٠١].

المثال الخامس: قوله: ﴿وجعل على بصره غِشَاوة﴾ [الجاثية: ٢٣].

المثال السـادس: قوله: ﴿وعلى أبصارهم غِشَاوة﴾ [البقرة: ٧].

المثال السـابع: قوله: ﴿فأغـشيناهم﴾ [يس: ٩] أى: فأُغشينا أعـينهم، وحكمها حكم السواتر، وقد ذكرناه، وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالأجرام.

النـــوع التـــاســـع عشـــر

الأقفـــــال

ومثالها قوله: ﴿أم على قلوب أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

قال مجاهد: وهو أشدها، وصدق رحمه الله؛ فـإن جميع ما تقدم ذكره سهل الإزالة بخلاف الأقفـال؛ لأن تعسر خروج ما تحت الأقـفال أشد من تعسـر خروج ما تحت الطبع والختم والرين؛ شبَّه قلوبهم بالخزائن، وشبَّه موانع خروجها من القلوب بأقفال على خزائن تمنع من إخـراج ما فيـها، وهذا تصـريحٌ بأن الله هو الذى يمنعـهم من الإيمان بما خلق فى

قلوبهم من موانعه وأضداده، وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالأجرام.

النـــوع العشـــرون

البُعـــد

ومثاله قوله: ﴿**أولئك يُنَادَوْنَ من مكان بعيد**﴾ [فصلت: ٤٤] شبَّه تعذر فهمهم لما يسمعون بتعـذر فهم مَنْ نودى من مكان بعيد لا يسـمع من مثله السامعـون، وهذا من مجاز تشـبيه المعانى بالمعانى.

النـــوع الحـادى والعشـــرون

الانقلاب على الأعقاب

شـبَّه من رجع عن الإيمان إلى الكفـر بمن جاء من مكان مسهلك على طريق منجـاة ثم انقلب على طريقه إلى حيث كان، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**إن تطيـعوا الَّذين كفروا يردُّوكم عـلى أعقابكم**﴾ [آل عمران: ١٤٩] أى: يردوكم عن الإيمان الذى صرتم إليه إلى الكفر الذى كنتم عليه.

المثال الثانى: قوله: ﴿**قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونُرَدُّ على أعقابنا بعد إذْ هدانا الله**﴾ [الانعام: ٧١] الآية مصرحة بأنه من مجاز التشـبيه؛ فإن معناه: قل: أنعبد من دون الله شيئًا لا ينفعنا إن عبدناه، ولا يـضرنا إن تركناه، ونرد إلى شركنا الذى كنا عليه بعد إذْ هدانا الله إلى توحيده الذى صرنا إليه.

المثال الثالث: قوله: ﴿**أفإن مات أو قُتِلَ انقلبـتم على أعقابكم**﴾ [آل عمران: ١٤٤] أى: رجعتم عن إسلامكم إلى شرككم.

وكذلك الارتداد علـى الأدبار فى قوله: ﴿**ارتدوا على أدبارهم**﴾ [محمد: ٢٥] شبَّه من فارق دينه الباطل ثم رجع إليه بمن جاء فى طريق ثم رجع فيه.

النـــوع الثـــانـــى والعشـــرون

التعبير بالإحساطة عن الإتـلاف والإهـلاك

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وأُحيط بثمره﴾ [الكهف: ٤٢].

المثال الثانى: قوله: ﴿والله محيطٌ بالكافرين﴾ [البقرة: ١٩].

المثال الثالث: قوله: ﴿وظنوا أنَّهم أُحيط بهم﴾ [يونس: ٢٢].

المثال الرابع: قوله: «وقد أحيط بنفسى»[1] لما كان من أحاط به عدوه من جميع الجوانب ييأس من الخلاص، شبَّه به من وقع فى هلاكٍ لا خلاص له منه.

ومن ذلك إحاطة العلم بالمعلوم، وهو أن يتعلق به من جميع جهاته وصفاته، وله أمثلة:

أحدها: ﴿ولا يُحيطون بشىءٍ من علمه﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثانى: قوله: ﴿ولا يُحيطون به علمًا﴾ [طه: ١١٠].

الثالث: قوله: ﴿وأحاط بما لديهم﴾ [الجن: ٢٨] شبَّه تعلق العلم بجميع صفات المعلوم بإحاطة الجِرْم بالجِرْم من جميع الجهات.

النـــوع الثـــالث والعشـــرون

اللـــين

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فَبِمَا رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم﴾ [آل عمران: ١٥٩] أى: لانت لهم أخلاقك.

المثال الثانى: قوله: ﴿ثم تلين جُلودُهم وقُلوبُهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٣].

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان ٢٩، الترمذى فى الإيمان ٢٦٣٨، أحمد فى المسند ٢٢٢٠٣ .

المثال الثالث: قوله ﷺ: «جاءكم أهل اليمن هم ألين قلوبًا، وأرقّ أفئدة»(١).

المثال الرابع: قوله ﷺ: «المؤمنون هينون لينون»(٢) شبَّه التأني وسرعة الانقياد إلى الحق والصواب بتأني الشيء إلى ما يراد منه، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «المؤمن كالجمل الأنف إن قيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ»(٣) شبَّه المؤمن في سرعة انقياده إلى الحق - وإن شق عليه - بالجمل يُناخ على الصخرة المؤذية له، فيستنيخ عليها.

النوع الرابع والعشرون

الغلظة

ولها أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ولو كنت فَظًا غليظ القلب لانفضوا مِنْ حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩].

المثال الثاني: قوله ﴿واغلظ عليهم﴾ [التحريم: ٩].

المثال الثالث: قوله: ﴿وليجدوا فيكم غِلْظَة﴾ [التوبة: ١٢٣] عبَّر بذلك عن عدم التأتي؛ لأن الجرم الغليظ لا يتأتى لما يراد منه كالشجرة الغليظة الساق، فإنها لا تنقاد إلى ما يراد منها؛ بخلاف الأغصان والقضبان الدقاق، قال الشاعر (بسيط):

إن الغصون إذا قوَّمتها اعتدلت ولن تلين إذا قوَّمتها الخُشُبُ(٤)

النوع الخامس والعشرون

القسوة

وحقيقتها الصلابة والشدة، والصلابة والشدة مانعان من التأتي لما يراد من محلهما،

(١) أخرجه: البخاري في بدء الخلق ٣٣٠١، مسلم في الإيمان ٥٢، الترمذي في الفتن ٢٢٤٣، أحمد في المسند ٧٣٨٤، ٧٤٥٣، ٧٥٧٢، ٧٥٩٥، ٧٦٦٦، ٨٦٢٩، ٨٧١٩، ٩٠٣٣، ٩٢١٥، ٩٥٨١، ٩٧٨٤، ٩٩١٣، ٩٩٥٤، ١٠١٤٩، مالك في الجامع ١٨١٠.

(٢) عزاه في كشف الخفاء (٢/ ٣٨٤) للبيهقي والقضاعي والعسكري.

(٣) أخرجه: الترمذي في العلم ٢٦٧٦، أبو داود في السنة ٤٦٠٧، ابن ماجه في المقدمة ٤٢، ٤٤، أحمد في المسند ١٦٦٩٢، الدارمي في المقدمة ٩٥.

(٤) الثعالبي ص١٦٤، ديوان المعاني ٢/ ٢٤٣.

فتجوَّز بذلك عن القلوب التى لا تتأتى للحق ولا تنقاد إليه.

وله أمثلة:

أحدها: قوله: **﴿ثم قَسَتْ قلوبكم من بعد ذلك﴾** [البقرة: ٧٤].

المثال الثانى: قوله: **﴿فبما نَقْضِهِمْ ميثاقهم لَعَنَّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾** [المائدة: ١٣].

المثال الثالث: قوله: **﴿فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾** [الزمر: ٢٢].

المثال الرابع: قوله: **﴿ليجعل ما يُلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾** [الحج: ٥٣].

النوع السادس والعشرون

المرض والشفاء

فأما المرض، فله أمثلة:

أحدها: قوله: **﴿فى قلوبهم مرض﴾** [البقرة: ١٠].

المثال الثانى: قوله: **﴿ليجعل ما يُلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض﴾** [الحج: ٥٣].

المثال الثالث: قوله: **﴿لئن لم ينْتَه المُنافقون والَّذين فى قلوبهم مرض﴾** [الأحزاب: ٦٠] وهو من مجاز التشبيه؛ لأن المرض فسادٌ فى الأجساد مُفْضٍ إلى الهلاك، وكذلك الكفر والنفاق، وشهوة الزنا أسبابٌ مفسدة للقلب مُفْضية إلى الهلاك؛ إلا أن يشفى الله من هذا المرض بالإيمان والعفاف كما يشفى من أمراض الأجسام.

وأما الشفاء، فمثاله: قوله: **﴿وشفاء لما فى الصدور﴾** [يونس: ٥٧] أى: من أمراض القلوب، شبَّه شفاء القرآن والإيمان من أمراض القلوب بشفاء الأدوية من أمراض الأجسام، وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالمعانى.

النــوع السـابـع والعشــرون

التجــوز بالنــور عن الهــدى وبالظلمـــات عن الضـــلالات

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿والذين كذبوا بآياتنا صُمٌّ وبُكْمٌ فى الظلمات﴾ [الأنعام: ٣٩] أى: فى الضلالات والجهالات.

المثال الثانى: قوله: ﴿وما يستوى الأعمى والبصير * ولا الظُّلمات ولا النور﴾ [فاطر: ١٩، ٢٠].

المثال الثالث: قوله: ﴿ويُخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور بإذنه﴾ [المائدة: ١٦].

المثال الرابع: قوله: ﴿الَر كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ [إبراهيم: ١].

وهذا كله من مجاز التشبيه؛ لما كانت الأنوار الحقيقية كاشفة للمحسوسات حسنها وقبحها شبَّه بها الإيمان والقرآن لكشفها للحقائق الشرعيات، ولما كانت الظُّلمات الحقيقية مانعة من نفوذ الأبصار فى المحسوسات، والظلمات المجازية مانعة من نفوذ البصائر فى المشروعات شُبِّهت بها فى المنع.

وكذلك عبَّر عن الرَّسول ﷺ بالسراج فى قوله: ﴿وسراجًا منيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] لما أشبه السراج فى إزالة الظلمات، وأشبه الرَّسول ﷺ السراج فى إزالته الجهالات والضلالات تجوَّز عنه بالسراج، ووصفه بالإنارة لعموم هدايته؛ لأن السراج قد يكون ضعيفًا، فلا تعم إنارته الناس، وقد يكون قويا تتسع استنارته وإزالته للظلمات، وهذا من مجاز تشبيه الأجسام بالأجسام.

النــوع الثـامـن والعشــرون

التجــوز بالظلمـــات عـن الشـــدائد

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿وتركهم فى ظُلمات لا يُبصرون﴾ [البقرة: ١٧].

المثال الثاني: قوله: ﴿قل مَنْ يُنجيكم مِنْ ظُلمات البر والبحر﴾ [الأنعام: ٦٣]، وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالمعانى.

النــــوع التــاسع والعشـــــرون

الضـــــلال

شبَّه الخارج عن الصواب فى العـقائد والأقوال والأعمال بمن يضل عن الطريق الموصل إلى الأغراض، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ولا الضَّالين﴾ [الفاتحة: ٧] معناه: ولا الضالين عن الصراط المستقيم.

المثال الثاني: قوله: ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٧٧].

المثال الثالث: قوله: ﴿إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ [الأحزاب: ٦٧].

ومن ذلك: إضلال الأعـمال؛ شبه تعذر وصـــولهم إلى ثواب أعمالهم بتـعذر وصول صاحب الضـلالة إليها ما دامت ضـــالة، وذلك فى قوله: ﴿الَّذين ضلَّ سعـيهم فى الحـياة الدنيا﴾ [الكهف: ١٠٤] أى: ضل ثواب سعيهم، ومثله قوله: ﴿إنا لا نُضيع أجر مَنْ أحسن عملاً﴾ [الكهف: ٣٠] أى: لا نحول بينه وبين مستحقه كما يُحال بين الضائع وربه.

النـــــوع الثــــلاثــون

تشبيه المؤمن بالحى والسميع والبصير ...، والكافر بالميت والأعمى والأصم

ومثاله قوله: ﴿وما يستوى الأعمى والبصير * ولا الظُّلمات ولا النُّور * ولا الظِّل ولا الحرور * وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾ [فاطر: ١٩ ـ ٢٢] شبَّه المؤمنين بالأحياء السامعين المبصرين؛ لانتفاعهم بحياتهم وأسماعهم وأبصارهم، وشبَّه الكافرين بالموتى الصم العمى لما لم ينتفعـوا بحياتهم وأسماعهم وأبصـارهم، فنفى ذلك عنهم لانتفاء فائدته؛ فأشـبه قوله: ﴿إنهم لا أيمان لهم﴾ [التوبة: ١٢] بعد أن أثبت لهم الأيمان فى قوله: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ [التوبة: ١٢].

وقول الشاعر (طويل) :

وإن حلفتْ لا يُنقِضُ النأيُ عهدها فليس لمخضوبِ البنانِ يمينُ[1]

أي: وفاء يمين.

وأما قوله: ﴿مثل الفريقين كالأعمىْ والأصمِّ والبصير والسميع﴾ [هود: ٢٤] فليس بمجازٍ لاستعمال أداة التشبيه فيه.

ألنوع الحادى والثلاثون

الصُّم والعُمى والبُكم

فى قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة: ١٨] وكذلك نظائره، شبَّه عدم انتفاعهم بما يسمعون وما يبصرون بعدم انتفاع من لا سمع له ولا بصر، وشبَّه تركهم النطق بكلمة الإيمان بترك الأخرس الكلام.

ويتجوَّز بالعمى عن الجهل فى قوله: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ [الحج: ٤٦] ولما اشترك البصر والبصيرة فى عدم الإدراك تجوَّز به عنه.

النوع الثانى والثلاثون

التجوز بالأبصار عن البصائر وبالبصائر عن الأبصار للاشتراك فى الإدراك

فى قوله: ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾ [الحشر: ٢]، وفى قوله: ﴿إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ [آل عمران: ١٣] شبَّه الانتقال من حيز الاغترار إلى حيز الاتعاظ بالعبور من مكان إلى مكان، واستعار الأبصار للبصائر لاشتراكهما فى الإدراك، كما استعار الذوق المختص بالطعوم لوجدان الآلام لاشتراكهما فى الإدراك.

(١) تقدم .

النوع الثالث والثلاثون

التجوز بالموت عن الكفر وبالحياة عن الإيمان

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿أَوَمَنْ كان مَيْتًا فأحييناه﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي: كافرًا فهديناه.

المثال الثاني: قوله: ﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾ [فاطر: ٢٢].

المثال الثالث: قوله: ﴿فإنَّك لا تُسمع الموتى﴾ [الروم: ٥٢] وهذا: من مجاز التشبيه؛ شبَّه الكافر فى عدم معرفته بما أنزل الله بالميت الذى لا يسمع، ولا يبصر، وشبَّه المؤمن بالحى المُدرك للحقائق، لإدراك المؤمن الحقائق الشرعية.

ويتجوَّز بالموت عن الشدة المفرطة فى قوله: ﴿ويأتيه الموت من كُلِّ مكان﴾ [إبراهيم: ١٧] وقيل: هو من مجاز الحذف تقديره: ويأتيه ألم الموت، أو كرب الموت من كل مكان.

ومثله قول الشاعر(خفيف):

لَيسَ مَنْ مَاتَ فاستراحَ بِميتٍ إنَّما الميتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ(١)

وتجوز بالموت عن اليبوسة فى قوله: ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ [النحل: ٦٥]، وفى قوله: ﴿اعلموا أن الله يُحيى الأرض بعد موتها﴾ [الحديد: ١٧]، وفى قوله: ﴿فَسُقْنَاه إلى بلد مَيِّت فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾ [فاطر: ٩] شبَّه يبس الأرض وقحولتها بالموت، وشبَّه رطوبتها بالنبات بالحياة.

وقد يعبَّر بالحياة عن الظهور والاشتهار، وبالموت عن الخفاء والاستتار؛ لأن الحى ظاهرٌ مشهور، والميت خفىٌّ مستور، قال ﷺ: «اللهم إنى أول من أحيا أمرك بعد إذْ أماتوه»(٢) أى: أظهر أمرك بعدما أخفوه، قال الشاعر (طويل):

---

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة (١/ ١٤٩). والبيت لعدى بن الرعلاء، انظر: أمالى الشجرى ١/ ١٥٢، ابن يعيش ١٠/ ٦٩، الأصمعيات ١٥٢.

(٢) أخرجه: مسلم فى الحدود ١٧٠٠، أبو داود فى الحدود ٤٤٤٧، ابن ماجه فى الأحكام ٢٣٢٧، ٢٥٥٨، أحمد فى المسند ١٨٠٥٥، ١٨٠٩٠، ١٨١٨٨.

* فأحييت ذكرى بعد ما كان خاملا(١) *

فأظهرت ذكرى بعد ما كان خفيا.

النوع الرابع والثلاثون
التجوز بالروح عن الوحي والقرآن

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿يُنَزِّلُ الْملائكة بالروح مِنْ أمره على من يشاءُ من عباده﴾ [النحل: ٢].

الثانى: قوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك رُوحًا من أمرنا﴾ [الشورى: ٥٢] شبّه القرآن بالروح؛ لأنه إذا حل فى القلب حيي القلب بحياة الإيمان كما أن الروح الحقيقى إذا حلّ فى الجسد حيي بحياة الأبدان، وهذا من مجاز تشبيه المعانى بالأجرام، ولا يجيء هذا على مذهب القاضى.

النوع الخامس والثلاثون
التجوُّز بالسجود عن الانقياد لقدرة الله وإرادته

لأن انقياد الجمادات لقدرة الله وإرادته، كانقياد المأمور لأمره، والساجد للمسجود له، والخاضع للمخضوع له، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ولله يَسْجد مَنْ فى السموات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغُدو والآصال﴾ [الرعد: ١٥] إن حملت هذا كله على السجود المجازى صح، وإن حملته فى حق العقلاء على السجود الحقيقى، وفى حق الظلال على السجود المجازى كنت جامعًا بين المجاز والحقيقة.

المثال الثانى: قوله: ﴿ولله يَسْجد ما فى السموات وما فى الأرض مِنْ دابة والملائكة﴾ [النحل: ٤٩].

المثال الثالث: قوله: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض

(١) البيت لأبى نخيلة بن حزن بن لقيط السعدى، عيون الأخبار ٣/ ١٦٥، بهجة المجالس ١/ ٣١٣.

والشمس والقمر والنُّجوم والجبال والشجر والدَّواب وكثيرٌ من النَّاس وكثيرٌ حقَّ عليه العذاب﴾ [الحج: ١٨] إن حملته على السجود المجازى فى الجميع صح؛ لأن الكل منقادون لقدرته وإرادته، وإن حملته على السجود الحقيقى فيمن يعقل، وعلى المجازى فيما لا يعقل كنت جامعًا بين حقيقة شرعية ومجاز لغوى.

وكذلك تسخير ما فى السموات وما فى الأرض فى قوله: ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض﴾ [الجاثية: ١٣]، وفى قوله: ﴿والنُّجومُ مُسَخَّراتٌ بأمره﴾ [النحل: ١٢]، وفى قوله: ﴿وهو الذى سَخَّر البحر﴾ [النحل: ١٤]، وفى قوله: ﴿فاسلكى سُبل ربك ذُللاً﴾ [النحل: ٦٩]، وفى قوله: ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً﴾ [الملك: ١٥] فهذا كله من مجاز التشبيه؛ شبَّه تأتيها وانطياعها لقدرة الله وإرادته بانقياد الذليل الخاضع المسخر إلى مسخِّره ومذلِّله.

النوع السادس والثلاثون

التجوز بلسان المقال عن دلالة الحال لاشتراكهما فى الدلالة

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿تُسبح له السموات السبع والأرض ومَنْ فيهن﴾ [الإسراء: ٤٤].

المثال الثانى: قوله: ﴿وإن من شىء إلا يُسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤].

المثال الثالث: قوله: ﴿سبَّحَ لله ما فى السموات وما فى الأرض﴾ [الحشر: ١] وهذا من مجاز التشبيه لَمَّا قامت دلالة المصنوع على قدرة صانعه، وعلمه، وإرادته، وحياته، وحكمته مقام دلالة اللفظ على هذه الأوصاف تجوَّز بذلك عنه للاشتراك فى الدلالة، والتسبيح للسلب والتنزيه، ولَمَّا دلت هذه الأوصاف على انتفاء أضدادها كانت سالبة للعجز والجهل، والموت والطبع عن الإله سبحانه وتعالى.

المثال الرابع: قوله: ﴿يوم نقولُ لجهنَّم هل امتلأت وتقولُ هل مِنْ مزيد﴾ [ق: ٣٠].

المثال الخامس: قوله: ﴿إنما نُطْعِمكم لوجه الله﴾ [الإنسان: ٩] إنَّما قالوا: ذلك بلسان المقال.

المثال السادس: قوله: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] تجوَّز بقوله: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ عن تأتيهما وانقيادهما لقدرته وإرادته.

المثال السابع: قول الشاعر (رجز):

شكا إليَّ جملي طول السرى ... صبرًا قليلاً فكلانا مبتلى(١)

المثال الثامن: قول عنترة (طويل):

فازورَّ من وقعْ القنا بلبانه ... وشكا إليَّ بعبرة وتحمحم(٢)

المثال التاسع: قول الشاعر (رجز):

* إذا قالت الأنساعُ للبطنِ الْحَقِ(٣) *

المثال العاشر: قول الشاعر (رجز):

* قالت له ريحُ الصبا قَرْقَارِ(٤) *

المثال الحادى عشر: قول الشاعر:

امتلأ الحوضُ فقال قَطْنِى ... مهلاً رُوَيْدًا قد ملأت بَطْنِى(٥)

وهذا أيضًا من مجاز التشبيه؛ لما كانت حال هذه الأشياء كحال الناطق الشاكى، تجوَّز بهذه الألفاظ عن حالها.

النوع السابع والثلاثون

البشارة والنذارة المجازيان

ولهما أمثلة:

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٠٧، تفسير القرطبى ٢/ ٣٥٦، هارون ٢/ ٥٦٥ .

(٢) ديوانه ص ٣٠، غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٣٨ .

(٣) شواهد الكشاف ٤/ ٤٦٢، الفائق ٣/ ٢٥٠ .

(٤) ينسب لأبى النجم العجلى، المزهر للسيوطى ٢/ ١٠٠، هارون ٢/ ٤٨ .

(٥) الكامل للمبرد (٢/ ٩١) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٨، مجاز القرآن للشريف الرضى ٣١١، ولم ينسبوه.

أحدها: وصف القرآن بكونه بشيرًا ونذيرًا في قـوله: ﴿بشيراً ونذيرًا﴾ [فصلت: ٤] وفيه مجازان:

أحدهما: أن المبشِّر المنذِر هو الله عزَّ وجلَّ المتكلم به، فوصفه بصفة قائله؛ كما قالوا: شعرٌ شاعر؛ فجعلوا الشعر شـاعرًا، كما جعل الله القرآن مبشِّرًا، ومنذرًا، والله المبشِّر المنذِر على الحقيقة.

ثانيهما: وصف الكل بصفة البعض، فإن القرآن كله ليس مبشرًا ولا منذرًا؛ لأن الأمر والنهي، والقصص، وسائر الحدود والأحكام التي فيه ليست مبشرة ولا منذرة.

المثال الثاني: قوله: ﴿ومن آياته أن يُرْسل الرياح مُبَشِّرات﴾ [الروم: ٤٦] لما دلَّت الرياح المثيـرة للسحاب على مـجيء الأمطار شُبِّهَتْ بالبشـارة اللفظية بمجيء الأمطار للاشـتراك في الدلالة على مجيء الأمطار.

المثال الثالث: قوله: ﴿وهو الذي يُرْسل الرياح بُشْرًا بين يدي رحمته﴾ [الأعراف: ٥٧].

النـــوع الثـــامن والثـــلاثون

وصف الكتاب بالفتيا والقصص والحكمة والنطق والتكلم وكونه ضياء ونورًا وهاديًا ومصدقًا لما بين يديه

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ويستفتونك في النِّساء قل الله يُفْتيكم فيهن وما يُتْلى عليكم في الكتاب في يتامى النِّساء﴾ [النساء: ١٢٧] جعل المتلو مفتيًا؛ إما لأنه وصفه بـصفة قائله كقولهم: شعرٌ شاعر، أو لأنه لما دل على الجواب أشبهت دلالته قول المفتي.

المثال الثـاني: قوله: ﴿إن هذا القـرآن يقص علـى بني إسـرائيل أكـثـر الذي هم فـيـه يختلفون﴾ [النمل: ٧٦] وصفه بكونه قاصا إما لأنه صفة المتكلم به كقولهم: شعرٌ شاعر، أو لأنه أشبه القاصَّ في دلالته.

المثال الثالث: قوله: ﴿يس * والقرآن الحكيم﴾ [يس: ١، ٢] إما أن يكون وصفه بصفة قائله، أو لأنه لما اشتمل على الحكمة أشبه الحكيم المشتمل على الحكمة.

المثال الرابع: قوله: ﴿هذا كتابنا يَنْطِقُ عليكم بالحق﴾ [الجاثية: ٢٩] لما دلَّ الكتاب على الحق دلالة نطق الناطق عليه استعير له النطق.

المثال الخامس: قوله: ﴿أم أنزلنا عليهم سُلْطانًا فهو يتكلم بما كانوا به يُشْرِكون﴾ [الروم: ٣٥] وصف السلطان ـ وهو الحجة ـ بالتكلم؛ لأنها دالة على ما نصب حجة عليه كما يدل الكلام على ما وضع له من مدلولاته.

المثال السادس: قوله: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفُرْقَان وضياءً وذكرًا للمتقين﴾ [الأنبياء: ٤٨].

المثال السابع: قوله: ﴿وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا﴾ [النساء: ١٧٤] وصفه بذلك؛ لأنه يكشف ظلمات الجهالات عن الحق كما يكشف النُّور الحقيقى الظُّلمات المحسوسات، عن الأشكال والصفات.

وأما قوله: ﴿هذا بصائر للناس﴾ [الجاثية: ٢٠] فإنه شبَّه القرآن بالبصيرة التى يُدْرَك بها المعقولات؛ لأنه يُدرَك به ما لا يُدرَك بالحس.

المثال الثامن: قوله: ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾ [الإسراء: ٩] جعل القرآن هاديًا إما لأنه صفة للمتكلم به، أو لأن بيانه كبيان الهادى.

المثال التاسع: قوله: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مُصَدِّقًا لما بين يديه من الكتاب﴾ [المائدة: ٤٨] أى: موافقًا لما تقدمه من الكتب السماوية، لما دلَّ على صدق الكتب قبله بموافقته إياها أشبهت دلالته دلالة التصديق القولى، وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لما بين يديه﴾ [المائدة: ٤٨] كقوله: ﴿بين يدى عذاب شديد﴾ [سبأ: ٤٦]، ولا يدان للقرآن كما لا يدان للعذاب، وهذا من مجاز تشبيه ما تقدم عليك من الزمان بما تقدم بين يديك من المكان؛ كقوله: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ [يس: ٤٥] معناه: اتقوا مثل ما تقدمكم من عذاب الأمم المكذبين، وما خلفكم من عذاب الآخرة.

وكقوله: ﴿يَعْلَمُ ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ [البقرة: ٢٥٥] معناه: يعلم ما تقدمهم.

وأما قوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُم﴾ فإنه شبَّه أمر الآخرة فى عدم الشعور به والالتفات إليه بما هو خلف الإنسان لا يراه ولا ينظر إليه.

وقد يعبَّر بما بين اليدين عما أنت قادم عليه، وصائر إليه؛ لأن ما بين يديك من طريقك الذى تمر عليه يوصلك إلى ما بين يديك كقوله: ﴿إن هو إلا نذيرٌ لكم بين يدى عذاب شديد﴾ [سبأ: ٤٦] أى: إلى مُخَوف لكم قبل عذاب شديد.

وكقوله: ﴿فَقَدِّموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ [المجادلة: ١٢] أى: فقدموا قبل نجواكم صدقة.

النوع التاسع والثلاثون
الحمل والتحميل والحطُّ والوضع

فأما الحمل والتحميل، فلهما أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ربَّنَا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ [البقرة: ٢٨٦] أى: لا تكلفنا بما تأمرنا به وما تنهانا عنه ما لا نطيق حمله والقيام به.

المثال الثانى: قوله: ﴿ولا تحمل علينا إصْرًا كما حملته على الَّذين من قبلنا﴾ [البقرة:٢٨٦] أى: ولا تكلفنا عهدًا ثقيلاً كما كلفته الَّذين من قبلنا.

المثال الثالث: قوله: ﴿فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّلَ وعليكم ما حُمِّلْتُم﴾ [النور: ٥٤] أى: فإنما عليه ما كلفه من تبليغكم، وعليكم ما كلفتموه من طاعته.

المثال الرابع: قوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يَحْملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جَهُولاً﴾ [الاحزاب: ٧٢] معناه: إنا عرضنا حمل التكاليف على السموات، والأرض، والجبال، فأبين أن يقبلنها، ويلزمنها، وأشفقن من تضييعها، والتفريط فيها، وقبلها الإنسان والتزمها: ﴿إنه كان ظلومًا﴾ لنفسه ﴿جهولاً﴾ بعاقبة تحمل التكاليف، شبَّه مشاق التكاليف وثقلها على النفس فى هذه الآيات بالمشاق الحاصلة من تحمل الأحمال الثقيلة.

المثال الخامس: قوله: ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ [العنكبوت: ١٢] أى: أثقال خطاياكم.

المثال السادس: قوله: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ [الانعام: ٣١].

المثال السابع: قوله: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة﴾ [النحل: ٢٥].

المثال الثامن: قوله: ﴿وليحملُنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ [العنكبوت: ١٣] شبَّه شدة مشاق عقوبات الذنوب فى هذه الآيات بمشاق تحميل الأحمال الثقال التى لا تطاق.

وأما قوله: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ [البلد: ١١]، فإنه شبَّه تحمل مشقة الإعتاق وإطعام السغبان باقتحام عقبة شاقة كؤود.

ومثله قوله: ﴿سأُرهقهُ صَعُوداً﴾ [المدثر: ١٧] أى: مشقة شديدة.

ومثله قول عمر رضى الله عنه: «ما تصعدنى شىء ما تصعدنى عقدة النكاح»[1] أراد: ما شق علىَّ.

وكذلك قولهم: رفعوا فى صعود وهبطوا: إذا وقعوا فيما يشق عليهم، فإن الصاعد الهابط مشقوقٌ عليه.

وأما الحطُّ: ففى قوله: ﴿وقولوا حِطَّة نَغْفِرْ لكم خطاياكم﴾ [البقرة: ٥٨] معناه: مسألتنا أن تحط عنا أوزار ذنوبنا، لما حسن فيها الحمل حسن فيها الحط.

وأما الوضع فضربان:

أحدهما: إسقاط التكاليف الشاقة بنسخها، وذلك فى مثل قوله: ﴿ويضع عنهم إصْرَهُم والأغلال التى كانت عليهم﴾ [الاعراف: ١٥٧] شبَّه نسخ التكاليف الشاقة عن هذه الأمة بوضع الأحمال الثقيلة عن حاملها. والإصر: هو العهد الثقيل، ونسب الوضع إلى الرَّسول ﷺ؛ لكونه أظهره وأخبر عنه، والواضع على الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ، وتجوَّز بالأغلال عن التحريمات المانعة من الأفعال المحرمة تشبيهًا لها بالأغلال المانعة للأيدى فى التصرف والاستقلال.

---

(١) النهاية فى غريب الحديث ٣/ ٣٠، الفائق ١/ ٢٩٠، غريب الحديث لابن الجوزى ١/ ٥٨٩ .

وكذلك يتجوَّز بها عن البخل فى قوله: ﴿وقالت اليهود يدُ الله مَغْلولة﴾ [المائدة: ٦٤] لما كان البخل مانعًا من الإنفاق أشبه الغل المانع من التصرف.

ويتجوَّز بالغل أيضًا عن موانع الإيمان فى مثل قوله: ﴿إنا جعلنا فى أعناقهم أغْلالاً﴾ [يس: ٨].

وتجوَّز به عن ترك النفقة فى الطاعة فى قوله: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عُنقك﴾ [الإسراء: ٢٩].

الثانى: وضع المؤاخذة بالذنب فى قوله: ﴿ووضعنا عَنْكَ وِزْرَكَ * الذى أنقضَ ظهرك﴾ [الشرح: ٢، ٣] شبَّه إسقاط مؤاخذته بما سلف قبل النبوة بإسقاط مشاق الأحمال الثقيلة، و ﴿أنقض ظهرك﴾ أى: جعل له نقيضًا، وهو الصوت، وإنما يصوت ظهر الإنسان بانفكاك بعض فقاراته، ولا يكون ذلك إلا مِنْ حَمْلٍ غاية الثقل، ولا يدل ذلك على أن وزر رسول الله ﷺ من أعظم الأوزار بل المراد استعظامه إياه مع صغره عند الله؛ إذْ كانت صغيرته عنده أشق عليه، وأعظم لديه من أكبر الكبائر عند غيره إجلالاً لله، وتعظيمًا له، وقد قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»(١).

وأما قول زهير (طويل):

وثقل على الأعداء لا يضعونه ... وَحَمَّال أثقالٍ ومأوى المطرد(٢)

فإن الثقل والوضع والحمل فيه على التجوُّز كما ذكرناه.

النوع الأربعون

القبض والبسط

فأما القبض ففى مثل قوله: ﴿ويَقْبِضُوْنَ أيديهم﴾ [التوبة: ٦٧] تجوَّز به عن ترك النفقة لمشابهته من قبض يده على النفقة.

---

(١) ينسب إلى أبى سعيد الخراز (طبقات السلمى ص ٢٢٨، كشف الخفاء ١/ ٤٢٨، المقاصد ١٨٨.

(٢) ثعلب ص ٢٣٣ .

وقال الحسن: شبَّه امتناعهم من كل خير بقبض اليد.

وأما قوله: ﴿**والله يَقْبِضُ ويَبْسُطُ**﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقوله: ﴿**ثم قَبَضْنَاه إلينا قبضًا يسيرًا**﴾ [الفرقان: ٤٦]، فإنه تجوَّز بالقبض عن الإعدام؛ لأن المقبوض من مكان يخلو منه محله كما يخلو المحل من الشيء إذا عدم.

ومثله قوله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء**»(١) أي: بقبض أرواح العلماء، وقبضه للعلم مجاز عن إخلاء القلوب منه.

وأما قوله: ﴿**والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة**﴾ [الزمر: ٦٧] فإنه عبَّر بذلك عن الاستيلاء، كما يعبر به في قولهم: قبضت الدار، والأرض، والعبد، والبعير، يريدون بذلك الاستيلاء والتمكن من التصرف، ونظير ذلك قوله ﷺ: «**قلب المؤمن ـ أو قلوب بنى آدم ـ بين أصبعين من أصابع الرحمن**»(٢) تجوَّز بذلك عن استيلائه واقتداره على تقليب القلوب من حال إلى حال تشبيهًا لذلك بالكون بين الأصبعين، والمعنى بالأصبعين اللتين وقع بهما التشبيه: المُسبِّحة والإبهام؛ لأن التقليب فى الغالب بهما.

وكذلك قوله ﷺ: «**إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع**»(٣).

وكذلك قوله ﷺ: «**حتى يضع ربُّ العزة ـ أو الجبار، أو رب العالمين ـ قدمه ـ أو رجله ـ فيها أو عليها**»(٤) شبَّه استهانته بأهلها بشيء وضع تحت القدمين أو الرجلين استهانة به، وتحقيرًا له.

---

(١) أخرجه: البخارى فى العلم ١٠٠، مسلم فى العلم ٢٦٧٣، الترمذى فى العلم ٢٦٥٢، ابن ماجه فى المقدمة ٥٢، أحمد فى المسند ٦٤٧٥، ٦٧٤٨، ٦٨٥٧ الدارمى فى المقدمة ٢٣٩.

(٢) أخرجه: ابن ماجه فى المقدمة ٢٣١، ٣٠٥٦، أحمد فى المسند ١٦٢٩٦، الدارمى فى المقدمة ٢٢٧، ٣٢٨.

(٣) أخرجه: البخارى فى التوحيد ٧٤١٤، مسلم فى صفة القيامة والجنة والنار ٢٧٨٦، ٢٧٨٦، الترمذى فى تفسير القرآن ٣٢٣٨، أحمد فى المسند ٣٥٧٩، ٤٠٧٦، ٧٣٥٥.

(٤) أخرجه: البخارى فى التوحيد ٧٤١٣، مسلم فى صفة القيامة والجنة والنار ٢٧٨٨، ابن ماجه فى المقدمة ١٩٨، الزهد ٤٢٧٥، أحمد فى المسند ٥٥٧٦.

قال ﷺ: «ألا وإن كل مأثرة من مآثر الجاهلية تحت قدميَّ هاتين»(١) تجوَّز بذلك عن الاستهانة بمآثرهم، وعدم الاكتراث بها، ولم يرد إلا ذلك؛ إذ لا يصح فى تلك المآثر أن تكون موضوعة تحت قدميه.

ومن ذلك قوله ﷺ: «رأيت ربِّى فى أحسن صورة، فوضع يده بين كتفيَّ فحسست ببرد أنامله بين ثديي»(٢) عبَّر بحسن الصورة عن رضاه عنه، وإقباله عليه، وتجوَّز بوضع اليدين بين كتفيه عن إكرامه وتقريبه، وتجوَّز ببرد أنامله عما وجده من لذة إكرامه، ولا يراد به البرد الحقيقى كما لا يُراد به فى قوله ﷺ: «اللهم أذقنى برد عفوك، وحلاوة مغفرتك»(٣)، وفى قوله ﷺ: «اللهم اغسل خطاياى بالثلج، والبرد، والماء البارد»(٤) لم يرد بذلك عين الثلج، والبَرَد، والماء البارد، وإنما أراد بذلك إذاقته لذة عفوه لذنوبه كما يلتذ الظمآن بالثلج، والبَرَد، والماء البارد، وكما عبَّر بحلاوة المغفرة عن لذتها، وكما عبَّر بالمرارة عن المتألم لأهوال القيامة فى قوله: ﴿والسَّاعَةُ أدهَى وأمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

وكقول بعضهم (بسيط):

* فما أمرَّكَ فى قلبى وأحلاك *(٥)

وكما فى تعبيره عن ذوق لذة الجماع بذوق العَسيلة(٦).

وكما فى قول الشاعر (طويل):

سَقَيْنَاهُمُ كأسًا سَقَوْنا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصْبَرَا

(١) أخرجه: النسائى فى القسامة ٤٨٩١، ٤٧٩٣، أبو داود فى الديات ٤٥٤٧، ابن ماجه فى الديات ٢٦٢٧، الدارمى فى الديات ٢٣٨٣.

(٢) أخرجه: الترمذى فى تفسير القرآن ٣٢٣٤.

(٣) أخرجه: الترمذى فى الصلاة ٤٧٩، ابن ماجه فى إقامة الصلاة والسنة فيها ١٣٨٤.

(٤) أخرجه: الترمذى فى تفسير القرآن ٣٢٣٤.

(٥) ديوان الشريف الرضى ٢/١٠٧.

(٦) أخرجه: النسائى فى الطلاق ٣٤١٤، ابن ماجه فى النكاح ١٩٣٣، ونصه: الحديث عن ابن عمر عن النبى ﷺ فى الرجل تكون له المرأة يطلقها ثم يتزوجها آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها فتخرج إلى زوجها الأول، قال: «لا حتى تذوق العسيلة».

عبَّر بسقى الكأس عما أوجدوهم من ألم القتل.

وكما قالت الخِرْنَقُ:

لا يَبْعُدَنْ قومى الَّذين هُمُ   سُمُّ العداةِ وآفة الجُزْرِ(١)

فتجوَّزت بالسم القاتل عن قتلهم العداة، وكنَّت بقولها: «وآفة الجزر» عن كثرة قرى الضيفان؛ لأن من كثر ضيفانه كثر نحره للجزر.

وأما قوله ﷺ: «**فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون**»(٢)، فإنه لما كانت الصورة من صفات المصور تجوَّز بها عن صفات الكمال، ونعوت الجلال، من جهة كونها صفة لا من جهة كونها جسمًا مشكلاً.

وكذلك قوله ﷺ: «**فيأتيهم الله فى غير صورته التى يعرفونها**»، وقوله: «**إن الله خلق آدم على صورته**»(٣) أى: وعلى صفته فى الحياة، والعلم، والسمع، والبصر، والإرادة، والكلام.

وقد تطلق الصورة فى غير هذا على غير الشكل الجسمانى، فى مثل قولهم: ما صورة هذه المسألة، وما صورة هذه الواقعة؟ وليس لهما شكل.

وأما البسط، فله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿**ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ**﴾ [الإسراء: ٢٩].

المثال الثانى: قوله: ﴿**بل يداه مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة: ٦٤] لما كان الباسط يده غير مانع لما

---

(١) ديوان الخرنق ص ١٢، تفسير القرطبى ٢/٢٣٩، زاد المسير ٢/٢٥٣.

(٢) أخرجه: البخارى فى التوحيد ٧٤٣٨، مسلم فى الإيمان ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٤، الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع ٢٤٣٤، تفسير القرآن ٣١٤٨، النسائى فى التطبيق ١١٤٠، ابن ماجه فى الزهد ٤٢٨٠، ٤٣٠٩، أحمد فى المسند ٧٦٦٠، ١٠٦٣٣، ١٠٦٩٣، ١٠٧٦٧، ١٠٨١٦، ١١٠٤٩، ١١١٣٩، ١١٣٢٤، ١١٤٤٥، ١١٤٨٨، الدارمى فى الرقاق ٢٨٠١، ٢٨٠٣، ٢٨١٧.

(٣) أخرجه: مسلم فى البر والصلة والأدب ٢٦١٢، أحمد فى المسند ٧٣٧٢، ٧٣٤١، ٨١٣٩، ٨٢٣٦، ٩٣٢١، ٩٥٠٧، ٩٦٤٦، ١٠٣٥٤.

فيها شبَّه البذل والإنفاق ببسط اليد للإعطاء، كما عبَّر بالقبض عن البخل؛ لأن القابض على الشيء يمتنع خروجه من يده، إلا أن يبسطها، وهو من مجاز الملازمة أو التشبيه.

النـــوع الحـــادى والأربعـــون

الشـرح والضيـــق والسعـــة والفتـح

فأما الشرح، فإنه حقيقة فى الفتح والتوسع، ومنه قولك: «شرحت اللحم» مجاز عن إزالة موانع الإسلام من الصدور حتى حـصل فيها الإسلام كما يحصل الجـرم فيما يتسع له من الأحياز، وكذلك القول فى شرح الصدور بالكفر، وله أمثلة:

أحدها: ﴿**أفمن شَرَحَ الله صَدْرَه لـلإسلام**﴾ [الزمر: ٢٢] مـعناه: أفمن وسَّع الله قلبـه للإسلام.

المثال الثانى: قوله: ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ [الشرح: ١].

المثال الثالث: قوله: ﴿**ولَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكفر صَدْرًا**﴾ [النحل: ١٠٦].

وأما الضيق المجازى، فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**وَمَنْ يُرد أن يُضله يَجْعل صَدْرَه ضَيِّقًا حـرجًا**﴾ [الأنعام: ١٢٥]، شبَّه تعذر حصول الإيمان فى صدره بتعذر حصول الجرم الكبـير فى الحيز الصغير كالولوج للجمل فى سَمِّ الخياط، وعبَّر بالصدر عن القلب كما عبَّر به فى الشرح عن القلب.

وكذلك فى قوله: ﴿**إنْ فى صدورهم إلا كِبْرٌ ما هم ببـالغيه**﴾ [غافر: ٥٦] معناه: ما فى قلوبهم إلا طلب كبر أو إرادة كبر ما هم ببالغيه.

وكذلك قوله: ﴿**وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تُخفوه**﴾ [البقرة: ٢٨٤].

المثال الثانى: قوله: ﴿**ولا تك فى ضَيِّق ممـا يَمكُرون**﴾ [النحل: ١٢٧] عـبَّر بالكون فى الضيق عن شدة المشقة؛ لأن الكائن فى الحيز الضيق مشقوقٌ عليه.

المثال الثالث: قوله: ﴿**وما جعل عليكم فى الدِّين من حرج**﴾ [الحج: ٨٧] أى: وما جعل عليكم فى الطاعة والعبادة من مشقة شديدة.

المثال الرابع: قوله: ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ٢٥] هذا ضيق حسبانيّ وهميّ، كقول امرئ القيس (متقارب):

* تطاول ليلكَ بالإثْمُدِ *

وكقول زهير (متقارب):

فظلَّ قصيرًا على صحبهِ وظلَّ على القومِ يومًا طويلاً

وهذا الطول والقصر كلاهما حسانى.

المثال الخامس: قوله: ﴿وضاقت عليهم أَنفُسهم﴾ [التوبة: ١١٨] أى: وضاقت عليهم قلوبهم أن تتسع للسرور والأفراح لامتلائها بالهم والغم، فإن الإناء إذا ملئ بشيء ضاق عن غيره ما دام ملؤه فيه.

المثال السادس: قوله: ﴿ما كان على النَّبى من حرج فيما فَرَضَ الله له﴾ [الأحزاب: ٣٨] أى: ما كان على النَّبى من ضيق فيما أحلَّه الله له من النكاح.

وأما السعة، فإنه يتجوَّز بها عن الغنى كما يتجوَّز عن الفقر بالضيق، واتساع الأجرام عائدٌ إلى كثرة أجزائها، فجاز أن يعبَّر به عن الغنى؛ لأنه مال كثير، وتشبَّه كثرة المال بكثرة المساحة، وعلى هذا يعبَّر بالضيق عن الفقر؛ لأن قلة مال الفقير مشبَّهة بقلة مساحة الضيق، ويجوز أن يتجوَّز بضيق الفقر عن مشقته تشبيهًا لمشقة الفقر بمشقة الحصول فى مكان ضيق ضاغط، ويشبَّه ارتياح الغنىُّ بغناه بارتياح من حصل فى مكان طيب واسع، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿لا يُكلف الله نفسًا إلا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] أى: لا يكلفها إلا ما يتسع له ولا يتعذر حصوله منها كما يتعذر حصول الجرم الكبير فى الحيز الصغير.

المثال الثانى: قوله: ﴿لِيُنفِقْ ذو سعة من سَعَتِه﴾ [الطلاق: ٧].

ويتجوَّز بالوسع عن الجود والإفضال فى مثل قوله: ﴿والله واسعٌ عليم﴾ [البقرة: ٢٦١] أى: جواد عليم بمن هو أهل للجود عليه.

المثال الثالث: قوله: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسَّعة أن يؤتوا أولى القُربى﴾ [النور: ٢٢] أى: ولا يأتل أولو الفضل منكم فى الدين، والسعة فى المال أن يؤتو أولى القربى.

وأما **الفتح**، فله أمثلة:

أحدها: قوله: **﴿فلما نسوا ما ذُكِّروا به فَتَحْنَا عليهم أبواب كل شىء﴾** [الانعام: ٤٤] شبَّه حصول الأرزاق والخصب بما كان مغلقًا لا يقدر عليه، ثم فُتحت أبوابه حتى وصل من يطلبه إليه.

المثال الثانى: قوله: **﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد إذا هُمْ فيه مُبْلسون﴾** [المؤمنون: ٧٧] شبَّه المانع من العذاب بباب مغلق، وشبَّه حصولهم فى العذاب بمن فتحت له أبواب السجن والحبس فدخل إليه.

المثال الثالث: قوله: **﴿قل يَجْمَعُ بيننا ربنا ثم يَفْتَحُ بيننا بالحق﴾** [سبأ: ٢٦] أى: ثم يحكم بيننا بالحق، شبَّه فتح الحاكم لما انغلق على الخصوم بفتح الأبواب عمن كان فى ضيق فخرج منه، وانفصل عنه.

ومنها: التجوُّز بالمفاتح ـ وهى الخزائن ـ عن العلم فى قوله: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾** [الأنعام: ٥٩] شبَّه إحاطة علمه بالمعلومات بإحاطة الخزائن بالمخزونات، وقوله: **﴿لا يعلمها إلا هو﴾** معناه: لا يعرف مخزونها إلا هو.

ومنها: التعبير بالخزائن عن القدرة على الأرزاق فى قوله: **﴿وإن من شىء إلا عندنا خزائنه﴾** [الحجر: ٢١] شبَّه قدرته على الأرزاق بقدرة من ملك الخزائن على الإنفاق.

النوع الثانى والأربعون

التفريق والتفرق

التفريق فى الأجرام بالأماكن، وفى المعانى بالأوصاف، تشبيهًا لاختلاف الأوصاف وتباعدها باختلاف الأماكن وتباعدها، وله أمثلة:

أحدها: قوله: **﴿لا نُفرق بين أحد من رُسُله﴾** [البقرة: ٢٨٥] أى: لا نؤمن بهذا ونكفر بهذا فنصف أحدهما بالتصديق، والآخر بالتكذيب.

المثال الثانى: قوله: **﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفُرْقان يوم التقى الجمْعَان﴾** [الأنفال: ٤١]، وهو مصدر بمعنى التفريق، فرَّق بينهم يومئذ بنصر المؤمنين، وخذلان الكافرين.

المثال الثالث: قوله: ﴿تبارك الذى نَزَّلَ الفُرْقان على عَبْده﴾ [الفرقان: ١] أى: الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، ومنه التفريق بين المسائل بالأوصاف المناسبة والشبهية.

وأما التفرق، فإنه حقيقة فى تفرق الأبدان، مجاز فى التفريق بالاديان، شبَّه التفرق باختلاف الأديان بالتفرق بالاختلاف في المكان؛ لأن اختلاف الأديان كالاختلاف بالأماكن والأزمان، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وما تفرَّقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ [الشورى: ١٤].

المثال الثانى: قوله: ﴿الذين فَرَّقوا دينهم﴾ [الانعام: ١٥٩].

المثال الثالث: قوله: ﴿وما تفرَّق الَّذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ [البينة: ٤] ويجوز أن يكون هذا من مجاز التسبيب؛ لأن التفرق فى الأديان سببٌ للتفرق بالأبدان، فيكون من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب، ومنه قوله: ﴿وإن يتفرقا يُغْنِ الله كُلا مِنْ سَعَتِه﴾ [النساء: ١٣٠].

وكذلك تأليف القلوب لما كان الاتفاق على دين واحد، وهوًى واحد سببًا للائتلاف جاز أن يعبَّر عنه بلفظ الائتلاف فى قوله: ﴿لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكنَّ الله ألف بينهم﴾ [الانفال: ٦٣]، وفى قوله: ﴿وألف بين قلوبهم﴾ [الأنفال: ٦٣].

وكذلك تباعد القلوب فى قوله: ﴿وقلوبهم شتَّى﴾ [الحشر: ١٤] لما كانت العداوة والاختلاف سببًا للتفرق والتشتت سمَّى ذلك بما يئول إليه من التفرق والتشتت بالأبدان.

النوع الثالث والأربعون

تشبيه المغنى المنتسب إلى شيئين بالجرم المنتسب إلى جرمين بلفظة «بين»

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ [المائدة: ٦٤] لما كانت العداوة والبغضاء متعلقتين بالفئتين منسوبتين إليهما أشبهت الجرم الواقع بين الجرمين فى

النسبة إلى الجرمين بأن أحدهما عن يمنته، والآخر عن يسرته.

المثال الثاني: قوله: ﴿إذ كُنتم أعداء فألف بين قلوبكم﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكنَّ الله ألف بينهم﴾ [الأنفال: ٦٣] لما كانت المودة والمحبة منسوبتين إلى المتحابين أشبهت الجرم الواقع بين جرمين؛ لأن حقيقة التأليف ضمُّ جرم إلى جرم؛ فشبَّه به انضمام بعض القلوب إلى بعض بالود والمحبة اللذين هما خلاف النفرة والشتات في مثل قوله: ﴿وقلوبهم شتَّى﴾ [الحشر: ١٤].

المثال الثالث: قوله: ﴿وأنِ احكم بينهم بما أنزل الله﴾ [المائدة: ٤٩] لما كان الحكم منسوبًا إلى المحكوم له والمحكوم عليه، ومتعلقًا بهما أشبه بنسبته إليهما الجرم الحاصل بين جرمين.

المثال الرابع: قوله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ [الحجرات: ٩].

المثال الخامس: قوله: ﴿وجعل بينكم مَوَدَّة ورحمة﴾ [الروم: ٢١]؛ لأن المودة والرحمة متعلقتان بين الوادِّ والمودود، والراحم والمرحوم، منسوبتان إليهما بجهتين مختلفتين.

النوع الرابع والأربعون

التولي والإعراض

شبَّه التارك لطاعة الله ورسوله ﷺ بمن ترك جهةً كان مقبلاً عليها إلى جهةٍ أخرى، ولهما أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وَمَنْ أعرضَ عَنْ ذكرى فإنَّ له معيشة ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

المثال الثاني: قوله: ﴿والَّذين هُمْ عَن اللغو مُعْرِضُون﴾ [المؤمنون: ٣].

المثال الثالث: قوله: ﴿فإنْ تَوَلَّوا فقل حسبي الله﴾ [التوبة: ١٢٨].

المثال الرابع: قوله: ﴿فإنْ تَوَلَّوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم﴾ [النور: ٥٤].

المثال الخامس: قوله: ﴿فإنْ تَوَلَّيتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ [التغابن: ١٢].

وأما قوله ﷺ: «وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه»[1] فإن إعراض الثالث محمولٌ

(١) أخرجه: البخاري في العلم ٦٦، مسلم في السلام ٢١٧٦، الترمذي في الاستئذان والآداب ٢٧٢٤، أحمد في المسند ٢١٤٠٠، مالك في الجامع ١٧٩١.

على حقيقته؛ لأنه انصرف على الحقيقة، وأما إعراض الرب سبحانه وتعالى عن العبد فمجازٌ عن ترك توفيقه وإكرامه، أو يكون من مجاز تسمية العقوبة باسم الذنب.

ومثله فى الوجهين قوله: «فإن الله لا يمل حتى تملوا، ولا يسأم حتى تسأموا»(١).

النـــوع الخـــامس والأربعـــون

الـــزلل والاســـتزلال

ولهما أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فأزلَّهما الشيطان عنها﴾ [البقرة: ٣٦] شبَّه الخروج عن طاعة الله إلى أكل الشجرة بمن زلَّ عن طريقه المؤدى إلى مقصده فى مهلكة أو مهواة.

المثال الثانى: قوله: ﴿إنما استزلَّهم الشيطان ببعض ما كسبوا﴾ [آل عمران: ١٥٥] أى: أزالهم عن طاعة رسول الله ﷺ إلى معصيته.

المثال الثالث: قوله: ﴿فتَزلَّ قدمٌ بَعْدَ ثُبوتها﴾ [النحل: ٩٤] شبَّه الخروج من الدين بمن زلت قدمه عن طريقه وسقط خارجًا عنها.

النـــوع الســادس والأربعـــون

تشبيه ثبوت القرآن والإسلام إلى آخر الزمان بالجبال الراسيات التى لا يقدر أحد على دحضها وإزالتها

فى قوله تعالى: ﴿وإن كان مكرُهُم لتزولَ منه الجبال﴾ [إبراهيم: ٤٦] أى: وما كان مكرهم ليزيل الإسلام والقرآن ويدحضهما كما لا يقدر من بأقطارها على إزالة الجبال.

---

(١) أخرجه: مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها ٧٨٥، البخارى فى الإيمان ٢٠، ٤٣، الجمعة ١١٣٢، ١١٥١، الصوم ١٩٧٠، ١٩٨٧، الرقاق ٦٤٦١، ٦٤٦٢، ٦٤٦٤، ٦٤٦٥، النسائى فى القبلة ٧٦٢، قيام الليل وتطوع النهار ١٦١٦، ١٦٤٢، ١٦٥٢، الإيمان وشرائعه ٥٠٣٥، أبو داود فى الصلاة ١٣١٧، ١٣٦٨، ١٣٧٠، ابن ماجه فى الصيام ١٧١٠، ٤٢٣٨، أحمد فى المسند ٢٣٥٢٣، ٢٣٦٠٤، ٢٣٦٤٢، ٢٣٦٦٩، ٢٣٧٢٤، ٢٣٧٦١، ٢٣٧٦٨، مالك فى النداء للصلاة ٤٢٢، الصيام ٦٨٨.

والثبوت في الأجرام استقرارها فى أحيازها، وفى المعانى مجازٌ عن تواليها، وتجدد أمثالها.

وكذلك يستعمل فى التأنى فى الأمور، وترك العجلة فيها، شبَّه ثبوت العرض فى محله بثبوت الجوهر فى حيزه كقولهم: «ثبته الله على الإيمان» أى: وإلى خلق الإيمان فى قلبه.

ومنه قوله: ﴿**يُثبت الله الَّذين آمنوا بالقول الثابت**﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقوله: ﴿**ولو أنهم فعلوا ما يُوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتًا**﴾ [النساء: ٦٦]، وكذلك قوله: ﴿**ما نُثبت به فؤادك**﴾ [هود: ١٢٠].

والرسوخ فى العلم: الثبوت فيه بحيث لا ينساه من اتصف به، ومنه قوله: ﴿**والرَّاسخون فى العلم يقولون آمنا به**﴾ [آل عمران: ٧].

النوع السابع والأربعون

الصرف

الصرف فى الأجرام: إذهاب جرم عن جرم، وفى المعاصى: صرف القلوب عن الأفهام، فمعنى قوله: ﴿**سأصرفُ عن آياتى**﴾ [الأعراف: ١٤٦] سأصرف عن فهم آياتى.

وكذلك قوله: ﴿**صَرَفَ الله قلوبهم**﴾ [التوبة: ١٢٧] أى: صرفها عن التوحيد والإيمان، شبَّه تباعدها عن الفهم والإيمان بتباعد الأجرام عن الأماكن والأحياز وصرفها من مكان إلى مكان.

النوع الثامن والأربعون

الشدُّ

الشدُّ فى الأجرام عبارة عن قوة تأليفها وإحكامها، ومنه قوله: ﴿**وبنينا فوقكم سبعًا شدَادًا**﴾ [النبأ: ١٢].

ويتجوَّز به فى المعانى عن قوة آلامها، فالعذاب الشديد هو القوى الآلام.

النـــوع التـاسع والأربعـون

القَـــرْع

القرع فى الأجـرام: الضرب، ويتجوَّز به فى المعـانى: كالقارعة للقـيامة، شبَّه قـرعها للقلوب بأهوالها ومخاوفها بضرب الأجرام بالمقارع.

وكذلك الدَّواهى والوقائع فى مثل قوله: ﴿تُصيبهم بما صَنَعُوا قَارعة﴾ [الرعد: ٣١] أى: داهية تقرع قلوبهم بالمخـاوف، أو وقيعة تقرع قلوبهم بالمشاق، شـبَّه ما يحصل فى القلوب من آلام الدواهى والعقوبات بما يحصل فى الأجساد من قرع المقارع.

وأما قوله: ﴿فإذا جاءت الطَّامَّة﴾ [النازعات: ٣٤] فإنه أراد بهـا القيامـة، والطَّامة هى الدَّاهية التى تطم على الدواهى بعظمها، شبَّه عظمهـا فى أهوالها وأوجالها بجرمٍ طمَّ جرمًا آخر.

النـــوع الخمســـون

تسمية عقوبة المذنب بالعذاب

الذى هو المنع؛ لأنها تمنعـه من معاودة الذنب، ثم اسـتعمل العـذاب فى كل ما شق، سواء كان مانعًا رادعًا أو لم يكن؛ مثل عذاب الآخرة.

النـوع الحـادى والخمســـون

التجـوُّز بالقـتل عـن الإهـــلاك واللـعن

فى مثل قوله: ﴿قُتِلَ الخرَّاصُون﴾ [الذاريات: ١٠]، وفى مثل قوله: ﴿فَقُتِلَ كيف قَدَّرَ * ثم قُتِلَ كـيف قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٩، ٢٠]، وفى مـثل قـوله: ﴿قُتِلَ الإنسـان ما أكـفره﴾ [عبس:١٧]، وفى مثل قوله: ﴿قاتلهم الله أنَّى يؤفكون﴾ [التوبة: ٣٠] لما كان القـتل هو غاية الهلاك شبَّه به اللعن والطرد.

فأما التعس: الذى هو العـثرة؛ فإنه مستعارٌ للتدمـير والهلاك أيضًا فى قوله: ﴿والذين كفروا فَتَعْسًا لهم﴾ [محمد: ٨] أى: فهلاكًا لهم.

وفى قوله ﷺ: «تَعِسَ وانتكس»[١].

النوع الثانى والخمسون

جعل الهوى إلهًا

فى قوله: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣] شبَّه متابعة الهوى بطاعة العابد للمعبود، وفى الحديث: «تَعِسَ عبد الدينار والدرهم، وعبد الخميصة، والخميلة»[٢].

النوع الثالث والخمسون

ثنى الصدور

فى قوله: ﴿ألا إنهم يَثْنُونَ صُدُورهم﴾ [هود: ٥] شبَّه إخفاءهم ما فى قلوبهم بشىء ثنى عليه شىء غطاه وكتمه، ومنه قول الشاعر (طويل) :

* وكان طوى كشحًا على مُسْتَكِنَّة[٣] *

النوع الرابع والخمسون

الدرء

وهو دفع جِرْم عن جِرْم، ويتجوَّز به فى المعانى، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ويَدْرَؤُ عنها العذاب﴾ [النور: ٨] أى: ويدفع عنها الجَلْد بشهادتها أربع شهادات.

المثال الثانى: قوله: ﴿وإذ قَتَلْتُمْ نفسًا فادَّارأتم فيها﴾ [البقرة: ٧٢] أى: فتدافعتم فى قتلها، تجوَّز بالتدافع عن الاختلاف؛ لأن المدعى عليه يدفع عن نفسه ما نسب إليه من القتل، والمدعى يدفع القتل عن نفسه أيضًا، فشبَّه دفع المعانى بدفع الأجسام.

(١) أخرجه: البخارى فى الجهاد والسير ٢٨٨٧، الترمذى فى الزهد ٢٣٧٥، ابن ماجه فى الزهد ٤١٣٦.
(٢) أخرجه: البخارى فى الحيض ٢٩٨، ٣٢٢، ٣٢٣، الصوم ١٩٢٩، النسائى فى الحيض والاستحاضة ٣٧١، مسلم فى الحيض ٢٩٦، ابن ماجه فى الطهارة وسننها ٦٣٧، أحمد فى المسند ٢٥٩٨٦، ٢٦٠٢٦، ٢٦١٦٣، الدارمى فى الطهارة ١٠٤٤، ١٠٤٥.
(٣) شرح شواهد المغنى (١/ ٣٨٥) والبيت لزهير بن أبى سلمى.

المثال الثالث: قوله: ﴿قل فادرءوا عن أنفسكم الموت﴾ [آل عمران: ١٦٨].

النـــوع الخـامس والخمســـون

قوله: ﴿وباءوا بغضب﴾ [البقرة: ٦١] أي: ونزلوا في غضب، جعل الغـضب كالمباءة، والمنزلة لهم؛ ليدل بذلك عـلى إحاطة الغضب بهم كمـا تحيط المنزل بالنازل فيـه، هذا قول المبرد.

وبعضهم يقول: ﴿وباءوا بغضب من الله﴾ أي: ورجعوا في غضب من الله، وجعلهم أبلغ من قوله: ﴿وغضب الله عليهم﴾ [الفتح: ٦].

النوع السادس والخمسون

قوله: ﴿ولما سكَتَ عن موسـى الغضبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤] سكوت الغضب مـجازٌ عن سكونه؛ لأن الساكت مـسكن للسانه عن تحريكه بالكلام، فـاستعيـر ذلك لسكون الغضب، وهو فتوره بعد شدته، وخفته بعد فورته.

وقال بعـضهم: شبَّه تقاضي الغـضب لإنفاذه بآمر يأمـر بالإنفاذ، فشبَّه فـتوره بسكوت الآمر عن اقتضائه الإنفاذ.

النـوع السـابـع والخمســـون

قوله: ﴿قَدْ مكرَ الَّذين من قبلهـم فأتى الله بُنيانهم من القـواعد فَخَرَّ عليـهم السقف من فوقـهم وأتاهم العـذابُ من حيث لا يشـعرون﴾ [النحل: ١٢٦] تجوَّز بالبنيان عـما أحكموه وأبرموه من المكر بأنبيائهم كما يحكم البـناء، وشبَّه عود وبال مكرهم عليهم بخرور السقف عليهم.

النـوع الثـامـن والخمســـون

قوله: ﴿وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظَلَّ وجهـه مسودًا وهو كظيم﴾ [النحل: ٥٨] شبَّه قبح الكآبة والحزن الظاهريْن على وجهه بسواد الوجه؛ لاجتماعهما في القبح وبشاعة المنظر.

النوع التاسع والخمسون

قوله: ﴿وأذنت لربها﴾ [الانشقاق: ٢] بمعنى: وسمعت لربها، يجوز أن يكون أسمعها الله حقيقة، ويجوز أن يكون شبَّه امتدادها وإلقائها ما في بطنها بمأمور سمع ما أمر به فأسرع إلى إجابته، وتكون سمعت ههنا بمعنى: قبلت، وهذا مثل قوله: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١].

النوع الستون

الأمر المجازى

وهو أمر التكوين، فى قوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كُنْ فيكون﴾ [يس:٨٢]، وفى قوله: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ [القمر: ٥٠]، وفى قوله: ﴿فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فيكون﴾ [غافر: ٦٨] شبَّه سهولة الخلق عليه بسهولة «كُنْ» بلسان قائلها، وشبَّه سرعة انصياع الأشياء لقدرته وإرادته، وانقيادها إليهما بمسارعة العبد المأمور إلى ما أمر به من غير تأخير.

ومن مجاز لفظ الأمر نسبة الأمر إلى الصلاة، والإيمان، والأحلام، وكذلك نسبة النهى إلى الصلاة.

فأما نسبة الأمر إلى الإيمان ففى قوله: ﴿بئسما يأمركم به إيمانكم﴾ [البقرة: ٩٣] لما شابه الإيمان الأمر فى اقتضاء الطاعة جعله آمراً لاشتراكهما فى الاقتضاء.

كما جعل الصَّلاة آمرة وناهية فى قوله: ﴿أصلواتُك(١) تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ [هود: ٨٧]، وفى قوله: ﴿إن الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥] لما كان تجديد العهد بالله فى الصَّلاة يتقاضى الانكفاف عن المعصية، كما يتقاضاه النهى، ويتقاضى الطاعة كما يتقاضاها الأمر قالوا ﴿أصلاتك تأمرك﴾ [هود: ٨٧].

وفى الحديث: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً»(٢).

---

(١) قرأ حمزة والكسائى وحفص وخلف بحزف الواو ﴿أصلاتك﴾ على الإفراد وقرأ الباقون بإثباتها على الجمع.

(٢) أخرجه: أحمد فى المسند ٢٩١٥، الطبرانى فى الكبير ١١/ ٥٤.

والصَّلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر هى الصَّلاة الكاملة بخضوعها وخشوعها، فإن الخضوع والخشوع إذا تحققا كانا سببًا فى الكف عن العصيان، وسببًا فى الحث على الطاعة إذْ ليس كل صلاة تتقاضى ذلك؛ فكأنه قال: إن الصَّلاة الكاملة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

والألف واللام فى الصَّلاة للكمال، كما قال سيبويه فى قولهم «زيدٌ الرجل»: يريدون بذلك الكامل فى رجوليته.

وأما قوله: ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا﴾ [الطور: ٣٢]، فإن الأحلام هى العقول؛ فشبَّه تقاضيها لذلك بتقاضى الأمر للمأمور به.

النوع الحادى والستون

التجوز بالدعاء عن العبادة لمشابهة العابد للدَّاعى فى التذلل والخضوع

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿إن الَّذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾ [الأعراف: ١٩٤].

المثال الثانى: قوله: ﴿وضلَّ عنهم ما كانوا يَدْعُونَ من قبل﴾ [فصلت: ٤٨] أى: وغاب عنهم ما كانوا يعبدونه من قبل.

المثال الثالث: قوله: ﴿وقال ربُّكم ادعونى أسْتَجِبْ لكم﴾ [غافر: ٦٠] معناه: وقال ربكم اعبدونى أثبكم.

النوع الثانى والستون

التجوز بالظن عن العلم لاشتراكهما فى الرجحان

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿الَّذين يَظُنُّون أنهم مُلاقو ربهم﴾ [البقرة: ٤٦] أى: يوقنون.

المثال الثانى: قوله: ﴿ورأى المجرمون النَّار فَظَنُّوا أنهم مُواقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] أى: فعلموا.

المثال الثالث: قوله: ﴿إني ظَنَنْتُ أني مُلاقٍ حسابيه﴾ [الحاقة: ٢٠] أي: علمت وأيقنت.

ويجوز أن يعبر بالظن فى قوله: ﴿الَّذين يَظُنُّون أنهم مُلاقو ربهم﴾ [البقرة: ٤٦]، وفى قوله: ﴿إني ظَنَنْتُ أني مُلاقٍ حسابيه﴾ [الحاقة: ٢٠] عن الاعتقاد الجازم.

ومن ذلك التجوُّز بالعلم عن الاعتقاد لاشتراكهما فى الرجحان، وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿وما شَهِدْنَا إلا بما عَلِمْنَا﴾ [يوسف: ٨١] أى: وما شهدنا إلا بما اعتقدنا؛ لأنهم لو علموا ذلك حقيقة العلم لكان أخوهم سارقًا.

المثال الثانى: قوله: ﴿فإن علمتموهنَّ مؤمنات فلا ترجعوهنَّ إلى الكُفَّار﴾ [الممتحنة: ١٠] معناه: فإن ظننتموهن مؤمنات بقلوبهن، ولك أن تجعل العلم على بابه، وتحمل الإيمان على مجازه، فيكون المعنى: فإن علمتموهن مؤمنات بألسنتهن.

وأما قوله: ﴿فلمَّا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾ [غافر: ٨٣] فمجازٌ عن اعتقادهم صحة أديانهم، وأنه لا بعث ولا نشور، ويجوز أن يكون تهكمًا.

النوع الثالث والستون

الجُنَّة المجازية

فى قوله: ﴿اتَّخذوا أيمانهم جُنَّة﴾ [المنافقون: ٢] أى: اتخذوا أيمانهم وقاية من القتل والأسر وإجراء أحكام الكفار عليهم؛ شبَّه توقِّيهم ذلك بالنفاق بتوقى السلاح وغيره بالجنن والأتراس والأدراع.

النوع الرابع والستون

السدُّ المجازى

فى قوله: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا﴾ [يس: ٩] شبَّه موانع الإيمان بالسدَّين المانعين من الذهاب والانقلاب، ويجوز أن يتجوَّز بالسدِّ الذى بين أيديهم عما يمنع الإيمان بما بين أيديهم من أمور الآخرة، وبالسدِّ الذى من خلفهم عما يمنع الإيمان بفناء الدنيا وانقضاء ما فيها؛ لأنهم يُخلِّفونها وراء ظهورهم، والأول أوجه؛ لأنه شبَّه لزومهم الكفر

بحيث لا ينتقلون عنه إلى مماتهم بمن سدَّ عليه من بين يديه ومن خلفه فليس له عن ذلك المكان متقدم ولا متأخر.

ومثله قول الشاعر (كامل):

وَقَفَ الهوى بى حيثُ أنتِ فليس لى متأخرٌ عنه ولا متقدمُ(١)

ويدل على أن المراد به ثبوتهم على الكفر، قوله: ﴿وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنْذِرهم لا يؤمنون﴾ [يس: ١٠].

وفيه قول ثالث ذكره بعض المفسرين.

النوع الخامس والستون

الستر

الستر الحقيقى مواراة جرم بجرم كالاستتار بالبيوت والثياب، وستر الذنوب والعيوب مجاز تشبيه؛ شبَّه إخفاء العيوب بجرم ستر بجرم آخر كشىء مُستقبح غُطِّى بما يواريه عن الأبصار، وكذلك غفرها، وأصل الغفر: الستر، ومنه المِغْفَر لستره الرأس. وإظهار الأجرام إزالة ما يسترها ويخفيها، وإظهار الأسرار عبارة عن الإذاعة والإخبار، ومنه قوله: ﴿وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تُخفوه يُحاسبكم به الله﴾ [البقرة: ٢٨٤].

النوع السادس والستون

الإيقاد والإطفاء والنار

فى قوله: ﴿كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله﴾ [المائدة: ٦٤] شبَّه الحمية الحاملة على المحاربة والقتال بالنار، وفى قوله: ﴿يُريدون ليُطفئوا نور الله بأفواههم﴾ [الصف: ٨] شبَّه القرآن والإسلام بالنور لاشتراكهما فى الكشف والبيان، ثم شبَّه الطعن فيهما والتكذيب لهما سعيًا فى إبطالهما ودحضهما بإطفاء النُّور بالأفواه.

---

(١) البيت لأبى الشيص (الشعر والشعراء ص ٥٣٥، الصناعتين ص ١٣٥).

النـــوع الســـابع والستـــون

النفـــــخ

النفخ الحقيقي موضوعٌ لنقل الهواء من محل إلى محل، ويستعمل في الأرواح لما أشبهت الهواء في اللطافة في مثل قوله: **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾** [الحجر: ٢٩]، وفي مثل قوله: **﴿فنفخنا فيها من رُوحنا﴾** [الأنبياء: ٩١] أي: فنفخنا في جنينها من روحنا.

النـــوع الثـــامن والستـــون

تشبيـــه النَّـــاس بالحـــطب

في قوله: **﴿وقودها النَّاس والحجارة﴾** [البقرة: ٢٤] شبَّههم بالحطب إما لتغلغل النَّار في جميع أعضائهم الظاهرة والباطنة كما يتغلغل في ظاهر الحطب وباطنه، ولهذا قال: **﴿تَطَّلعُ على الأفئدة﴾** [الهمزة: ٧] أو تجوَّز بذلك عن أنهم لا يُرحمون ولا يُبالى بهم ولا يرق لهم كما لا يبالي موقد النَّار بتحريق الحطب فيها.

وأما حمل الحطب في قوله: **﴿وامرأته حَمَّالة الحطب﴾** [المسد: ٤] فإنه تجوُّز عن النميمة بين الناس؛ لأن النميمة تضرم الحقد والعداوة والبغضاء كما أن الحطب يضرم النَّار الحقيقية، فلمَّا تسبب النمام إلى إشعال العداوة كما تسبب الحاطب إلى إشعال النَّار شُبِّه به، ومنه قولهم: «فلان يحطب على فلان» إذا نَمَّ عليه.

وحمل بعضهم قوله: **﴿وامرأته حَمَّالة الحطب﴾** على حقيقته؛ لأنها كانت تحمل الشوك والعَضَاه، وتلقيهما في طريق رسول الله ﷺ.

النـوع التـاسع والستـون

تشبيـــه خـــلو القلـــوب مـن الأمـن والســرور بالهـواء الخـالي مـن الأجـرام الكثيفـة

وذلك في قوله جلَّ اسمه: **﴿وأفئدتُهم هواء﴾** [إبراهيم: ٤٣] أي: خالية من الأمن والسرور، ومن كل خير.

النـــوع السبعـــون

التجـــوز بالصـــدق عـن الشــرف والحسـن

في قـوله: ﴿أنَّ لهم قَدَمَ صـدق عـند ربِّهم﴾ [يونس: ٢]، وفي قـوله: ﴿في مَقْعَدِ صدق﴾ [القمر: ٥٥]، وكذلك: نسوة صدق.

وأما الكذب؛ فإنه يتجوَّز به عن بطلان الدلالة في قوله: ﴿وجاءو على قميصه بدم كذب﴾ [يوسف: ١٨] لما كان الدم الذي على قميصه لا يدل على قتله؛ شبَّهه بالكذب الذي لا دلالة له على أمر صحيح.

النـوع الحـادي والسبعـون

تشبيـه مـن خـرج عـن الصـدق فـي هجـوه وذمِّه بالهـائم في الأوديـة

شبَّه خروجه عن جادة الصدق بخروج الهائم في الأودية عن جادة الطريق المسلوك، فيريد بقوله: ﴿ألم تر أنَّهم في كلِّ واد يهيمون﴾ [الشعراء: ٢٣٥] ألم تر أنهم في كل هجو وذمٍّ يكذبون ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ [الشعراء: ٢٣٦] أي: يمدحون أنفسهم بما لا يفعلونه، وقد دخل هذا في قوله ﴿في كلِّ واد يَهيمون﴾ لأنه مدحٌ كاذب؛ إلا أنه أُفرد بالذكر اهتمامًا بتكذيبهم في مديح أنفسهم، وأنهم متصفون بأضداد ما مدحوا به أنفسهم.

وتجوَّز بالرؤية في قوله: ﴿ألم تر﴾ عن العلم، ومثله قوله: ﴿ألم تَرَ أن الله أنزل من السماء ماء﴾ [الحج: ٦٣]، وقوله: ﴿ألم تروا أن الله سَخَّرَ لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ [لقمان: ٢٠]، وقوله: ﴿أولَم يروا أنَّا جعلنا حرمًا آمنا﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقوله: ﴿ألم تَرَ كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل﴾ [الفيل: ١]، وقوله: ﴿ألم تر أنَّا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ [مريم: ٨٣].

النـــوع الثــاني والسبعــون

إسبـــاغ النِّعـــم

إسباغ النعم وكثرتها مشبهة بإسباغ اللباس المجلل للأجساد حتى كأنها قد جللتها وغشيتها، ومنه قوله: ﴿وأسبغ عليكم نِعَمَه ظاهرة وباطنة﴾ [لقمان: ٢٠].

ومنه قول الشاعر (طويل) :

* وجلَّلـهَا نُعْمَى على غـــيـــر واحـــدِ(١)*

وكذلك قـولهم: «أسبغ وضوءه» إذا أتمه وكمَّله تشـبيهًا له بالثيـاب السوابغ، والدروع السوابغ؛ لأن الماء اشتمل على جميع العضو اشـتمال الثوب السابغ، والدروع السابغة على جميع الجسد.

النـــوع الثـــالـث والسبعـــون

صبغـــة الله

فـى قـوله: ﴿صِبْغَةَ الله وَمَـنْ أحســـن مـن الله صِبْـغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨] والمراد بها: توحيده ودينه، شبَّه: حصول الدين فى القلوب بما صُبِغ بصبغ حسن.

النـــوع الرابـــع والسبعون

قوله: ﴿وأُشْرِبوا فى قُلوبهم العجل﴾ [البقرة: ٩٣] تقديره: وأشـربوا فى قلوبهم حب العجل؛ شبَّه انصباغ قلوبهم به بثوب أُشرب لونًا غير لونه.

النـــوع الخـامـس والسبعـون

قوله: ﴿فَعَميتْ عليـهم الأنباء﴾ [القصص: ٦٦] المراد بالأنبـاء: الحـجـج، يعنى: لم تحضرهم حجة؛ شبَّه تعذر حضورها بتعذر حضور الأعمى إلى مكان لا يهتدى إليه.

ومثله قوله: ﴿فَعُمِّيَتْ عليكم﴾ [هود: ٢٨].

النـــوع الســـادس والسبعـون

الدَّحـــض المجـــازى

فى قوله: ﴿حُجَّتهم داحضةٌ عند ربِّهم﴾ [الشورى: ١٦]، وفى قـوله: ﴿ليدحضوا به الحق﴾ [غافر: ٥] شبَّه إبطال الحجج وإزالة الحق بالدحض الذى هو الزلق والزلل.

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى (ديوانه ص ٣٣) وصدر البيت :

* أصاب بنى غيظٍ فأضحوا عباده *

النـــوع الســـابع والسبعـــون

محـــو البـاطـــل

في قوله: ﴿ويمحُ الله الباطل﴾ [الشورى: ٢٤] شبَّه زوال الباطل مـن أرض العرب بمحو الكتب، ومحو الآثار.

النـــوع الثـــامـن والسبعـــون

نســخ الأحكــام

في قوله: ﴿ما نَنْسَخْ من آيـة أو نُنْسِها﴾ [البقرة: ١٠٦] معناه: مـا ننزل من حكم آية أو ننسيـــه؛ شبَّه إزالـة الأحكام بإزالة الشـمس الظل، وإزالة الرياح الآثار في قـول العـرب: نسخت الشمس الظل، ونسخت الرياح الآثار.

النـــوع التـــاسـع والسبعـــون

قوله: ﴿وقَدْ خَابَ من دسَّاها﴾ [الشمس: ١٠] أصل دساها: دسـسـها، ومن دس شيئًا فقد واراه وأخفاه؛ فتـجوَّز بذلك عن إخماله إياها بين عباد الله الصالحين، ونسب التدسيس إليه لتسببه إليه بمعصيته ومخالفته، والمخمل لها على الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ.

النــوع الثمـانـــون

قوله: ﴿وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عُنُقه﴾ [الإسراء: ١٣] شبَّه إلزامه الإنســان بما قسمه له من سعادة أو شقاوة بطوق جُعل في عنق الإنسان، بحيث لا يقدر على فكه ولا مُزايلته.

النـــوع الحـــادي والثمـــانـون

التعبير بالإخبات عن الخضوع والتواضع

تشبـيهًا للخاضع المتـواضع بمن أتى الخبت، وهو المكان المنخفض المتـسفل من الأرض كـقـولهـم: «أنجَدَ» لمن أتى نجـدًا، و «أتهَمَ» لمن أتى تِهَامـة؛ فـمــن ذلك قـوله: ﴿وبشر المُخْبتين﴾ [الحج: ٣٤].

وأما قوله: ﴿وأخْبَتُوا إلى ربِّهم﴾ [هود: ٢٣] فإنه مضمن معنى: تابوا وأنابوا ليفيد معنى

التواضع والإنابة جميعًا على ما ذكرناه فى فصل التضمين.

النوع الثانى والثمانون

تمثيل المرأة بالنعجة

فى قوله: ﴿إن هذا أخى له تسع وتسعون نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣].

وكذلك قول الملك: ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢] مثَّلا أنفسهما بخصمين ظلم أحدهما الآخر، كما يقول الفرضى: مات فلان، وخلَّف ابنتين وزوجتين.

وكما يقول النحوى: أكرمت زيدًا، وأهنت عمرًا، ولم يكن شىء من ذلك.

وكذلك قولهم: أعجبتنى الجارية حسنها، ولم ير جارية قط، أو رآها ولم يعجبه حسنها، وكذلك ضربتُ، وضربنى زيدٌ، وما ضرب أحدهما الآخر قط.

النوع الثالث والثمانون

قوله: ﴿تَكَادُ تَمَيزُ من الغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] شبَّه شدة تلهبها وتوقدها وغليانها بشدة تلهب الغيظ وتوقده وغليانه.

النوع الرابع والثمانون

التجوز بالوقوع عن الثبوت والتحقق

فى قوله: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أجره على الله﴾ [النساء: ١٠٠]، وفى قوله: ﴿وَوَقَعَ القول عليهم بما ظلموا﴾ [النمل: ٨٥]، وفى قوله: ﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رِجْسٌ وغضب﴾ [الأعراف: ٧٠].

النوع الخامس والثمانون

الحرث

حرث الدنيا والآخرة مجازٌ عن الكسب؛ لأن الحارث للأرض ساعٍ فى اكتساب مغلها، فاستعير لكل كاسب خير أو شر لكونها أسبابًا للمثوبة والعقوبة.

النـــوع الســـادس والثمـــانون

المهـــــاد

في قـوله: ﴿ألم نجعل الأرض مِهَادًا﴾ [النبأ: ٦] شبَّه توطئة الأرض للتقلب عليها والتصرف فيها بفراش مُهِّدَ للجلوس عليه والارتفاق به.

النـــوع الســـابع والثمـــانون

الصبـــؤ

وهو حقيقة في الأجرام. يقال: صبأت النجوم عن مطالعها إذا خرجت عنها وانفصلت منها، وشبَّه بذلك من خرج من دين إلى دين.

النـــوع الثـــامن والثمـــانون

التجوز بالخيط عن الفجرين

أما الخيط الأبيض: فهـو الفجر الثاني؛ لأن بياضه يمتـد من الجنوب إلى الشمال، فإذا نسبـته إلى ظلمة الليل كـان كخيط ممدود عـلى الأفق أحد طرفيـه في الجنوب، والآخر في الشمـال، وشبَّه بياض الفـجر الأول بخيط طـرفه في الأفق، وأعلاه مـصعد في السـماء، ووصفه بالسـواد؛ لأنه يضمحل، فيصـير مكانه سواد الليل، فوصف بما يئول إليـه كقوله: ﴿إنا نُبَشِّرُكَ بغلام عليم﴾ [الحجر: ٥٣]، وهذا معنى: ما ذكره أبو عبيدة، وهو أحسن ما قيل إذ لا يصح تشبيه الليل المطبق للآفاق بالخيط، ولا يصح تشبـيه طرفه الملتصق ببياض الفجر بالخيط؛ لأنه لا يشبهـه، بخلاف الفجر الثاني: فإنك إذا نسبت بيـاضه إلى سواد الليل كان كخيط ممدود على الأفق.

النـــوع التـــاسع والثمـــانون

الـركـــن

وهو حقيقـة في أركان البناء التي يعتمد عليـها البناء، ثم يتجوَّز به عن العشيـرة المعتمد عليها في النصر تشبيهًا للاعتماد عليها باعتماد البناء على الأركان، ومنه قوله: ﴿أو آوي إلى رُكْنٍ شديد﴾ [هود: ٨٠].

ويتـجوَّز به عن القـوة؛ لأن المرء يعـتمـد على قـوته فى مثل قـوله: ﴿**فتولَّى بركنه**﴾ [الذاريات: ٣٩] أي: بقوته.

وفى مثل قول عنترة (وافر):

فما أوهى مراسُ الحرب رُكْنى ولكنْ مـا تقادم من زَمَـانى[1]

أراد: فما أضعف مراس الحرب قوتى.

وقد يتجوَّز به عنْ الجنود الَّذين يُرجى نصرهم للاعـتماد عليهم فى مثل قوله: ﴿**فتولى بركنه**﴾ على قول آخر.

النــــوع التسعــــون

الأوتـــــاد

فى قـوله: ﴿**والجبـال أوتادًا**﴾ [النبأ: ٧] شـبَّه الجبـال بأوتاد الخـيام التـى تمنعهـا من الاضطراب، كما تمنع الجبال الأرض من الميد بأهلها.

ومثله قوله: ﴿**وفرعون ذى الأوتاد**﴾ [الفجر: ١٠] أراد به: الجنود الَّذين يمسكون ملكه من التزلزل والاضطراب كما تمسك الأوتاد الخيام، وهذا على قول.

النــوع الحادى والتسعون

السقــــوط المجـــــازى

فى قوله: ﴿**ألا فى الفتنة سَقَطُوا**﴾ [التوبة: ٤٩] شبَّه مواقعة المعصـية بالسقوط فى مهواة مهلكة؛ لأن المعصية سبب للهلاك.

وأما قوله: ﴿**ولمَّا سُقِطَ فى أيديـهم**﴾ [الأعراف: ١٤٩] فإنه مجـازٌ عن حصول الندم فى قلوبهم؛ شبَّه حصول الندم فى القلوب بما يحصل فى الأيدى.

---

(١) ديوان عنترة (ص ٧٢).

النـــوع الثـــانى والتســـعون

التجوز بمن يكثر للصحيح والباطل بالأذن التى تسمع الحق والباطل ولا تفرق بينهما

فى قوله: ﴿ومنهم الَّذين يؤذون النَّبى ويقولون هو أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١] شبَّه من يسمع كل ما يقال من صِدْقٍ وكَذِبٍ بالأذن التى تسـمع كل حق وباطل، كما يشبـه الجاسوس بالعين. وأصله: ويقولون هو مـثل أذن إلا أنه بالغ فى التشبـيه، وكذلك الجاسـوس هو مثل العين المشاهدة لكل ما يقابله.

النـــوع الثـالـث والتسعـون

الشـــراء والبيـع والقـرض

ومنه مبايعة الرَّسول ﷺ تحت الشجـرة على أن لا يفروا؛ شبَّه بَذْلَهم أرواحهم للجهاد فى سبيل الله بالثـمن، وشبَّه ما يحصلون عليه من ثواب الله بالمبـيع، وقد صرَّح بذلك فى قوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة﴾ [التوبة: ١١١].

ومثله قوله: ﴿ومن النَّاس من يشـرى نفسـه ابتغـاء مَرْضَات الله﴾ [البقرة: ٢٠٧] أى: يبيعها بالجنة طالبًا لرضى الله تعـالـى؛ شبَّـه بـذل نفسـه فـى طـاعـة الله وفـى جهاد أعـداء الله بمـن بـاع شيـئًا مـن مـالـه لنيـل عـوضـه وثمنـه، ولـذلك سمِّى أعمال البر قرضًا؛ لأنه بذلها ليأخذ عـوضها، فأشبه من أقرض شـيئًا ليأخذ عوضه، إلا أن قـرض الله جار للمنفعة إلى المقرض، ومنه قوله: ﴿مَنْ ذا الَّذى يُقْرِض الله قرضًا حسنًا فَيُضَاعفه له أضـعافًا كثيرة﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وفى قوله: ﴿وأقرضوا الله قرضًا حسنًا﴾ [الحديد: ١٨]، وقوله: ﴿مَنْ ذا الذى يُقْرِض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له وله أجرٌ كريـم﴾ [الحديد: ١١] شبَّـه الأعمـال الصالحـة، والإنفـاق فـى سبـيل الله بالـمال المقرض، وشبَّه الجزاء المضاعف على ذلك ببذل القرض، فيا له من قرض جار إلى منافع تنتهى إلى سبع مائة أو يزيد.

النـــوع الرابـع والتسعون

التعـبير بالجهـــاد عـن النصـر

فى قوله: ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ [الحشر: ٨] لما أشبه جهـادهم فى سبيل الله نصرة الناصرين تجوَّز عنه بالنصر، ويجوز أن يكون من مـجاز الحذف تقديره: وينصرون دين الله ورسوله.

النـــوع الخـــامس والتسعـــون

الشَّفَــــا

فى قوله: ﴿وكنتم على شَفَا حُفْـرة من النَّار فأنْقَـذَكُم منها﴾ [آل عمران: ١٠٣] شبَّه كفرهم بمن جلس على حـرف حفرة من حفر النـار، وشبَّه توفيقهـم للإسلام المخلص منها بمنقذ أنقذ الجالس على حرف الحفرة.

ومن ذلك قوله: ﴿أمْ مَنْ أسَّسَ بُنيـانه على شَفَـا جُرُف هَار﴾ [التوبة: ١٠٩] شبَّه بناء مسجـد الضرار فى كونه سببًـا مُلقيا فى النَّار ببناءٍ بُنِى على حـرف جرف من رمل لا يثبت حتى يسقط فى الجرف الهار.

النوع السادس والتسعون

الجَنَـــــاح

فى قوله: ﴿واخْفِضْ لهـما جَنَاحَ الذُّل من الرَّحـمة﴾ [الإسراء: ٢٤] جناح الذل مجازٌ عن التواضع ولين الجانب؛ لأن الطائر يـترفع إلى السماء برفع جناحيـه وبسطهما، وينحط إلى الأرض بخفضهما وضـمهما؛ فشبَّه التواضع بخفض جناحى الطائر فى انحطاطه.

النـــوع السابـع والتسعون

الجُنُـــوح

جَنَحَ إذا مال ميلاً جـسمانيًا، ثم شبَّه هوى الإنسان إلى الأشياء بميل جرم إلى جرم، ومنه قوله: ﴿وإن جَنَحُوا للسلم فَـاجْنَحْ لها﴾ [الأنفال: ٦١] معناه: وإن مـالوا إلى المسالمة والمصالحة فمل إليها.

النـــوع الثـامـن والتسعـون

قولهم: «فلان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى» شبَّهوا من يتردد فى أمره ولا يظهر له الإقدام عليه، والإحجام عنه بمن يقدم رجلاً فى طريقه، ويؤخر الأخرى إلى ورائه.

النـــوع التـاسـع والتسعـون

قول إحـدى النِّسوة فى حـديث أم زرع: **«زوجى لحم جـمل غث، علـى رأس جبـل وعـر، لا سهل فـيرتقى، ولا سمين فـينتقل»**(١) شبَّهت خسـة معروفه بلحم جـمل مهزول، وشبَّهت عسـر الوصول إلى اللحم على رأس الجبل الوعر، وبالغت فى عسـر الوصول إلى ذلك بقولها: **«لا سهل فيرتقى»** وبالغت فى غثاثته بقولها: **«ولا سمين فينتقل»** أى: فينتقله النَّاس إلى رحالهم، بل يزهدون فيه، ويتركونه فى مكانه لغثاثته وخساسته.

وأما قـول الأخرى منهن **«إن أذكره أذكـر عجـره وبجره»** فإنها شبَّهت نقـصه وعيوبه بالعجر والبجر، وهى عروق تنعقد فى بطن الإنسان.

النـــوع المـائـــة

الأمثـــــال

وهى بمعنى: الصفات، والقصص، والأحوال، لما كان المثل السائر مُستغربًا مُستعجبًا منه شُبِّهت به كل صفة عجيبة مستغربة، وكل قصة عجيـبة مستغربة، وكل حال عجيبة مستغربة لمشاركتهن المثل السائر فى الاستغراب، وهى كثيرة فى القرآن.

فإذا قلت: **﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارًا﴾** [البقرة: ١٧] كان المعنى: حالهم المستغربة العجيبة فى الاستغراب كحال الذى استوقد نارًا.

وإذا قلـت: **﴿مثل الجنَّة التى وُعـد المُتقون﴾** [الرعد: ٣٥] كان المعنى: وفيـما قصصنا عليكم صفة الجنَّة المستغربة العجيبة الشأن، ثم أخذ فى بيان عجائبها.

وكذلك قـوله: **﴿ولله المثل الأعـلى﴾** [النحل: ٦٠] يريد الوصف العـجيب الشـأن فى العظمة والجلال.

---

(١) أخرجه: البخارى فى النكاح ٥١٨٩، مسلم فى فضائل الصحابة ٢٤٤٨.

وكذلك قوله ﴿ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل﴾ [الفتح: ٢٩] يريد: وصفهم وشأنهم المتعجب منه.

ولم يضربوا مثلاً سائرًا إلا وفيه ضرب من الغرابة، ولذلك منعوه من التغيير.

والغرض بضرب الأمثال: المبالغة فى الإيضاح والبيان حتى يصير الغائب كالحاضر، والمتخيل كالمتحقق، والمتوهم كالمتيقن، ولذلك كثرت الأمثال فى كتب الله، وفى الإنجيل: «سورة الأمثال».

والمَثَل فى اللغة بمعنى المِثْل، يقال: مَثَل، ومِثْل، ومثيل، كما يقال: شَبَه، وشِبْه، وشبيه.

النوع الحادى بعد المائة

تشبيه الداخل فى الباطل بالخائض فى الماء

وله أمثلة:

أحدها قوله: ﴿وخُضتُمْ كالَّذى خَاضوا﴾ [التوبة: ٦٩].

المثال الثانى: قوله: ﴿إنما كُنَّا نخوضُ ونَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥].

المثال الثالث: قوله: ﴿وإذا رأيت الَّذين يخُوضون فى آياتنا﴾ [الانعام: ٦٨] أى: فى تكذيب آياتنا، أو فى عيب آياتنا.

المثال الرابع: قوله: ﴿وكُنَّا نخوضُ مع الخائضين﴾ [المدثر: ٤٥].

المثال الخامس: قوله: ﴿الذين هُمْ فى خَوْضٍ يلعبون﴾ [الطور: ١٢] أى: فى خوض الباطل يلعبون.

النوع الثانى بعد المائة

قوله: ﴿واتخذتموه وراءكم ظهريا﴾ [هود: ٩٢]، وقوله: ﴿نبذ فريق من الَّذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم﴾ [البقرة: ١٠١].

أما قوله: ﴿واتخذتموه وراءكم ظِهْريا﴾، فإنه شبه نسيانهم ربهم وعدم الالتفات إليه

والاكتـراث به، بمن ألقى شيئًا وراء ظهـره فهو لا يقـبل عليه، ولا يلتفت إليـه، وهذا مثل قوله: ﴿فنبذوه وراء ظـهورهـم﴾ [آل عمران: ١٨٧] إلا أن معنـى هذا: فنبذوا اتبـاعه وراء ظهورهم.

وأما قوله: ﴿نَبَذَ فريقٌ من الَّذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم﴾، فإن تقديره: نبذ فريقٌ من الَّذين أوتوا علم الكتاب اتباع كـتاب الله وراء ظهورهم؛ شبَّه ترك الاتباع بالنبذ وراء الظهر.

النـــوع الثـــالـث بعـــد المـائـة

الاعتـــداء

الاعتداء الحقـيقى: مجاوزة مكان إلى مكان. والمجازى: مجاوزة طاعـة إلى عصيان؛ لاشـتراكـهمـا فى الإبدال؛ لأنه فى الأجرام إبدال مكـان بمكان، وفى المعانى إبدال مـعنى بمعنًى، ومنه قوله: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حـدود الله﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقوله: ﴿تلك حـدود الله فلا تَعْتَدوها﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وهو أن يبـدل طاعة الله بمعـصيتـه، أو لأنه شبَّه الطاعـة بحيـز ومكان، وشبَّه المعصية بحيز آخر، وشبَّه العاصى بمن فارق حيزًا إلى حيز ومكانًا إلى مكان، وهو كقوله: «ألا وإن لكلِّ ملك حمًى ألا وإن حمَى الله محارمه»(١).

النـوع الـرابـع بعـد المـائـة

قوله: ﴿وطعنوا فـى دينكم﴾ [التوبة: ١٢] الطعن فى الأديان والأعـراض من مـجـاز التشبيه، وقد تقدم.

النـوع الخـامـس بعـد المـائـــة

التنـــاوش

فى قوله: ﴿وأنَّى لهم التَّناوش من مـكان بعـيـد﴾ [سبأ: ٥٢] وحقيـقة التناوش تناول

(١) أخرجه: البخـارى فى الإيمان ٥٢، مسلم فى المساقاة ١٥٩٩، الترمذى فى الـبيوع ١٢٠٥، النسائى فى البيوع ٤٤٥٣، الأشربة ٥٧١٠، أبو داود فى البيوع ٣٣٢٩، ابن ماجه فى الفتن ٣٩٨٤، أحمد فى المسند ١٧٨٨٣، ١٧٩٠٣، ٢٧٦٣٨، ١٧٩٤٥، الدارمى فى البيوع ٢٥٣١.

الأجرام باليد؛ فشبَّه تعذر نفع إيمانهم فى الآخـرة بتعذر تناول الشىء من مكان بعيد لا يمكن تناوله منه.

النـوع السـادس بعـد المـائـة

قوله: ﴿حتـى إذا أخذت الأرض زُخْرفهـا وازَّينت﴾ [يونس: ٢٤] شبَّههـا فى حسنها ونضارتها بعروس أخذت ثيابها وازينت بها.

النـوع السـابـع بعـد المـائــة

اللبـــــاس

فى قوله: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخَوف﴾ [النحل: ١١٢] شبَّه ما ظهر عليهم من أثر الجوع والخـوف باللباس الظاهر على الأجـساد، وقيل: المراد باللبـاس ههنا ملابسـة الجوع والخوف. ولو قال: فأجاعها الله وخوَّفها لم يكن فيه معنى الإذاقة، ولا معنى ظهور آثارهما عليهم.

النــــوع الثـامـن بعـد المائــة

جعـــل الـــذوات فى الأعــراض وفى الصفـات

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿بل قُلوبهم فى غَمْرَة من هذا﴾ [المؤمنون: ٦٣].

المثال الثانى: قوله: ﴿لقد كُنْتَ فى غَفْلَة من هذا﴾ [ق: ٢٢].

المثال الثالث: قوله: ﴿إنا لَنَرَاكَ فى ضَلال مُبين﴾ [الأعراف: ٦٠].

المثال الرابع: قوله: ﴿بل هم فى شكٍّ منها﴾ [النمل: ٦٦].

المثال الخامس: قوله: ﴿بل هم فى خوض يلعبون﴾ [الطور: ١٢].

المثال السادس: قوله: ﴿إنا لنراك فى سَفَاهة﴾ [الأعراف: ٦٦].

المثال السابع: قوله: ﴿ونذرهم فى طُغيانهم يَعْمَهُون﴾ [الأنعام: ١١٠] شبَّههم بمن أحاط به شىء لا يقـدر على الخـروج منه، أو شـبَّه عظم ذلك وإفـراطهم فـيـه بالظرف الحـاوى لمظروفه؛ لأن الظرف أعظم مما حلَّ فيه.

النـــوع التـــاسع بعد المـــائة

وصف المعانى بصفات الأجرام

وله أمثلة:

أحدها: وصفها بالمجىء والإقبال

فأما المجىء، فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾ [يونس: ١٠٨].

المثال الثانى: قوله: ﴿ولئن اتَّبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم﴾ [البقرة: ١٤٥].

المثال الثالث: قوله: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق﴾ [الفرقان: ٣٣].

المثال الرابع: قوله: ﴿وجاءك فى هذه الحق﴾ [هود: ١٢٠].

المثال الخامس: قوله: ﴿قل جاء الحق﴾ [سبأ: ٤٩].

المثال السادس: قوله: ﴿قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم﴾ [يونس: ٥٧].

المثال السابع: قوله: ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾ [المائدة: ١٥].

المثال الثامن: قوله: ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ [الأنعام: ٣٤].

المثال التاسع: قوله: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فَصَّلْنَاه على عِلْم﴾ [الأعراف: ٥٢].

المثال العاشر: قوله: ﴿ولمَّا جاءهم كتابٌ من عند الله﴾ [البقرة: ٨٩].

المثال الحادى عشر: قوله: ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم يَنْظُرون إليك﴾ [الأحزاب: ١٩].

المثال الثانى عشر: قوله: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ [ق: ١٩].

المثال الثالث عشر: قوله: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعون﴾ [المؤمنون: ٩٩].

وقوله ﷺ: «جاء الموت بما فيه»(١)، ويجوز أن يكون قوله: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ من مجاز الحذف تقديره: حتى إذا جاء أحدهم ملك الموت قال: رب ارجعون.

(١) أخرجه الترمذى فى القيامة ٢٤٥٧، أحمد فى المسند ٢١٢٩٩.

المثال الرابع عشر: قوله: ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قَبْل أن يأتى أحَدَكم الموت﴾ [المنافقون: ١٠] ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره: من قبل أن يأتى ملك الموت.

المثال الخامس عشر: قوله: ﴿وجاءته البُشْرَى﴾ [هود: ٧٤].

هذه كلها أعراضٌ يخلق فى محالها من غير اتصاف بمجيء حقيقى لكنها لما حصلت فى محالها بعد أن لم تكن فيها شابهت جُرمًا حلَّ فى جرم بعد أن لم تكن فيه.

وأما الإقبال، فكقول أبى ذؤيب الهُذَلىُّ (كامل):

ولقد حَرِصتُ بأنْ أُدافع عَنْهُمُ فـإذا المنيةُ أقبـلتْ لا تُدْفَعُ[1]

المثال الثانى

وصفها بالزهوق والذهاب والإذهاب

فأما الزهوق، فله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿وقل جاء الحقُّ وزهق الباطل﴾ [الإسراء: ٨١] أى: وذهب الدين الباطل.

المثال الثانى: قوله: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ [الأنبياء: ١٨] أى: هو ذاهب.

وأما قوله: ﴿فيدمغه﴾ [الأنبياء: ١٨] فإنه مجازٌ تشبيهى أيضًا؛ لأن الدمغ حقيقة فى الشجَّة التى تصل إلى الدماغ التى يقال لها: الدامغة، وهى مهلكة مذهبة مزهقة للنفوس مبطلة، فتجوَّز بها عن إبطال الباطل وإزهاقه.

وأما الذهاب، فله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الرَّوع﴾ [هود: ٧٤].

المثال الثانى: قوله: ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ [الأحزاب: ١٩].

وأما الإذهاب، فله أمثلة:

(١) ديوان الهذليين ص:٢، زاد المسير ١/ ٣٠٠، شرح شواهد المغنى ١/ ٢٦٢.

أحدها: قوله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالّذى أوحينا إليك﴾ [الإسراء: ٨٦].

المثال الثانى: قوله: ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ [البقرة: ٢٠].

المثال الثالث: قوله: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ [البقرة: ١٧].

هذه المعانى لا تذهب حقيقة، ولا يذهب، ولكنها لما خلا منها محلها بعد أن كانت فيه أشبهت جرمًا حلَّ فى جرم ثم زايله وذهب عنه فخلا منه.

المثال الثالث

وصفها بالأخذ

وحقيقته التناول باليد ثم يتجوَّز به عن أشياء:

أحدها: القبول، وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿وما آتاكم الرَّسول فَخُذُوه﴾ [الحشر: ٧] أى: وما أمركم به فاقبلوه ـ على قول بعضهم ـ تجوَّز بالإتيان عن الأمر، وبالأخذ عن القبول والامتثال.

ومثله قوله: ﴿خُذوا ما آتيناكم بقوة﴾ [الأعراف: ١٧١] أى: اقبلوا ما أمرناكم به واعملوا به.

المثال الثانى: قوله: ﴿يا يَحْيى خُذ الكتاب بقوة﴾ [مريم: ١٢] أى: تقبل العمل به.

وأما قوله: ﴿ويأخذ الصدقات﴾ [التوبة: ١٠٤]، وقوله ﷺ: «**لا يتصدق أحدٌ بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه**[1]» فهذا أخذٌ مضافٌ إلى الأعيان تجوَّز به عن القبول، والمعنى: ويقبل الصدقات، شبَّه قبول الصدقات بقبول من أهدى إليه شىء فأخذه بيده قابلاً له، وقوله: «**إلا أخذها الرحمن بيمينه**» أبلغ فى القبول لإشعاره بالتكريم والاحترام، فإن أخذ الشىء باليمين احترام له.

الثانى: الرضى، وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿فَخُذْ ما آتَيْتُك﴾ [الأعراف: ١٤٤] معناه: فارض بما آتيتك.

---

(١) أخرجه: أحمد فى المسند ٩٤٣١.

المثال الثاني: قوله: ﴿آخذين ما آتاهم ربُّهم﴾ [الذاريات: ١٦] أى: راضين به؛ لأن من رضى شيئًا أخذه بيده، ويجوز أن يكون هذا من مجاز اللزوم؛ لأن الأخذ باليد من لوازم الرضى بالمأخوذ غالبًا.

وأما قوله: ﴿خُذ العفو﴾ [الأعراف: ١٩٩] فإنه دائرٌ بين الرضى والقبول، واستعماله فى القبول أولى، أى: اقبل ما بذله النَّاس من أخلاقهم.

الثالث: الإلزام، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ [البقرة: ٦٣].

المثال الثانى: قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النَّبيين﴾ [آل عمران: ٨١].

المثال الثالث: قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الَّذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاس ولا تكتمونه﴾ [آل عمران: ١٨٧] أخذ المواثيق والعهود من مجاز الملازمة، وهو عبارة عن الإلزام أو القبول، لما كان أخذ الشىء قابلاً له عبِّر به عن إلزام المواثيق وأخذ العهود وقبول العقود، وليس قوله: ﴿وإذ أخذ ربُّك من بنى آدم من ظهورهم ذُرِّيَّتَهُم[1]﴾ [الأعراف: ١٧٢] من هذا الباب بل هو تجوُّز بالأخذ عن الإخراج، تقديره: وإذ أخرج ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم.

الرابع: القهر والاستيلاء، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ واحْصُرُوهُم﴾ [التوبة: ٥] معناه: استولوا عليهم بالأسر إذْ ليس هذا الأخذ تناولاً باليد بل هو مشبَّه به؛ لأن كل واحد منهما استيلاء، ولذلك قال: ﴿لمن فى أيديكم من الأسرى﴾ [الأنفال: ٧٠].

ومنه قولهم: «الأرض فى يدى والدار فى يدى» أى: فى استيلائى.

وأما قوله: ﴿وإذا قيل له اتَّق الله أخذته العزَّة بالإثم﴾ [البقرة: ٢٠٦] فاشتبه حمل الأنفة وغلبتها عليه حتى ارتكب الإثم بمن أُخذ مقهوراً.

(١) فى جميع الأصول «ذرياتهم» جمع الجمع، وهى قراءة نافع والجمهور باستثناء ابن كثير والكوفيون (المحرر الوجيز ٦/١٣٨).

المثال الثـانى: قوله: ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ [آل عمران: ١١] أى: قهرهم واستولى عليهم بقدرته وعقوبته.

المثال الثالث: قوله: ﴿فأخذناه أخذًا وبيلاً﴾ [المزمل: ١٦].

المثال الرابع: قوله: ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم﴾ [القصص: ٤٠].

المثال الخامس: قوله: ﴿فأخذناهم بَغْتَة﴾ [الأعراف: ٩٥].

المثال السادس: قوله: ﴿وكـذلك أخذ ربِّك إذا أَخَذَ القـرى وهى ظالمة﴾ [هود: ١٠٢] يريد بذلك استيلاءه عليهم بالقهـر والعذاب، وهذا كله من مجاز التـشبيه؛ لأن الاسـتيلاء بالقهر والغلبة يشبه الاستيلاء باليد على المقبوض.

المثال السابع: قوله: ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمـعكم وأبصاركم﴾ [الأنعام: ٤٦] أخْذُهَا مجـازٌ عن تخلية محلها منهـا كما أن الجـرم إذا أُخِذ من مكانه خلا منه فهو مـجاز التشبـيه أيضًا.

وأما قوله: ﴿فأخذتهم الصَّيْحَة﴾ [الحجر: ٧٣]، وقوله: ﴿فأخذتهم الرَّجْفَة﴾ [الأعراف: ٩١] فيحتمل فيهما فأخذت أرواحهم الصيـحة والرجفة، فتكون النسبة إلى الصيحة والرجفة مجازية، فإن الله هو الآخذ على الحقيقة، وإن كـان الأخذ بمعنى: الاستيلاء فالأخذ والنسبة كلاهما مجـازى. وهذه الأمثلة تنقسم إلى: ما يكون فيه الأخـذ والمأخوذ معنيين، وإلى ما يكون فيه الأخذ معنى والمأخوذ جِرْمًا.

المثـــال الـــرابـــع

وصف المعانى بالنبذ والقذف والرجم والإلقاء والرمى

فأما النبذ: فإنه حقيقة فى طرح الأجرام، كقوله: ﴿فنبذناهم فى اليم﴾ [الذاريات: ٤٠]، وكقوله: ﴿فنبذناه بالعراء﴾ [الصافات: ١٤٥] مجاز فى المعانى، وله أمثلة:

أحدها: قـوله: ﴿نَبَذَ فـريقٌ من الَّذين أوتوا الكتـابَ كـتـابَ الله وراء ظهـورهم﴾ [البقرة: ١٠١] أى: نبذ فريق من الَّذين أوتوا الكتاب اتباع كتاب الله وراء ظهورهم.

المثال الثاني: قوله: ﴿أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم﴾ [البقرة: ١٠٠] أي: نَبَذَ وفاءه وإتمامه فريقٌ منهم.

المثال الثالث: قوله: ﴿وإمَّا تَخَافَنَّ من قوم خيانة فانبذْ إليهم على سواء﴾ [الأنفال: ٥٨] أي: فانبذ إليهم عهدهم على سواء.

المثال الرابع: قوله: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشْتَرَوا به ثمنًا قليلاً﴾ [آل عمران: ١٨٧] تقديره: فنبذوا اتباعه وراء ظهورهم. وهذا كله من مجاز التشبيه، فإن من يحتقر الشيء ولا يكترث به ينبذه ويطرحه بحيث لا يُقبل عليه، ولا يلتفت إليه، فشبَّه بذلك من ترك العمل بمقتضى كتاب الله وبمقتضى عهده احتقاراً له بمن كان معه شيء محتقر فنبذه وألقاه، وأنشد أبو عبيدة في معنى الاحتقار (طويل):

نظرت إلى عنـوانه فنبـذتهُ كنبذكَ نعلاً أخْلَقَتْ من نِعَالِكَا[1]

وقوله: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ أبلغ في ذمهم باحتقاره وعدم الالتفات إليه.

وأما القذف: فحقيقته إلقاء الأجرام بسرعة كما في قوله: ﴿فاقذفيه في اليم﴾ [طه:٣٩]، وهو مجازٌ في المعاني، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿إنَّ ربِّي يَقْذِفُ بالحق﴾ [سبأ: ٤٨] أي: ينزله، والحق القرآن.

المثال الثاني: قوله: ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ [الحشر: ٥].

المثال الثالث: قوله: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه﴾ [الأنبياء: ١٨].

وأما قوله: ﴿ويَقْذِفُونَ بالغيب من مكان بعيد﴾ [سبأ: ٥٣] فهو من مجاز قذف الأعراض بالسب والشتم؛ لأنهم شتموه ﷺ بنسبته إلى السحر والشعر، والكهانة والجنون، وذلك كله مما غاب عنهم ولم يعلموه منه ﷺ وحقق تبرئته مما قذفوه به بقوله: ﴿من مكان بعيد﴾ لبعده ﷺ مما قذفوه به. ومن قذف جرمًا بجرم من مكان بعيد لم يصل إليه ذلك الجرم المقذوف به لفرط بعده منه.

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٤٨، تفسير القرطبي ٢/ ٤٠، والبيت لأبي الأسود الدؤلي.

وأما الرجم: فحقيقته القذف بالأجرام كالأحجار ونحوها ثم يستعمل فى الشتم لإيلامه المشتوم كما يؤلم الرجم المرجوم، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ولولا رَهْطُكَ لرجمناك﴾ [هود: ٩١].

المثال الثانى: قوله: ﴿لئن لم تنته لأرْجُمَنَّك﴾ [مريم: ٤٦] قيل فيهما: إنه الرجم بالأحجار، وقيل: إنه شتم الأعراض، وكذلك وصف الشيطان بالرجم المراد به: الشتم على قول، وعلى قول المراد به: الرجم بالشهب، فيكون حقيقة، وإن جعل بمعنى الراجم بدواهيه فهو مجازٌ أيضًا.

وأما قوله: ﴿رجمًا بالغيب﴾ [الكهف: ٢٢] فيعبَّر به عما يقال من غير تحقيق لإصابة الصواب؛ لأنه يشبه الراجم المتردد فى رجمه: أيصيب الغرض أم يخطئ؟.

وأما الإلقاء: فحقيقته الطرح والنبذ فى الأجرام كما فى قوله: ﴿فألقيه فى اليم﴾ [طه:٣٩] ويتجوَّز به فى المعانى، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿يُلقى الروح من أمره على مَنْ يَشاءُ من عباده﴾ [غافر: ١٥] والمراد بالروح: الوحى والقرآن.

المثال الثانى: قوله: ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ [المائدة: ٦٤].

المثال الثالث: قوله: ﴿وألقيت عليك محبَّة منِّى﴾ [طه: ٣٩].

المثال الرابع: قوله: ﴿وإنَّك لَتُلَقَّى القرآن مَنْ لَدُنْ حكيم عليم﴾ [النمل: ٦] أى: يلقى إليك وتقبله.

المثال الخامس: قوله: ﴿تُلقون إليهم بالمودة﴾ [الممتحنة: ١].

المثال السادس: ﴿فألقوا إليهم القول﴾ [النحل: ٨٦].

المثال السابع: قوله: ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السَّلم﴾ [النحل: ٨٧].

المثال الثامن: قوله: ﴿فألقوا السَّلَم ما كُنَّا نعمل من سوء﴾ [النحل: ٢٨].

المثال التاسع: قوله: ﴿وما كنت ترجو أن يُلقَى إليك الكتاب﴾ [القصص: ٨٦].

وأما إلقاء الرواسي في قوله: ﴿**وألقى في الأرض رواسيَ أن تميد بكم**﴾ [النحل: ١٥] فليس من هذا؛ لأنها أجرام، ولكن إلقاءها من مجاز آخر؛ لأن الإلقاء والنبذ يستعملان في كل خفيف وحقير، فإذا عبَّر عن خلق الجبال بأنه ألقاها إلقاء دل ذلك على أنها بالنسبة إلى قدرته كالشيء الخفيف الذي يُلقَى ويُطرَح بسهولة، ومثل الجبال لا يلقيه سواه؛ فدل ذلك على عظمة المتكلم الخالق.

وأما الرمي، فحقيقته الطرح والإلقاء في الأجرام، وتجوَّز به في المعاني، وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿**والَّذين يَرْمُونَ المُحْصَنَات**﴾ [النور: ٤] أي: بالزنا.

المثال الثاني: قوله: ﴿**والَّذين يَرْمُونَ أزواجهم**﴾ [النور: ٦] أي: بالزنا، وهذا من مجاز التشبيه؛ لأن من رمى أو رجم بشيء فإنه يولمه ويؤثر فيه، فشبِّهت أذية الأعراض بالأقوال بأذية الأجساد برمي الأحجار.

المثال الخامس

وصفها بالنزول والإنزال

وحقيقة النزول: انحدار الأجرام من عالٍ إلى سافلٍ، وإنزالها انحدارها، وله في المعاني أمثلة:

فأما النزول، ففي مثل قوله: ﴿**ألم يأنِ للَّذين آمنوا أن تَخْشَعَ قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق**﴾ [الحديد: ١٦]، وفي قوله في الحديث: «**ونزلت عليهم السكينة**»(١).

وأما الإنزال، فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**وأنزلنا إليكم نوراً مبينًا**﴾ [النساء: ١٧٤].

المثال الثاني: قوله: ﴿**قد أنزل الله إليكم ذكرًا**﴾ [الطلاق: ١٠].

---

(١) أخرجه: مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٦٩٩، الترمذي في الحدود ١٤٢٥، البر والصلة ١٩٣٠، العلم ٢٦٤٦، القراءات ٢٩٤٥، أبو داود في الصلاة ١٤٥٥، الأدب ٤٩٤٦، ابن ماجه في المقدمة ٢٢٥، أحمد في المسند ٧٣٧٩، ٧٨٨٢، ١٠١١٨، ١٠٢٩٨، الدارمي في المقدمة ٣٤٤.

المثال الثالث: قوله: ﴿ثم أنزل عليكم مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أمنة نُعَاسًا يَغْشَى طائفة منكم﴾ [آل عمران: ١٥٤].

المثال الرابع: قوله: ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا﴾ [يوسف: ٢].

المثال الخامس: قوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ [النحل: ٤٤].

المثال السادس: قوله: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ [القدر: ١].

المثال السابع: قوله: ﴿ونَزَّلناه تنزيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

المثال الثامن: قوله: ﴿هو الذى أنزَّل السكينة فى قلوب المؤمنين﴾ [الفتح: ٤].

المثال التاسع: قوله: ﴿فإنه نزَّله على قلبك﴾ [البقرة: ٩٧].

وهذا من مجاز التشبيه لما كانت هذه الأشياء مكتوبة فى اللوح المحفوظ، ثم خلقت فى القلوب شبِّهت بما كان عاليًا ثم نزل.

وأما إنزال اللباس فى قوله: ﴿يا بنى آدم قَدْ أنزلنا عليكم لِبَاسًا يُوارى سوآتِكم﴾ [الأعراف: ٢٦]، وإنزال الأنعام فى قوله: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ [الزمر: ٦] فإنهما من مجاز التشبيه إلى أسباب الأسباب؛ لما كان اللباس من نبات الأرض، ونبات الأرض من السماء جعله منزلاً بانتسابه إلى منزل.

وكذلك إنزال الأنعام لما كانت لا تعيش إلا بالنبات، والنبات لا يكون إلا بالمطر، والمطر مُنزل، وصفها بالإنزال لاستنادها إلى النبات المستند إلى الإنزال، ويجوز أن ينسب الإنزال إلى ذلك؛ لأن الله كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فى اللوح المحفوظ فيصير هذا الإنزال كإنزال القرآن.

المثال السادس

من أمثلة وصف المعانى بصفات الأجرام وصفها بالصعود والإصعاد

أما الصعود ففى قوله: ﴿إليه يصعدُ الكَلِمُ الطيب﴾ [فاطر: ١٠].

وأما الإصعاد: ففى قوله: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]، وفى قوله ﷺ:

«ويُرْفَعُ العلم»(١).

وكذلك قـوله ﷺ: «يُرْفَعُ إليـه عمل الليل قـبل عمل النَّهـار، وعمل النَّهـار قبل عـمل الليل»(٢).

وكذلك قوله ﷺ: «تُرفع الأعمال كل ليلة اثنين وخـميس، فأُحِبُّ أن لا يرفع عملى إلا وأنا صائم»(٣) لما كانت الأقوال والأعمال تقع فى الأرض، ثم تصعد الملائكة بصحائفها إلى السمـاء شُبِّهت بأجرام رُفـعت من مكان سافل إلى مكان عـالٍ كما فـعل ذلك فى الإنزال، ويحتمل أن يكون ذلك كله من حذف المضاف وتقديـره: إليه يصعد صحائف الكلم الطيب وصحائف العمل الصالح يرفعها.

وكذلك ترفع إليـه صحائف عـمل الليل قبل صحائـف عمل النَّهار، وصحـائف عمل النَّهار قبل صحائف عمل الليل.

وكذلك ترفع صحائف الأعمال كل ليلة اثنين وخميس، والأول أظهر.

ومـثل ذلك وصف الفـضائل والمناقـب بالرفع فى الدرجـات تشبيـهًا لتفـاوت الصفات والمناقب فى الفضل والشرف بتفاوت الدرج فى الارتفاع والانخفاض، وذلك فى مثل قوله: ﴿ورفع بعضكم فـوق بعض درجات﴾ [الانعام: ١٦٥] أشار بذلك إلى رفع الصـفات لا إلى رفع الذوات تشبيهًا لشرف بعض الأعمال على بعض بعلو الغرف والإشراف.

وكذلك قوله: ﴿نرفع درجات مـن نشاء﴾ [الانعام: ٨٣] عـبَّر بذلك عن تفـاوت العلم والعمل، فـيكون أفضل الأعـمال مشـبهًا بالدرجـة العليا، وأدناها مشـبهًا بالدرجـة الدنيا، وكذلك ما بينهما من الوسائط.

(١) أخرجه: البخارى فى الفتن ٧٠٦٣، مسلم فى العلم ٢٦٧٢، الترمذى فى الفتن ٢٢٠٠، ابن ماجه فى الفتن ٣٩٥٩، ٤٠٥٠، أحمد فى المسند ٣٦٨٧، ٣٨٠٧، ٣٨٣١، ٤١٧٢.

(٢) أخرجه: البخارى فى الوضوء ١٤٤، مـسلم فى الإيمان ١٧٩، ابن ماجه فى الطهارة وسننها ٣١٨، أحمد فى المسند ١٩٠٣٥، ١٩٠٩٠، ١٩١٣٥.

(٣) أخرجه: مـسلم فى البر والصلة والآداب ٢٥٦٥، الترمذى فى الصـوم ٧٤٧، البر والصلة ٢٠٢٣، أبو داود فى الأدب ٤٩١٦، ابن مـاجه فى الصـيام ١٧٤٠، أحـمد فى المسند ٨١٦١، مـالك فى الجامع ١٦٨٦، ١٦٨٧.

وكذلك قوله: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فـى الحياة الدُّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ [الزخرف: ٣٢] تجوَّز بذلك عن تفاوتهم في الغنى.

وكذلك قوله: ﴿تلك الرسل فَضَّلنا بعضهم على بعض منهم من كلَّم الله وَرَفَعَ بعضهم درجات﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال مجاهد: أراد ببعضهـم: محمداً ﷺ، وأراد برفعه درجات: أنه بُعِثَ إلى الثقلين، وهذا الذى ذكره ـ رحمه الله ـ حسن إلا أن أجر الأنبياء فى التبليغ على قدر أجور من اهتدى بهم، فكان لكل نبى درجة فى الأجر بقدر إبلاغه أمته، ويتفاوتون فى الدرجات بتفـاوت كثرة الأمم وقلتها، فإن من دعى إلى هدى كُتب له أجـره وأجر من عمل به إلى يوم القيـامة، فكان له أجر دعاء الجـميع؛ بعضه بالتـسبب، وبعضه بالمبـاشرة، فكان أجره على الإبلاغ أعلـى من أجر كل نبى؛ لأن الَّذين أبلغهم أكـثر من جـميع الأمم، وفى الحديث مـا يدل على ذلك وهو قوله ﷺ: «إني لأرجـو أن تكونوا شطر أهل الجنَّة...»(١) فيحصل له ثواب إبلاغ الشطر، ولكل نبى أجر إبلاغ بعض من الشطر الآخر.

والتجـوُّز بالعلو في تفاوت الصـفات كالتـجوُّز بالرفع، كـقوله: ﴿إن فـرعون عـلا فى الأرض﴾ [القصص: ٤].

وكذلك التـجوُّز بالتسفل المعنوى والعلو المعنوى فى مـثل قوله: ﴿وجعل كلمة الَّذين كفـروا السفلى وكلمـة الله هى العليا﴾ [التوبة: ٤٠]، وفى مثـل قوله: ﴿وأرادوا به كـيداً فجعلناهم الأسفلين﴾ [الصافات: ٩٨] لم يرد بذلك التسفل المكانى.

وأما قوله: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ [التين: ٥]، فإن حُمل على الرد إلى جـهنم فهو تسفلٌ حقيقى، وإن حُمل على الرد إلى الهرم وأرذل العمر فهو تسفل في الرتب والأوصاف أريد به انحطاطه إلى الهرم السافل عن شرف رتب القوى والشباب.

وأما علو الرب سبحانه وتعالى فإنه مجازيٌّ أيضًا كعلو الدرجات المعنوية فهو علو شرف وكمال لا علو أحيـاز وأمكنة، فسبحان من له الشرف على كل شـرف، وله الحمد على كل حال.

---

(١) أخرجه: البخارى فى الرقاق ٦٥٢٨، مـسلم فى الإيمان ٢٢١، الترمذى فى صفة الجنة ٢٥٤٧، ابن ماجه فى الزهد ٤٢٨٣، أحمد فى المسند ٣٦٥٣، ٣٦٦٨، ٤١٥٥، ٤٢٣٩، ٤٣١٦.

وكذلك فوقيته في مثل قوله: ﴿وهو القاهرُ فوق عباده﴾ [الانعام: ١٨] فسبحان من علت ذاته على كل ذات، وعلت صفاته على كل الصفات، فتوحدت ذاته عن كل ذات بأنها ليست بجوهر ولا عرض، وبالأزلية والأبدية والاستغناء عن الموجب، والموجد، وبالإلهية الموجبة لاستحقاق العبودية. .

وكذلك تفردت كل صفة من صفات ذاته بأنها ليست بعرض، وبالأزلية، والأبدية، والاستغناء عن الموجب والموجد، وتفرد علمه وكلامه بالتعلق بكل واجب وجائز ومستحيل على سبيل التفصيل، وتفرد سمعه بإدراك كل مسموع؛ قديم أو حادث، وتفرد بصره بإدراك كل موجود قديم أو حادث من الذوات والصفات، فلا يحتجب شيء عن أبصاره بشيء، وتفردت إرادته بتخصيص كل مختص، وتفردت قدرته بإيجاد كل موجود.

فهذه التوحدات بعضها مستقل، وبعضها لازم عن بعض، وللعارفين في هذه التوحدات مجال إذْ ينشأ عن كل توحد منها حال من الأحوال؛ كالخوف، والرجاء، والمهابة، والحياء، والتعظيم، والإجلال، والتفويض، والتوكل، والتخضع، والتذلل، فالخوف ناشئ عن معرفة شدة النقمة، والرجاء ناشئ عن معرفة سعة الرحمة، والمهابة والإجلال ناشئان عن معرفة شرف الذات والصفات، والتوكل ناشئ عن معرفة توحده بالضر والنفع، والخفض والرفع، والتذلل ناشئ عن معرفة العزة، ولكل نوع من هذه التوحدات نوع من الأحوال يناسبه، وينشأ عنه.

وأما قوله: ﴿والذين اتَّقوا فوقهم يوم القيامة﴾ [البقرة: ٢١٢] فيجوز أن تكون الفوقية فيه بمعنى: القهر، والغلبة؛ لأن المؤمنين يغلبون الكافرين يوم القيامة بالظفر والحجة.

وكذلك قوله: ﴿وجاعلُ الَّذين اتَّبعوك فوق الَّذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ [آل عمران: ٥٥] يعني: فوقهم بالقهر والغلبة.

وكذلك قوله: ﴿يخافون ربَّهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠] لأن الرب هو القاهر فوق عباده، ويجوز أن يكون ذلك بمعنى شرف الصفات كما في قوله: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف: ٧٦].

المـــثال الســـابـــع

وصف المعانى بالإفراغ والصبِّ

وهمـا حقيـقة فى الأجـرام، فأمـا الإفـراغ ففى قـوله: ﴿ربَّنَا أفـرغ علينا صبـراً﴾ [الأعراف:١٢٦] الصبر يخلق فى القلوب ولا يفرغ فيهـا، لكنه لما كان مستنداً إلى ما كتب فى اللوح المحفوظ صار كأنه أفرغ من ثَمَّ.

وأما الصب: فكقوله: ﴿فَصَبَّ عليهم ربُّك سوط عذاب﴾ [الفجر: ١٣] لما أتاهم ذلك من قِبَل السماء شُبِّه بالشىء المصبوب، وتجـوَّز عنه بالسوط مع عظمه؛ لأنه قليل بالنسبة إلى عذاب الآخرة، كما أن السوط قليل بالنسبة إلى الجلد الكثير، وفى هذا نظر.

المـــثال الثـــامـــن

وصف المعانى بالدخول والخروج والإدخال والإخراج

فأما وصفها بالدخول، فثلاثة أقسام:

أحدها: دخولها فى الأجرام فى مثل قوله: ﴿ولَمَّا يَدْخل الإيمان فى قلوبكم﴾ [الحجرات: ١٤] الدخول الحقيقى انتقال جرم من خارج الشىء إلى داخله، ولا يتصور فى الإيمان انتقالٌ من خارج القلوب إلى داخلها، ولا خروجٌ منهـا إلى ظاهرها، بل شبَّه حصوله فى القلوب بعد أن لم يكن فيها بجرم دخل إلى حيزٍ بعد أن لم يكن فيه.

وكذلك شبَّه خلو القلوب منها بخلو الأحياز من أجرامٍ كانت فيها ثم فارقتها.

القسم الثانى: أن يجعل ظرفًا لدخـول الأجرام وإدخالها فى مـثل قوله: ﴿يأيُّها الَّذين آمنوا ادخلوا فى السِّلْم كافة﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وفى قوله: ﴿ورأيت النَّاس يدخـلون فى دين الله أفواجًا﴾ [النصر: ٢].

وكذلك قوله: ﴿ليدخل الله فى رحمته من يشاء﴾ [الفتح: ٢٥] أى: فى دينه وملته.

وكذلـك قولهم: «دخل فى الصَّلاة والصـوم»، وهذا من مجـاز التشـبيـه شبِّهت هذه الأشياء بمكان جسمانى دخلت فيه الأجـرام، ولهذا يعبر بما يتصف به الإنسان من المعانى بأنه مكانه ومكانته.

ومنه قـوله: ﴿اعـملوا على مكانتكم﴾ [الانعام: ١٣٥] أى: اعـملوا على طـريقـتكم ودينكم.

وكما شبـهت الأفعال الحسنة والقبيحـة بالطرق الجسمانية لاشتراكـهما فى الإيصال إلى المقاصـد فى قولهم: طريق فلان كـذا، وطريقته كذا، وسـبيله كذا، وصـراطه كذا، ومنه السبل والصرط المذكورة فى القرآن عبارة عن الطاعة والإيمان، أو عن المخالفة والعصيان.

ولمثل هذا حَسُنَ أن يُقال: ﴿ومن يَتَعَدَّ حدود الله﴾ [البقرة: ٢٢٩] أى: حدود طاعته.

وصحَّ أن يُقال: ﴿تلك حدود الله فـلا تقربوها﴾ [البقرة: ١٨٧] شبَّه الطاعـات بحيز ذى حدود فنهى عن اعتداء حدوده، وشبَّه المعاصى بأحياز ذى حدود فنهى عن قربانها.

ومثله قوله: ﴿ولا تقربوا الزِّنا﴾ [الإسراء: ٣٢] وقوله: ﴿ولا تقربوا الفـواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأنعام: ١٥١].

القسم الثالث: دخول بعض المعانى فى بعض فى قوله ﷺ: «**دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة**»، وفى قـولهم: تداخلت الحـدود والأحداث والكفـارات، وهذا أيضًا من مجاز التشبيه، لما كان الجرم إذا دخل فى جـرم ستره عن الإدراك شبَّه سقوط أفعال العمرة، وما سقط من الحدود والكفارات بجرم دخل فى جرم فاستتر بحيث لا يشاهد ولا يرى.

وليس الدخول بالمرأة من هذا القـبيل فى قوله: ﴿اللاتى دَخَلْتُمْ بهن﴾ [النساء: ٢٣] بل هو من مجاز الملازمة كما ذكرناه، وليس مجاز الملازمة من مجاز التشبيه.

وأما وصفها بالخروج فأقسام:

أحدها: خروج الجرم من المعنى، وله أمثلة:

أحدها: ﴿كمن مثله فى الظُّلمات ليس بخارج منها﴾ [الأنعام: ١٢٢].

المثـال الثانى: قـولـه: ﴿الله ولى الَّذين آمـنوا يُخـرجـهم من الظُّلـمـات إلى النُّور﴾ [البقرة:٢٥٧] أى: من الكفر إلى الإيمان.

المثال الثـالـث: قوله: ﴿والذين كـفروا أوليـاؤهم الطاغـوت يُخرجـونهم من النُّور إلى الظُّلمات﴾ [البقرة: ٢٥٧] أى: من الإيمان إلى الكفر.

المثال الرابع: قوله: ﴿الر كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ١] أى: من ظلمات الجهل والضلال إلى أنوار المعارف والهدايات.

المثال الخامس: قوله: ﴿ليخرج الَّذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظُّلمات إلى النور﴾ [الطلاق: ١١]، وهذا أيضًا من مجاز التشبيه، وقد سبق تعليله.

والإخراج المنسوب إلى الله عزَّ وجلَّ فيه مجازٌ من ثلاثة أوجه:

أحدها: المخرج منه.

الثانى: المخرج إليه.

والثالث: نفس الإخراج.

وإخراج الرَّسول ﷺ النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور فيه هذه المجازات الثلاثة، وفيه مجازٌ رابع وهو نسبة الفعل إلى الآمر به؛ لأنه أمرهم بذلك، فنسب الإخراج إليه لكونه آمر به والمخرج على الحقيقة هو الله.

وإن جعل النَّاس للعموم كان جمعًا بين مجازين:

أحدهما: نسبة الإخراج إليه فيمن باشره بأمره.

والثانى: نسبة الإخراج إليه لكونه أمر من يأمر بالخروج.

وكذلك إخراج الشياطين الَّذين كفروا من النُّور إلى الظُّلمات فيه هذه المجازات الأربعة؛ لأن الظُّلمات والنُّور والإخراج كلها مجاز.

المثال السادس: قوله: ﴿ففسق عن أمر ربِّه﴾ [الكهف: ٥٠] معناه: فخرج عن أمر ربه.

وكذلك كل فسق فى القرآن فإنه خروجٌ عن طاعة الله إلى معصيته إما فى الفروع، وأما فى الأصول، وهذا أيضًا من مجاز التشبيه؛ شبَّه طاعة الله عزَّ وجلَّ بحيز من الأحيار، وشبَّه معصيته بحيز آخر، وشبَّه التارك للطاعة إلى المعصية بالخارج من حيز إلى حيز، ولذلك قال ﷺ: «ألا وإن لكل ملك حمًى ألا وإن حمَى الله محارمه»(١).

(١) أخرجه: البخارى فى الإيمان ٥٢، مسلم فى المساقاة ١٥٩٩، الترمذى فى البيوع ١٢٠٥، النسائى=

المثال السابع: قوله ﷺ: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»(١).

المثال الثامن: قولهم: خرج من الحج والصوم والصلاة.

القسم الثاني: خروج المعنى من الجرم في قوله: ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم**﴾ [الكهف: ٥].

القسم الثالث: خروج المعنى من الذات في قوله ﷺ: «**لن يتقرب إلى الله بأفضل مما خرج منه، وهو القرآن**»(٢).

القسم الرابع: خروج المعنى من المعنى.

وأما وصفها بالإدخال، ففي مثل قوله ﷺ: «**من أدخل في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٣)، وفي مثل قوله تعالى: ﴿**كذلك نسلكه في قلوب المجرمين**﴾ [الحجر: ١٢] والسلك في كلام العرب: الإدخال، كقوله: ﴿**فسلكه ينابيع في الأرض**﴾ [الزمر: ٢١] أي: فأدخله، وأما وصفها بالإخراج، فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا**﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وهذا إخراج من جرم إلى جرم، وكذلك المثالان الآخران.

المثال الثاني: قوله: ﴿**ويخرج أضغانكم**﴾ [محمد: ٣٧].

المثال الثالث: قوله: ﴿**إن الله مخرج ما تحذرون**﴾ [التوبة: ٦٤]، وهذا أيضًا من مجاز التشبيه لما كان الداخل في الشيء مستترًا به، فإذا انفصل عنه وخرج منه ظهر، استعير إخراج العلم والأضغان للإظهار والبيان.

=في البيوع ٤٤٥٣، الأشربة ٥٧١٠، أبو داود في البيوع ٣٣٢٩، ابن ماجه في الفتن ٣٩٨٤، أحمد في المسند ١٧٨٨٣، ١٧٩٠٣، ٢٧٦٣٨، ١٧٩٤٥، الدارمي في البيوع ٢٥٣١.

(١) أخرجه: البخاري في المناقب ٣٦١٠، مسلم في الزكاة ١٠٦٤، النسائي في الزكاة ٢٥٧٨، أبو داود في السنة ٤٧٦٤..

(٢) أخرجه: الترمذي في فضائل القرآن ٢٩١١.

(٣) أخرجه: البخاري في الصلح ٢٦٩٧، أبو داود في السنة ٤٦٠٦.

المثـــال التـاســع

من أمثلة وصف المعانى بصفات الأجرام وصفها بالنزع والانسلاخ.

فأما النزع، فله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل﴾ [الحجر: ٤٧].

المثال الثانى: قوله: ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور﴾ [هود: ٩] شبَّه الغل والنعمة لما فُقِدا من محليهما بجرم كان فى محل فنُزِع منه، وفُصل عنه.

وأما الانسلاخ ففى قوله: ﴿واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ [الاعراف: ١٧٥] أي: فانسلخ من اتباعها، والعمل بموجبها شبَّه تركه لملابسة العمل والاتباع للآيات بسلخ الشيء ومزايلته إياه.

المثال العـاشـر

وصف المعانى بالكشف

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ [الأنعام: ١٧].

المثال الثانى: قوله: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾ [الأنبياء: ٨٤].

المثال الثالث: قوله: ﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ [النمل: ٦٢].

المثال الرابع: قوله: ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون﴾ [المؤمنون: ٧٥]، وهذا من مجاز التشبيه، شبَّه خلو محال هذه المعانى منها بعد أن كانت فيها بكشف جرم عن جرم وإزالة جسم عن جسم.

المثـــال الحـادى عشـــر

وصفها بالمس

وله أمثلة:

المثال أحدها: قوله: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ [الأنعام: ١٧].

المثال الثانى: قوله: ﴿وإن يمسك بخير فهو على كل شىء قدير﴾ [الأنعام: ١٧].

المثال الثالث: قوله: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا﴾ [يونس: ١٢].

المثال الرابع: قوله: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ [النحل: ٥٣].

المثال الخامس: قوله: ﴿والذين كفروا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون﴾ [الأنعام: ٤٩].

المثال السادس: قوله: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ [آل عمران: ١٢٠].

المثال السابع: قوله: ﴿وما مسنا من لغوب﴾ [ق: ٣٨] معناه: وما أصابنا من إعياء وكلال، والمعنى فى الكل بمعنى الإصابة؛ بدليل أنه أبدل من الحسنة والسيئة بقوله: ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ [التوبة: ٥٠] والإصابة ملاقاة بين جرمين كقولك: أصابه السهم، وأصابه الحجر، فاستعمل فى حصول العرض فى الجوهر تشبيهًا بجرم لاقى جرمًا.

ومنه قوله: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠] وقوله: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ [النساء: ٧٨]، وقوله: ﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب﴾ [الحديد: ٢٢] والمصائب كلها أعراض كالموت، والمرض، وفراق الأحبة، ولما كان المس ملاقاة بين جرمين واجتماعًا لهما شبِّه حصول العرض فى الجرم ومشابكته له بملاقاة تقع بين جرمين فهو مجاز تشبيهى.

المثال الثانى عشر

وصف المعانى بالذوق

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥] أى: ذائقة ألم موت جسدها، أو كرب موت جسدها، فإن الموت ينافى الذوق؛ لأنه ضده والنفوس لا تموت.

وأما قوله: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [الزمر: ٤٢] فتقديره: الله يتوفى الأنفس حين موت أجسادها.

المثال الثاني: قوله: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ [الأنفال: ٣٥].

المثال الثالث: قوله: ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ [الطلاق: ٩].

المثال الرابع: قوله: ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ [القمر: ٣٧].

المثال الخامس: قوله: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ [النحل: ١١٢].

المثال السادس: قوله: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٤٩].

المثال السابع: قوله: ﴿لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا﴾ [النبأ: ٢٤].

المثال الثامن: قوله: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ [الدخان: ٥٦].

المثال التاسع: قوله: ﴿ذوقوا مس سقر﴾ [القمر: ٤٨].

المثال العاشر: قوله: ﴿فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا﴾ [الزمر: ٢٦] الذوق الحقيقى: إدراك طعوم المطعومات، ثم تجوّز به عن إدراك ألم المؤلمات، وضرر المضرات، وخزى المخزيات فهو مجاز تشبيهى.

المثال الثالث عشر

وصفها بالتمسك

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿والذين يُمَسّكون بالكتاب﴾ [الأعراف: ١٧٠].

المثال الثاني: قوله: ﴿فاستمسك بالذى أوحى إليك﴾ [الزخرف: ٤٣].

المثال الثالث: قوله: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [البقرة: ٢٥٦] شبّه الإيمان بعروة وثيقة، وشبّه المؤمن بمن تعلق بها لينجو من مهلكة كما ينجو من وقع فى بئر أو هوة إذا تمسك بعروة وثيقة ليرقأ بها فهو مجاز تشبيهى.

المثـال الـرابـع عشـر

وصفها بالقرب والبعد

فأما وصفها بالقرب. . .(١)

وأما وصفها بالبعد، فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ذلك رجع بعيد﴾ [ق: ٣] أى: بعيد من الإمكان.

المثال الثانى: قوله: ﴿فى الضلال البعيد﴾ [إبراهيم: ١٨] أى: البعيد من الحق.

المثال الثالث: قوله: ﴿وقلوبهم شتى﴾ [الحشر: ١٤] أى: مختلفة متباينة.

المثال الرابع: قوله: ﴿فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى﴾ [طه: ٥٣] أى: مختلفة متباعدة فى الصفات دون الذوات.

المثال الخامس: قوله: ﴿قد ضلوا ضلالاً بعيدًا﴾ [النساء: ١٦٧] يعنى: بعيدًا من الحق والصواب.

المثال وكذلك قولهم: بينهما بون بعيد وفرق بعيد، وهذا قول بعيد أى: بعيد عن الحق والصواب.

المثال السادس: قوله: ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾ [الانعام: ٢٦] أى: ينهون النَّاس عن تصديقه، ويبعدون عن تصديقه، وقيل: نزلت فى أبى طالب كان ينهاهم عن أذية رسول الله ﷺ ولا ينقاد له، والتقدير: وهم ينهون عن أذيته ويبعدون عن متابعته، ويتجوز بـ«ذلك» عن تباعد بعض الصفات عن بعض بالاختلاف أو التضاد، ومن ذلك قوله: ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ [يونس: ٣٢] العرب يشيرون بذلك عما بَعُدَ عن المسير بالزمان، أو المكان، ثم يعبرون بذلك عن تفاوت الرتب فى الشرف والكمال، فأشير إلى الرب بذلك لبعد ذاته عن مشابهة شىء من الذوات، ولبعد صفاته عن مضاهاة شىء من الصفات، وذلك فى قوله: ﴿ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ [الانعام: ٩٥] وقوله: ﴿إن ذلك لمحيى الموتى﴾ [الروم: ٥٠].

---

(١) بياض فى جميع الأصول.

وأما قوله: ﴿**ذلك الكتاب**﴾ [البقرة: ٢]، فإن كان إشــارة إلى القرآن المكتوب فى اللوح المحفوظ، أو إلى الموعود إنزاله فى قوله: ﴿**إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً**﴾ [المزمل: ٥]، وفى قوله: «**سأنزل عليك كتابًا لا يغسله الماء**» فهى إشارة حقيـقية إلى بُعْدٍ زمانى أو مكانى؛ لأن البعد فـى الزمان والمكان حقيـقة، وإن كان إشارة إلى كـماله كان مجاز الـتشبيه لبـعده عن مضاهاة شىء من الكتب السـماوية وعن مشابهة كل كـلام، ومن جعل ذلك بمعنى هذا كان تجوزًا، والعرب تخاطب الشاهد بخطاب الغائب، قال خفاف بن ندبة (طويل) :

أقول له والرمــح يأطر متنه ... تأمل خفــافًا إنى أنا ذلكا[1]

أى: إننى أنا هذا.

وأما قول امرأة العزيز: ﴿**فذلكن الذى لمتننى فيه**﴾ [يوسف: ٣٢] فإنها أشارت إليه بذلك التى يشار بهـا إلى البعيـد مع حضوره وقـربه لبعد حـسنه وجماله عندها، فـإنه بعد عن أن يشابهه جمال، وقالت النسوة: ﴿**ما هذا بشرًا**﴾ [يوسف: ٣١] فأشرن إليه بهذه التى يشار بها إلى القريب لفراغهن من غرامه بحسنه وجماله.

وأما قوله: ﴿**ومن يقل منهم إنى إلـه من دونه فذلك نجـزيه جـهنم**﴾ [الأنبياء: ٢٩] فإنه أشار إليــه بذلك لبعده من رحمــة الله، أو لبعده عن الإلهيــة فكأنه قال: فذلك البعــيد من الرحمة، أو فذلك البعيد من الإلهية، أو البعيد من الصدق فى قوله: ﴿**إنى إله من دونه**﴾، ويستعمل مثل هذا فى حرف: «ثم» وقد تقدم.

المثــال الخــامــس عشـــر

من أمثلة وصف المعانى بصفات الأجرام وصف المعانى بالخلط

حقيـقة الخلط فى الأجرام هو أن يجمعـها حيز واحد إما بالملاصــقة، أو المقاربة، ولا يتصور الخلط فى المـعانى إلا بالمقاربة فى الحيز، فـإن كان من أعمال القلوب كـان الحيز هو القلب، وإن كان من أعمال الجوارح كان البدن هو الحيز، وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن**

(١) انظر شعر خفاف بن ندبة (ص ٦٤)، تفسير القرطبى (١/ ١٣٦)، زاد المسير (١/ ٢٣) .

يتوب عليهم﴾ [التوبة: ١٠٢] هذا من خلط الجوارح؛ لأنه أراد بالعمل الصالح ما تقدم من غزوهم مع رسول الله ﷺ وأراد بالعمل السيئ تخلفهم عن غزوة تبوك.

المثال الثاني: قوله: ﴿**ولا تلبسوا الحق بالباطل**﴾ [البقرة: ٤٢] أي: ولا تخلطوا الحق بالباطل، قال مجاهد: لا تخلطوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، وهذا خلط في القلوب، وقال غيره: لا تخلطوا الحق الذى أنزله الله من صفة محمد ﷺ بالباطل الذى غيرتموه من صفته.

المثال السادس عشر

وصفها بالفك والانفكاك

حقيقة الفك إزالة تأليف الأجرام بعضها من بعض، ثم يتجوَّز به فى مزايلة المعانى للأجرام، وانفكاكها عنها، وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿**فك رقبة**﴾ [البلد: ١٣] شبَّه فصلها عن الرق، وهو معنى بفصل بعض الأجرام عن بعض.

المثال الثاني: قوله: ﴿**لم يكن الَّذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة**﴾ [البينة: ١] شبَّه انفصالهم عن الضلالة ووصف مفارقتهم إياها بانفكاك بعض الأجرام عن بعض وانفصالها عنها.

المثال السابع عشر

بكونها مرجوعًا إليها

وهو تجوُّز عن الرجوع إلى مثلها؛ لأن حقيقة الرجوع فى الأجرام عودها إلى الأحياز التى كانت فيها، والرجوع فى المعانى هو الرجوع إلى أضرابها وأمثالها دون أعيانها، شبَّه رجوع المرء إلى مثل ما كان عليه برجوعه إلى نفس ما كان عليه، فالحقيقة قولك: رجعت إلى المكان، والمجاز قولك: رجع إلى الطاعة، وإلى المعصية، فإنه لم يرجع إلى عين ما كان عليه وإنما رجع إلى مثل ما كان عليه، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**إنه كان للأوابين غفورًا**﴾ [الإسراء: ٢٥] أى: أنه كان للرجاعين إلى

مثل ما كانوا عليه من الطاعة غفوراً.

المثال الثاني: قوله: ﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيهَ المؤمنون﴾ [النور: ٣١] معناه: وارجعوا إلى طاعة الله جميعًا، أي: وارجعوا إلى مثل ما كنتم عليه من طاعته.

وأما توبة الله على العبد فلها معنيان:

أحدهما: أنها عبارة عن توفيقه لطاعته فإنه إذا ابتلى العبد بالمعصية فقد خذله الله، فإذا وفقه لطاعته فقد رجع عن خذلانه إلى توفيقه.

الثاني: قبول التوبة، فإن الله أهانه لما ابتلاه بمعصيته، فإذا قبله فقد رجع عن إهانته إلى كرامته.

المثال الثالث: قوله: ﴿وإن تعودوا نعد﴾ [الأنفال: ١٩] معناه: وإن ترجعوا إلى مثل ما كنتم عليه من قتال محمد ﷺ نعد إلى مثل نصرنا إياه عليكم يوم بدر.

المثال الرابع: قوله: ﴿وإن عدتم عدنا﴾ [الإسراء: ٨] معناه: وإن عدتم إلى مثل فساد المرتين مرة ثالثة عدنا إلى مثل عذابكم وإهانتكم.

المثال الثامن عشر

وصف المعاني بكونها مركوبة

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾ [الانشقاق: ١٩] أي: لتركبن حالا بعد حال.

المثال الثاني: قولهم: قد ارتكب فلان كبيرة.

المثال الثالث: قول الشاعر (طويل):

* وعُرى أفراسُ الصبى ورواحِلُه[1] *

وهو من مجاز التشبيه؛ شبَّه الاستيلاء على الكبائر وتعاطيها بمن استولى على مركوب يصرفه كيف يشاء.

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى (شرح شواهد المغني ٢/ ٩٤٠، هارون ١/ ٢٨٧).

وكذلك ركـوب الأطباق: وهى الأحوال، عبـارة عن التمكن منه: كمـا يتمكن الراكب من مركوبه.

ومن حمل ﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾ على صعود رسول الله ﷺ ليلة الإسراء من سماء إلى سماء لم يكن من هذا القبيل.

المثال التاسع عشر

وصف المعانى بالملء

الملء حقيقة هو: الجرم المستوعب أقصى طرفه، ثم يستعمل فيما كثر من المعانى تجوزاً.

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبًا**﴾ [الكهف: ١٨] أى: وملئ قلبك منهم خـوفًا، تجـوَّز بذلك عن كثـرة الخـوف واشتـداده، وهو من مجـاز التشبيه، شبَّه كثرته وتواليه بما يملأ من الأجرام.

المثال الثاني: قوله: «**ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد**» تجوَّز بذلك عن كـثرة تنزهه وعمومـه وأنه بالغ إلى حد لا يحصيـه محصٍ، ولا يعده عاد وأنه مستحق على عباده أن يحمدوه عـلى الدوام حمدًا كثيرًا مشـبهًا فى الكثرة بما يملأ السموات والأرض وما بينهما، وما تعلقت به مشيئة الرب.

المثال الثالث: قوله: ﴿**قد شغفها حبا**﴾ [يوسف: ٣٠] وصف الحب بأنه ملأ قلبـها حتى فاض عن القلب ووصل إلى شـغافه، والشـغاف: غلاف القلب، وهو مـتصل بالقلب من أسفله متجافٍ عنه من أعلاه.

* * *

الفصل الخامس والأربعون

فى تعدد مصححات التجوُّز فى محل واحد

قد يكون بين محلى الحقيقة والمجاز نسبتان فصاعداً، وكل واحدة منهن تصلح للتجوُّز من وجه غير الوجه الذى تصلح له الأخرى، مثل أن يكون بين محل الحقيقة ومحل المجاز ملازمة مصححة لمجاز الملازمة، وتسبيب صحيح لمجاز التسبيب، ومماثلة مصححة لمجاز المشابهة والمماثلة، وهذا كثير فى أوصاف الرب سبحانه وتعالى على ما سنذكره.

والأوصاف أقسام: نقص وكمال، وما ليس بنقص ولا كمال، ولا يتصف الإله من ذلك إلا بأوصاف الكمال ونعوت الجلال، فإذا وصف بكمال كان متصفًا به بعينه كالعليم، والقدير، والسميع والبصير، ويعبر عن هذه الصفات بصفات الذوات؛ لأنها قائمة بذاته ليست بخارجة عنها.

وصفاته ثلاثة:

أحدها: صفات الذات.

والثانية: صفات الأفعال: كالخالق، والرازق، والخافض، والرافع، والضار، والنافع، والمعز، والمذل، والمحيى، والمميت، وتسمى هذه الصفات فعلية لدلالتها عما صدر عن قدرته وإرادته فى غير ذاته من أفعاله، فما كان فى الأحياز فهو الجواهر والأجساد، وما كان فى الجواهر والأجساد فهو المعانى والأعراض، فالمعز خالق العز فى ذوات عباده، والمذل خالق الذل فى ذوات عباده، والرافع خالق الرفع، والخافض خالق الخفض.

وكذلك الضار والنافع، وأعمها الخالق لاشتمالها على خلق الجواهر كلها، والأعراض بأسرها، كما أن أعم صفاته الذاتية المتعلقة: العلم والكلام لتعلقهما بكل واجب وجائز ومستحيل، وتتعلق القدرة والإرادة بالممكنات دون الواجبات والمستحيلات، ويتعلق البصر بجميع الموجودات قديمها وحادثها، فالرب سبحانه وتعالى يرى ذاته، وصفاته، ويرى ذوات خلقه وصفاتهم، ولا يتعلق السمع إلا بالمسموعات قديمها وحادثها.

وكل صفة من صفات ذاته فهى متحدة، ولا تعدد فيها سواء عم تعلقها كالعلم، والكلام، أو خص كالسميع، أو توسط كالبصير، ووصف هذه بالسعة مجازى فى مثل قوله: ﴿وسعتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا﴾ [غافر: ٧] واتساعهما من مجاز التشبيه؛ لأن الاتساع منبئ عن كثرة التعلقات بالمعلومات؛ لأن علمه واحد لا تعدد فيه، ولا سعة، والرحمة إن حُملت على الإرادة كان اتساعها عبارة عن كثرة تعلقها بها كالعلم، وإن حُملت على الإحسان والإنعام كان اتساعها عبارة عن كثرة الأعداد.

الثالثة: صفات السلب، ولا يسلب عن ذاته ولا صفاته إلا صفة لا كمال فيها.

وأما الخلق فيتصفون بالنقص والكمال، وبما لا نقص فيه ولا كمال، وكل من أوصافهم متصف بنقص الافتقار إلى الله عزَّ وجلَّ، والله سبحانه وتعالى غنى بذاته وصفاته عن موجب أو موجد، وأوصاف العباد المختصة بهم قد يلازمها ما فيه من نفع أو ضر، وقد ينشأ عنها ما فيه نفع أو ضر، كالغضب والرضا، والحقد، والعداوة، والمحبة، والمقت، والود، والفرح، والضحك، والتردد، فإذا وصف البارى بشيء من ذلك لم يجز أن يكون موصوفًا بحقيقته؛ لأنه نقص وإنما يتصف بمجاوزه ولمجاوزه أسباب:

أحدها: أن يعبر بذلك عن إرادته، فيكون من مجاز الملازمة، وهذا مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى ـ رحمه الله ـ وأكثر أصحابه، فعلى هذا يعود إلى صفة الذات وهى الإرادة.

الثانى: أن يعود إلى مجاز التسبيب، فيكون مجازًا عما يصدر عن هذه الصفات من الآثار، وعلى هذا يكون من صفات الفعل.

الثالث: أن يعود إلى مجاز التشبيه من جهة أن معاملته لعباده بآثار هذه الصفات مشبهة لمعاملة من قامت به هذه الصفات، ولذلك أمثلة:

أحدها: الرحمة

وهى رقة وشفقة تلزمها فى غالب العادة إرادة العطف على المرحوم، وينشأ عنها فى غالب العادة الإحسان إلى المرحوم بإزالة ما رحمه لأجله، وهى عند الشيخ عائدة إلى إرادة

الله بعبده ما يريده الراحم بمرحومه، وعند من جعله من مـجاز التسبيب عائدة إلى ما يعامل به الراحم مرحـومه، وعند من حمله على التـشبيـه تشبه معـاملته المرحوم مـعاملة الراحم حقيقة.

المثـال الثـانى : المحبـة

ويلازمها إرادة إكرام المحبوب وإرضائه، ويصدر عنـها معاملته بالإكرام والإرضاء، ولها أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**﴾ [آل عمران: ٣٠].

المثال الثاني: قوله: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: ٥٤].

المثال الثالث: قوله: ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ إذا أحب عبداً دعا جـبريل فقال: إنى أحب فلاناً فأحبه قال: فيحبه جبريل...**»(١) الحديث.

المثال الرابع: مـا جاء فى الحديث الصـحيح عن النَّبى ﷺ: «**أن رجـلاً زار أخًا له فى قرية أخرى فأرسل الله على مدرجتـه ملكًا، فلمَّا أتى عليه قال: أين تريد؟ قال أريد أخاً لى فى هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أنى أحببته فى الله عزَّ وجلَّ، قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله عزَّ وجلَّ قد أحبك كما أحببته فيه**»(٢).

المثـال الثـالـث : الـــود

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿**إن ربى رحيم ودود**﴾ [هود: ٩٠].

المثال الثاني: قوله: ﴿**وهو الغفور الودود**﴾ [البروج: ١٤] ووده إرادته مـا يريده الواد بمودوده، أو معاملته بما يعامل به الواد مودوده، أو يكون من مجاز المشابهة.

---

(١) أخرجه: البخارى فى بدء الخلق ٣٢٠٩، مسلم فى البـر والصلة ٢٦٣٧، الترمذى فى تفسير القرآن ٣١٦١.

(٢) أخرجه: مسلم فى البر والصلة ٢٥٦٧، أحمد فى المسند ٩٠٣٦.

المثـــال الـرابع : الرضـــا

وحقيقته سكون النفس إلى المرضى به، والله يتعالى عن ذلك، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ **رضى الله عنهم** ﴾ [التوبة: ١٠٠].

المثال الثانى: قوله: ﴿**ورضوان من الله أكبر**﴾ [التوبة: ٧٢].

المثال الثالث: قوله: «**أحل عليكم رضـوانى فلا أسخط عليـكم بعده أبدا**»(١) وللرضا فى الآيتين معنيان:

أحدهما: أنه يريد معاملتهم بما يعامل به الراضى من أرضاه، فيكون صفة ذات.

والثانى: أنه يعاملهم بما يعامل به الراضى من أرضاه، فيكون صفة فعل.

ومعنى الرضا فى الحديث أنه يـعاملهم معاملة الراضى، إذْ يبعد استـعمال الإحلال فى الإرادة فإنها لا تحل فى شىء.

المثـــال الخـامس : شكره سبحانه وتعالى عباده

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**فإن الله شاكر عليم**﴾ [البقرة: ١٥٨].

المثال الثانى: قوله: ﴿**إن ربنا لغفور شكور**﴾ [فاطر: ٣٤].

المثال الثالث: قوله: ﴿**إنه غفور شكور**﴾ [فاطر: ٣٠] ويحتمل مجازين:

أحدهما: أن يكون من مـجاز التشبيـه؛ لأن معاملته لمن أطاعـه مشبهة لمعـاملة الشاكر لمشكوره.

الثانى: أن يكـون مجاز تـسـمية المسـبب باسم السبب؛ لأن شكره عـبارة عن طاعـته، واجتناب معصيــته، فلمَّا كان الثواب عليهما مـسـببًا عنهما سمى باسمهمـا، والشكر الحقيقى عبارة عن مقـابلة الإحسان بالإحسان، ولا يتصور ذلـك فى حق الله إذْ لا يتصور أن يقابل

(١) أخرجه: البخارى فى الرقاق ٦٥٤٩، مسلم فى الإيمان ١٨٣، الجنة وصـفة نعيمها وأهلها ٢٨٢٩، الترمذى فى صفة الجنة ٢٥٥٥، أحمد فى المسند ١١٤٢٥.

إحسانه إلينا بإحساننا إليه، فإن الله غنى عن العالمين، ولهذا قال: **﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾** [الإسراء: ٧].

وكذلك شكر العبيد إياه مجازى؛ لأن طاعتهم إياه من جملة إحسانه إليهم، فلا يجوز أن تكون الطاعة مقابلة لإحسانه، وخرج من هذا أن طاعة العباد لله ضربان:

أحدهما: ما يحمل على حقيقته كقولهم: عبدت الله، وحمدت الله، وسبحت الله.

والثانى: ما لا يجوز حمله على حقيقته كقولهم: تقربت إلى الله، وكقوله: **﴿وقال إنى ذاهب إلى ربى﴾** [الصافات: ٩٩]، وكقولهم: تاب إلى الله، وكقوله: **﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾** [الصافات: ٨٤]، **﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾** [الشعراء: ٨٩]، وكقوله: **﴿ففروا إلى الله﴾** [الذاريات: ٥٠] وكقوله ﷺ: « **يقول الله أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى، إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ هم خير منهم، وإن تقرب منِّى شبراً تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلىَّ ذراعًا تقربت منه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته أهرول ـ وفى رواية ـ هرولة**»[1] فهذه كلها مجاز فى حقنا كما هى مجاز فى حقه؛ لأن معنى تقربه إليْنا بالنزول إلى سماء الدنيا، وبالتقرب بالباع، والذراع أنه يعاملنا فى الإكرام معاملة سيد مشى إلى عباده، ونزل إليهم مقبلاً عليهم مستعرضًا لحوائجهم، ولذلك يقول: «**هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له**»[2].

وكذلك فى التقرب: يعاملنا معاملة المقرب من قربه بالحظوة والإكرام.

وكذلك مجيئنا إليه، وتقربنا إليه، وذهابنا إليه، وهرولتنا، ومشينا، وفرارنا معناه أنَّا نعامله معاملة المتقرب الذاهب المهرول الماشى الفار إليه إجلالاً له وإعظامًا، وهذا معروف فى عادة النَّاس أن من مشى إلى إنسان فهرول إليه، أو تقرب إليه فتقرب إليه أكثر من يقربه كان ذلك إكرامًا له واحترامًا.

---

(١) أخرجه البخارى فى التوحيد ٧٤٠٥، مسلم فى الذكر والدعاء ٢٦٧٥، الترمذى فى الزهد ٢٣٨٨، ابن ماجه فى الأدب ٣٨٢٢.

(٢) أخرجه مسلم فى صلاة المسافرين ٧٥٨، البخارى فى الدعوات ٦٣٢١، الترمذى فى الدعوات ٣٤٩٨، أبو داود فى الصلاة ١٣١٥.

ومن ذلك قوله: ﴿أولئك المقربون﴾ [الواقعة: ١١]، وقوله: ﴿عينًا يشرب بها المقربون﴾ [المطففين: ٢٨]، وقوله: ﴿وقربناه نجيًا﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله: «أنا جليس من ذكرنى»، وقوله: ﴿فأما إن كان من المقربين* فروح وريحان وجنَّة نعيم﴾ [الواقعة: ٨٩]، وقوله: ﴿فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٥].

وكذلك قوله: ﴿إن الَّذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وكذلك قوله فى المصلى: «فإن الله بينه وبين القبلة»(١) وكل ذلك مجاز عن مبالغته فى إكرام من تقرب إليه بطاعته.

وكذلك إقباله على العبد عبارة عن إكرامه إياه، إما لأن الإقبال مسبب عن الإكرام، فيكون من مجاز التسبيب، أو لأنه عامله معاملة المقبل، فيكون من مجاز التشبيه.

وكذلك إعراضه مجاز عن إهانته؛ إما لأن الإعراض مسبب عن الإهانة، فيكون من مجاز التسبيب، أو لأنه عامله معاملة المعرض، فيكون من مجاز التشبيه، ومثل هذا قوله: ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ [آل عمران: ٧٧] فإنه مجاز عن إهانتهم واحتقارهم، فإن من أهان شيئًا واحتقره أعرض عنه ولم ينظر إليه، ومن عظَّم شيئًا وكرمه أقبل عليه، ونظر إليه، ومثال إعراضه قوله ﷺ: «وأما الثالث: فأعرض فأعرض الله عنه».

وأما قوله: «اللهم أنت الصاحب فى السفر»(٢)، وقوله: «اللهم اصحبنا فى سفرنا»(٣) فإنه تجوَّز بذلك عن أن يعامله بما يعامل به الصاحب صاحبه فى السفر من الحفظ والكلاءة ودفع المكاره.

وأما مجيئه سبحانه وتعالى فمجاز عن حضوره وظهوره للبصائر بعد أن كان غائبًا عنها، ومثاله قوله: ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾ [الفجر: ٢٢]، ويجوز أن يكون هذا من مجاز

---

(١) أخرجه البخارى فى الصلاة ٤٠٥، مسلم فى الصلاة ٤٩٣، النسائى فى الطهارة ٣٠٨، ٧٢٨، أبو داود فى الصلاة ٤٦٠.

(٢) أخرجه مسلم فى الحج ١٣٤٢، الترمذى فى الدعوات ٣٤٤٧، أبو داود فى الجهاد ٢٥٩٩.

(٣) أخرجه الترمذى فى الدعوات ٣٤٣٩، ٣٤٤٧، الدارمى فى الاستئذان ٢٦٧٣، أحمد فى المسند ٦٢٧٥.

الحذف تقديره: وجاء أمر ربك، أو عذاب ربك، أو بأس ربك، ويتجوَّز أيضًا بقربه عن علمه، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق: ١٦] تجوَّز بذلك عن علمه بما ينطوى عليه الإنسان من أسراره وأحواله؛ لأن من أفرط قربه لم يَخْفَ عليه ما دق وجل من أفعال من دنا إليه، وهو من مجاز الملازمة، إذ العلم ملازم للقرب والحضور، ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه.

المثال الثانى: قوله: ﴿والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ [محمد: ٣٥] وهذا من مجاز التشبيه لما كان الحاضر مع القوم ينصرهم على أعدائهم ويحفظهم من ضررهم، تجوَّز بذلك عن حفظه، ونصره، ويجوز أن يكون من مجاز الملازمة.

المثال الثالث: قوله: ﴿إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٣] أى: بحفظه وعصمته.

المثال الرابع: قوله: ﴿إننى معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦].

المثال الخامس: قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤] وهذا من مجاز التشبيه؛ لأن الحاضر مع القوم لا يخفى عليه أقوالهم وأعمالهم وسائر أحوالهم، فتجوَّز بذلك عن علمه بأقوالهم وأعمالهم، وهذه معية عامة، ويجوز أن يكون ذلك من مجاز الملازمة.

المثال السادس: قوله ﷺ: «أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم، ولا غائبًا، إنكم تدعونه سميعًا قريبًا، وهو معكم»(١).

المثال السابع: قوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾ [المجادلة: ٧] لما كان رابع الثلاثة، وسادس الخمسة، وكذلك ما فوقهما، وما دونهما لا يخفى عليه شىء من أعمالهم وأقوالهم فى الغالب تجوَّز بذلك عن علمه بأعمالهم وأقوالهم ليستحيوا منه فى أن يخالفوه، أو يفعلوا ما يكرهه، فإن رابع الثلاثة، وسادس الخمسة يستحيى الثلاثة والخمسة أن يعاملوه بما يكرهه

(١) أخرجه البخارى فى المغازى ٤٢٠٥، مسلم فى الذكر والدعاء ٢٧٠٤ الترمذى فى الدعوات ٣٤٦١، أبو داود فى الصلاة ١٥٢٦، ابن ماجه فى الأدب ٣٨٢٤.

من أقوالهم وأعمالهم، وهذا من مجاز الملازمة، أو من مجاز التشبيه.

المثال الثامن: قوله: ﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**﴾ [البقرة: ١٨٦] تجوَّز بذلك عن سمعه لدعائهم فإنهم قالوا للرسول ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه، وهذا من مجاز التشبيه؛ لأن من قرب منك سمع الخفى والجلى من أقوالك.

المثال التاسع: من أمثلة التجوُّز بقرب الرب سبحانه وتعالى عن علمه قوله: ﴿**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ [الأنفال: ٢٤] تجوَّز بذلك عن اطلاعه على ما فى القلوب والأجساد؛ لأن من حال بين اثنين وجلس بينهما لم يَخْفَ عنه أحوالهما، وهذا معنى قول قتادة.

المثال السادس: الضحك

وله مثالان:

أحدهما: قوله ﷺ: «**فيتجلى لهم يضحك**»(١).

المثال الثانى: قوله ﷺ: «**حتى يضحك الله منه**»(٢) وله معان:

أحدها: أن يريد الرب بمن أطاعه ما يريده الضاحك بمن أضحكه.

الثانى: أن يعامله معاملة الضاحك من أضحكه.

الثالث: أنه لما أشبهت معاملته معاملة الضاحك بمن أضحكه تجوَّز عنها بالضحك، ووصف الله سبحانه بالضحك محمول على الرضى والقبول، إذ الضحك فى البشر علامة على ذلك.

ويقال: ضحكت الأرض إذا ظهر نباتها، وفى الحديث: «**فيبعث الله سحابًا فيضحك أحسن الضحك**» فجعل انجلاءه عن البرق ضحكًا مجازًا.

---

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان ١٩١، أحمد فى المسند ١٤٦٩٥.

(٢) أخرجه البخارى فى التوحيد ٧٤٣٨، أحمد فى المسند ٧٨٦٨.

المثال السابع: الفرح

فى قوله ﷺ: «**لله أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها**»(١) ومعناه: أنه يريد بالتائبين ما يريده ذلك الفرح بمن أفرحه، أو يعامل التائبين بما يعامل به ذلك الفرح من أفرحه، أو يكون من مجاز المشابهة.

المثال الثامن: الصبر

وله مثالان:

أحدهما: قوله ﷺ: «**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله**»(٢).

والثانى: ما جاء فى الحديث: فى تسميته بالصبور، ومعناه: أنه يعامل عباده معاملة الصبور على ما يكرهه، فهو إذًا من مجاز التشبيه؛ لأن حقيقة الصبر: حبس النفس عن الجزع، أو عن مكافأة المسيء، والله يتعالى عن ذلك.

المثال التاسع: الغيرة

ولها مثالان: أحدهما: قوله ﷺ: «**لا أحد أغير من الله**(٣)».

المثال الثانى: قوله ﷺ فى سعد: «**يغار وأنا أغير منه والله أغير منى**»(٤) ويجوز أن تكون غيرته من مجاز التشبيه، شبّه الكراهة الشرعية للفواحش وأسبابها بالكراهة الطبعية لهما، ويجوز أن يكون من مجاز التسبيب، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «**من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»(٥) سمى النهى عن الفواحش غيرة؛ لأن تأكيد النهى عنها

---

(١) أخرجه مسلم فى التوبة ٢٦٧٥، الترمذى فى صفة القيامة ٢٤٩٨، الدعوات ٣٥٣٨، ابن ماجه فى الزهد ٤٢٤٧، أحمد فى المسند ٢٧٩٣٦.

(٢) أخرجه البخارى فى الأدب ٦٠٩٩، مسلم فى صفة القيامة ٢٨٠٤، أحمد فى المسند ١٩٠٣٣.

(٣) أخرجه البخارى فى الجمعة ١٠٤٤، تفسير القرآن ٤٦٣٤، مسلم فى الكسوف ٩٠١، اللعان ١٤٩٩، الترمذى فى الدعوات ٣٥٣٠، النسائى فى الكسوف ١٤٧٤.

(٤) أخرجه البخارى فى الحدود ٤٨٤٦، التوحيد ٧٤١٦، مسلم فى اللعان ١٤٩٩، الدارمى فى النكاح ٢٢٢٧.

(٥) أخرجه البخارى فى النكاح ٥٢٢٠، التوحيد ٧٤٠٣، مسلم فى التوبة ٢٧٦٠.

وعن أسبابها مسبب عن قوة الغيرة وشدتها، فعلى هذا شدة غيرته عبارة عن تكرر النهى عن الفواحش وتأكيده، ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه من جهة أخرى؛ لأن مبالغته فى النهى عنها مشبهة لمبالغة الغيور فى النهى عن الفواحش وأسبابها.

المثال العاشر: الحياء

حقيقة الحياء: انكسار فى الطبع يزع عن ارتكاب القبائح، والله يتعالى عن حقيقة الحياء وإنما يتصف بمجاوزه، وله مثالان:

أحدهما: قوله: **﴿والله لا يستحيي من الحق﴾** [الاحزاب: ٥٣] أى: لا يترك الحق كما يترك المستحيى ما استحيا منه، فعلى هذا فى مجازه وجهان:

أحدهما: أن يكون من مجاز الملازمة؛ لأن ترك ما يستحيا منه لازم للحياء فى الغالب.

الوجه الثانى: أن يكون من تسمية المسبب باسم السبب؛ لأن ترك ما يستحيا منه مسبب عن الحياء فى الغالب.

المثال الثانى: قوله: **﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة﴾** [البقرة: ٢٦] أى: لا يترك ضرب المثل كما يترك المستحيا ما يستحيا من قوله، وفى مجازه الوجهان المذكوران، ولاستحياء الله من العبد معنيان:

أحدهما: أنه ترك ما يستحيى منه وقد ذكرناه.

والثانى: أن يريد لعبده ما يريده المستحيى من المستحيا منه.

وأما قوله ﷺ: **«وأما الثانى فاستحى فاستحيا الله منه»**(١) فإن الاستحياء حقيقة فى حق الثانى، ولاستحياء الله منه مجازات ثلاثة:

أحدها: الترك.

الثانى: إرادة الترك.

---

(١) أخرجه البخارى فى العلم ٦٦، مسلم فى السلام ٢١٧٦، الترمذى فى الاستئذان والآداب ٢٧٢٤، مالك فى الموطأ ١٧٩١.

الثالث: تسمية جزاء الحياء باسم الحيـاء لكونه مسببًا عن الحياء كقوله: «**فإن الله لا يمل حتى تملوا ولا يسأم حتى تسأموا**»(١).

المثال الحادى عشر

ابتلاؤه بالحسنات، والسيئات، وفتنته بالخير والشر، وهو من مجاز التشبيه؛ لأن معاملته بالحسنات والسيئات والخيور والشرور قد أشبهت معاملة المبتلى الممتحن الفاتن المختبر، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**﴾ [الأعراف: ١٦٨] أى: واختبرناهم بالنعم والنقم لعلهم يرجعون إلى طاعتنا شكرًا لإنعامنا، أو خوفًا من انتقامنا.

المثال الثانى: قوله: ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**﴾ [الأنبياء: ٣٥].

المثال الثالث: قوله: ﴿**إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنَّة**﴾ [القلم: ١٧].

المثال الرابع: قوله: ﴿**وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾ [إبراهيم: ٦].

المثال الخامس: قوله: ﴿**وليبلى المؤمنين منه بلاءً حسنًا**﴾ [الأنفال: ١٧].

المثال السادس: قوله: ﴿**لنفتنهم فيه**﴾ [طه: ١٣١].

المثال السابع: قوله: ﴿**وكذلك فتنا بعضهم ببعض**﴾ [الأنعام: ٥٣]، وهذا كله من مجاز التشبيه كما ذكرنا؛ لأن الابتلاء والاختبار أن يجرب المبتلى المختبر ليظهر خيره وشره للمبتلى المختبر، ولذلك يقولون: فتنت الذهب بالنار إذا أحرقته ليظهر غشه من خالصه، والرب سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا يحتاج إلى تجربته، ولكنه لما شابهت معاملته العبيد بالخير والشر معاملة من يختبر غيره بالضر والنفع ليعلم هل شكره بنفعه، أو ينزجر بضره، عبَّر عن معاملته بلفظ الاختبار، والابتلاء، والفتنة.

الثانى عشر: سخريته واستهزاؤه، ومكره، وخدعه

وهذه كلها من مجاز التشبيه، ويجوز أن يكون من مجاز تسمية المسبب باسم سببه، فإن

(١) أخرجه البخارى فى الجمعة ١١٥١، مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها ٧٨٥، النسائى فى قيام الليل ١٦٤٢.

سخريته مسببة عن سخريتهم واستهزاءه مسبب عن استهزائهم، ومكره مسبب عن مكرهم، وخدعه مسبب عن خدعهم.

ومثله قوله: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤] لما كانت مكافأة المعتدى مسببة عن اعتدائه تجوَّز بالاعتداء عليه عن مكافأته على اعتدائه.

فأما سخريته، فمثالها قوله: ﴿سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ [التوبة: ٧٩].

وأما استهزاؤه، فمثاله قوله: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ [البقرة: ١٥].

وأما مكره، فله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [آل عمران: ٥٤].

المثال الثاني: قوله: ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ [الأعراف: ٩٩].

المثال الثالث: قوله: ﴿ومكرنا مكراً﴾ [النمل: ٥٠].

وأما خدعه فمثاله قوله: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢].

المثال الثالث عشر: تعجبه

وهو من مجاز التشبيه وقد يكون من قبح المتعجب منه، وقد يكون من حسنه، وله فى القبح مثالان:

أحدهما: قوله ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ [الصافات: ١٢].

المثال الثاني: قوله: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ [الرعد: ٥].

وأما تعجبه من حسن الفعل فمثاله قوله ﷺ: **«تعجب ربك من شاب لا صبوة له»** ويجوز أن يكون من مجاز التسبيب بمعنى: أنه يعامل من تعجب من قبح فعله، أو من حسن فعله بما يعامل به من أتى إليه قبيح مستغرب فى بابه، وأتى إليه ما يتعجب من حسنه فى بابه من أخلائه.

المثال الرابع عشر: الإشارة إليه بـ «ذلك» الدالة على البعد

والمراد به: بعد ذاته عن مشابهة الذوات وبعد صفاته عن مماثلة الصفات فى قوله:

﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ [يونس: ٣٢]، وفى قوله: ﴿إن ذلك لمحيى الموتى﴾ [الروم: ٥٠]، وفى قوله: ﴿ذلكم الله ربى عليه توكلت﴾ [الشورى: ١٠].

وقد يقال: فى المعنيين هذا بعيد من هذا لتنافرهما، ويقال: هذا قريب من هذا لتقاربهما، فالضد بعيد عن ضده، والخلاف ليس بعيداً من خلافه، والمثل قريب من مثله لمشابهته إياه من معظم صفات.

ومنه تمثيل العذاب بالعمل فى مثل قوله: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ [الأنعام: ١٦٠] معنى المماثلة ههنا: أن السيئة إن كانت فى أعلى رتب القبح كانت العقوبة فى أعلى درجات الألم والقبح، وإن كانت فى أدنى درجات القبح كانت العقوبة فى أدنى درجات الألم والقبح، وإن كانت متوسطة بين القبيح والأقبح كان عقابها متوسطا بين الشديد والأشد، والقبيح والأقبح.

ومنه قوله: ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٢٨].

المثال الخامس عشر: تردده

ومثاله قوله ﷺ حكاية عن الله عز وجل: «**وما ترددت فى شىء أنا فاعله ترددى فى قبض نفس عبدي المؤمن**»[(١)] الحديث، وهذا مجاز عن حسن منزلة المؤمن عنده؛ لأن من أحب إنسانًا وكانت مصلحته فيما يسوده فإنه لكرامته عليه يتردد فى ذلك هل يفعله لمصلحته، أو يتركه لمساءته، فهو من مجاز الملازمة، مثاله: قطع الوالد يد الولد المتآكلة حفظًا لروحه، وهذا بخلاف البغيض، فإن مبغضه لا يكره مساءته حتى يتردد بين نفعه ومساءته، سواء كان فى طيها مصلحته أو لم يكن.

المثال السادس عشر: استواؤه على العرش

وهو مجاز عن استيلائه على ملكه، وتدبيره إياه، قال الشاعر (رجز):

قد استوى بشرٌ على العراق   من غير سيفٍ ودمٍ مُهْرَاقِ[(٢)]

(١) أخرجه البخارى فى الرقاق ٦٥٠٢.

(٢) تفسير القرطبى ١/ ٢٠٠، زاد المسير ٣/ ٣١٢، والبيت غير منسوب.

وهو من مجاز التمثيل، فإن الملوك يدبرون ممالكهم إذا جلسوا على أسِرَّتهم، وقد يعبر بالعرش عن المنزلة، قال عمر رضي الله عنه: «لقد كاد عرشي يثل لولا أني صادفت ربًا رحيمًا»(١)، وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الحديد: ٤].

المثال الثاني: قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥].

وأما قوله: ﴿ثم اسْتوى إلى السماء﴾ [فصلت: ١١] فمعناه: ثم قصد إلى السماء، ويحتمل: ثم استوى أمره وخلقه إلى السماء، وكلاهما مجاز لا يترجح أحدهما إلا بدليل من خارج.

المثال السابع عشر: فراغه

في قوله: ﴿سنفرغ لكم أيهَ الثقلان﴾ [الرحمن: ٣١] ومعناه: سنفرغ لحسابكم أيها الثقلان، وهو مجاز عن مبالغته في حساب الثقلين، ومجازاتهم على أفعالهم، فإن من كثرت أشغاله لم يتأت منه مع الاشتغال بها المبالغة فيما يريده من أفعاله، ومن تفرغ لشيء أتى به بكماله؛ إذ لا شاغل له عنه، ولا مانع له منه، وهو من مجاز التشبيه.

المثال الثامن عشر: كشفه عن ساقه

وله مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿يوم يُكشف عن ساق﴾ [القلم: ٤٢].

الثاني: قوله ﷺ: «فيكشف عن ساقه»، وهو مجاز عن مبالغته في حساب أعدائه وإهانتهم، وخزيهم، وعقوبتهم، فإن العرب يقولون لكل من جد في أمر وبالغ فيه: كشف عن ساقه، وأصله: أن من جد في عمل من الأعمال حرب أو غيرها فإنه يشمر إزاره عن ساقه كيلا يعوقه عن جده، وسرعة حركته فيما جد فيه، ولا ساق للرب سبحانه وتعالى كما لا ساق للحرب في قول الشاعر (مجزوء الكامل) :

---

(١) النهاية لابن الأثير ١/ ٢٢٠، الفائق ١/ ١٧٢ .

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشَّرِ الصُّراحِ(١)

عبر بذلك عن شدتها، وجدها، وكما أنه لا ناجذان للشر في قول الشاعر (بسيط) :

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا(٢)

وكما أنه لا أظفار للمنية في قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع(٣)

وكما أنه لا جناح للذل في قوله: **﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾** [الإسراء: ٢٤] وليس للذل جناح حتى يخفض، ونظير ذلك قوله: **﴿مصدقًا لما بين يديه من الكتاب﴾** [المائدة: ٤٨] ولا يدان للقرآن.

ومثله قوله: **﴿ذلك بما قدمت يداك﴾** [الحج: ١٠] والكفر ليس مما تقدمه اليدان.

وكذلك قوله: **﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾** [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: **﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾** [سبأ: ٤٦] وليس للعذاب يدان، وقوله: **﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾** [النساء: ٣] وقد يكون المالك لا يمين له، والغرض من هذا أنه قد يعبر بالجوارح عن معانٍ لا يصح أن تكون خارجة.

المثال التاسع عشر: وصفه بالغضب

الغضب غليان في الدم، واستشاطة في الطبيعة يتعالى الرب سبحانه وتعالى عن الاتصاف بحقيقتها، لكن يلازم هذه الاستشاطة في غالب العادة شيئان:

أحدهما: إرادة الانتقام من المغضب.

والثاني: سب المغضب فيعود الأول إلى صفة الإرادة، والثاني إلى صفة الكلام.

---

(١) قائل هذا البيت سعد بن مالك بن ضبيعة، وهو جد الشاعر المشهور «طرفة بن العبد»، والبيت في تفسير الطبري ٢٩/ ٤٢، القرطبي ١٨/ ٢٤٨، الخصائص ٣/ ٢٥٢، معاني القرآن للفراء ٣/ ١٧٧، وابن عطية في تفسيره ١٥/ ٤٨، وفيهما «البراح» بدل «الصراح».

(٢) الصناعتين لأبي هلال (ص ٢٩٤). والبيت لقريط بن أنيف الأنباري.

(٣) ديوان الهذليين ص ٣.

وكذلك ينشأ عن غضب العباد فى غـالب العادة الانتقام من المغضب، فعلى هذا يكون غضب الله انتقامه ممن عصاه وذلك من صفات فعله، ونسبة انتقام الرب سبحانه وتعالى ممن أغضبه انتقام العباد ممن أغضبهم، فعلى هذا يكون غـضبه من مجاز المشابهة فالغضب حقيقة لها أربع[1] مجازات، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه﴾ [المائدة: ٦٠].

المثال الثانى: قوله ﴿غير المغضوب عليهم﴾ [الفاتحة: ٧].

المثال الثالث: قوله ﴿وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

المثال العشرون: السخط

وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم﴾ [المائدة: ٨٠].

المثال الثانى: قوله: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ [محمد: ٢٨].

المثال الثـالث: قوله سبحـانه وتعالى لأهل الجنَّة: «**أحل عليكم رضـوانى فلا أسـخط عليكم بعده أبدًا**» ومعناه: أنه لا يريد بهم ما يريده الساخط بمن أسخطه، أو يعاملهم معاملة الساخط بمن أسخطه، أو يكون من مجاز المشابهة، وإضافة الإسخاط إلى كفرهم فى قوله: ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم﴾ [المائدة: ٨٠] من مجاز إضافة الفعل إلى سببه؛ لأن كفرهم سبب للسخط عليهم.

المثال الحادى والعشرون: الأسف

ومثاله قوله: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ [الزخرف: ٥٥] أى: فلمَّا أغضبـونا انتقمنا منهم.

---

(١) هكذا فى جميع الأصول، والتمس له بعض النحاة وجهًا.

المثال الثانى والعشرون: القلى

وهو البغض، ومثـاله قوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك ومـا قلى﴾ [الضحى: ٣] أى: ما ودعك منذ قرَّبك وما أبغضك منذ أحبك.

المثال الثالث والعشرون: المقت

وهو أشد البغض، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿كبر مقتًا عند الله﴾ [غافر: ٣٥].

المثال الثانى: قوله: ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ [غافر: ١٠].

المثال الثالث: قوله ﷺ: «فإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتـهم عربهم وعجمهم»(١) ومـعناه: أنه يريد بالضـالين مـا يريده الماقت بممـقوته، أو يـسبـهم سب الماقت ممقـوته، أو يعاملهم بما يعامل به الماقت ممقوته، أو يكون من مجاز التشبيه لتماثل المعاملتين.

المثال الرابع والعشرون: عداوته

والعداوة يلازمـها إرادة أذية العـدو فى الغالب ويصدر عنهـا معامـلته بأنواع الأذى فى الغالب، ولها أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿فإن الله عدو للكافرين﴾ [البقرة: ٩٨].

المثال الثانى: قوله: ﴿لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١].

المثال الثالث: قوله: ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ [الأنفال: ٦٠].

المثال الرابع: قوله: ﴿ويوم يُحشر أعداء الله إلى النَّار﴾ [فصلت: ١٩].

المثال الخامس والعشرون: لعنه

وهو مجاز عن طرده العصاة والفجرة عن بابه، وإبعادهم من ثوابه، وله أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿أولئك الَّذين لعنهم الله﴾ [النساء: ٥٢] أى: طردهم وأبعدهم.

---

(١) أخرجه مسلم فى الجنة وصفة نعيمها ٢٨٦٥.

المثال الثانى: قوله: ﴿قل هل أنبئكم بِشَرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه﴾ [المائدة: ٦٠].

المثال الثالث: قوله: ﴿وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾ [النساء: ٩٣] وهذا من مجاز التشبيه؛ لأن الإبعاد الحقيقى مختص بالزمان والمكان، فشبه إبعادهم من رحمته وإحسانه بما أبعد بالزمان أو المكان.

* * *

الفصل السادس والأربعون

فى مجـــاز المجـــاز

وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر فتجوَّز بالمجاز الأول عن الثانى لعلاقة بينه وبين الثانى.

مثال ذلك قوله: ﴿ولكن لا تواعدوهن سرا﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فإنه مجاز عن مجاز، فإن الوطء يتجوَّز عنه بالسر؛ لأنه لا يقع غالبًا إلا فى السر، فلمَّا لازم السر فى الغالب سمى سرا، ويتجوَّز بالسر عن العقد؛ لأنه سبب فيه فالمصحح للمجاز الأول الملازمة، والمصحح للمجاز الثانى التعبير باسم المسبب الذى هو السر عن العقد الذى هو سبب كما سمى عقد النكاح نكاحًا لكونه سببًا فى النكاح.

وكذلك سمى العقد سرا؛ لأنه سبب فى السر الذى هو النكاح فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح، فمعنى قوله: ﴿ولكن لا تواعدوهن سرا﴾ [البقرة: ٢٣٥] لا تواعدوهن عقد نكاح.

وكذلك قوله: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ [المائدة: ٥] قال مجاهد: ومن يكفر بلا إله إلا الله فقد حبط عمله، فإن حمل قوله على ظاهره كان هذا من مجاز المجاز؛ لأن قول لا إله إلا الله مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ، والتعبير بلا إله إلا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه، والأول من مجاز التعبير بلفظ السبب عن

المسبب؛ لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان.

* * *

الفصل السابع والأربعون

فى الجمع بين الحقيقة والمجاز فى لفظة واحدة

والجمع بينهما عند من رآه مجازًا؛ لأنه استعمال اللفظ فى غير ما وضع له فإنه وضع للحقيقة وحدها، ثم استعمل فيها وفى المجاز، وله أمثلة:

أحدها قوله: ﴿**أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين**﴾ [البقرة: ١٦١] فلعنة الله إبعاده، ولعنة الملائكة والنَّاس دعاؤهم بالإبعاد، وقد جمعهما فى لفظة واحدة، ومن لا يرى ذلك يُقَدِّر: أولئك عليهم لعنة الله، ولعنة الملائكة، فيكون من مجاز الحذف.

المثال الثانى: قوله: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبى**﴾ [الأحزاب: ٥٦] الصَّلاة حقيقة فى الدعاء مجاز فى إجابة الدعاء؛ لأن الإجابة مسببة عن الدعاء، فصلاة الملائكة حقيقة؛ لأنها دعاء، وصلاة الله من مجاز التعبير بلفظ السبب الذى هو الدعاء عن المسبب الذى هو الإجابة وقد جمع بينهما فى قوله: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبى**﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فيكون الضمير فى ﴿**يصلون**﴾ لله وللملائكة، وجمعه معهم فى الضمير مستنكر، فإن رسول الله ﷺ أنكر على بعض خطباء العرب قوله: «ومن يعصهما فقد غوى» فقال: «**بئس الخطيب أنت**»(١) وقد جمع بينهما ﷺ فى قوله: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»(٢) وفى قوله ﷺ: «**فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم**»(٣) وإنما أنكر على الأعرابى الجمع لاعتقاده التسوية بينهما، والرسول ﷺ آمِنٌ من ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم فى الجمعة ٨٧٠، النسائى فى النكاح ٣٢٧٩، أبو داود فى الصلاة ١٩٧، أحمد فى المسند ١٧٧٨٣.

(٢) أخرجه البخارى فى الإيمان ١٦، مسلم فى الإيمان ٤٣، الترمذى فى الإيمان ١٦٢٤، النسائى فى الإيمان وشرائعه ٤٩٨٨، ابن ماجه فى الفتن ٤٣٣.

(٣) أخرجه مسلم فى الجهاد ١٧٨٠، أحمد فى المسند ١٠٦٥.

ومن لا يرى الجمع بين الحقيقة والمجاز فى قوله: **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى﴾** [الأحزاب: ٥٦] يقدر: أن الله يصلى على النَّبى وملائكته يصلون على النَّبى، فيكون يصلون على النَّبى، حقيقة فى حق الملائكة، ويكون يصلون المقدرة مجازًا فى حق الله.

وكذلك القول فى قوله: **﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته﴾** [الأحزاب: ٤٣] فى الجمع بين المجاز والحقيقة وأفرادهما، ومثل هذا قوله: **﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾** [التوبة: ٦٢] لو قال: أحق أن يرضوهما لكان جامعًا بين الله ورسوله فى الضمير وبين الحقيقة والمجاز، فإن رضى الرَّسول ﷺ حقيقى ورضى الله مجازى، ومن لا يرى ذلك يقول: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه كقول الشاعر (منسرح):

نحن بما عِنْدَنا وأنت بما عندك راضٍ والرأىُ مختلفُ(١)

معناه: نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راضٍ.

المثال الثالث: قوله: **﴿يخادعون الله والَّذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾** [البقرة: ٩] معنى: يخادعون الله: يعاملونه معاملة الخادع فهى مجاز تمثيل إذ أشبهت معاملتهم الرب معاملة الخادع للمخدوع، ومخادعتهم الَّذين آمنوا حقيقة، فقد جمع فى **﴿يخادعون﴾** بين حقيقة المخادعة ومجازها.

ومن لا يرى الجمع يُقَدِّرُ: يخادعون الله ويخادعون الَّذين آمنوا فتكون مخادعة الله مجازية على حدتها، ومخادعة المؤمنين حقيقة، وقال الحسن: يخادعون رسول الله والَّذين آمنوا، فتكون المخادعة بالنسبة إلى الرسول والمؤمنين حقيقة.

المثال الرابع: قوله: **﴿وأوحى إلىَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾** [الأنعام: ١٩] إنذاره ﷺ لقومه حقيقة، وإنذاره به من بلغه من مجاز نسبة الفعل إلى الآمر به، فجمع فى لأنذركم به بين مجازها وحقيقتها، ومن لا يرى ذلك يقدر: **﴿لأنذركم به﴾** وأنذر من بلغ، فيكون الإنذار المقدر مجازًا محضًا والإنذار المتقدم حقيقة محضة.

---

(١) الكتاب ١/ ٢٩٠، والمحرر الوجيز ٢/ ٧٢.

المثـال الخامس: قـوله: ﴿إن المتقين فى جنـات وعيـون * وفـواكـه مما يشتـهـون﴾ [المرسلات: ٤١، ٤٢]، وقوله: ﴿إن المتقين فى جنات ونعيم﴾ [الطور: ١٧] استعمل الظرف فى حقيقته بالنسبة إلى الجنات، وفى مجـازه بالنسبة إلى العيون والفواكه والنعيم، ومن لا يرى ذلك يقدر: وفى عيـون وفواكه، وفى نعيم، فيكون فى الثـانية مجازًا حذفـيا، تقديره: إن المتقين فى لذات جنـاب وعيون، وفـواكه، فتكون «فى» مـجازًا محـضًا شبهـها فى كثـرتها بالظرف المحيط بالمظـروف، ولك أن تجعل الجميع مـجازًا محـضًا، وهذا أحسن كيـلا يعمل حرف الجر مع حذفه فإنه شـاذ قليل، ولا يجىء تقديره: فى نعيم جنات فى قوله: ﴿جنات ونعيم﴾ [الطور: ١٧] وقد تقدم.

المثال السـادس: قوله: ﴿ويعلمـهم الكتـاب والحكمـة وإن كانوا من قـبل لفى ضـلال مبين* وآخرين منهـم لمَّا يلحقوا بهم﴾ [الجمعة: ٢، ٣] تعليمه ﷺ أصـحابه رضى الله عنهم الكتاب والحكمة حقيقة، وتعليمه ﷺ من لم يلحق بهم من مجاز نسبة الفعل إلى الآمر به، فجمع بينهما فى لفظ التعليم، ومن لا يرى ذلك يقدر: ويُعَلِّم آخرين منهم، فيكون التعليم الثانى مجازًا محضًا، والتعليم الأول حقيقة لا غير.

المثـال السابع: قـوله: ﴿قل لا يعـلم من فى السـمـوات والأرض الغـيـب إلا الله﴾ [النمل: ٦٥] الله سبحانه فى السـموات والأرض بعلمه، وأهلهما فيـهما حقيقة فـجمع بينهما بحرف الظرف، ومن لا يرى ذلك يجعل الرفع فى اسم الله على لغـة بنى تميم فى الاستثناء المنقطع.

المثال الثـامن: قوله: ﴿إن الَّذين يؤذون الله ورسـولـه لعنهم الله فى الدنيـا والآخـرة﴾ [الأحزاب: ٥٧] أذية الله مجـاز إذ لا يتصـور أن يتأذى بشىء، وهو من مجـاز التمـثيل؛ لأن نسبته إلى ما لا يليق بجلاله مشـبهة لأذية المؤذى فاستعمل لفظة ﴿يؤذون﴾ فى حق الله فى مجازها، وفى حق الرَّسول ﷺ فى حقيقتها، ومن لا يرى ذلك يُقَدِّرُ: إن الَّذين يؤذون الله ويؤذون رسوله فـتكون الأذية فى حق الله مجـازًا محضًا، وفى حق الرَّسـول ﷺ حقيـقة محضة.

المثال التاسع: قوله: ﴿يخربون بيـوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين﴾ [الحشر: ٢] جمع فى

قوله: ﴿يخربون بيوتهم﴾ بين مجازها وحقيقتها؛ لأنهم خربوها بأيديهم حقيقة وبأيدى المؤمنين تسببًا، ومن لا يجمع بين المجاز والحقيقة يجعل يخربون بيوتهم بأيديهم حقيقة ويقدر ويخربونها بأيدى المؤمنين تجوُّزًا.

المثال العاشر: قوله: ﴿أولئك الَّذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة﴾ [البقرة:١٧٥] أى: أولئك الَّذين استبدلوا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، وهذا جمع بين المجاز والحقيقة؛ لأنهم باشروا استبدال الضلالة بالهدى وتسببوا إلى استبدال العذاب بالمغفرة فجمع فى قوله: اشتروا بين المجاز والحقيقة، وهذا الشراء مجازى استعمل فى مجاز وحقيقة فكان استعماله فيهما من باب مجاز المجاز، ومن لا يجمع يُقَدِّرُ: واستبدلوا العذاب بالمغفرة، فيكون المقدر من مجاز النسبة إلى السبب ويكون المجاز الأول من مجاز التشبيه شبَّه استبدال الضلالة بالهدى باستبدال البيع بالثمن.

وههنا معنى لطيف، وهو أن المبيع هو الذى يقصده النَّاس ويهتمون به فى الغالب، وهو متعلق رغباتهم والأثمان وسيلة إليها، فلذلك أدخل الباء على الهدى إبانة أن اهتمامهم بالضلالة كاهتمام النَّاس بالبيع وخروجهم عن الهدى كخروج المشترين عن الأثمان، وكذلك جعل المغفرة ثمنًا والعذاب مثمنًا، وهو عكس مقاصد العقلاء.

المثال الحادى عشر: الجمع بين الأبناء، والأحفاد، والآباء، والأجداد، فالابن حقيقة فى ولد الصلب مجاز فيمن تفرع عنه، ولو وصى لأبناء فلان، أو وقف على أبنائه اختص به بنو الصلب دون بنيهم، قوله: ﴿يا بنى آدم﴾ [الأعراف: ٢٦] مجاز غالب.

وكذلك قوله: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا»[(١)] مجاز غالب أيضًا، وهذا بخلاف قوله: ﴿واتل عليهم نبأ ابنىْ آدم بالحق﴾ [المائدة: ٢٧] فإنه حقيقة فى ابنيه لصلبه، وأبعد من حمله على المجاز وقال: كانا رجلين من بنى إسرائيل.

وكذلك الأب والأم حقيقتان فيمن خرج الولد من بين صلبيهما وترائبهما، مجاز فيمن

(١) أخرجه البخارى فى الرقاق ٦٤٣٦، مسلم فى الزكاة ١٠٤٨، ١٠٥٠، أحمد فى المسند ١١٨١٩، الدارمى فى الرقاق ٢٧٧٨.

فوقهما من الأجداد، والجدات، ومصحح المجاز فى ذلك اشتراك النسل فى الفرعية، واشتراك الآباء فى الأصالة، فأقرب الأجداد وأقرب الأحفاد هو من أقرب المجازات، وأبعدها من أبعد المجازات.

وقد يطلق لفظ الأب على الأعمام، فيكون من مجاز المشابهة؛ لأنه شابه أخاه فى الفرعية لأصل واحد، أو لأنه يحترم كما يحترم الآباء، وفى الحديث «**عم الرجل صنو أبيه**».

وقد جمع بين الحقيقة والمجاز فى قوله: ﴿**قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق**﴾ [البقرة: ١٣٣] فإبراهيم جد وإسماعيل عم وإسحاق أب، فتجوَّز بلفظ آبائك عن جد وعم وأب.

وكذلك قول يوسف عليه السلام: ﴿**واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب**﴾ [يوسف: ٣٨] جمع لفظ آبائى: إبراهيم، وهو جد أب، وإسحاق، وهو جد، ويعقوب، وهو أب.

ومن الجمع بين المجاز والحقيقة التعبير بالأبوين عن الأب والأم، وبالقمرين عن الشمس والقمر، وبالعمرين عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وكله من مجاز المشابهة كتماثل الشمس والقمر فى الضياء، وأبى بكر وعمر فى حسن السيرة، ولمشاركة الأبوين فى الأصلية.

* * *

الفصل الثامن والأربعون

في أمثلة من حذف المضافات على ترتيب السور والآيات

«**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» أي: أعوذ بالله من وسواس الشيطان الرجيم، أو شر الشيطان الرجيم؛ لقوله: ﴿**مِنْ شَرِّ الوسواس الخنَّاس**﴾ [الناس: ٤]، أو من همز الشيطان الرجيم، لقوله: ﴿**وَقُلْ ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين**﴾ [المؤمنون: ٩٧]، أو من نزع الشيطان الرجيم لقوله: ﴿**وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ من الشيطان نَزْغ**﴾ [فصلت: ٣٦] والأول أولى؛ لأن الشيطان يوسوس لقارئ القرآن في تحريفه وتبديله وتنزيله على غير مراد الله منه، وهذا بخلاف قوله: ﴿**وإما يَنْزَغَنَّكَ من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله**﴾، فإنك تقدر فيه: فاستعذ بالله من نزغه؛ لأنه قد تقدم ذكره مع السياق المُشعر به.



سورة البقرة

﴿لا ريب فيه﴾ [٢] أى: لا تشكُّوا فى إنزاله، أو فى هدايته، أو لا سبب ريب فيه كالتناقض والاختلاف، أو لا ريب فيه عند المؤمنين، تعبيرًا بالعام عن الخاص.

﴿ومن النَّاس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ [٨] أى: آمنا بوحدانية الله وبإتيان اليوم الآخر، أو لا حاجة إلى حذف فى قوله: ﴿وباليوم الآخر﴾.

﴿يخادعون الله﴾ [٩] أى: يخادعون رسول الله بإظهارهم من الإيمان ما لا يبطنون. وأما قدر ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ خليفة الله وأمره أمره، ولذلك قال: ﴿إن الَّذين يُبايعونك إنما يُبايعون الله﴾ [الفتح: ١٠].

وقال أبو علي: هذا كقوله: ﴿من يُطع الرَّسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠]، أو يعاملون الله معاملة الخادع، فيكون مجازًا تشبيهيا كقوله: ﴿يؤذون الله﴾ [الأحزاب: ٥٧].

﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارًا﴾ [١٧] أى: حالهم كحال الذى استوقد نارًا، أو صفتهم كصفة الذى استوقد نارًا، أو شأنهم كشأن الذى استوقد نارًا.

﴿أو كَصيِّب﴾ [١٩] التقدير: أو كحال أصحاب صيِّب، أو كصفة أصحاب صيب، أو كشأن أصحاب صيِّب؛ فإنه لم يشبه الذوات بالذوات إذْ لا فائدة فيه.

﴿من السماء﴾ [١٩] أى: من جهة السماء، أو من نحو السماء، أو من صوب السماء، أو عبر بالسماء عن السحاب؛ لأن كل ما علاك فأظلك فهو سماء كقوله: ﴿وفَرْعُهَا فى السماء﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وقوله: ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ [الحج: ١٥] أى: فليمدد بحبل إلى سقف بيته، وكقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غِضابا

معناه: إذا نزل المطر بأرض رعينا نبته وكلأه.

ومثله قوله: ﴿وأرسلنا السماء عليهم مِدْرَاراً﴾ [الانعام: ٦] أى: المطر؛ وسمى المطر سماء؛ لأنه كان مرتفعًا في جهة العلو قبل نزوله، وهو من مجاز تسمية الشيء بما كان عليه.

ومثله قول نوح عليه السلام: ﴿يرسل السماء عليكم مِدْرَاراً﴾ [نوح: ١١] أى: المطر، وقوله فى الحديث: «كنا فى إثر سماء من الليل»(١) أى: فى إثر مطر.

﴿فيه ظلمات﴾ [١٩] أى: فى وقته ظلمات، أو فى مصبه ظلمات.

﴿يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق﴾ [١٩] أى: فى أصمخة آذانهم من أجل الصواعق، أو من خوف الصواعق.

﴿كُلَّمَا أضاء لهم مَشَوْا فيه﴾ [٢٠] أى: فى ضوئه، أو يكون التقدير: كلما أضاء لهم البرق الطريق مشوا فى طريقه.

﴿إن الله على كلِّ شيءٍ قدير﴾ [٢٠] أى: على كل شيء ممكن، أو على كل شيء يريده قادر.

﴿الذى جعل لكم الأرض فِرَاشًا﴾ [٢٢] أى: مثل فراش.

﴿والسَّماء بناء﴾ [٢٢] أى: ذات بناء.

﴿وأنزل من السَّماء ماء﴾ [٢٢] أى: من جهة السماء، أو من صوب السماء، أو من نحو السماء، أو أراد بالسماء: السحاب فلا حاجة إلى حذف.

﴿فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم﴾ [٢٢] أى: بسببه.

﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ [٢٣] أى: فى تنزيل ما نزلناه على عبدنا، أو من صحة ما نزلنا على عبدنا، أو من صدق ما نزلنا على عبدنا، والأول أولى.

﴿فاتقوا النَّار﴾ [٢٤] أى: فاتقوا عذاب النَّار.

﴿وبشر الَّذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنَّات تجرى من تحتها الأنهار﴾ [٢٥]

أى: تجرى من تحت غرفها، وقد ظهر، هذا فى قوله: **﴿لهم غُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مبنية تجرى من تحتها الأنهار﴾** [الزمر: ٢٠]، أو من تحت أشجارها، أو من تحت أغصانها؛ لأن الشجرة عبارة عن السوق والعروق والأغصان، فتحتها الحقيقى ما كان تحت عروقها.

وقال أبو على: إن لهم ثمار جنات تجرى من تحت ثمارها الأنهار، ويؤكده قوله **﴿كلما رُزِقوا منها﴾** [٢٥]، أو تجرى من تحتها مياه الأنهار، أو أشربة الأنهار: الخمر، والعسل، والماء، واللبن.

وأما قوله: **﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذْ يُبايعونك تحت الشجرة﴾** [الفتح: ١٨] فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره: تحت أغصان الشجرة، ويجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ الكل عن البعض.

﴿كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذى رُزقنا من قبل﴾ [٢٥] تقديره: كلما رزقوا من ثمارها ثمرة قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل.

﴿الذين ينقضون عهد الله﴾ [٢٧] أى: ينقضون مقتضى عهد الله، أو موجب عهد الله.

﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم ثم إليه ترجعون﴾ [٢٨] تقديره: كيف تكفرون بقدرة الله على بعثكم وكنتم أمواتًا فأحياكم فى بطون أمهاتكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم، ثم إلى جزائه ترجعون، وجزاؤه الجنَّة أو النَّار.

﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعًا﴾ [٢٩] أى: خلق لأجلكم.

﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾ [٣٠] تقديره: وعلم آدم المسميات كلها، ثم عرض أسماءهم على الملائكة، أو عرَّف آدم الأسماء كلها، ثم عرض مسمياتها على الملائكة.

﴿قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض﴾ [٣٣] أى: أعرف غائب السموات والأرض، أو ذا غيب السموات والأرض.

﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ [٣٥] أى: ولا تقربا أكل هذه الشجرة، ومثله قوله: **﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾** [الأنعام: ١٥٢] أى: ولا تقربوا أكل مال اليتيم؛ بدليل قوله: **﴿ولا تقربوا**

الزنا﴾ [الإسراء: ٣٢] ﴿ولا تقربوا الفواحش﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿فإما يأتينكم منِّي هُدًى﴾ [٣٨] أي: فإما يأتينكم من عندى كتاب؛ بدليل قوله: ﴿ولما جاءهم كتابٌ من عند الله﴾ [٨٩].

﴿وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم﴾ [٤٠] أي: وأوفوا بمقتضى عهدى، أو بموجب عهدى أوف بمقتضى عهدكم، أو بموجب عهدكم.

﴿وإياى فارهبون﴾ [٤٠] أي: فارهبوا عذابى.

﴿ولا تشتروا بآياتى ثمنًا قليلاً﴾ [٤١] أي: ولا تشتروا بكتمان آياتى، أو بتبديل آياتى، أو بتغيير آياتى، أو بتحريف آياتى ثمنًا قليلاً.

﴿وإياى فاتقون﴾ [٤١] أي: فاتقوا عذابى.

﴿أتأمرون النَّاس بالبر وتَنْسَوْنَ أنفسكم﴾ [٤٤] أي: وتنسون أمر أنفسكم بالبر، أو وتنسون إصلاح أنفسكم، أو بر أنفسكم.

﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ [٤٤] أي: تتلون مضمون الكتاب، أو الكتاب بمعنى المكتوب؛ فلا حاجة إلى حذف.

﴿الذين يظنون أنهم مُلاقو ربِّهم وأنهم إليه راجعون﴾ [٤٦] تقديره: الَّذين يظنون أنهم ملاقو ثواب ربهم، أو الَّذين يعلمون أنهم ملاقو جزاء ربهم، وأنهم إلى حكمه راجعون فلا انفكاك لهم عنه، ولا انفصال لهم عنه.

﴿واتقوا يومًا لا تجزى نفس عن نفس شيئًا﴾ [٤٨] أي: واتقوا عذاب يوم لا تقضى فيه نفس عن نفس حقا.

﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾ [٤٩] أي: وإذ نجيناكم من تعبيد آل فرعون، أو شر آل فرعون.

﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ [٥٠] أي: فرقناه بسبب إنجائكم، أو بسبب مجاوزتكم إياه، أي: فرقنا بكم ماء البحر حقيقة فى الحيز الذى فيه الماء، أو تجوَّز بالبحر عن الماء لكثرته واتساعه كما تجوَّز به عن الكثير العطاء لاتساع عطائه، فيكون مجازًا تشبيهيا، أو عبَّر به عن

الماء للملازمة، فيكون من مجاز التعبيـر بالمكان عن الكائن فيه كالتعبير بالصدر عن القلب، وبالقلب عن العقل، وبالساحة عن أهلها الكائـنين فيها فى مثل قوله: **﴿فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المُنذرين﴾** [الصافات: ١٧٧] أى: فإذا نزل بهم فساء صباح المنذرين، وفى مثل قولـهم: «لولا مكانك لكان كذا وكـذا» أى: لولا أنت لكان كذا وكـذا، وهذا من مـجاز الملازمة، وقد تقدم.

﴿وإذ واعـدنا مـوسى أربعين ليلة﴾ [٥١] أى: واعدنـاه لقاء أربعين ليلة للمنـاجاة، أو واعـدناه انقـضـاء أربعـين ليلة، أو تمام أربعين ليلـة؛ بدليل قـوله: **﴿وأتممناها بـعـشـر﴾** [الأعراف: ١٤٢]، أو مناجاة أربعين ليلة.

﴿ثم اتخـذتم العـجل من بعـده﴾ [٥١] أى: من بعـد ذهابه إلى الطور، أو من بعـد انطلاقه إلى الطور.

﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ [٥٤] أى: فارجعوا إلى عبادة خالقكم.

وكذلك يقدر فى التوبة حيث ذكرت، فمعنى: «توبوا إلى الله» ارجعوا عن معصية الله إلى طاعته.

﴿وأنزلنا عليكم المنَّ والسلوى﴾ [٥٧] أى: وأنزلنا ذلك على مـحلتكم، أو منزلتكم، أو أشجاركم.

﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها﴾ [٥٨] أى: فكلوا من رزقها، أو من طعامها.

﴿لن نصـبر على طعـام واحد﴾ [٦١] أى: لن نصبر على أكـل طعام واحد، أو تناول طعام واحد.

﴿من آمن بالله﴾ [٦٢] أى: من آمن بوحدانية الله.

﴿ولقد علمتم الَّذين اعتدوا منكم فى السبت﴾ [٦٥] أى: ووالله لقد عرفتم قصة الَّذين اعتدوا، أو عقوبة الَّذين اعتدوا، أو واقعة الَّذين اعتدوا منكم فى السبت.

﴿أتتخذنا هُزُوًا﴾ [٦٧] أى: أتتخذنا محل هزء، أو ذوى هزء، أو مهزوا بنا.

﴿قالوا ادع لنا ربَّك يُبين لنا ما هى﴾ [٦٨] أى: يُبين لنا ما سنُّها؛ بدليل أنه أجاب بالسن ولأنهم لم يسألوا عن ماهيتها لأنهم لم يجهلوها، وإنما سألوا عن أوصافٍ تُميزها، ولذلك قالوا: ﴿ما لونها﴾ [٦٩].

وأما قولهم أخيرًا: ﴿ادع لنا ربَّك يبين لنا ما هى﴾ [٧٠] فتقديره: يبين لنا ما صفتها؛ بدليل أنه أجابهم بأوصافها.

﴿فادَّارأتُم فيها﴾ [٧٢] فتدافعتم فى قتلها كلٌّ يدفعه عن نفسه، أى: فتدافع بعضكم فى قتلها فهو من باب نسبة فعل بعض الجماعة إلى الجماعة.

﴿وإنَّ منها لما يَهْبط من خشية الله﴾ [٧٤] أى: من خيفة عقاب الله.

﴿فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [٧٩] أى: فويلٌ لهم من أجل ما كتبت أيديهم وويلٌ لهم من أجل ما يكسبون.

﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [٨٠] أى: ما لا تعرفون صدقه وصحته.

﴿تَظَاهرون عليهم بالإثم والعدوان﴾ [٨٥] أى: تظاهرون على قتلهم، أو على إخراجهم، أو على أذيتهم، فيدخل فيه القتل والإخراج.

﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ فى الحياة الدنيا﴾ [٨٥] أى: فى مدة الحياة الدنيا، أو فى أيام الحياة الدنيا.

﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ [٩٢] أى: من بعد ذهابه إلى الطور.

﴿وأشربوا فى قلوبهم العجل﴾ [٩٣] أى: وأشربوا فى قلوبهم حب العجل.

﴿ولتجدنهم أحرص النَّاس على حياة ومن الَّذين أشركوا﴾ [٩٦] أى: وأحرص من الَّذين أشركوا.

﴿أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم﴾ [١٠٠] أى: نبذ وفاءه وموجبه فريق منهم.

﴿نبذ فريقٌ من الَّذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم﴾ [١٠١] أى: نبذ اتباع كتاب الله فريقٌ من الَّذين أوتوا علم الكتاب.

﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلْكِ سليمان﴾ [١٠٢] أى: واتبعوا ما تلته الشياطين على عهد ملك سليمان.

﴿إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ [١٠٢] أى: إنما نحن أهل فتنة، أو ذوو فتنة فلا تكفر.

﴿وما له فى الآخرة من خلاق﴾ [١٠٢] أى: وما له فى ثواب الدار الآخرة من نصيب، أو ما له فى الجنَّة من نصيب.

﴿ما يود الَّذين كفروا منْ أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ [١٠٥] أى: ينزل عليكم من وحى من عند ربكم.

﴿ما ننسخ من آية أو نُنْسِهَا نأت بخيرٍ منْهَا أو مثلها﴾ [١٠٦] أى: ما ننسخ من حكم آية، أو ننسأ حكمها، أى: نؤخر إنزال حكمها، نأت بخير من موجبها ومقتضاها، ولا حاجة إلى هذا التقدير على قراءة من قرأ «ننسيها»(١).

﴿وما تُقَدِّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله﴾ [١١٠] أى: تجدوا أجره وثوابه عند الله.

﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ [١١٩] أى: إنا أرسلناك بسبب إقامة الحق، أو أرسلناك مصحوبًا بالحق، أو أرسلناك محقين، أو موصوفين بالحق.

﴿ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم﴾ [١١٩] أى: ولا تسأل عن أعمال أصحاب الجحيم، وقرئ: ﴿ولا تَسأل عن أصحاب الجحيم﴾(٢) أى: ولا تسأل عن حال أصحاب الجحيم، أو عن سوء حال أصحاب الجحيم.

﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير﴾ [١٢٠] أى: ما لك من دون الله من ولى ولا نصير، وقد ظهر هذا المحذوف فى قوله: ﴿وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير﴾ [٤٨] ﴿واتقوا يومًا لا تجزى نفسٌ عن نفس شيئًا﴾ [١٢٣]

---

(١) قرأ ابن عامر والكوفيون ونافع «ننسها» بضم النون الأولى وكسر السين بلا همز، وابن كثير وأبو عمرو بفتحها مع الإتيان بهمزة ساكنة (شرح الشاطبية للشيخ الضباع ص ١٥٤).

(٢) هى قراءة الإمام نافع (نفس المرجع السابق ص ١٥٥).

أي: واتقوا عذاب يوم، أو أهوال يوم لا تقضى فيه نفس عن نفس حقا.

﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾ [١٢٤] أي: بمقتضى كلمات، أو بموجب كلمات، أو بمدلول كلمات، أو تجوَّز بالكلمات عما يتعلق به من الطاعات **﴿فأتمهن﴾** [١٢٤] أي: فأتم مواجبهن ومقتضاهن وهو الطاعات.

﴿وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا﴾ [١٢٥] أي ذا مثابة وذا أمن.

﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ [١٣٤] أي: لها جزاء كسبها ولكم جزاء كسبكم.

﴿بل ملة إبراهيم﴾ [١٣٥] أي: بل يكون ملة إبراهيم، أو بل نتبع ملة إبراهيم.

﴿قولوا آمنا بالله﴾ [١٣٦] أي: بوحدانية الله.

﴿وما أوتى النَّبيون من ربهم﴾ [١٣٦] أي: من كتب ربهم، أو من عند ربهم.

﴿فسيكفيكهم الله﴾ [١٣٧] أي: فسيكفيك شر شقاقهم أو شرهم الله.

﴿قل أتحاجوننا فى الله﴾ [١٣٩] أي: في دين الله.

﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ [١٤١] أي لها جزاء كسبها ولكم جزاء كسبكم.

﴿ما ولأَّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾ [١٤٢] أي: ما صرفهم عن استقبال قبلتهم التي كانوا مواظبين على استقبالها.

﴿ويكون الرَّسول عليكم شهيدًا﴾ [١٤٣] أي: على تبليغكم الرسالة شهيدًا.

﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرَّسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ [١٤٣] أي: وما نسخنا استقبال القبلة التي كنت مواظبًا على استقبالها، إلا لنعلم من يتبع الرَّسول ممن ينقلب على عقبيه.

﴿وما كان الله ليُضيع إيمانكم﴾ [١٤٣] أي: وما كان الله ليضيع أجر صلاتكم إلى الصخرة[1] قبل النسخ، فإنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

﴿قد نرى تقلُّبَ وجهك فى السَّماء فلنولينَّك قبلة ترضاها﴾ [١٤٤] أي: قد نرى تقلب

---

(١) أي: صخرة بيت المقدس.

وجهك في نواحي السماء فلنولين وجهك قبلة ترضاها.

﴿وإن الَّذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربِّهم﴾ [١٤٤] أي: وإن الَّذين أوتوا علم الكتاب ليعلمون أن توليته أو استقباله الحق من عند ربهم.

﴿وإنه للحق من ربك﴾ [١٤٩] أي: وإن استقباله أو توليته للحق من عند ربك.

﴿فلا تخشوهم واخشونِ﴾ [١٥٠] أي: فلا تخشوا أذيتهم واخشوا عقابي في مخالفة أمري.

﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ [١٥٦] أي: إنا لله وإنا إلى حكمه وقضائه وما قدَّره علينا من المصائب راجعون، فلا مفر لنا منه، ولا محيد لنا عنه.

﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ [١٥٨] أي: إن سعي الصفا والمروة، أو إن إتيان الصفا والمروة، أو إن تطواف الصفا والمروة من شعائر الله.

﴿فلا جُنَاحَ عليه أن يَطَّوف بهما﴾ [١٥٨] أي: فلا جناح عليه أن يطوف بمسعاهما، أي: في مسعاهما، أو أن يطوف بينهما؛ فحذف بينهما للعلم به، وقد ينكر الجهلة بعض هذه الحذوف لكونها على خلاف المألوف.

﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين﴾ [١٦١]، فلم يجمع بين الحقيقة والمجاز؛ لأن لعنة الله: طرده وإبعاده، ولعنة الملائكة والنَّاس: دعاؤهم بالطرد والإبعاد؛ فسمى الدعاء باسم المدعو به؛ لأن المدعو به سبب عن الدعاء، ومن جمع بين المجاز والحقيقة لم يحتج إلى ذلك.

ومثل الأول قوله: ﴿يأخذه عَدُوٌّ لي وَعَدُوٌّ له﴾ [طه: ٣٩] فأفرد المجاز عن الحقيقة، ولو جمعهما لقال: يأخذه عدو لي وله.

وأما قوله: ﴿إن الله وملائكته يُصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] فإنه سمَّى المدعو به باسم الدعاء؛ فصلاة الله مجازية وصلاة الملائكة حقيقية، وههنا بالعكس: لعنة الله حقيقية، ولعنة الملائكة مجازية.

﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنَّهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع النَّاس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ [١٦٤] أى: وما أنزل الله من جهة السماء، أو من صوب السماء، أو من نحو السماء.

﴿من ماء فأحيا﴾ [١٦٤] بسببه الأرض بعد موتها، أو عبَّر بالسماء عن السحاب.

﴿إذ تبرأ الَّذين اتُّبعوا من الَّذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطَّعت بهم الأسباب * وقال الَّذين اتَّبعوا لو أن لنا كرَّةً فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا﴾ [١٦٦، ١٦٧] أى: إذْ تبرأ الَّذين اتُّبعوا من إضلال الَّذين اتَّبعوا بقولهم: **﴿أنحنُ صددناكم عن الهدى﴾** [سبأ: ٣٢] وتقطعت بسبب كفرهم الأسباب، وقال الَّذين اتبعوا: لو أن لنا كرة فنتبرأ من اتباعهم كما تبرءوا من صدِّنا وإضلالنا.

﴿كذلك يُريهم الله أعمالهم حَسَرَات عليهم﴾ [١٦٧] أى: كذلك يريهم الله إحباط أعمالهم الحسنة سبب حسرات عليهم، أو موجب حسرات عليهم.

﴿ومثل الَّذين كفروا كمثل الذى ينْعِقُ بما لا يَسْمَع إلا دُعاءً ونداءً﴾ [١٧١] أى: ومثل داعى الَّذين كفروا إلى اتباع ما أنزل الله كمثل الراعى الذى يصيح بِبُهْمٍ لا تسمع إلا دعاء ونداء.

﴿إنما حرَّم عليكم الميتة﴾ [١٧٣] أى: إنما حرم عليكم أكل الميتة، أو تناول الميتة.

﴿وما أُهِلَّ به لغير الله﴾ [١٧٣] أى: وما أهل بتذكيته، أو بذبحه، أو بنحره لإله غير الله. والتذكية أعم؛ إذْ يدخل فيها الذبح والنحر.

﴿ويشترون به ثمنًا قليلاً﴾ [١٧٤] أى: ويشترون بتبديله، أو بتحريفه، أو بتغييره ثمنًا قليلاً.

﴿فما أصبرهم على النَّار﴾ [١٧٥] أى: فما أصبرهم على عمل أهل النَّار، أو على أعمال أهل النَّار، أو على أسباب عذاب النَّار، أو على صِلِيِّ النَّار.

﴿ذلك بأن الله نَزَّلَ الكتاب بالحق﴾ [١٧٦] أى: ذلك العذاب بحجة أن الله نزل الكتاب، أو بإنكار أن الله نزل الكتاب بسبب إقامة الحق.

﴿وإن الَّذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاقٍ بعيد﴾ [١٧٦] أى: وإن الَّذين اختلفوا فى تنزيل الكتاب، أو فى تصديق الكتاب، أو صحة الكتاب لفى شقاق بعيد، وتقدير التنزيل أولى لتقدم ما يدل عليه من قوله: ﴿نَزَّلَ الكتاب﴾ [١٧٦].

﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنَّبيين﴾ [١٧٧] أى: ولكن البر بر من آمن بوحدانية الله وعبودية ملائكته؛ لأن من العرب من اعتقد الملائكة بنات الله وأنها آلهة فأكذبهم الله بقوله: ﴿بل عبادٌ مُكْرَمُون﴾ [الأنبياء: ٢٦].

﴿والكتاب﴾ أى: وإنزال الكتب، ﴿والنبيين﴾ أى: ونبوة النبيين، أو بإرسال النبيين.

﴿وآتى المال على حبِّه﴾ [١٧٧] أى: وآتى المال مستقرا على حبه إياه، أو على كونه محبوبًا.

﴿وفى الرقاب﴾ [١٧٧] أى: وفى تحرير الرقاب، أو فى فكِّ الرقاب، أو فى إعتاق الرقاب، والتحرير أكثر فى القرآن.

﴿يأيها الَّذين آمنوا كُتبَ عليكم القصاص فى القتلى الحُرّ بالحُرِّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفُى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ [١٧٨] أى: يأيها الَّذين آمنوا من الجناة كتب عليكم بذل القصاص والتمكين منه بسبب قتل القتلى، أو يأيها الَّذين آمنوا من الولاة كتب عليكم استيفاء القصاص إذا طلبه وليُّ الدم: الحرُّ مقتولٌ بقتل الحرِّ، وقتل العبد بالحر أولى، والعبدُ مقتولٌ بقتل العبد وبقتل الحر أولى، والأنثى مقتولة بقتل الأنثى وبقتل الذكر أولى؛ فمن تُركَ له من قصاص أخيه القتيل شىء فللعافى اتباع بالمعروف أى: طلب للدية بالمعروف، وعلى الجانى أداء الدية إلى العافى بإحسان.

﴿ولكم فى القصاص حياةٌ يا أولى الألباب لعلكم تتقون﴾ [١٧٩] أى: ولكم فى شرع القصاص، أو فى إيجاب القصاص، أو فى خوف القصاص، وهذا قول ابن عباس[١] رضى الله عنهما ولقد أجاد ـ رحمه الله ـ فإن من يهمّ بالجناية إذا خاف من القصاص كفَّ عن الجناية فكان خوفه سببًا لحياة من همَّ بقتله ولحياته بالخلاص من القصاص.

(١) انظر تفسير القرطبى ج١ ص ٧٤٢، ٧٤٣.

﴿لعلكم تتقون﴾ [١٧٩] الجناية، وهذا متعلقٌ بقوله: ﴿كُتِبَ عليكم القصاص﴾ أى: فرض عليكم القصاص لعلكم تتقون الجناية.

﴿كُتِبَ عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً﴾ [١٨٠] أى: فرض عليكم إذا حضر سبب الموت، أو مرض الموت، أو شارف الموت ترك مال كثير.

﴿فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الَّذين يُبدِّلونه﴾ [١٨١] أى: فمن بدل الإيصاء، أو فمن بدل قول الموصِى ـ لأن الوصية قول ـ بعد سمعه إياه؛ فإنما إثم تبديله على الَّذين يبدلونه.

﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدَّةٌ من أيام أُخر﴾ [١٨٤] أى: فمن كان منكم مريضًا أو على جناح سفر أو على طريق سفر فأفطر بالمرض، أو السفر فعليه صوم عدَّة من أيام أخر.

﴿وعلى الَّذين يُطيقونه فدية طعام مسكين﴾ [١٨٤] أى: وعلى الَّذين يطيقون الصوم فيفطرون بدل فدية أو إخراج فدية: بذل طعام مسكين، أو إخراج طعام مسكين.

﴿شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن﴾ [١٨٥] أى أُنزل فى شأنه وإيجاب صومه القرآن، وهذا على قول.

﴿وإذا سألك عبادى عنِّى فإنى قريبٌ أُجيب دعوة الداعِ إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾ [١٨٦] أى: وإذا سألك عبادى عن مكانى فقل لهم عنى: إنى قريب، وعلى قول: وإذا سألك عبادى عن شأنى فى القرب والبعد فليجيبونى إلى ما دعوتهم إليه من طاعتى وليؤمنوا بربوبيتى ووحدانيتى لعلهم يرشدون.

﴿هُنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن﴾ [١٨٧] أى: هن كلباس لكم وأنتم كلباس لهن، أو هن مثل لباس لكم وأنتم مثل لباس لهن.

﴿علم الله أنكم كُنتم تَخْتَانون أنفسكم فتاب عليكم وعَفَا عنكم﴾ [١٨٧] أى: وعفا عن

اختيانكم أنفسكم.

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام﴾ [١٨٨] أى: وتتوصلوا برشوتها إلى الحكام.

﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ [١٨٩] أى يسألونك عن علة خلق الأهلة: لم خلقت الأهلة؟ أو عن سبب خلق الأهلة، أو عن فائدة خلق الأهله، أو حكمة خلق الأهلة، ﴿قل هى﴾ ذوات ﴿مواقيت﴾ لحقوق النَّاس وللحج.

﴿ولكن البر من اتقى﴾ [١٨٩] أى: ولكن البر تقوى الله من اتقى، أو فعل من اتقى، أو بر من اتقى.

﴿واتقوا الله﴾ [١٨٩] أى: واتقوا معصية الله، أو مخالفة الله؛ بدليل قول الحسن(١) فى المتقين: هم الَّذين اتقوا ما حرم الله، أو واتقوا عقاب الله بفعل ما أوجب الله عليكم فى الحج وغيره.

﴿وقاتلوا فى سبيل الله﴾ [١٩٠] أى: فى نصرة سبيل الله.

﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يُقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ [١٩١] أى: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فى حرمه، فإن قاتلوكم فى الحرم فاقتلوهم، ولك أن تعبِّر بالمسجد الحرام عن جميع الحرم، فيكون من مجاز التعبير بلفظ البعض عن الكل.

﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحُرُمات قصاص﴾ [١٩٤] أى: عمرة الشهر الحرام قصاص بعمرة الشهر الحرام، وانتهاك الحرمات أسباب قصاص، أو ذوات قصاص.

﴿ولا تحلقوا رءوسكم حتى يَبْلُغَ الهدى محِلَّه﴾ [١٩٦] أى: ولا تحلقوا شعر رءوسكم حتى يبلغ الهدى محل ذبحه، أو محل نحره.

﴿فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ففديةٌ من صيام أو صدقة أو نُسُك﴾ [١٩٦]

---

(١) هو الحسن بن يسار البصرى، أبو سعيد، تابعى، إمام أهل البصرة ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، وتوفى سنة ١١٠هـ (انظر الأعلام للزركلى ٢/ ٢٢٦).

أي: أو به أذى من قبل رأسه، أو من هوام رأسه، أو من وجع رأسه، فحلق فعليه فدية من صيام، أو بذل صدقة، أو ذبح نسك، ولا يقدَّر ههنا سواه؛ لأن النَّبي ﷺ قال لكعب رضي الله عنه: «أنسك شاة»(١).

﴿واتقوا الله﴾ [١٨٩] أي: واتقوا عقاب الله بفعل ما أوجب من النُّسك.

﴿الحج أشهرٌ معلومات﴾ [١٩٧] أي: وقت الحج أشهرٌ معلومات، أو أشهر الحج أشهرٌ معلومات.

﴿واتقونِ يا أولي الألباب﴾ [١٩٧] أي: واتقوا عذابي بطاعتي في المناسك وغيرها، أو واتقوا مخالفتي ومعصيتي.

﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ [١٩٨] أي: من قبل هُدَاه.

﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾ [٢٠٠] أي: كذكركم مفاخر آبائكم، أو مناقب آبائكم، أو أيام آبائكم.

﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ [٢٠٠] أي: وما له في ثواب الآخرة، أو في الدار الآخرة من نصيب.

﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾ [٢٠٢] أي: من ثواب ما كسبوا، أو من جزاء ما كسبوا.

﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تُحشرون﴾ [٢٠٣] أي: واتقوا عقاب الله باجتناب مناهي الحج، واعلموا أنكم إلى جزائه أو إلى مواقف حسابه تجمعون.

﴿يأيها الَّذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ [٢٠٨] أي: ادخلوا في شرائع الإسلام، أو في فروع الإسلام، أو في أحكام الإسلام، أي: في فعل مأموراته واجتناب منهياته.

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغَمَام﴾ [٢١٠] أي: ما ينتظرون إلا أن يأتيهم أمر الله في ظلل من الغمام.

(١) أخرجه النسائي في المناسك ٢٨٥١، أبو داود في المناسك ١٨٦٠.

﴿زُيِّنَ للَّذين كفروا الحياة الدنيا﴾ [٢١٢] أى: زين للذين كفروا زهرة الحياة الدنيا أو متاع الحياة الدنيا أو زينة الحياة الدنيا أو مستهيات الحياة الدنيا أو حب شهوات الحياة الدنيا من النِّساء والبنين، وما بعدهما، أو أعراض الحياة الدنيا.

﴿كان النَّاس أمة واحدة﴾ [٢١٣] أى: كان النَّاس أهل ملة واحدة.

﴿وما اختلف فيه إلا الَّذين أوتوه﴾ [٢١٣] أى: وما اختلف فى الكتاب إلا الَّذين أوتوا علمه.

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة ولَمَّا يأتكم مثل الَّذين خَلَوا من قبلكم﴾ [٢١٤] أى: ولما يأتكم مثل ابتلاء أو مثل امتحان الَّذين خلوا من قبلكم.

﴿يسألونك ماذا يُنفِقُون﴾ [٢١٥] أى: يسألونك ما مصرف المال الذى ينفقونه.

﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قُلْ قتال فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام﴾ [البقرة:٢١٧] أى: وصد عن توحيد الله أو عن دين الله وكفر بوحدانيته وعن إتيان المسجد الحرام.

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس﴾ [٢١٩] أى: يسألونك عن مباشرة الخمر والميسر، أو عن حكم الخمر والميسر، أو عن تعاطى الخمر والميسر، أو عن ملابسة الخمر والميسر، قل: فى تعاطيهما أو فى مباشرتهما إثم كبير ومنافع للناس، و «فى» ههنا للسببية.

﴿لعلكم تتفكرون * فى الدنيا والآخرة﴾ [٢١٩، ٢٢٠] أى: لعلكم تتفكرون فى إدبار الدنيا وإقبال الآخرة فتسعون للمُقبلة وتتركون المدبرة، أو لعلكم تتفكرون فى فناء الدنيا وبقاء الآخرة فتعملون للباقية وتزهدون فى الفانية، أو لعلكم تتفكرون فى دناءة الدنيا وفضل الآخرة.

﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ [٢٢٠] أى: عن مخالطة اليتامى، أو عن معاملة اليتامى، أو عن أحكام اليتامى.

﴿أولئك يَدْعُونَ إلى النَّار والله يَدْعُو إلى الجنَّة والمغفرة بإذنه﴾ [٢٢١] أى: أولئك يدعون

إلى عمل أهل النَّار، أو إلـى أسباب خلود النَّار، والله يدعـو إلى عمل أهل الجنَّة والمغـفرة بإذنه، أو إلى أسباب خلود الجنَّة والمغفرة بإذنه.

﴿ويسـألونك عن المحيض قـل هو أذًى فـاعـتـزلوا النِّسـاء في المحـيض﴾ [٢٢٢] أي: ويسألونك عن أحكام دم الحيض، **﴿قل هو أذى فاعتزلوا﴾** إتيان النِّساء في أيام الحيض، أو في مدة الحيض.

﴿نساؤكم حَرْثٌ لكم﴾ [٢٢٣] أي نساؤكم مثل مزدرع لكم، والحـرث مصدر يسمى به المحـروث تجوُّزًا، ثم يـسمى به الزرع والـغرس، وهو من التـجـوُّز بلفظ المحل عن الحـال كالتعبير بالصدر عن القلب.

﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه﴾ [٢٢٣] أي: واتقوا عقـاب الله باجتناب قربانهن في الحيض، واعلموا أنكم ملاقو جزائه، أو واتقوا معصية الله، أو مخالفة الله بقربانهن.

﴿ولا تجعلوا الله عُرْضَةَ لأيمانكم أن تَبروا وتَتـقوا وتُصلحوا بين الناس﴾ [٢٢٤] أي: ولا تجعلوا برَّ يمين الله، أو بر قسم الله مـانعًا لما تحلفون عليه من البر والتـقوى، والإصلاح بين الناس.

﴿للذين يُؤلون من نسائهم تَربُّص أربعة أشهر﴾ [٢٢٦] أي: للذين يمتنعـون بالألية من وطء نسائهم، وهذا تضمين، وقد تقدم.

﴿والمطلقات يتـربَّصن بأنفسـهن ثلاثة قروء﴾ [٢٢٨] أي: يتـربصن بإنكاح أنفسـهن أو بتزويج أنفسهن ثلاثة قروء.

﴿تلك حدود الله فـلا تعتدوها ومن يتـعدَّ حدود الله فـأولئك هم الظالمون﴾ [٢٢٩] أي: تلك حدود طـاعة الله فلا تجـاوزوا حدود طاعـة الله إلى حدود معـصيـته، فـإن حمى الله محارمه، ومن يتعدَّ حدود طاعة الله إلى حدود معصيته فأولئك هم الظالمون.

﴿فإن طلقهـا فلا تحل له من بَعْدُ حتى تنكح زوجًا غيـره فإن طلقها فلا جناح عليـهما أن يتراجـعا أن ظنا إن يُقيـما حدود الله وتلك حـدود الله يبينها لقـوم يعلمون﴾ [٢٣٠] أي: فإن طلقها فلا يحل له نكاحـها من بعد التطليقة الثالثة حتى تتـزوج زوجًا غيره فيطأها، ثم تبين

منه بانقضاء العدَّة، فإن طلقها الزوج الثانى فلا جناح عليهما، وعلى الزوج الأول فى تراجعهما إلى النكاح إن ظنَّا أن يُقيما حدود الله فى أمر النكاح.

﴿وتلك حدود﴾ طاعة ﴿الله يبينها لقوم يعلمون﴾ [٢٣٠] أى: أن الله حدد ذلك، أو يبينها لقوم يعلمون ما أمروا به.

﴿وإذا طلقتم النِّساء﴾ [٢٣١] طلاقًا رجعيا فبلغن آخر أجل عددهن، أو فشارفن انقضاء أجل عددهن، أو فقاربن ذلك.

﴿فأمسكوهنَّ بمعروف﴾ [٢٣١] فعلى الأول يكون من مجاز الحذف، وعلى الثانى يكون من مجاز التعبير بالفعل عن مقارنته أو مشارفته.

﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله﴾ [٢٣١].

أى: واتقوا عذاب الله فيما يحرمه فلا تقربوه، وفيما أوجبه فلا تتركوه، أو واتقوا معصية الله، أو مخالفة الله، وتطَّرد هذه التقديرات فى كل موضع يذكر فيه «اتقوا» وتكون المعصية والمخالفة مخصوصتين بما سيق الكلام لأجله من أمر أو نهى ربطًا لبعض الكلام ببعض، ويصح أن يراد بذلك عموم المعصية والمخالفة؛ فيدخل فى عمومها ما سيق الكلام لأجله دخولاً أوليا، وهذا كقوله: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ [البقرة: ٨٩] يحتمل أن يخص الكافرين بمن كفر بمحمد ﷺ، ويحتمل إرادة العموم فيدخل فيه من كفر به دخولاً أوليا.

وأما قوله: ﴿من كان عدوا لجبريل...﴾ [٩٧] الآية، فإن قوله: ﴿فإن الله عدوٌّ للكافرين﴾ [٩٨] مخصوص بمن عادى الله وملائكته ورسله إذْ لا يجوز أن يكون عداوة هؤلاء شرطًا فى عداوة الله لغيرهم، إذْ لا تزر وازرة وزر أخرى.

﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾ [٢٣٢] أى: فلا تعضلوهن أيها الأولياء أن يتزوجن الَّذين كانوا أزواجهن.

﴿لا تُضَارَّ والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾ [٢٣٣] أى: لا تضار والدة والد بطرح ولدها عليه، أو بإلقاء ولدها عليه، أو بدفع ولدها إليه، ولا يضار والد والدة بأخذ ولده منها، أو بنزع ولده منها.

﴿واتقوا الله﴾ [٢٣٣] أى: واتقوا عقاب الله بترك مضارة النساء، أو واتقوا مخالفة الله ومعصيته بمضارتهن، أو واتقوا عقاب الله فيما يتعلق بالرضاع وغيره.

﴿والَّذين يُتَوَفَّوْنَ منكم ويَذَرُونَ أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جُنَاحَ عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف﴾ [٢٣٤] أى: والَّذين تتوفى أنفسهم من أهل ملتكم ويذرون أزواجًا يتربصن بنكاح أنفسهن، أو بتزويج أنفسهن أربعة أشهر وعشرًا، فإذا بلغن أجل عدَّتهن فلا إثم عليكم فى تقرير ما فعلنه فى إنكاح أنفسهن بالتزويج المعروف.

﴿ولا تعزموا عُقْدَةَ النِّكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ [٢٣٥] أى: حتى يبلغ فرض الكتاب أجله، والكتاب: القرآن، وفرضه: العدة؛ أربعة أشهر وعشرا، أو وضع الحمل.

وقيل: حتى يبلغ ما كتبه الله عليهن من العدة أجله، فتجوَّز بالكتاب عن المكتوب كما تجوَّز بالنسج فى قولهم: نسج اليمن عن المنسوج، وبالضرب فى قولهم: ضرب الأمير عن المضروب.

﴿واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه﴾ [٢٣٥] أى: فاحذروا عقابه.

﴿والَّذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جُنَاح عليكم فى ما فعلن فى أنفسهن من معروف﴾ [٢٤٠] أى: والَّذين تتوفى أنفسهم من أهل ملتكم ويشارفون الوفاة وترك الأزواج، فإن خرجن فلا جناح عليكم أيها الأولياء فى تقرير ما فعلنه فى أنفسهن من نكاح معروف.

وقال مجاهد: هو النكاح الطيب الحلال أى: من نكاح عرفتموه من الشرع، وهو النكاح الجامع لشرائط الصحة وقيل: ﴿فى ما فعلن فى أنفسهن﴾ أى: فى تعريض أنفسهن للنكاح، أو فى التزين للخطَّاب، والتقدير: من تزين معروف، أو من تعرُّض للنكاح

معروف لا ينكره الشـرع، وذلك بأن لا تظهر من زينتها ما لا يحل إظهـاره ما عدا النظر إلى وجهها للراغب فى نكاحها.

﴿ألم تَرَ إلى الَّذين خرجـوا من ديارهم وهم أُلوفٌ حَذَرَ الموت﴾ [٢٤٣] أى: ألم تر إلى واقعـة الَّذين خرجـوا من ديارهم، أو إلى حذر الَّذين خـرجوا من ديارهـم، أو إلى إحـياء الَّذين خرجوا من ديارهم بعد مماتهم، أو إلى خروج الَّذين خرجوا من ديارهـم.

﴿وقاتلوا فى سبيل الله﴾ [٢٤٤] أى: وقاتلوا أعـداء الله فى نصرة سبيل الله، وسـبيله: دينه وإعلاء كلمته، وهى لا إله إلا الله.

﴿مَنْ ذا الَّذى يُقْرِض الله قرضًا حسنًا فيضاعفـه له أضعافًا كثيرة﴾ [٢٤٥] أى: فيضاعف ثواب أجره له أضعافًا كثيرة.

﴿ألم تَرَ إلى الملأ من بنى إسـرائيل من بَعْد مُوسى إذْ قالوا لنبى لهم ابعث لنـا ملكًا نُقاتل فى سبيل الله﴾ [٢٤٦] أى: ألم تر إلى صنع الملأ من بنى إسرائيل من بعد موت موسى.

﴿وقال لهم نبيهم إن آية مُلكه أن يأتيكم التَّابوت فيه سكينة من ربِّكم﴾ [٢٤٨] أى: وقال لهم نبيـهم: إن علامة صحة ملكـه أن يأتيكم التابوت فيه سـبب سكينة، أو موجب سكينة صادرة من عند ربكم، أو سمَّاها سكينة لكونها سبـبا لسكينة قلوبهم كما سمَّى الكبش الذى يذبح بين الجَنَّة والنَّار «موتًا» لكونه سببًا للموت، فـإن كل من رآه يموت، وكما سمى فرس جبرائيل عليه السلام: «الحياة» لكونه سببًا للحياة.

﴿قـال إن الله مُبْتَليكم بِنَهَرٍ فمن شـرب منه فليس منِّى ومن لم يَطْعَمْهُ فـإنه منِّى إلا من اغْتَرَفَ غُرْفَةً بيده﴾ [٢٤٩] أى: قال: إن الله مختبركم بتحريم شرب ماء نهر فأيكم شرب من مائه فليس من خـاصتى وأهل ولايتى، أو فليس من أصحـابى، أو فليس من أنصارى على أعدائى، أو فليس من جملتى وأشياعى.

وقال الزمخشـرى: من كرع فيه بغير اغتراف، أى: ابتـدأ شربه منه فليس بمتصل بى، ولا بمتَّحد معى، من قولهم: فلان منى حتى كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما.

وأيكم لم يذق مـاءه، فـإنه من أهل ولايتى، أو من أصـحابى، أو خـاصـتى، أو من

أنصارى على أعدائى، أو من جملتى وأشياعى.

﴿إلا من اغْتَرَفَ غُرْفَةً بيده﴾ [٢٤٩] فإنه منِّى أى: من أهل ولايتى، أو من أصحابى، أو من خاصتى، أو من أنصارى على أعدائى، أو من جملتى وأشياعى، وهذا استثناء من قوله: ﴿فَمَنْ شَرِبَ منه﴾ التقدير: فمن شرب منه فليس منِّى ﴿إلا من اغترف غرفة بيده﴾ فإنه منِّى لأن الاستثناء من الإثبات نفى، ومن النفى إثبات، وَفَصَلَ بين الاستثناء وبين المستثنى منه بقوله: ﴿وَمَنْ لم يَطْعَمْهُ فإنه منِّى﴾ [٢٤٩]، اعتناء بتقديمها، فشربوا من مائه أكثر من غرفة إلا قليلاً منهم.

﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربَّنا أفرغ علينا صبراً وثبِّت أقدامنا وانصُرنا على القوم الكافرين﴾ [٢٥٠] أى: ولما برز الطائعون لقتال جالوت، أو للقاء جالوت قالوا: ربنا أفرغ على قلوبنا صبرًا يجللها ويحيط بها، فإن الصبر عرضٌ ومحلُّه القلب.

ومثله قوله: ﴿لو اطَّلعت عليهم لولَّيت منهم فراراً ولمُلئت منهم رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨] أى: ولملئ قلبك منهم رعبًا؛ لأن محل الرعب القلب.

ومثله قوله: ﴿فَأَنْزَلَ السكينة عليهم﴾ [الفتح: ١٨] أى: على قلوبهم؛ لأن محل السكينة القلوب؛ بدليل قوله: ﴿هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين﴾ [الفتح: ٤].

﴿وَثَبِّتْ أقدامنا﴾ [٢٥٠] فى مواطن القتال حتى لا ننهزم، وأعنا على غلبهم وهزيمتهم، أو على قتلهم وهزمهم، أو على قهرهم بالقتل والهزم.

﴿ولولا دَفْعُ الله النَّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ [٢٥١] أى: ولولا دفع الله إهلاك بعض النَّاس بإصلاح بعض، أو بعبادة بعض، أو بطاعة بعض؛ لفسدت الأرض، هذا قول الجمهور.

وقيل: ولولا دفع الله المشركين عن إفساد الأرض بجنود المسلمين أى: بقتال جنود المسلمين، أو بخوف جنود المسلمين؛ لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخرَّبوا المساجد والبلاد.

﴿فمن يكفر بالطَّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعُرْوة الوثقى﴾ [٢٥٦] أى: فمن

يكفر بربوبية الأوثان، أو بإلهية الأوثان.

وقال ابن عباس: فمن يكفر بعبادة الأوثان ويؤمن بوحدانية الله فقد استمسك بالعروة الوثقى(١).

ويدل عليه قوله: ﴿والَّذين اجتنبوا الطَّاغوت أن يَعْبُدُوها﴾ [الزمر: ١٧] أي: اجتنبوا عبادتها.

وقال عمر بن الخطاب: الطاغوت: الشيطان(٢). والتقدير: فمن يكفر بطاعة الشيطان فيما يزينه من الشرك ويؤمن بوحدانية الله فقد استمسك بالعروة الوثقى.

﴿الله وليُّ الَّذين آمنوا يُخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور والَّذين كفروا أولياؤهم الطَّاغوت يُخرجونهم من النُّور إلى الظُّلمات﴾ [٢٥٧] أي: والله وليُّ إرشاد الَّذين آمنوا، أو ولى هدايتهم، أو ولى الَّذين آمنوا فلا يكلهم إلى غيره والَّذين كفروا أولياء إغوائهم وأولياء إضلالهم الشياطين. والأول أولى ليناسب ذلك قوله: **﴿قَدْ تبين الرُّشد من الغَى﴾** [٢٥٦].

﴿ألم تر إلى الذى حاجَّ إبراهيم فى ربِّه أن آتاه الله الملك﴾ [٢٥٨] أى: ألم تر إلى صنيع الذى جادل إبراهيم فى ربوبية ربه، أو فى وحدانية ربه، أو فى ألوهية ربه فادعى الألوهية لنفسه بسبب أن آتاه الله الملك، أو لأجل أن آتاه الله الملك؛ نقول: حمله بطر الملك على المحاجة، أو وقت أن آتاه الله الملك، أى: وقت إتيانه الملك.

﴿أو كالَّذى مَرَّ على قرية﴾ [٢٥٩] أى: مر على فناء قرية، أو على طريق قرية، أو على أرض قرية، أو على قرب قرية.

ومن قال: وقف على الجبل كان التقدير: مر على جبل قرية.

وعلى قول ابن عباس: مر على سكك قرية، أو دروب قرية، أو أسواق قرية؛ لأنه قال: دخلها وطاف فيها فلم يجد فيها أحدًا(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى ج ٢ ص ١٢٠٦، ١٢٠٧.
(٢) انظر: تفسير القرطبى ج ٨ ص ٥٨٨٧.
(٣) انظر: تفسير القرطبى ج ٢ ص ١٢١١.

﴿ولنجعلك آيةً للنَّاس﴾ [٢٥٩] أي: ولنجعل بعثك دلالة لمن ينكر البعث على جواز البعث وإمكانه.

﴿مثل الَّذين يُنْفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حَبَّة أنبتت سَبْعَ سنابل﴾ [٢٦١] أي: مثل الَّذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل بَاذر حبة، أو كمثل زارع حبة؛ شبَّه الإنفاق بالبذر، وشبَّه النفقة بالحبة، وشبَّه مضاعفة أجرها بإخراج مائة حبة. أو مثل نفقة الَّذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة؛ شبَّه الصدقة بالحبة، أو مثل إنفاق الَّذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل زرع حبة، أو كمثل بذر حبة فى سبيل الله، أي: فى نصرة سبيل الله، وسبيله: الإسلام المؤدى إلى ثوابه ورضاه، أو ينفقون أموالهم فى طاعة الله، فإن طاعته سبيل مؤدية إلى رضاه؛ فيدخل فيه النفقات فى جميع القربات.

﴿يأيها الَّذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى كالَّذى يُنْفق ماله رئاء الناس﴾ [٢٦٤] أي: لا تبطلوا أجور صدقاتكم، أو ثواب صدقاتكم بالمن على آخذيها بأذيتهم، أو بالمن على ربكم والأذى لفقرائكم، كإبطال إنفاق الذى ينفق ماله رئاء الناس.

﴿فمثله كمثل صَفْوَان﴾ [٢٦٤] أي: فمثل حاله كمثل حال زارع صفوان.

﴿لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ [٢٦٤] أي: لا يقدرون على شيء من أجر ما كسبوا، أو من ثواب ما كسبوا.

﴿ومثل الَّذين يُنْفقون أموالهم ابتغاء مَرْضَاة الله وتثبيتًا من أنفسهم كمثل جنَّة بربوة﴾ [٢٦٥] أي: ومثل تضعيف أجور الَّذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا صادرًا من عند أنفسهم كمثل تضعيف ثمار جنَّة بربوة.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ [٢٦٦] أي: تجرى من تحت أشجارها، أو أغصانها، أو ثمارها مياه الأنهار.

﴿إن تُبْدُو الصدقات فَنعماً هى وإن تُخْفُوها وتُؤتوها الفُقَرَاء فهو خيرٌ لكم﴾ [٢٧١] أي: إن تبدوا بذل الصدقات، أو إنفاق الصدقات، أو إخراج الصدقات فنعم شيء إبداء بذلها، أو إبداء إنفاقها، أو إبداء إخراجها، والإبداء: الإظهار، وإن تخفوا بذلها أو إنفاقها أو

إخراجها فإخفاء بذلها خير لكم.

﴿وما تُنْفقوا من خير يُوَفَّ إليكم﴾ [٢٧٢] أى: وما تنفقوا من مال كثير يؤد إليكم أجره، أو ثوابه كاملاً وافيًا مضاعفًا من العشرة إلى سبع مائة، فضمَّن «يوف» معنى يؤد فعدَّاه بـ «إلى».

﴿يمحق الله الربا ويُرْبى الصدقات﴾ [٢٧٦] أى: يمحق الله بركة الربا وفوائده العاجلة والآجلة، ﴿ويُرْبى﴾ ثواب ﴿الصدقات﴾ أو أجر الصدقات.

﴿واتقوا يومًا تُرْجَعون فيه إلى الله ثم تُوَفَّى كل نفس ما كسبت وهم لا يُظْلَمون﴾ [٢٨١] أى: واتقوا عقاب يوم، أو عذاب يوم، أو أهوال يوم ترجعون فيه إلى حكم الله وقضائه، أو إلى موقفه ومقام حسابه.

﴿ثم تُوَفَّى كل نفس﴾ [٢٨١] محسنة أو مسيئة جزاء ما كسبته من إحسان أو إساءة، وجاء بـ «ثم» ليدل على طول القيام بين يديه فى موقف الحساب، وهذا كقوله: ﴿إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦] أى: إن إلى موقف حسابنا أو مقامنا رجوعهم، ثم إن علينا أن نحاسبهم فى ذلك الموقف، أو فى ذلك المقام.

وكذلك قوله: ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وأما قوله: ﴿ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [الأنعام: ٦٠] فالفاء فيه لربط بعض الكلام ببعض لا للتعقيب، والتقدير: فهو ينبئكم.

﴿ولْيَتَّق الله ربَّه﴾ [٢٨٢] أى: وليتق معصية الله، أو عذاب الله ربّه فيما يكتبه.

﴿فليؤد الذى اؤتمن أمانته﴾ [٢٨٣] وليتق الله ربه، أو ليتق الله ربه بأداء الأمانة، أى: وليتق عذاب الله ربه على الامتناع من أداء الأمانة.

﴿كلٌّ آمن بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله لا نُفَرِّق بين أحد من رُسُله﴾ [٢٨٥] أى: كلٌّ آمن بوحدانية الله وعبودية ملائكته وإنزال كتبه وإرسال رسله وإن أخذت الموصوف مع الصفة فلا حاجة إلى حذف.

﴿وإليك المصير﴾ [٢٨٥] أى: وإلى جزائك، أو إلى حكمك المصير.

﴿لا يُكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [٢٨٦] أي: لا يكلف الله نفسًا إلا قدر وسعها، لها ثواب ما كسبته من الخير وعليها وبال ما اكتسبته من الشر.

﴿ربَّنَا ولا تُحَمِّلْنَا ما لا طاقة لَنَا به واعْفُ عنَّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ [٢٨٦] أي: ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بحمله، واعف عن صغائرنا، واغفر لنا كبائرنا، أنت مولانا فأعنا على قهر القوم الكافرين، أو على غلبة القوم الكافرين.

❊ ❊ ❊

سورة آل عمران

﴿ربَّنَا إنك جامع النَّاس ليوم لا ريب فيه﴾ [٩] أى: جامع النَّاس لجزاء يوم، أو لحساب يوم لا ريب عندنا فى إتيانه، أو لا ريب فى إمكانه.

﴿إن الَّذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئًا﴾ [١٠] أى: لن تدفع عنهم أموالهم، ولا أولادهم من عذاب الله وسخطه شيئًا.

﴿قد كان لكم آية فى فئتين التقتا﴾ [١٣] أى: فى أمر فئتين، أو فى شأن فئتين، أو فى غلبة إحدى فئتين لقوله: ﴿ستُغلبون﴾ أو فى نصر إحدى فئتين لقوله: ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾ [١٣].

﴿وَمَنْ يفعل ذلك فليسَ من الله فى شىء﴾ [٢٨] أى: فليس من موالاة الله فى شىء يقع عليه اسم الولاية، يعنى: أنه منسلخٌ من ولاية الله رأسًا، أو فليس من أهل ولاية الله فى شىء.

﴿ويُحَذِّركم الله نفسه﴾ [٢٨] أصله: ويحذركم الله عذابه، فحذف العذاب فانقلب الضمير المجرور المتصل منصوبًا ظاهرًا منفصلاً.

﴿وإلى الله المصير﴾ [٢٨] أى: وإلى جزاء الله المصير.

﴿يَوْمَ تجدُ كُلُّ نفس ما عَمِلَتْ مَنْ خيرٍ مُحْضَرًا﴾ [٣٠] أى: يوم تجد كل نفس جزاء ما عملته من خير محضرًا.

ومثله قوله: ﴿ترى الظَّالمين مُشْفقين مما كسبوا وهو واقعٌ بهم﴾ [الشورى: ٢٢] أى: مشفقين من جزاء ما كسبوا، أو من عقاب ما كسبوا، وجزاؤه واقعٌ بهم، أو وعقابه واقعٌ بهم.

﴿وما عَمِلَتْ من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا﴾ [٣٠] أي: تود لو أن بينها وبين جزائه وعقابه أمدًا بعيدًا.

﴿إن الله اصطفى آدمَ ونوحًا﴾ [٣٣] أي: اصطفى دين آدم ونوح على أديان العالمين، فحذف، ومثله قوله: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢].

و ﴿وإنى أُعيذُهَا بك وذُرِّيتها من الشيطان الرجيم﴾ [٣٦] أي: وإنى أعيذها بقدرتك، أو بتوفيقك، وتقدير بقدرتك أولى؛ إذْ بها قام جميع الأشياء، وأولى منه: بعصمتك؛ لأنه أخص.

﴿من الشيطان الرجيم﴾ أي: من شر الشيطان الرجيم، أو من وسواس الشيطان الرجيم، والأول أعم، ومن شره أنه أراد أن يطعن في جنبه فطعن في الحجاب[1].

﴿مُصَدِّقًا بكلمة من الله﴾ [٣٩] أي: مصدقًا بمقتضى كلمة، أو بموجب كلمة، أو بمدلول كلمة من الله وهو المسيح، أو تجوَّز بلفظ الكلمة عن متعلقها المقول فيه فلا حاجة إلى حذف.

﴿وَسَبِّحْ بالعشى والإبكار﴾ [٤١] أي: وسبح بالعشى وفى حين الإبكار، أي: فى وقت الإبكار.

﴿قال الحواريون نَحْنُ أنصارُ الله آمنا بالله﴾ [٥٢] أي: نحن أنصار دين الله، أو أنصار رسول الله؛ بدليل قوله: ﴿مَنْ أنصارى إلى الله﴾ آمنا بوحدانية الله.

﴿إذ قال الله يا عيسى إنى مُتَوَفيك وَرَافِعُك إلىَّ وَمُطَهِّرك من الَّذين كفروا﴾ [٥٥] أي: إنى متوفى نفسك إذا نزلت إلى الأرض فى آخر الزمان[2]، ورافعك إلى سمائى، ومطهرك من مجاورة الَّذين كفروا، أو من صحبة الَّذين كفروا.

﴿ثم إلىَّ مَرْجِعُكُم﴾ [٥٥] أي: ثم إلى حكمى رجوعكم.

---

(١) انظر الحديث فى البخارى فى بدء الخلق ٣٢٨٦، أحمد فى المسند ١٠٣٩٤.

(٢) نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان، متواتر، وأفرده الحافظ السيوطى والغمارى وغيرهم بالتأليف.

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تُرَاب ثم قال له كُنْ فيكون﴾ [٥٩] أي: إن مثل خلق عيسى عند الله من غير أب كمثل خلق آدم من غير أبوين؛ خلق آدم من تراب، ثم قال له كن موجودًا فكان كذلك، أو ثم قال له: احدث فحدث، فعلى هذا «فيكون» بمعنى: فكان، أو على أن يجعل «فيكون» حكاية لحال ماضية.

﴿فَمَنْ حَاجَّك فيه﴾ [٦١] أي: في أمره، أو في ربوبيته، أو في إلهيته، أو في عبوديته.

﴿لم تُحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾ [٦٥] أي: لم تحاجون في دين إبراهيم، أو في أمر إبراهيم، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعد موته.

﴿إن أولى النَّاس بإبراهيم﴾ [٦٨] أي: بدين إبراهيم، أو ملازمته.

﴿إلا ما دُمْتَ عليه قائمًا﴾ [٧٥] أي: إلا ما دمت على طلبه، أو على اقتضائه. وقال السُّدِّيُّ: قائمًا على رأسه(١).

﴿ليس علينا في الأُميين سبيل﴾ [٧٥] أي: ليس على لومنا في أخذ أموال الأميين سبيل، أو في استحلال أموال الأميين سبيل.

وقال قتادة والسُّدِّيُّ: أي استحلوا أموالهم؛ لإنهم مشركون لا كتاب لهم(٢).

وقال الحسن وابن جريج: لأنهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه(٣).

ولما نزلت الآية قال ﷺ: «**كذب أعداء الله، ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدميَّ إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر**»(٤).

﴿بلى من أوفى بعهده﴾ [٧٦] أي: بلى من أوفى بموجب عهده، أو بمقتضى عهده، أو تجوَّز بالعهد عن مقتضاه ومدلوله لتعلقه به.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٤٦٥.
(٢) انظر: تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٤٦٧.
(٣) نفس المرجع السابق.
(٤) نفس المرجع السابق.

﴿إن الَّذين يَشْتَرون بعـهد الله وأيمانهم ثمنًا قليـلاً﴾ [٧٧] أى: إن الَّذين يشتـرون بوفاء عهد الله وبر أيمانهم ثمنًا قليلاً.

﴿لتؤمِنُنَّ به ولتنصرنَّه﴾ [٨١] أى: لتؤمنن برسالته أو بنبوته، ولتنصرنه على أعدائه، أو لتمنعنه من أعدائه.

﴿فَمَنْ تولَّى بَعْدَ ذلك فأولئك هم الفـاسقون﴾ [٨٢] أى: فمن تولى بعـد ذلك الإقرار، أو بعد ذلك المذكور من الميثاق والإقرار فأولئك هم الفاسقون.

و ﴿ما أوتى النَّبـيون من ربِّهم﴾ [٨٤] أى: من عند ربهم، أو مـن كـتب ربهم، أو من رسائل ربهم.

﴿وشـهدوا أنَّ الرسـول حق﴾ [٨٦] أى: وشـهـدوا أن إرسـال الرسـول، أو أن نبـوة الرسول، أو أن قول الرسول، أو أن دعوة الرسول حق.

﴿أولئك جـزاؤهم أنَّ عليـهم لعنة الله والملائكة﴾ [٨٧] أى: أولئك جزاؤهم أن عـليهم لعنة الله ولعنة الملائكة، فإن جمعت بـين المجاز والحقيقة فلا حاجة إلـى الحذف؛ لاشتمال لعنة الله على الحقيقة والمجاز.

﴿كلُّ الطعام كان حِلا لبنى إسرائيل إلا ما حرَّم إسرائيل على نفسه﴾ [٩٣] أى: أكل كل الطعام، أو تناول كل الطعام كان حلالاً لبنى إسرائيل إلا أكل ما حرَّمه إسرائيل على نفسه.

﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ [٩٣] أى: فاتلوا مضمونها، أو مكتوبها.

﴿فمن افتـرى على الله الكذب من بعد ذلك﴾ [٩٤] أى: فمن افتـرى بعد ذلك القول، وهو قولهم: ﴿كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل...﴾ [٩٣] الآية.

﴿قُلْ صَدَقَ الله﴾ [٩٥] فـيمـا أخـبـر به من تحليل كل الطعـام؛ بدليل قـوله: ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ [الأنعام: ١٤٦] فى قولنا ذلك.

﴿مُبَاركًا وهدًى للعالمين﴾ [٩٦] أى: ومباركًا وذا رشد وصلاح للعالمين.

﴿فـيه آيات بيِّنات مَقَام إبراهيم وَمَنْ دخله كـان آمنًا﴾ [٩٧] أى: فى حرمـه آياتٌ بيناتٌ منها: مقام إبراهيم، ومنها: من دخله كان آمنًا.

﴿ولله على النَّاس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومَنْ كَفَر فإنَّ الله غَنيٌّ عن العالمين﴾ [٩٧] أي: ولله على النَّاس حج البيت من استطاع إلى حجه سبيلاً.

﴿ومن كفر﴾ بإيجاب الحج ﴿فإنَّ الله غني عن﴾ طاعة ﴿العالمين﴾ أو عن حجِّهم إلى بيته، أو عن إيمانهم بوجوب الحج.

﴿ومَنْ يَعْتَصِمْ بالله فَقَدْ هُدِي إلى صراط مُسْتَقيم﴾ [١٠١] أي: ومن يعتصم بحبل الله فقد هُدى إلى صراط مستقيم، وحبله: كتابه، والاعتصام به: العمل بما فيه.

﴿يأيها الَّذين آمنوا اتقوا الله﴾ [١٠٢] أي: اتقوا عقاب الله، أو عذاب الله بفعل ما أوجب وترك ما حرَّم، أو اتقوا معصية الله، أو مخالفة الله.

﴿وكنتم على شَفَا حُفْرَة من النَّار فأنقذكم منها﴾ [١٠٣] أي: فأنقذكم من تلك الحفرة.

﴿وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم﴾ [١١٠] أي: وتؤمنون بدين الله، ولو آمن أهل الكتاب بدين الله لكان إيمانهم خيراً لهم من تكذيبهم به.

﴿مثل ما ينفقون﴾ [١١٧] أي: مثل مهلك ما ينفقون، أو محبط ما ينفقون، أو مبطل ما ينفقون.

﴿والله وَلِيُّهُمَا﴾ [١٢٢] أي: ولى عصمتهما من الهزيمة، أو ولى منعهما منها.

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [١٢٢] أي: وعلى عصمة الله ونصره فليتوكل المؤمنون.

﴿يأيها الَّذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مُضَاعَفَة واتقوا الله لعلَّكم تُفْلحون﴾ [١٣٠] أي: واتقوا عقاب الله باجتناب الربا، أو واتقوا معصية الله، أو مخالفة الله.

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربِّكم وجنَّة عَرْضُهَا السموات والأرض﴾ [١٣٣] أي: وسارعوا إلى أسباب مغفرة من عند ربكم وخلود جنَّة.

﴿والعَافِينَ عن النَّاس﴾ [١٣٤] أي: والعافين عن ذنوب الناس، أو عن إساءة الناس.

﴿ذكروا الله فاستغفروا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [١٣٥] أي: ذكروا عذاب الله، أو ذكروا وعيد الله.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ [١٣٦] أي: تجرى من تحت أشجارها، أو غرفها مياه الأنهار،

أو أشربة الأنهار.

﴿وليُمَحِّصَ الله الَّذين آمنوا﴾ [١٤١] أى: وليمحص الله ذنوب الَّذين آمنوا.

﴿ولقد كنتم تمنَّونَ الموت مِنْ قَبْلِ أنْ تلقوه فَقَدْ رأيتموه وأنتم تَنْظُرون﴾ [١٤٣]. أى: فقد رأيتم سببه حين حل بإخوانكم وأنتم تنظرون.

﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ [آل عمران: ١٤٥] أى: من ثوابها.

﴿ومَنْ يُرِدْ ثوابَ الآخرة نُؤته منها﴾ [١٤٥] أى: من ثوابها.

﴿فما وَهَنُوا لما أصابهم فى سبيل الله﴾ [١٤٦] أى: فى نصرة سبيل الله، أو فى طاعة الله.

﴿بما أشركوا بالله ما لَمْ يُنَزِّلْ به سُلْطَانًا﴾ [١٥١] أى: ما لم ينزل بعبادته، أو بإشراكه، أو بإلهيته حجة وبرهانًا.

﴿ثم صرفكم عنهم﴾ [١٥٢] أى: عن قتالهم ولقائهم.

﴿ولقد عفَا عنكم﴾ [١٥٢] أى: عن معصيتكم الرسول.

﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ [١٥٤] أى: ثم أنزل عليكم من بعد الغم سبب أمن، أو موجب أمن.

﴿وطائفةٌ قَدْ أهمَّتهم أنْفُسهم﴾ [١٥٤] أى: قد أهمهم نجاة أنفسهم، أو خلاص أنفسهم، أو إنقاذ أنفسهم.

﴿والله عليمٌ بذات الصدور﴾ [١٥٤] أى: بالحال ذات القلوب، أو بالأسرار ذات القلوب.

﴿ليجعل الله ذلك حَسْرَة فى قلوبهم﴾ [١٥٦] أى: ليجعل الله مدلول ذلك القول أو موجبه أو مقتضاه سبب حسرة، أو موجب حسرة فى قلوبهم ومقتضى ذلك القول اعتقادهم أنهم لو قعدوا ما ماتوا وما قتلوا، أو ليجعل الله اعتقاد ذلك موجب حسرة، أو سبب حسرة.

﴿لإلى الله تحشرون﴾ [١٥٨] أى: لإلى جزاء الله ترجعون.

﴿فَاعْفُ عَنْهُم﴾ [١٥٩] أى: فاعف عن تقصيرهم فى حقك.

﴿فإذا عَزَمْتَ فتوكَّل على الله﴾ [١٥٩] أى: فإذا عزمت على ما استشرت فيه فتوكل على معونة الله، أو على نصرة الله وتوفيقه.

﴿فَمَنْ ذا الَّذى يَنْصُرُكُمْ من بَعْدِه﴾ [١٦٠] أى: من بعد خذلانه إياكم.

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [١٦٠] أى: وعلى نصرة الله ومعونته فليتوكل المؤمنون.

﴿ثم تُوفَّى كلّ نفس ما كسبت﴾ [١٦١] أى: ثم توفى كل نفس جزاء ما كسبت إن خيرًا فخيرًا، وإن شرا فشرا.

﴿هُمْ درجاتٌ عند الله﴾ [١٦٣] أى: هم أهل درجات، أو هم ذوو درجات، أو أصحاب درجات، أو مستحقو درجات عند الله.

﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادْفَعُوا﴾ [١٦٧] أى: تعالوا قاتلوا فى نصرة سبيل الله، أو ادفعوا العدو بقتالكم عن أهلكم وأموالكم إن لم تقاتلوا فى سبيل الله.

﴿قالوا لو نَعْلَمُ قتالاً لاتَّبعناكم﴾ [١٦٧] أى: لو نعرف مكان قتال ﴿لاتبعناكم﴾ أى: مكانًا يصلح للقتال.

﴿يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم﴾ [١٦٧] أى: يقولون بألسنتهم قولاً ليس مدلوله أو متعلقه أو موجبه أو مقتضاه فى قلوبهم.

﴿ويستبشرون بالَّذين لم يلحقوا بهم مِنْ خَلْفِهِم﴾ [١٧٠] أى: ويستبشرون بفوز الَّذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، أو بنجاة الَّذين لم يلحقوا بهم من خلفهم.

﴿إن النَّاس قَدْ جمعوا لكم فَاخْشَوْهُم﴾ [١٧٣] أى: فاخشوا محاربتهم وقتالهم، أو جمعهم.

﴿إنما ذلكم الشيطانُ يُخَوِّفُ أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [١٧٥] أى: إنما ذلكم الشيطان يُخوفكم بجمع أوليائه فلا تخافوا بأسهم، أو فلا تخافوا جمعهم، أو محاربتهم وقتالهم، أو جمعهم، وخافوا عذابى إن جبنتم عن محاربتهم.

﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ [١٧٩] أى: فآمنوا بوحدانية الله وإرسال رسله.

﴿وإن تؤمنوا﴾ بالوحدانية والرسالة.

﴿وتتقوا﴾ عذاب الله بطاعته واجتناب معصيته فلكم أجر عظيم .

﴿ولا يحسبن الَّذين يَبْخَلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم﴾ [١٨٠] أى: ولا تحسبن بخل الَّذين يبخلون ببذل زكاة ما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم.

وإن جُعِلَتْ فى اليهود كان التقدير: ولا تحسبن بخل الَّذين يبخلون بإظهار ما آتاهم الله فى التوراة من بعث محمد ﷺ هو خيرًا لهم.

﴿سَيُطَوقون ما بَخِلوا به يوم القيامة﴾ [١٨٠] أى: سيطوقون ما بخلوا ببذل زكاته، وهو المال نفسه؛ يصير شُجاعًا أقرع مطوقًا فى أعناقهم على ما جاء فى الحديث الصحيح(١).

وعلى الأخرى: سيطوقون إثم ما بخلوا بإظهاره، أى: سيلزمون إثمه.

﴿ولله ميراثُ السموات والأرض﴾ [١٨٠] أى: ولله ميراث أهل السموات والأرض.

﴿حتى يأتِينَا بِقُرْبَان﴾ [١٨٣] أى: بشرع قربان، أو بطلب قربان، أو باقتضاء قربان.

﴿قل قَدْ جاءكم رُسُلٌ من قبلى بالبينات وبالَّذى قُلْتُم﴾ [١٨٣] أى: فبشرع الذى قلتم، أو بطلب الذى قلتم، أو فباقتضاء الذى قلتم.

﴿كلُّ نفس ذائقة الموت﴾ [١٨٥] أى: ذائقة ألم موت جسدها، أو كرب موت جسدها، فإن النفوس لا تموت، ولو ماتت لما ذاقت الموت فى حال موتها؛ لأن الحياة شرط فى الذوق وسائر الإدراكات.

﴿وما الحياة الدُّنيا إلا مَتَاع الغُرور﴾ [١٨٥] أى: وما متاع الحياة الدنيا، أو وما زهرة الحياة الدنيا، أو وما زينة الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

﴿فنبذوه وراء ظُهورهم﴾ [١٨٧] أى: فنبذوا وفاء الميثاق وراء ظهورهم، أو فنبذوا تبيينه

---

(١) انظر الحديث فى البخارى، كتاب الزكاة ١٤٠٣، مسلم فى الزكاة ٩٨٧، النسائى فى الزكاة ٢٤٤٨، أبو داود فى الزكاة ١٦٥٨، ابن ماجه فى الزكاة ١٧٨٦.

وراء ظهورهم، أو فنبذوا اتباعه وراء ظهورهم، أي: اتباع الكتاب.

﴿وَاشْتَروا به ثمنًا قليـلاً﴾ [١٨٧] أي: واشتروا بكتـمانه، أو بتحريفه، أو بـتبديله ثمنًا قليلاً.

﴿سمعنا مُنَاديًا﴾ [١٩٣] أي: سمعنا نداء منادٍ.

﴿وتَوَفَّنَا مع الأبرار﴾ [١٩٣] أي: وتوف أنفسنا كـائنين مع الأخيار، أي: في صحـبتهم دون صحبة الفجار.

﴿وآتنا ما وَعَدْتَنَا على رُسُلِكَ﴾ [١٩٤] أي: على ألسنة رسلك، أو على اتباع رسلك.

﴿فاستجـاب لهم ربُّهم أني لا أُضيع عَمَلَ عامل منكُم﴾ [١٩٥] أي: لا أضيع أجر عمل عامل منكم؛ لقوله: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ [الكهف: ٣٠].

﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ [١٩٩] أي: بوحدانية الله، أو بدين الله.

﴿لا يشـترون بآيات الله ثمنًا قليـلاً﴾ [١٩٩] أي: لا يشـترون بتـحـريف آيات الله، أو بتبديلها، أو بكتمانها ثمنًا قليلاً.

﴿واتقوا الله﴾ [٢٠٠] أي: واتقوا عذاب الله، أو عقاب الله، أو معصية الله، أو مخالفة الله.

❁ ❁ ❁

سورة النساء

﴿يأيها النَّاس اتقـوا ربَّكم الذى خلقكم من نَفْس واحدة وَخَلَقَ منها زوجـها﴾ [١] أى: واتقوا عذاب ربكم، أو معصية ربكم، أو مخالفة ربكم ﴿الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق﴾ من ضلعها زوجها.

﴿واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾ [١] أى: واتقوا معصية الله، أو عقاب الله، أو مخالفة الله الذى تساءلون باسمه، وقطع الأرحام، والتقدير: واتقوا معصية الله وقطع الأرحام، أفرد قطع الأرحام بالذكر مع اندراجه فى معصية الله ومخالفته اهتمامًا به.

﴿إن الله كان عليكم رقيبًا﴾ [١] أى: إن الله كان على أعمالكم حفيظًا.

﴿وإن خِفْتُمْ أن لا تُقْسطوا فى اليتامى﴾ [٣] أى: فى مهور اليتامى.

﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قيامًا﴾ [٥] أى: جعلها ذات قيام بمصالحكم.

﴿وابتلوا اليتامى﴾ [٦] أى: واختبروا عقول اليتامى، أو تصرفات اليتامى.

﴿فليتقوا الله﴾ [٩] أى: فليتقوا عقاب الله، أو معصية الله.

﴿يُوصيكُم الله فى أولادكم﴾ [١١] أى: فى توريث أولادكم، أو فى قسم إرث أولادكم.

﴿من بَعْد وصيَّة يُوْصى بها أو دَيْن﴾ [١٢] أى: من بعد تنفيذ وصية، أو إخراج وصية يوصى بصرفها، أو بإخراجها، أو قضاء دين، أو وفاء دين.

﴿فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تَرَكْتُم من بعد وصية تُوصون بها أو دَيْن﴾ [١٢] أى:

من بعد إنفاذ وصية توصون بإنفاذها، أو بصرفها، أو بإخراجها، أو قضاء دين، أو وفاء دين.

﴿وإن كان رجلٌ يُورث كَلاَلَة﴾ [١٢] أى: يورث ماله ذا كلالة، أو يورث هو ذا كلالة.

﴿فهم شُرَكاء فى الثلث من بعد وصية يُوصى بها أو دَيْن﴾ [١٢] أى: من بعد تنفيذ وصية يوصى بتنفيذها أو وفاء دين.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ [١٣] أى: تجرى من تحت أشجارها أو من تحت غرفها أشربة الأنهار.

﴿فاستشهدوا عَلَيْهِنَّ أربعة منكم﴾ [١٥] أى: فاستشهدوا على زناهن أربعة منكم.

﴿حتى يَتَوَفَّاهُنَّ الموت﴾ [١٥] أى: حتى يتوفى أنفسهن ملك الموت؛ بدليل قوله: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ [السجدة: ١١]، أو تجوَّز بنسبة التوفى إلى الموت لكونه سببًا.

﴿فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما﴾ [١٦] أى: فأعرضوا عن أذاهما.

﴿إنما التوبة على الله﴾ [١٧] أى: إنما قبول التوبة واجبٌ على الله، أو حقٌّ على الله كقوله: ﴿وكان حقا علينا نَصْرُ المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧].

وكقوله ﷺ لمعاذ بن جبل: «ما حق العباد على الله؟»(١).

﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حَضَرَ أحدهم الموتُ قال إنِّى تُبْتُ الآن ولا الَّذين يموتون وهم كفار﴾ [١٨] أى: وليس قبول التوبة واجبًا على الله أو حقا على الله للذين يعملون السيئات.

وأما قوله: ﴿ولا الَّذين يموتون وهم كفار﴾ فمعناه: وهم كفار حكمًا؛ فهذا من الأوصاف الحكمية، ومثله قوله: ﴿إنه من يأت ربَّه مُجْرِمًا﴾ [طه: ٧٤] وكذلك: ﴿فَيَمُتْ وهو كافر﴾ [البقرة: ٢١٧].

---

(١) أخرجه البخارى فى الجهاد والسير ٢٨٥٦، مسلم فى الإيمان ٣٠، الترمذى فى الإيمان ٢٦٤٣، أبو داود فى الجهاد ٢٥٥٩، ابن ماجه فى الزهد ٤٢٩٦.

أو ولا الَّذين يشارفـون الموت وهم كفار حـقيـقة، وكذلك فـيشارف الموت وهو كـافر حقيقة، ومشارفة الموت عبارة عن حال الغرغرة؛ فإنه لا يقبل فيه إسلام ولا توبة.

﴿حُرِّمَتْ عليكم أمهاتكم﴾ [٢٣] أى: حُرِّمت عليكم أنكحة أمهاتكم.

﴿وأُحِلَّ لكم مـا وراء ذلكم﴾ [٢٤] أى: وأُحل لكم نـكاح من سـوى ذلكـم المحـرم المذكور.

﴿أن تَبْتَغُوا بأموالكم﴾ [٢٤] أى: ببذل أموالكم، أو بإصداق أموالكم.

﴿فما اسـتمتعـتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضـة ولا جناح عليكم فيما تـراضيتم به﴾ [٢٤] أى: بالذى استمتـعتم بوطئه، أو بجماعه، أو بإتيانـه، أو بغشيانه منهن، ﴿ولا جُنَاح عليكم فى﴾ أخذ ﴿ما تراضيتم به﴾.

﴿وآتوهن أجورهن﴾ [٢٥] أى: وآتوا ملاكهن مهورهن، أو سادتهن مهورهن، أو تجوَّز بالإيتاء عن التزام المهر؛ لأن الالتزام سبب للإيتاء، كما ذكرنا.

﴿فإذا أُحْصِن فـإنْ أتين بفاحشـةٍ فعليهن نِصْفُ مـا على المُحْصَنَات من العذاب﴾ [٢٥] أى: فإذا تزوجن، فإن أتين بزنية قبيحة فعليهن نصف ما على الحرائر من الجلد.

﴿إلا أنْ تكون تجـارة عَنْ تَرَاض منكم﴾ [٢٩] أى: إلا أن تكون أمـوال تجارة، أو ذات تجارة صادرة عن تراض صادر منكم.

﴿للرِّجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنِّساء نصيبٌ مما اكتسبن﴾ [٣٢] أى: للرجال نصيبٌ من أجر ما اكتسبوا، أو من ثواب ما اكتـسبوا، وللنسـاء نصيب من أجر ما اكتسبن، أو من ثواب ما اكتسبن.

﴿الرِّجالُ قَوَّامون على النِّساء﴾ [٣٤] أى: الرجال قوامـون على تأديب النساء، أو على مصالح النِّساء.

﴿فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ [٣٤] أى: فلا تطلبوا على أذاهن طريقًا.

﴿ولا يؤمنون بالله﴾ [٣٨] أى: بدين الله.

﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله﴾ [٣٩] أى: وماذا عليهم من الضرر لو آمنوا بدين الله.

﴿وكان الله بهم عليمًا﴾ [٣٩] أى: وكان الله بأعمالهم عليمًا.

﴿وإنْ تَكُ حسنة يُضاعفها﴾ [٤٠] أى: يضاعف أجرها، أو ثوابها.

﴿فنردها على أدبارها﴾ [٤٧] أى: فنردها على جهة أدبارها، أو على صفة أدبارها.

﴿ألم تَرَ إلى الَّذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطَّاغوت﴾ [٥١] أى: ألم تر إلى صنع الَّذين أوتوا نصيبًا من علم الكتاب يؤمنون بربوبية الجبت والطاغوت، أو بإلهيتهما.

﴿فمنهُم مَنْ آمن به ومنهُم مَنْ صَدَّ عنه﴾ [٥٥] أى: فمنهم من آمن بإنزاله ومنهم من امتنع من تصديقه.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ [٥٧] أى: تجرى من تحت ثمارها، أو أغصانها، أو غرفها أشربة الأنهار.

﴿فردُّوه إلى الله والرَّسول﴾[٥٩] أى: فردوه إلى كتاب الله وسنة الرَّسول.

﴿يُريدون أن يتحاكموا إلى الطَّاغوت وَقَدْ أمروا أنْ يكفروا به﴾ [٦٠] أى: يريدون أن يتحاكموا إلى ذى الطاغوت، وهو كعب بن الأشرف، وقد أمروا أن يكفروا بحكمه.

﴿وإذ قيل لهم تَعَالوا إلى ما أنزلَ الله وإلى الرَّسول رأيتَ المُنافقين يَصُدُّون عَنْك صُدُودًا﴾ [٦١] أى: وإذا قيل لهم: تعالوا إلى اتباع ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يمتنعون عن إتيانك امتناعًا.

﴿فأعرض عنهم وَعِظْهُم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغًا﴾ [٦٣] أى: فأعرض عن قتالهم وقل لهم فى شأن أنفسهم، أو فى مصالح أنفسهم، أو فى تخليص أنفسهم من عذاب الله قولاً بليغًا.

﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ [٧٣] أى: من عند الله.

﴿فليقاتل فى سبيل الله الَّذين يَشْرون الحياة الدُّنيا بالآخرة﴾ [٧٤] أى: فليقاتل فى نصرة سبيل الله الَّذين يبتغون الحياة الدنيا بالآخرة، أو بالدار الآخرة وهى الجنَّة.

﴿الَّذين آمنوا يُقَاتلون فى سبيل الله والَّذين كفروا يُقَاتلون فى سبيل الطَّاغوت﴾ [٧٦] أى: الَّذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والَّذين كفروا يقاتلون فى نصرة سبيل الأصنام.

﴿ألم تَرَ إلى الَّذين قيل لهم كُفُّوا أيديَكُم وأقيموا الصَّلاة وآتوا الزكاة فلمَّا كُتب عليهم القتال إذا فريقٌ منهم يَخْشَوْنَ النَّاس كخشية الله أو أشدَّ خشية وقالوا ربَّنَا لِمَ كتبت علينا القتال لولا أخَّرْتَنَا إلى أجل قريب قُلْ متاع الدُّنيا قليلٌ والآخرة خير لمن اتقى ولا تُظْلَمون فتيلاً﴾ [٧٧] أى: ألم تر إلى صنع الَّذين قيل لهم كفوا أيديكم عن القتال، وأقيموا الصلاة، وآتو الزكاة، فلمَّا كتب عليهم القتال إذا فريقٌ منهم يخشون محاربة الناس، أو قتال الناس **﴿كخشية﴾** محاربة الله، أو عقوبة الله **﴿وقالوا ربَّنَا لم كَتَبْتَ علينا القتال﴾** هلاَّ أخرت موتنا إلى أجل قريب **﴿قل متاع الدُّنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾** العذاب، أو العصيان **﴿ولا تظلمون فتيلاً﴾** ولا ينقصون قدر فتيل أو مثل فتيل.

﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [٧٩] التقدير: أى شيء أصابك من نعمة حسنة فهى صادرة من عند الله، وأى شيء أصابك من مصيبة سيئة فهى صادرة من عند نفسك، ونسبة الصدور إلى النفس من مجاز نسبة الشيء إلى سببه.

﴿وَمَنْ تولَّى فما أرسلناك عليهم حفيظًا﴾ [٨٠] أى: ومن تولى فما أرسلناك على أعمالهم حفيظًا، أو فما أرسلناك على قهرهم على الإيمان حفيظًا.

﴿فأعرض عنهم وَتَوَكَّلْ على الله﴾ [٨١] أى: فأعرض عن قتالهم ومناصبتهم، وتوكل على عصمة الله، أو على حفظ الله، أو على نصرة الله.

﴿وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو رَدُّوه إلى الرَّسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الَّذين يستنبطونه منهم﴾ [٨٣] أى: وإذا جاءهم خبرٌ من أخبار الأمن أو أخبار الخوف أذاعوا به، ولو ردوا معرفته إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الَّذين يستنبطونه من قبلهم، أو من عندهم، أو من قبل الرسول وأولى الأمر، أو من عند الرسول وأولى الأمر.

﴿فقاتل فى سبيل الله لا تُكَلَّف إلا نفسك﴾ [٨٤] أى: فقاتل فى نصرة سبيل الله لا

تكلف إلا فعل نفسك، أو كسب نفسك، أو بذل نفسك لله.

﴿من يَشْفَعْ شفاعة حسنة يَكُنْ له نصيبٌ منها وَمَنْ يَشْفَعْ شفاعة سيئة يَكُنْ له كِفْلٌ منها﴾ [٨٥] أي: من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب من أجرها وثوابها، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل من وزرها وعقابها.

﴿وإذا حُيِّيتم بتحيَّة فحيوا بأحسن منها أو رُدُّوها﴾ [٨٦] أي: أو رُدُّوا مثلها.

﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ [٨٨] أي: فما لكم فى قتل المنافقين مختلفين، أو فما لكم فى نفاق المنافقين مختلفين.

﴿ولو شاء الله لسلَّطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ [٩٠] أي: ولو شاء الله لسلطهم على قتالكم فلقاتلوكم.

﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ [٩٠] أي: فما جعل الله لكم على قتالهم سبيلاً.

﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [٩١] أي: وأولئكم جعلنا لكم على قتالهم حجة ظاهرة.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مؤمنًا متعمداً فجزاؤه جهنَّم﴾ [٩٣] أي: فجزاؤه صلى جهنم، أو عذاب جهنم؛ لأن جهنم هى الدار التى فيها النَّار، وهى المغلقة التى لها سبعة أبواب.

﴿والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ [٩٥] أي: والمجاهدون فى نصرة سبيل الله ببذل أموالهم وأنفسهم.

﴿فَضَّلَ الله المجاهدين﴾ ببذل أموالهم وأنفسهم ﴿على القاعدين درجة﴾ [٩٥].

﴿إن الَّذين توفَّاهم الملائكة﴾ [٩٧] أي: إن الَّذين توفى أنفسَهم الملائكة.

﴿وتَرْجُونَ من الله ما لا يَرْجُونَ﴾ [١٠٤] أي: وترجون من نصر الله، أو من أجر الله، أو من ثواب الله العاجل والآجل ما لا يرجون مثله؛ ليندرج فيه الأجر والنصر جميعًا.

ومثله قوله: ﴿وأثابهم فتحًا قريبًا﴾ [الفتح: ١٨].

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ [١٠٥] أي: بسبب إقامة الحق.

﴿ولا تَكُنْ للخَائنين خَصيمًا﴾ [١٠٥] أي: ولا تكن لأجل الخائنين مُخاصمًا عنهم.

﴿أمَّن يكون عليهم وكيلاً﴾ [١٠٩] أي: أمَّن يكون على إنقاذهم من عذاب الله وكيلاً.

﴿ومَنْ يكسب خطيئةً أو إثمًا ثم يَرْمِ به بريئًا فقد احتمل بُهْتَانًا وإثمًا مُبينا﴾ [١١٢] أي: ثم يرم بمثله بريئًا منه فقد احتمل وزر بهتان.

﴿لا خَيْرَ في كثيرٍ من نجواهم إلا مَنْ أَمَرَ بصدقة﴾ [١١٤] أي: لا خير في كثير من أهل نجواهم، أو من ذوي نجواهم إلا من أمر بصدقة، أو لا خير في كثير من نجواهم إلا نجوى من أمر بصدقة.

﴿ويستفتونك في النِّساء قل الله يُفْتيكم فيهن ومَا يُتْلى عليكم في الكتاب في يتامى النِّساء﴾ [١٢٧] أي: ويستفتونك في توريث النِّساء. قل الله يفتيكم في توريثهن، وما يتلى عليكم في الكتاب في توريث يتامى النِّساء، أو في نكاح يتامى النِّساء.

﴿ولَقَدْ وصَّينا الَّذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيَّاكم أنِ اتقوا الله﴾ [١٣١] أي: ولقد وصينا الَّذين أوتوا علم الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا معصية الله، أو عقوبة الله بفعل الواجبات وترك المحرمات.

﴿إن يَكُنْ غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ [١٣٥] أي: فالله أولى بأمرهما أو شأنهما.

﴿يأيها الَّذين آمَنُوا آمِنُوا بالله ورسوله والكتاب الَّذي نَزَّلَ على رسوله والكتاب الَّذي أنزل من قَبْل ومن يكفر بالله وملائكته وكُتُبِهِ ورُسله واليوم الآخر فقد ضَلَّ ضلالاً بعيدًا﴾ [١٣٦] أي: يأيها الَّذين آمنوا آمِنوا بوحدانية الله، وإرسال رسوله، والكتاب الذي أنزل على الرسل من قبل محمد، ومنْ يكفر بوحدانية الله، وعبودية ملائكته، وإنزال كتبه، وإرسال رسله، واليوم الآخر فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً.

﴿فإنْ كان لكم فتحٌ من الله قالوا ألم نَكُنْ معكم وإنْ كان للكافرين نصيبٌ قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكُم بينكُم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ [١٤١] أي: فإن كان لكم فتح من عند الله قالوا: ألم نكن معكم، وإن كان للكافرين نصيبٌ قالوا: ألم نتولى على حفظكم ونمنعكم من شرِّ المؤمنين، أو من قتل

المؤمنين، أو من أذى المؤمنين، فالله يحكم بينكم يوم القيامة، ولن يجعل الله للكافرين على إفحام المؤمنين أو على غلبة المؤمنين، أو على خصم المؤمنين يوم القيامة سبيلاً.

﴿لا يُحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِم﴾ [١٤٨] أي: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا جهر من ظُلِم، أو لا يُحب الله ذا الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِم.

﴿إن الَّذين يكفرون بالله ورسله﴾ [١٥٠] أي: إن الَّذين يكفرون بدين الله وإرسال رسله.

﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾ [١٥٤] أي: بسبب أخذ ميثاقهم.

﴿وإن الَّذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه﴾ [١٥٧] أي: وإن الَّذين اختلفوا في إلهيته، أو في عبوديته، أو في أمره **﴿لفي شكٍّ﴾** من قتله.

﴿بل رَفَعَه الله إليه﴾ [١٥٨] أي: بل رفعه الله إلى سمائه.

﴿وإنْ مِنْ أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قَبْلَ موته﴾ [١٥٩] أي: وما أحدٌ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعبوديته قبل موت المسيح، أو قبل موت الكتابي.

﴿وأَخْذهم الربا وَقَدْ نُهوا عنه﴾ [١٦١] أي: وقد نُهوا عن أخذه.

﴿كما أوحينا إلى نوح والنَّبيين من بعده﴾ [١٦٣] أي: من بعد موته.

﴿ورسلاً قَدْ قصصناهم عليك من قَبْلُ ورسلاً لم نَقْصُصهم عليك﴾ [١٦٤] أي: ورسلاً قد قصصنا أخبارهم عليك من قبل، ورسلاً لم نقصص أخبارهم عليك.

﴿رُسُلاً مُبَشِّرين وَمُنْذِرين لئلا يكون للنَّاس على الله حُجَّة بعد الرُّسل﴾ [١٦٥] أي: بعد إرسال الرسل.

﴿ومن يَسْتَنْكِف عن عبادته وَيَسْتكْبِر فسيحشرهم إليه جميعًا﴾ [١٧٢] أي: فسيحشرهم إلى موقف حسابه جميعًا.

﴿يأيها النَّاس قد جاءكم برهانٌ من ربِّكم وأنزلنا إليكم نورًا مُبينًا﴾ [١٧٤] أي: قد جاءكم

ذو برهان أو صاحب برهان من عند ربكم.

﴿**فأما الَّذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمةٍ منْه وفضل**﴾ [١٧٥] أى: فأما الَّذين آمنوا بوحدانيـة الله واعتصـموا بنوره الذى أنزله، أى: واعتـصموا من عـذابه باتباع الرسول ﷺ، أو بالنور المبين الذى أنزله، أو اعتصموا من عذابه باتباع النُّور المبين.

﴿**ويهديهم إليه صراطًا مستقيمًا**﴾ [١٧٥] أى: ويهـديهم إلى ثوابه أو إلى دار كـرامتـه صراطًا مستقيمًا.

﴿**قُل الله يُفْتيكم فى الكَلالة**﴾ [١٧٦] أى: فى توريث الكلالة.

﴿**وهو يَرِثُهَا إن لم يكُنْ لها ولد**﴾ [١٧٦] أى: وهو يرث مالها إن لم يكن لها ولد.

﴿**يبين الله لكم أن تَضِلُّوا**﴾ [١٧٦] أى: يبين الله لكم كراهة أن تضلوا، أو لئلا تضلوا.

❁ ❁ ❁

سورة المائدة

﴿يأيها الَّذين آمنوا أوفوا بالعقود أُحِلَّتْ لكم بهيمة الأنعام إلا ما يُتْلَى عليكم﴾ [١] أي: يأيها الَّذين آمنوا أوفوا بمقتضى العقود، أو بموجب العقود.

﴿أُحِلَّ لكم﴾ أكل ﴿بهيمة الأنعام إلا﴾ أكل ﴿ما يُتْلى عليكم﴾ تحريمه من الميتة والدم، وما ذكر بعدهما.

﴿يأيها الَّذين آمنوا لا تُحلُّوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القَلائد﴾ [٢] أي: لا تُحلوا ترك مناسك الله، ولا حرمة الشهر الحرام، أو ولا قتال الشهر الحرام، ولا صدَّ الهدى عن إتيان البيت الحرام، ولا صدَّ ذوات القلائد عن محلها، أو ولا أخذ القلائد من لحاء شجر الحرم، أو ولا انتزاع القلائد من لحاء شجر الحرم، ﴿واتقوا﴾ عقاب ﴿الله﴾ بفعل ما أوجب وترك ما حرم، أو واتقوا عقاب الله بترك التعاون على الإثم والعدوان.

﴿حُرِّمَتْ عليكم﴾ أكل ﴿الميتة﴾ [٣] أي: تناول الميتة.

﴿اليوم يئس الَّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخْشَوْنِ﴾ [٣] أي: اليوم يئس الَّذين كفروا من إبطال دينكم، أو من ترككم دينكم، فلا تخشوا ظهورهم عليكم وغلبتهم إياكم، واخشوا عذابي إن تركتم أمرى.

﴿يسألونك ماذا أُحِلَّ لهم﴾ أكله أو تناوله، ﴿قل أُحِلَّ لكم الطَّيبات﴾ [٤] أي: أكل الطيبات، أو تناول الطيبات، وأكل صيد ما علمتم، على قول بعضهم.

﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ [٤] أي: على إرساله، أي: على إرسال ما علمتموه من الجوارح.

﴿واتقوا الله﴾ [٤] أي: اتقوا مخالفة الله، أو عقاب الله فى الاصطياد وغيره.

﴿اليوم أُحِلَّ لكم الطَّيِّبات وطعام الَّذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم وطعامكم حِلٌّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الَّذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ [٥] أى: اليوم أُحِل لكم أكل الطيبات، أو تناول الطيبات؛ ليعم المأكول والمشروب، وأكل طعام الَّذين أوتوا علم الكتاب من قبلكم حلالٌ لكم، وأكل طعامكم حلالٌ لهم، وتزوج المُحصنات من المؤمنات حلالٌ لكم، وتزوج المُحصنات من الَّذين أوتوا علم الكتاب كذلك.

﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ [٥] أى: ومن يكفر بمقتضى الإيمان فقد حبط عمله، أو تجوَّز بالإيمان عن متعلقه، وهو التوحيد، أو ومن يكفر بكلمة الإيمان وهى: «لا إله إلا الله» فقد حبط عمله.

﴿فَكَفَّ أيديهم عَنْكُم﴾ [١١] أى: فكفَّ أيديهم عن قتلكم، أو عن قتالكم، أو عن أذيتكم.

﴿واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [١١] أى: واتقوا معصية الله، أو عذاب الله، وعلى عصمة الله ونصره فليتوكل المؤمنون.

﴿فاعْفُ عَنْهُم﴾ [١٣] أى: فاعف عن إساءتهم.

﴿ومن الَّذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ [١٤] أى: ومن الَّذين قالوا: إنا نصارى أخذنا مثل ميثاق اليهود:

﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾ [١٥].

أى: قد جاءكم من عند الله نور وكتاب مبين.

﴿قُلْ فَمَنْ يملك من الله شيئًا ﴾ [١٧] أى: قل فمن يملك من دفع مراد الله شيئًا .

﴿نحن أبناء الله وأحبَّاؤه﴾ [١٨] أى: نحن مثل أبناء الله وأحبائه.

﴿وإلى الله المصير﴾ [١٨] أى: وإلى جزاء الله المصير.

﴿أن تقولوا ما جاءنا من بشير﴾ [١٩] أى: كراهة أن تقولوا ما جاءنا من بشير.

﴿من الَّذين يخافون﴾ عذاب الله ﴿وعلى﴾ نصر ﴿الله﴾ وعصمته أو معونته ﴿فتوكلوا

إن كنتم مؤمنين﴾ [٢٣].

﴿قال ربِّ إني لا أملكُ إلا نَفْسي﴾ [٢٥] أي: لا أملك إلا فعل نفسي، أو كسب نفسي، أو أمر نفسي.

﴿قال فإنَّهَا مُحَرَّمة عليهم أربعين سنة﴾ [٢٦] أي: قال: فإن دخولها محرَّمٌ عليهم أربعين سنة.

﴿يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ [المائدة: ٢٦] أي: فلا تحزن على تيههم أربعون سنة.

﴿إني أُريدُ أنْ تبوء بإثمي﴾ [٢٩] أي: بإثم قتلي، أو بإثم قتلك إياي.

﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرئيل﴾ [٣٢] أي: من أجل مثل ذلك القتل قضينا على بني إسرائيل، أن الشأن ﴿من قتل نفسًا بغير﴾ قتل ﴿نفس أو﴾ بغير ﴿فساد في الأرض﴾ ﴿فكأنما قتل النَّاس جميعًا ومن أحياها﴾ [٣٢] أي: أنقذها من سببٍ مُهلك كالغرق والحرق ﴿فكأنما أحيا النَّاس جميعًا﴾ [٣٢] نسب الإحياء إليه لتسببه في بقاء الحياة بدفع السبب المهلك.

﴿من قبل أن تقدروا عليهم﴾ [٣٤] أي: من قبل أن تقدروا على أخذهم.

﴿يأيها الَّذين آمنوا اتقوا﴾ عقاب ﴿الله﴾ بفعل ما أوجب وترك ما حرم ﴿وجاهدوا في﴾ طاعته أو في نصر ﴿سبيله﴾.

﴿والسَّارق والسَّارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نَكالاً من الله﴾ [٣٨] أي: نكالاً من عند الله.

﴿لا يَحْزُنك الَّذين يُسَارعون في الكفر﴾ [٤١] أي: لا يحزنك كفر الَّذين يسارعون في الكفر، أو مسارعة الَّذين يسارعون في الكفر.

﴿سمَّاعون للكذب﴾ [٤١] أي: سماعون حديثك لأجل الكذب عليك.

﴿سمَّاعون لقوم آخرين﴾ [٤١] أي: سماعون لأجل قوم آخرين.

﴿يُحرفون الكلم مِنْ بعد مواضعه﴾ [٤١] أى: من بعد أن وضعه الله مواضعه.

﴿ومَنْ يُرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا﴾ [٤١] أى: فلن تملك له من دفع فتنة الله شيئًا، أو من دفع مراد الله شيئًا.

﴿يَحكُم بها النَّبيون﴾ [٤٤] أى: يحكم بأحكامها ومقتضياتها النَّبيون.

﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا﴾ [٤٤] على صحته وصدقه ﴿شهداء﴾.

﴿فلا تخشوا﴾ ضرار ﴿الناس﴾ أو أذية النَّاس فتحكموا بغير ما أنزلت واخشوا عذابى إن حكمتم بغير ما أنزلت فى كتابى.

﴿وكَتَبْنَا عليهم فيها أنَّ النَّفْسَ﴾ [٤٥] مقتولة بقتل النفس، والعين مفقوءة بفقء العين، والأنف مجدوع بجدع الأنف، والأذن مصلومة بصلم الأذن، أو مقطوعة بقطع الأذن، والسن مقلوعة بقلع السن.

﴿والجروح﴾ أسباب ﴿قصاص﴾ أو موجبات قصاص، ﴿فمن تصدَّق﴾ بالقصاص فالتصدق به كفارة لذنبه.

﴿ومن لم يحكم﴾ بحكم ما أنزل الله أى: بمقتضى ما أنزله الله، أو بموجب ما أنزله الله ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ [٤٥].

وكذلك فى الآيتين الأخريين.

وفى قوله: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ [٤٩] أى: بمقتضى ما أنزل الله.

﴿وَقَفَّيْنَا على آثارهم بعيسى ابن مريم﴾ [٤٦] أى: واتبعناهم على طريقتهم بإرسال عيسى ابن مريم.

﴿وَمُهَيْمنًا عليه﴾ [٤٨] أى: وشاهدًا على صحته وصدقه.

﴿ولو شاء الله لجعلكم﴾ [٤٨] أهل ملة واحدة: ملة الإسلام.

﴿فاعلم أنما يريد الله أن﴾ يُعذبهم ﴿ببعض ذنوبهم﴾ ﴿فترى الَّذين فى قلوبهم مرضٌ يُسارعون فيهم﴾ [٤٩] أى: يُسارعون فى توليتهم، أو فى موالاتهم.

﴿حبطت أعمالهم﴾ الحسنة بنفاقهم ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ ثواب أعمالهم.

﴿لا تتخذوا الَّذين اتخذوا دينكم هزواً ولعبًا﴾ [٥٧] أى: محل هزء ولعب، أو ذا هزء ولعب، أو مهزوًا به وملعوبًا به.

﴿واتقوا الله﴾ [٥٧] أى: واتقوا عقاب الله بترك موالاتهم، أو اتقوا مخالفة الله بموالاتهم.

﴿وإذا ناديتم إلى الصَّلاة اتخذوها هُزُواً ولعبًا﴾ [٥٨] أى: اتخذوها محل هزء ولعب، أو ذات هزء ولعب، أو مهزوًا بها وملعوبًا بها.

﴿قل يا أهل الكتاب هل تَنْقمون منَّا إلا أن آمنا بالله﴾ [٥٩] أى: هل تكرهون من ديننا إلا إيماننا بوحدانية الله، أو هل تكرهون من أفعالنا إلا إيماننا.

﴿قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله مَنْ لعنه الله﴾ [٦٠] أى: قل هل أنبئكم بدين شرٍّ من ذلك الدين الذى نقمتموه منا، عقوبة عند الله: هو دينُ من لعنه الله.

﴿ولو أنَّهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾ [٦٦] أى: ولو أنهم أقاموا تكاليف التوراة والإنجيل، أو أداموا اتباع التوراة والإنجيل.

﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ [٦٦] أى: لأكلوا من فوق رءوسهم ومن تحت أرجلهم.

﴿والله يَعْصِمُكَ من النَّاس﴾ [٦٧] أى: يعصمك من أذية النَّاس بالقتل حتى تبلغ رسالته.

﴿لستم على شىء حتى تُقيموا التوراة والإنجيل﴾ [٦٨] أى: حتى تقيموا تكاليف التوراة، أو اتباع التوراة، أو أحكام التوراة.

﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعًا﴾ [٧٦] أى: ما لا يملك لكم دفع ضر أو جلب نفع، وترك الحذف أولى لقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ [يونس: ١٨] قيل: ما لا يضرهم إن تركوا عبادته، ولا ينفعهم إن عبدوه، وقيل: ما لا يضرهم فى حال من الأحوال، ولا ينفعهم كذلك.

﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنَّبى﴾ [٨١] أى: ولو كانوا يؤمنون بدين الله ونبوة النبى أو إرسال النبى.

﴿لا تُحَرِّموا طيبات ما أَحَلَّ الله لكم﴾ [٨٧] أى: لا تحرموا أكل طيبات ما أحله الله لكم، أو لا تحرموا تناول طيبات ما أحله الله لكم.

﴿واتقوا الله﴾ [٨٨] أى: واتقوا مخالفة الله، أو معصية الله.

﴿واحفظوا أيمانكم﴾ [٨٩] أى: واحفظوا برَّ أيمانكم.

﴿يأيها الَّذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ [٩٠] أى: إنما شرب الخمر، والقمار، واستقسام الأزلام، أو وإجالة الأزلام، وعبادة الأنصاب، أو وذبح الأنصاب رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه.

﴿إنما يُريد الشيطان أن يُوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر﴾ [٩٠] أى: إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى شرب الخمر والقمار، أى: بسبب شرب الخمر والقمار، أو فى وقت شرب الخمر، والقمار.

﴿يأيها الَّذين آمنوا ليبلونَّكُم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يَخَافه بالغيب﴾ [٩٤] أى: ليختبرنكم الله بتحريم شىء من المصيد، أو بسنوح شىء من المصيد، أو باعتراض شىء من المصيد تناله أيديكم ورماحكم، ليعلم الله من يخاف عذابه بالغيب.

﴿وَمَنْ قتله منكم مُتَعَمِّدًا فجزاءٌ مثلُ ما قتل من النَّعم﴾ [٩٥] أى: فعليه ذبح جزاء أو بذل جزاء مثل ما قتله كائنًا من النَّعم، أو كفارة، أى: أو بذل كفارة، أو إخراج كفارة.

﴿أُحلَّ لكم صيد البحر﴾ [٩٦] أى: أُحل لكم أكل مصيد البحر.

﴿وَحُرِّمَ عليكم صيد البر﴾ [٩٦] أى: وحُرم عليكم أكل مصيد البر.

﴿واتقوا الله الذى إليه تُحشرون﴾ [٩٦] أى: واتقوا عقاب الله ـ باجتناب ما حرَّمه من المأكولات ـ الذى إلى جزائه تحشرون.

﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للنَّاس﴾ [٩٧] أى: جعل الله حرمة الكعبة البيت الحرام سببَ قيامٍ لمصالح الناس، أو ذات قيامٍ لمصالح الناس.

﴿وإن تَسْألوا عنها﴾ [١٠١] أى: عن مثلها.

ومثله قوله: ﴿ما قطعتم من لِينَةٍ أو تركتموها قائمةً على أُصُولها﴾ [الحشر: ٥] معناه: أو تركتم مثلها قائمة على أصولها، فإن المقطوعة لا تبقى قائمة على أصولها.

﴿قَدْ سألها قومٌ من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾ [١٠٢] أى: قد سأل عن مثلها قومٌ من قبلكم، ثم أصبحوا بحكمها أو بجوابها كافرين.

﴿ما جعل الله من بَحِيرَةٍ ولا سائبة﴾ [١٠٣] أى: ما شرع الله من تحريم أكل بحيرة أو نفع بحيرة.

﴿يأيها الَّذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ [١٠٥] أى: عليكم إصلاح أنفسكم، أو تأديب أنفسكم.

﴿إلى الله مرجعكم جميعًا فينبئكم بما كُنْتُم تعملون﴾ [١٠٥] أى: إلى موقف حساب الله، أو إلى مقام الله رجوعكم جميعًا، فيخبركم فى ذلك الموقف، أو فى ذلك المقام بما كنتم تعملون.

﴿يأيها الَّذين آمنوا شهادة بَيْنِكُمْ إذا حَضَرَ أحدكم الموت﴾ [١٠٦] أى: سبب الموت، أو مرض الموت.

﴿اثنان ذوا عَدْلٍ منكم أو آخران من غَيْرِكُم﴾ [١٠٦] أى: شهادة اثنين ذوى عدل من أهل دينكم، أو شهادة آخرَيْن من غير أهل دينكم.

﴿وإذ كَفَفْتُ بنى إسرائيل عنْكَ﴾ [١١٠] أى: عن قتلك.

﴿أن آمنوا بى وبرسولى﴾ [١١١] أى: أن آمنوا بوحدانيتى وبإرسال رسولى.

﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع﴾[1] سؤال ﴿ربُّك﴾ أو دعاء ربِّك

(١) الرواية الواردة هنا بالخطاب على قراءة الكسائى، مع نصب باء «ربك» والباقون ومنهم حفص عن عاصم بياء الغيبة ورفع باء «ربك» (انظر شرح الشاطبية للشيخ الضباع ص ١٨٩).

﴿قال اتقوا﴾ عذاب ﴿الله﴾ [١١٢] بترك هذا السؤال، أو اتقوا مسألة الله إنزال المائدة.

﴿تكون لنا عيداً﴾ أي: تكون لنا طعام عيد ﴿وآية منك﴾ [١١٤] أي: وآية من عندك.

﴿فمن يكفر بَعْدُ منكم فإنِّي أُعذبه عذابًا لا أُعذبه أحداً من العالمين﴾ [١١٥] أي: فمن يكفر بعد إنزالها منكم فإنِّي أعذبه عذابًا لا أعذب مثله أحدًا من العالمين.

﴿ما قُلتُ لهم إلا ما أمرتني به﴾ [١١٦] أي: ما قلتُ لهم إلا ما أمرتني بإبلاغه إليهم.

﴿وكُنْتُ عليهم شهيداً ما دُمْتُ فيهم فلمَّا توفَّيتني كُنْتَ أنتَ الرقيب عليهم﴾ [١١٧] أي: وكنتُ على أعمالهم شهيدًا ما دمت فيهم فلمَّا توفيتني إلى السماء كنت أنت الحفيظ على أعمالهم.



سورة الأنعام

﴿وَمَا تأتيـهم من آية من آيات ربِّهم إلا كـانوا عنهـا مُعْرضين﴾ [٤] أي: إلا كـانوا عن تأملها، أو تدبرها، أو استماعها معرضين.

﴿وجـعلنا الأنهار تجـرى من تحتـهم﴾ [٦] أي: وجـعلنا مـياه الأنهـار تجـرى من تحت مجالسهم، أو من تحت منازلهم.

﴿فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بَعْدهم قرنًا آخرين﴾ [٦] أي: فأهلكنا كل واحد منهم بذنبه وأنشأنا من بعد إهلاكهم قرنًا آخرين.

﴿ولو جعلناه مَلَكًا لجعلناه رَجُلاً﴾ [٩] أي: لجعلناه مثل رجل، أي: فى صورة رجل.

﴿لأُنذركُم به وَمَنْ بَلَغ﴾ [١٩] أي: لأخوفكم بوعيده، ومن بلغه القرآن، أي: وأخوف من بلغـه القرآن، وإن جـمـعت بين المجاز والحـقيـقـة فلا حـذف؛ لأن لأخوفكم جـامعٌ للحقيقة، والمجاز نسبة الفعل إلى الآمر به لقوله ﷺ: «بلغوا عنى ولو آية»(١).

﴿وإننى برىء مما تُشْرِكـون﴾ [١٩] أي: وإننى برىء من عـبـادة ما تشـركـون، أو من شرككم.

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعـرفونه كما يعـرفون أبناءهم﴾ [٢٠] أي: الَّذين آتينـاهـم علم الكتاب يعرفون محمداً بنعته كما يعرفون أبناءهم، أو يعرفون نبوته كما يعرفون بنوة أبنائهم.

﴿ثم لم تكن فتنتـهم إلا أن قالوا والله ربِّنا ما كُنَّا مُشْرِكين﴾ [٢٣] أي: ثم لم تكن عاقـبة فتنتهم إلا قولهم: والله يا ربنا(٢) ما كنا مشركين.

---

(١) أخرجـه: البـخارى فى أحـاديث الأنبيـاء ٣٤٦١، الترمـذى فى العلم ٢٦٦٩، أحمـد فى المسند ٦٤٤٢، الدارمى فى المقدمة ٥٤٢.

(٢) هذا التفسيـر على قراءة حمزة والكسائى بنصب باء «ربنا» على النداء، والباقـون بالكسر على البدل (شرح الشاطبية للشيخ الضباع ص ١٩٠)

﴿وجعلنا على قلوبهم أكِنَّة أن يفقهوه﴾ [٢٥] أى: كراهة أن يفهموه، أو لـئلا يفهموه عند الكوفى.

﴿وإنْ يَرَوْا كلَّ آية﴾ [٢٥] معجزة لا يصدقوك بسبب رؤيتها.

﴿ولو ترى إذْ وُقِفُوا على النَّار﴾ [٢٧] أى: على شفير النَّار، أو على صراط النَّار.

﴿ولو ترى إذْ وُقِفُوا على ربِّهم﴾ [٣٠] أى: على موقف حساب ربهم.

﴿قد خسر الَّذين كذَّبوا بلقاء الله﴾ [٣١] أى: كذبوا بلقاء جزاء الله.

﴿يا حسرتنا على ما فَرَّطْنَا فيها﴾ [٣١] أى: فى سعيها والاستعداد لها.

﴿وما﴾ هذه ﴿الحياة الدُّنيا إلا لعبٌ ولهو﴾ [٣٢] أى: وما دار هذه الحياة الدنيا إلا دار لعب ولهو، أو ما هذه الحياة الدنيا إلا ذات لعب ولهو، أو وما أهل هذه الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو، أو إلا ذوو لعب ولهو.

﴿ثم إليه يُرجعون﴾ [٣٦] أى: ثم إلى جزائه يرجعون.

﴿ثم إلى ربِّهم يُحشرون﴾ [٣٨] أى: ثم إلى جزاء ربهم يُجمعون.

﴿مَنْ يشأ الله﴾ إضلاله ﴿يُضْلِلْه ومَنْ يشأ﴾ هدايته ﴿يجعله على صراط مستقيم﴾ [٣٩].

﴿بل إيَّاه تَدْعُون﴾ [٤١] إلى كشف العذاب فيكشف ما تدعونه إلى كشفه، وتتركون دعاء ما كنتم تشركون.

﴿وأنذر به الَّذين يَخَافون أن يُحشروا إلى ربِّهم﴾ [٥١] أى: وأنذر بوعيده الَّذين يخافون أن يحشروا إلى موقف ربهم.

﴿وكذلك فتنَّا بعضهم ببعض﴾ [٥٣] أى: وكذلك اختبرنا أغنياءهم بسبق فقرائهم إلى الإيمان.

﴿قل إنِّى على بينة من ربِّى﴾ [٥٧] أى: قل: إنى على حجة ظاهرة من معرفة ربى، أو من توحيد ربى.

﴿وكذَّبتم به﴾ أي: وكذبتم بتوحيده.

﴿وهو الذى يتوفى﴾ أنفسكم فى الليل ويعلم ما كسبتموه فى النهار ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ [٦٠] أي: ثم إلى موقف حسابه رجوعكم.

﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفَّته رُسُلنا﴾ [٦١] أي: حتى إذا جاء أحدكم ملك الموت، أو سبب الموت، توفَّت نفسه رسلنا. أو وصف الموت بالمجيء من المجاز.

﴿ثم رُدُّوا إلى الله مَوْلاهم الحق﴾ [٦٢] أي: ثم رُدُّوا إلى حكم الله مولاهم الحق.

﴿وكذَّبَ به قومك وهو الحق﴾ [٦٦] أي: وكذب بوعيده، أو بإخباره، أو بإنزاله قومك.

﴿قل لست عليكم بوكيل * لكلِّ نبأ مُسْتَقَرٌّ وسوف تعلمون﴾ [٦٦، ٦٧] أي: قل: لست على هدايتكم بوكيل، أو لست على قهركم على الإيمان بوكيل ﴿لكلِّ نبأ﴾ كذبتموه استقرار، أو وقت استقرار، أو مكان استقرار، وسوف تعرفون صدق ما كذبتموه من أخباره.

﴿وإذا رأيت الَّذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينَّكَ الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ [٦٨] أي: وإذا رأيت الَّذين يخوضون فى تكذيب آياتنا، أو فى إبطال آياتنا بالاستهزاء والتكذيب فأعرض عن مجالستهم أو عن مقاعدتهم ﴿حتى يخوضوا فى حديث﴾ غير الخوض فى آياتنا ﴿وإما يُنسينَّكَ الشيطان﴾ النهى عن مقاعدتهم فلا تقعد بعد ذكرك النهى عن مقاعدتهم مع القوم الظالمين.

﴿وما على الَّذين يَتَّقُون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلَّهم يَتَّقُون﴾ [٦٩] أي: وما على الَّذين يتقون من حساب الخائضين من شيء ولكن عليهم أن يذكِّروهم لعلهم يتقون الخوض فى آياتنا، أو لعلهم يتقون الاستهزاء.

﴿وأن أقيموا الصَّلاة واتقوه وهو الذى إليه تُحشرون﴾ [٧٢] أي: واتقوا عذابه بفعل ما أوجب وترك ما حرم، وهو الذى إلى جزائه تجمعون.

﴿وهو الذى خلق السموات والأرض﴾ [٧٣] بسبب إقامة الحق.

﴿ويوم يقول﴾ للبعث الذى تستبعدون ﴿كن فيكون﴾.

﴿قال أتحاجُّونى فى﴾ وحدانية ﴿الله﴾، ﴿ولا أخاف﴾ ضر ﴿ما تشركون به﴾ أو تخييل ما تشركون به، ولا تخافون ضر إشراككم بالله، أو ولا تخافون عاقبة أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل بعبادته حجة وبرهانًا.

﴿فإنْ يَكْفُرْ بها هؤلاء فقد وَكَّلْنَا﴾ بتصديقها والإقرار ﴿بها قومًا ليسوا بها بكافرين﴾ [٨٩].

﴿قل لا أسألكم﴾ على إبلاغ القرآن ﴿أجرًا﴾ [٩٠] أو على تبليغ القرآن أجرًا، ما القرآن إلا وعظ للعالمين.

﴿تجعلونه قراطيس﴾ [٩١] قيل: تجعلونه ذا قراطيس، وقيل: تكتبونه فى قراطيس، أى: تكتبون بعضه فى قراطيس.

﴿ولتنذر﴾ أهل ﴿أم القرى﴾، ﴿والَّذين يؤمنون﴾ [٩٢] بالنشأة الآخرة يؤمنون بإنزاله.

﴿ولقد جئتمونا فُرَادَى﴾ [٩٤] أى: ولقد جئتم موقف حسابنا فرادى.

﴿الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ [٩٤] أى: فى عبادتكم شركاء لنا.

﴿فالق﴾ ظُلَم ﴿الإصباح﴾ بضوء الصباح ﴿ و ﴾ جعل ﴿الشمس والقمر حسبانًا﴾ أى: ذوى حسبان ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ أى: ذلك ذو تقدير العزيز العليم، أو مقدر العزيز العليم.

﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء﴾ [٩٩] أى: أنزل من السحاب مطرًا، أو أنزل من جهة السماء مطرًا ﴿فأخرجنا﴾ بسببه ﴿نبات كل شيء فأخرجنا﴾ من نبات كل شيء رزقًا ﴿خَضِرًا نخرج﴾ من ذلك الزرع ﴿حبا مُتَرَاكِبًا﴾، ﴿وجنات من﴾ شجر ﴿أعناب﴾، أو عبَّر بالأعناب عن أشجارها؛ لأنها مسببة عنها وحاصلة منها، ولا ينبغى أن يقدر: من كروم أعناب؛ لأن تسميتهم إياها بالكرم مدحٌ لها؛ لأن شربها يوجب الكرم، والله لا يمدح «أم الخبائث»، ولا يعبر عنها بلفظ الكرم، فلا يجوز أن يقدر فى كلامه ما ذمَّه؛ ولذلك نهى

رسول الله ﷺ عن تسميتها «بالكرم» فقال: **«لا تقولوا للعنب الكرم، ولكن قولوا حدائق الأعناب»**(١).

﴿لا تُدْرِكُهُ الأبصار وهو يُدْرِك الأبصار﴾ [الانعام: ١٠٣] أي: لا يدركه ذوو الأبصار، وهو يدرك ذوى الأبصار **﴿وهو اللطيف الخبير﴾** [الأنعام: ١٠٣] بأعمال العباد **﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾** [١٠٤] أي: وما أنا على أعمالكم بحفيظ.

﴿اتبع ما أوحى إليك من﴾ عند **﴿ربك وأعرض عن المشركين﴾** [١٠٦] أي: عن مكافأتهم ومناصبتهم، أو عن قتالهم.

﴿وما جعلناك عليهم حفيظًا وما أنت عليهم بوكيل﴾ [١٠٧] أي: وما جعلناك على أعمالهم حفيظًا لها، وما أنت على قهرهم على الإيمان بوكيل، أو على إكراههم على الإيمان بوكيل؛ لقوله: **﴿أفأنت تُكره النَّاس حتى يكونوا مؤمنين﴾** [يونس: ٩٩].

﴿كذلك زَيَّنا لكلِّ أمة عملهم﴾ [١٠٨] أي: قبح عملهم.

﴿ثم إلى ربهم مَرْجِعُهم﴾ [١٠٨] أي: ثم إلى موقف حساب ربهم رجوعهم.

﴿وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمِنُنَّ بها﴾ [١٠٩] أي: لئن جاءتهم آية معجزة كعصا موسى ليصدقنك بسبب مجيئها.

﴿ولو شاء ربُّك ما فعلوه﴾ [١١٢] أي: ما فعلوا إيحاء زخرف القول.

﴿ولَتَصْغَى إاليه أفئدة الَّذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ [١١٣] أي: ولتميل إلى زخرف القول قلوب الَّذين لا يصدقون بالنشأة الآخرة.

﴿والذين آتيناهم﴾ علم **﴿الكتاب يعلمون﴾** أن القرآن **﴿مُنَزَّلٌ﴾** من عند **﴿ربك﴾** بسبب إقامة الحق، يعني: عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿لا مُبَدِّلَ لكلماته﴾ [١١٥] أي: لا مُغير لمقتضى عداته، أو لموجب عداته، أو تجوَّز بالعدة عن الموعود فلا تحتاج إلى حذف.

---

(١) أخرجه مسلم فى الألفاظ من الأدب ٢٢٤٧، أحمد فى المسند ٧٦٢٥.

﴿وهو السميع﴾ لمقالتهم ﴿العليم﴾ [١١٥] بهم وبأعمالهم.

﴿فكلوا مما ذُكِرَ اسم الله عليه﴾ [١١٨] أي: على ذبحه، أو على نحره، أو على ذكاته، وهو أحسن لعمومه.

﴿وما لكم﴾ في ﴿ألا تأكلوا مما ذُكِر اسم الله﴾ [١١٩] على ذبحه ﴿وقد فَصَّلَ لكم﴾ [١١٩] تحريم أكل ﴿ما حَرَّم﴾ أكله ﴿عليكم إلا ما اضطررتم﴾ إلى أكله.

﴿وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾ [١٢٧] أي: وهو ولي إكرامهم، أو ولي إثابتهم بما كانوا يعملون.

﴿يا مَعْشَرَ الجنِّ قد استكثرتُم من الإنس﴾ [١٢٨] أي: من إضلال الإنس أو من إغواء الإنس.

﴿وبلغنا أجلنا الَّذي أَجَّلْتَ لنا﴾ [١٢٨] أي: وبلغنا أجل موتنا، أو أجل بعثنا.

﴿وكذلك نُوَلِّي بعض الظَّالمين بعضًا﴾ [١٢٩] أي: وكذلك نولي بعض الظالمين ظلم بعض.

قال ابن زيد: يسلط بعضهم على بعض بالظلم والتعدي.

وتلاها الحسن، وقال: كما تكونون يُوَلَّي عليكم[1].

وقيل: وكذلك نولي بعض الظالمين موالاة بعض.

﴿ويُنْذِرُونكم لقاء يَوْمِكُمْ هذا﴾ [١٣٠] أي: لقاء جزاء يومكم هذا، أو لقاء حسنات يومكم هذا.

﴿ولكلٍّ درجات مما عملوا﴾ [١٣٢] أي: ولكلٍّ درجات من جزاء أعمالهم.

﴿وأنعام حُرِّمَتْ ظهورها﴾ [١٣٨] أي: حُرِّمت منافع ظهورها كحملها وركوبها.

﴿وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ [١٣٨] أي: على ذبحها، أو على نحرها، أو على ذكاتها؛ لأنهم يذبحونها للطواغيت.

---

(١) انظر تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٦٠٥.

﴿وقالوا ما في بُطُون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومُحَرَّمٌ على أزواجنا وإن يَكُنْ ميتةً فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم﴾ [١٣٩] أي: وقالوا: أكل ما في بطون هذه الأنعام حِلٌّ خالصٌ لذكورنا، ومحرَّمٌ على أزواجنا، ﴿وإن يكن ميتة فهم﴾ في أكله ﴿شركاء سيجزيهم﴾ جزاء ﴿وصفهم﴾.

﴿وحرَّموا ما رزقهم الله﴾ [١٤٠] أي: وحرَّموا أكل ما رزقهم الله، أو منافع ما رزقهم الله، فيدخل فيه الأكل، والحمل، والركوب.

﴿قل ءَالذكرينْ حَرَّم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأُنثيين﴾ [١٤٤] أي: قل أآكل الذكرين حرَّم أم أكل الأنثيين أم أكل ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، وكذلك ما بعده في الإبل والبقر.

﴿قل لا أجدُ في ما أُوحِيَ إليَّ مُحَرَّمًا على طَاعم يَطعَمُهُ إلا أنْ يكون ميّتة﴾ [الأنعام: ١٤٥] أي: قل لا أجد فيما أوحى إليَّ ذكر شيء محرم على ذائق يذوقه إلا وقت كونه ميتة، أو إلا حال كونه ميتة ﴿أو فسقًا أُهِلَّ لغير الله به﴾ [١٤٥] أي: بذبحه، أو بنحره، أو بذكاته.

﴿وعلى الَّذين هادوا حرَّمنا كلَّ ذي ظُفر ومن البقر والغنم حرَّمنا عليهم﴾ [١٤٦] أكل ﴿شحومهما إلا ما حملت ظُهورهما﴾ [١٤٦] أي: وعلى الَّذين هادوا حرَّمنا أكل كل ذي ظفر، ومن البقر والغنم حرَّمنا عليهم أكل شحومهما إلا أكل ما حملت ظهورهما.

﴿قل تعالوا أتْلُ ما حرَّم ربكم عليكم ألا تُشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ [١٥١] أي: قل: تعالوا أتل تحريم ما حرمه ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئًا، ولا تقتلوا أولادكم من أجل إملاق، أو من خوف إملاق، أو من خشية إملاق.

﴿لا نكلف نفسًا إلا وسعها﴾ [١٥٢] أي: لا نكلف نفسًا إلا قدر وسعها وطاقتها.

﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه﴾ [١٥٣] واتقوا معصيتي ومخالفتي.

﴿فمن أظلم ممن كذَّبَ بآيات الله وَصَدَفَ عنها﴾ [الأنعام: ١٥٧] أي: وصدف عن اتباعها؛ بدليل قوله: ﴿فاتبعوه﴾.

﴿سنجزي الَّذين يَصْدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يَصْدفون﴾ [١٥٧] أي:

سنجزى الَّذين يصدفون عن اتباع آياتنا سوء العذاب.

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا﴾ أى: ما ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة، أو يأتيهم أمر ربك، أو يأتيهم بعض آيات ربك، يوم يأتيهم بعض آيات ربك، وهو طلوع الشمس من مغربها **﴿لا ينفع نفسًا إيمانها﴾** بالوحدانية **﴿لم تكن آمنت من قبل﴾** [١٥٨] طلوع الشمس من مغربها، أو لم تكن كسبت فى مدة إيمانها طاعة الله.

﴿لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله﴾ [١٥٩] أى: لست من قتالهم فى شىء، أو لست من أمرهم فى شىء؛ إنما أمرهم راجعٌ إلى الله، أو مُفوضٌ إلى الله.

﴿من جاء بالحسنة فَلَهُ عَشْرُ أمثالها﴾ [١٦٠] أى: من جاء بالكلمة الحسنة فله عشر مثوبات أمثالها فى الحُسن.

﴿ثم إلى ربّكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [١٦٤] أى: ثم إلى موقف حساب ربكم رجوعكم فيخبركم فى ذلك الموقف بما كنتم فيه تختلفون، وهذا إذا ذكر الإنباء بعد الرجوع، فإن الإنباء لا يقع إلا فى الموقف، وإما إذا ذكر الرجوع غير مردف بذكر الإنباء جاز أن يكون التقدير: ثم إلى حكمه، أو إلى جزائه ترجعون.

❊ ❊ ❊

سورة الأعراف

﴿فلا يكُنْ فى صدرك حَرَجٌ منه﴾ أى: ضيق من إبلاغه، أو من تكذيبه وإنكاره ﴿لتنذر به﴾ [٢] أى: لتنذر بوعيده.

﴿وكم من﴾ أهل ﴿قرية﴾ [٣] أردنا إهلاكهم فجاءهم عذابنا بائتين أو قائلين.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ موازينه فأولئك هم المُفْلحُون﴾ [٨] أى: فمن ثقلت موازين حسابه فأولئك هم المفلحون.

﴿ومَنْ خَفَّتْ موازينه فأولئك الَّذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ [٩] أى: ومن خفت موازين حسناته فأولئك الَّذين خسروا حظوظ أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون.

ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صورنا أباكم آدم.

﴿وقال ما نهاكما ربكما عن﴾ قربان ﴿هذه الشجرة﴾ أو عن أكل هذه الشجرة ﴿إلا﴾ كراهة ﴿أن تكونا ملكين﴾ [٢٠].

﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن﴾ قربان ﴿تلكما الشجرة﴾ [٢٢]، أو عن أكل تلكما الشجرة.

﴿خُذُوا زينتكم عند﴾ قصد ﴿كلِّ مسجد﴾ [٣١].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زينة الله التى أخرج لعباده والطَّيبات من الرزق﴾ [٣٢] أى: قل من حرم لبس زينة الله التى أخرج لعباده وأكل الطيبات من الرزق.

﴿وأن تُشركوا بالله ما لم يُنزل به سُلْطَانًا﴾ [٣٣] أى: ما لم ينزل بعبادته أو بإلهيته حجة وبرهانًا.

﴿ولكلِّ أُمَّة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [٣٤] أى:

ولإهلاك كل أمة أجل، فإذا جاء أجل إهلاكهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ [٣٧] أى: يتوفون أنفسهم.

﴿فآتهم عذابًا ضِعْفًا من النَّار﴾ [٣٨] أى: فآتهم عذابًا ذا ضعف من النَّار.

﴿إن الَّذين كـذَّبوا بآياتنا واسـتكبروا عنهـا لا تُفَتَّح لهم أبوابُ السَّمـاء﴾ [٤٠] أى: إن الَّذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عن اتباعها لا تُفـتح لأرواحهم أبواب السماء كما تُفتح لأرواح المؤمنين، أو لا تُفتح لأعمـالهم أبواب السماء، أو لا تُفتح لأجلهم أبواب السمـاء، فيدخل فيه الأعمال والأرواح.

﴿لا نكلف نفسًا إلا وسعها﴾ [٤٢] أى: لا نكلف نفسًا إلا قدر وسعها.

﴿تجرى من تحتهم الأنهار﴾ [٤٣] أى: تجرى مـن تحت منازلهم وأسِرَّتهم، أو من تحت غرفهم أشربة الأنهار.

﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا﴾ [٤٣] لأسباب هذا الثواب.

﴿قالوا إن الله حرَّمَهُمَا على الكافرين﴾ [٥٠] أى: حرَّم تناولهما على الكافرين تحريم منع لا تحريم شـرع؛ كقـوله تعالى: **﴿وحرَّمنا علـيه المراضع﴾** [القصص: ١٢] وقـوله: **﴿فإنها مُحَرَّمَة عليهم أربعين سنة﴾** [المائدة: ٢٦].

﴿الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا وغـرتهم الحياة الدُّنيا﴾ [٥١] أى: الَّذين اتخذوا دينهم الذى أُمِروا باتبـاعه مـحل لهوٍ ولـعب، أو ملهوًا به وملعـوبًا به **﴿وغرتهم﴾** زهرة **﴿الحياة الدُّنيا﴾** [٥١] أو مهلة الحياة الدنيا.

﴿ولقـد جئناهم بكتـاب فَصَّلْنَاه على علم﴾ [٥٢] أى: فصلناه مـشتمـلاً على أدلة علم بالأحكام.

﴿يوم يأتى تأويله يقول الَّذين نسوه من قـبل قد جاءت رُسل ربِّنا بالحق﴾ [٥٣] أى: يوم يأتى تأويله يقول الَّذين تركوا اتباعه وتصديقه من قبل قد جاءت رُسُل ربنا بالحق.

﴿قَدْ خَسِرُوا أنفسهم﴾ [٥٣] أى: قد خسروا حظوظ أنفسهم من خير الآخرة.

﴿فقال إنِّى رسـولٌ من ربِّ العالمين﴾ [٦١] أى: رسول من عند رب العـالمين؛ بدليل قوله: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ [البقرة: ١٠١].

﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ [٦٢] أى: وأعلم من وحدانـية الله، أو من بطش الله، أو من شأن الله ما لا تعلمون؛ فيعم الأمرين.

﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من﴾ عند ﴿ربكم على﴾ لسان ﴿رجل﴾ من أنفسكم، أو من قبيلتكم، ومن أنفسكم أولى لقوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨] وقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وكذلك تُقـدر فى قوله: ﴿هو الذى بعث فى الأمـيين رسـولاً منهم﴾ [الجمعة: ٣] من أنفسهم وكذلك فى قوله: ﴿ألمْ يأتكم رُسُلٌ منكم﴾ [الزمر: ٧١] أى: من أنفسكم؛ لأن كل رسول من الرسل كان من قومه.

﴿ولكنى رسولٌ من﴾ عند ﴿ربِّ العالمين﴾ [٦٢].

﴿ذكر من﴾ عند ﴿ربكم على﴾ لسان ﴿رجل﴾ [٦٩] من أنفسكم، أو من قبيلتكم.

﴿واذكروا إذْ جعلكم خُلَفَاء مِنْ بَعْد قوم نوح﴾ [٦٩] أى من بعد إغراق قوم نوح.

﴿قالوا أجئتنا لنعـبد الله وحده ونَذَرَ ما كان يَعْبُدُ آباؤنا﴾ [٧٠] أى: ونترك عبـادة ما كان يعبده آباؤنا.

ومثله قوله: ﴿تُريدون أنْ تصُدُّونا﴾ [إبراهيم: ١٠] عن عبادة ما كان يعبد آباؤنا.

وكذلك قوله: ﴿ما يعبدون إلا كما يَعْبُدُ آباؤهم﴾ [هود: ١٠٩] أى: إلا كما يعبد آباؤنا.

﴿قال قَدْ وَقَعَ عليكم مـن ربِّكم رجسٌ وغضب﴾ [٧١] أى قال: قـد وجب عليكم من عند ربِّكم رجسٌ وغضب.

﴿أتجادلوننى فى أسـماء سمَّيـتموها أنتم وآباؤكم مـا نزَّل الله بها من سلطان﴾ [٧١] أى: أتجادلوننى فى عـبادة مسمـيات سمَّيتـموها آلهة أنتم وآباؤكم مـا نزَّل الله بعبادتها من حـجة وبرهان.

﴿وقطعنا دابر الَّذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾ [٧٢] بوحدانيتنا.

﴿أئنكم لتأتون الفاحشةَ ما سبقكم بِهَا مِنْ أحدٍ من العالمين﴾ [٨٠] أي: ما سبقكم بإتيانها أحدٌ من العالمين.

﴿أتعلمون أن صالحًا مُرْسَلٌ﴾ بالتوحيد ﴿من﴾ عند ﴿ربِّه قالوا إنَّا﴾ بالتوحيد الَّذى ﴿أرسل به مؤمنون﴾ [٧٥].

﴿قال الَّذين استكبروا إنَّا﴾ بالتوحيد الَّذى آمنتم به ﴿كافرون﴾ [٧٦].

﴿واذكروا إذْ كُنْتُم قليلاً فَكَثَّرَكُم﴾ [٨٦] أى: فكثر عددكم.

﴿على الله توكلنا﴾ [٨٩] أي: على عصمة الله اعتمدنا.

﴿فكيف آسَى على قوم كافرين﴾ [٩٣] أى: فكيف أحزن على هلاك قوم كافرين.

﴿وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضرَّاء﴾ [٩٤] أي: وما أرسلنا فى أهل قرية من نبى فكذبوه إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء؛ لأنهم لم يؤخذوا بالبأساء والضرَّاء بمجرد الإرسال.

ويدل على حذف أهل القرية قوله: ﴿هو الَّذى بعث فى الأُميين رسولاً منهم﴾ [الجمعة: ٣]، وقوله: ﴿ولقد أرسلنا فيهم مُنْذرين﴾ [الصافات: ٧٢]، وقوله: ﴿ولقد بعثنا فى كُلِّ أُمَّة رسولاً﴾ [النحل: ٣٦].

وأما قوله: ﴿وما كان ربُّكَ مُهْلِكَ القُرى حتى يبعث فى أُمِّهَا رسولاً﴾ [القصص: ٥٩] فيحتمل أن يريد فى أهل أمها رسولاً، وهو الظاهر، ويجوز أن يقدَّر ذلك فيه وفى كل موضع ذكر البعث، والإرسال فى القرية؛ لأن المبعوث فى القرية مبعوث فى أهلها.

﴿أفأمن أهل القرى أنْ يأتيهم بأسنا بياتًا وهم نائمون﴾ [٩٧] أي: وقت بيات وهم نائمون.

﴿تلك القُرى نَقُصُّ عليك من أنبائها﴾ [١٠١] أي: من أخبار أهلها.

﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ [١٠٢] أي: من وفاء عهد، أو من إتمام عهد، كقوله:

﴿فأتموا إليهم عهدهم﴾ [التوبة: ٤].

﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا﴾ [١٠٣] أي: ثم بعثنا من بعد إهلاكهم موسى بآياتنا، أو من بعد موتهم؛ إن جعلت الضمير للرسل المذكورين.

﴿وقال موسى يا فرعونُ إنِّي رسولٌ من ربِّ العالمين﴾ [١٠٤] أي: إني رسول من عند رب العالمين.

﴿قالوا أرْجِهْ وأخاه﴾ [١١١] أي: قالوا أخر أمره وأمر أخيه.

﴿إنَّ هذا لمكرٌ مكرتموه في المدينة﴾ [١٢٣] أي: إن هذا الإيمان، أو إن هذا السجود لأثر مكر، أو لموجب مكر مكرتموه في المدينة.

﴿قالوا إنَّا إلى﴾ ثواب ربنا ﴿منقلبون﴾ [١٢٥].

﴿وما تَنْقم منَّا﴾ [١٢٦] أي: وما تكره من فعلنا إلا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا.

﴿قالوا ربنا أفرغ علينا﴾ على قلوبنا ﴿صبراً وتوفَّنا﴾ وتوفَّ أنفسنا ﴿مسلمين﴾ [١٢٦].

﴿ويذرك وآلهتك﴾ [١٢٧] أي: ويذر عبادتك وعبادة آلهتك.

﴿وإنْ تُصِبْهُمْ سيئةٌ يطَّيروا بموسى ومن معه﴾ [١٣١] أي: يطيروا بأمر موسى، أو بدين موسى، أو بوعظ موسى، أو بتذكير موسى، ومن معه.

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحرَ فأتوا على قومٍ يَعْكُفونَ على أصنام لهم﴾ [١٣٨] أي: فأتوا على أرض قوم، أو على قرية قوم، أو على فناء قوم يعكفون على عبادة أصنام.

وأما قوله: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾ [الصافات: ١٣٧]، فيجوز أن يقدَّر فيه وإنكم لتمرون على أراضيهم مصبحين، ويجوز أن يقدَّر فيه: وإنكم لتمرون على أفنيتهم مصبحين.

وأما قوله: ﴿وإنْ كانوا من قبل أن يُنَزَّل عليهم من قبله لَمُبْلسين﴾ [الروم: ٤٩] فيجوز فيه: وإن كانوا من قبل أن ينزل على أراضيهم، ويجوز أن يقدَّر فيه: وإن كانوا من قبل أن ينزل على مزارعهم ﴿مِنْ قبله لَمُبْلسين﴾ أي: من قبل إنزاله لمبلسين.

﴿وإذْ أنجيناكُمْ مِنْ آل فرعون﴾ [١٤١] أي: من تعبيد آل فرعون، أو من شر آل فرعون.

﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ [١٤٢] أي: وواعدنا موسى انقضاء ثلاثين ليلة، أو لقاء ثلاثين ليلة، أو مناجاة ثلاثين ليلة.

﴿فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ [١٤٥] أي: فاقبل تكاليفها بجدٍّ واجتهاد وأمر قومك يأخذوا بأحسن تكاليفها.

﴿وأخذ برأس أخيه﴾ [١٥٠] أي: بشعر رأس أخيه.

﴿غضبٌ من ربِّهم﴾ [١٥٢] أي: غضبٌ من عند ربهم.

﴿والَّذين هم لربهم يَرْهَبون﴾ [١٥٤] أي: والَّذين هم لعذاب ربهم يخافون.

﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ [١٥٥] أي: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً لإتيان ميقاتنا، أو لحضور محل ميقاتنا.

﴿إنَّا هُدْنَا إليك﴾ [١٥٦] أي: إنَّا رجعنا إلى طاعتك.

وكذلك: ﴿تبت إليك﴾ حيث وقعت: رجعت إلى طاعتك، فإن لم يذكر «إليك» مع التوبة جاز أن يكون المعنى: رجعت عن معصيتك.

﴿الَّذي يجدونه مكتوبًا﴾ [١٥٧] أي: يجدون نعته مكتوبًا عندهم.

﴿ويُحِلّ لهم الطيبات ويُحَرِّم عليهم الخبائث﴾ [١٥٧] أي: ويحل لهم أكل الطيبات، أو تناول الطيبات، وهو أعم، ويحرم عليهم أكل الخبائث، أو تناول الخبائث.

﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ [١٥٨] أي: فآمنوا بوحدانية الله وإرسال رسوله، أو نبوة رسوله.

﴿الَّذي يؤمن بالله﴾ [١٥٨] أي: يؤمن بوحدانية الله.

﴿واسألهم عن القرية﴾ [١٦٣] أي: واسألهم عن قصة أهل القرية، أو عن واقعة أهل القرية.

﴿شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنَّا عن هذا غافلين﴾ [١٧٢] أي: شهدنا كراهة أن

تقولوا يوم القيامة إنَّا كُنَّا عن هذا غافلين، أو لئلا يقولوا يوم القيامة إنَّا كُنَّا عن هذا غافلين.

﴿وكُنَّا ذرية من بعدهم﴾ [١٧٣] أى: من بعد موتهم.

﴿فانسلخ منها﴾ [١٧٥] أى: فانسلخ من اتباعها والعمل بها.

﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ [١٧٦] أى: ولو شئنا لرفعنا قدره، أو منزلته باتباعها.

﴿فَمَثَلُهُ كمثل الكلب﴾ [١٧٦] أى: فمثل حاله كمثل حال الكلب.

﴿ساء مثلاً القوم الَّذين كَذَّبوا بآياتنا﴾ [١٧٧] أى: ساء مثلاً مثل القوم الَّذين كذبوا بآياتنا.

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنِّ والإنس﴾ [١٧٩] أى: ولقد ذرأنا لعذاب جهنم، أو لصلى جهنم كثيراً من الجن والإنس.

﴿لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يُبصِرونَ بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها﴾ [١٧٩] أى: لهم قلوب لا يفقهون بعقولها، أو لهم عقول لا يفهمون بها، ولهم أعين لا يبصرون بنورها، ولهم آذان لا يسمعون بإدراكها، أو بأسماعها.

﴿وذروا الَّذين يُلْحِدُونَ فى أسمائه﴾ [١٨٠] أى: وذروا مناصبتهم ومخاصمتهم.

﴿وأن عسى أن يكون قد اقتربَ أَجَلُهُمْ﴾ [١٨٥] أى: أجل موتهم، أو أجل إهلاكهم.

﴿قل إنَّما عِلْمُهَا عند الله ولكنَّ أكثر النَّاس لا يعلمون﴾ [١٨٧] أى: قل إنَّما علم وقتها، أو علم أجلها عند الله ولكن أكثر النَّاس لا يعرفون اختصاص الرب بعلم وقتها.

﴿قل لا أملك لنفسى نفعًا ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنتُ أعلمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخير وما مَسَّنى السوء﴾ [١٨٨] أى: قل لا أملك لنفسى جلب نفع، ولا دفع ضر، أو لا حاجة إلى الحذف، والمعنى: قل لا أملك لنفسى أن أنفعها، ولا أضرها إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك.

﴿ولو كنتُ أعلمُ الغيب لاستكثرتُ من الخير﴾ الَّذى شاء الله أن أملكه ﴿وما مسنى السوء﴾ الَّذى شاء الله أن لا يمسنى.

﴿هو الَّذي خلقكم من نفس واحدة وَجَعَلَ منها زوجها﴾ [١٨٩] أي: وخلق من ضلعها زوجها.

﴿فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهم فتعالى الله عما يشركون﴾ [١٩٠] أي: جعلا له شركاء في اسم ما آتاهما أو في تسمية ما آتاهما فتعالى الله عن مقتضى إشراكهم، أو عن مدلول إشراكهم.

﴿أم لهم أعينٌ يُبْصِرونَ بها﴾ [١٩٥] أي بنورها.

﴿أم لهم آذانٌ يسمعون بها﴾ [١٩٥] أي: بأسماعها، أو بإدراكها.

﴿إنَّ وليِّيَ الله﴾ [١٩٦] أي: ولي نصري وعصمتي الله، ويدل على تقدير النصر قوله: ﴿والَّذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم﴾ [١٩٧].

﴿وهو يتولى الصَّالحين﴾ [١٩٦] أي: وهو يتولى نصر الصَّالحين وعصمتهم.

﴿وأعْرِضْ عن الجاهلين﴾ أي: وأعرض عن مكافأة الجاهلين، أو عن مقاتلتهم، أو عن مجاهلتهم، أو عن جهلهم.

﴿إنَّ الَّذين اتَّقوا إذا مسَّهم طائفٌ[1] من الشَّيطان تذكَّروا﴾ [٢٠١] أي: إذا مسهم طائف من نزع الشيطان تذكروا.

❁ ❁ ❁

(١) وردت في الأصل: «طيف» وهي صحيحة على قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وما أثبتناه على قراءة الباقين، ومنهم رواية حفص عن عاصم (شرح الشاطبية للشيخ الضباع، ص ٢١٠ بتصرف).

سورة الأنفال

﴿يسألونك عن﴾ حكم ﴿الأنفال﴾ أو عن مستحق الأنفال، أو عن قسمة الأنفال ﴿فاتقوا﴾ مخالفة ﴿الله﴾ [١] فى قسمة الأنفال.

﴿إنَّما المؤمنون الَّذين إذا ذُكر الله وجلتْ قلوبهم وإذا تُليتْ عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربِّهم يتوكلون﴾ [٢] أى: الَّذين إذا ذكر وعيد الله خافت قلوبهم من وعيده، أو عذابه، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا، وعلى فضل ربهم، أو على كفاية ربهم يتوكلون.

﴿كما أخرجك ربُّك من بيتك﴾ [٥] بسبب الوعد الحق، وهو قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجمع ويولُّون الدُّبر﴾ [القمر: ٤٥].

﴿وإذ يعدُكُم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودُّون أنَّ غَيْرَ ذات الشوكة تكون لكم﴾ [٧] أى: وإذ يعدكم الله أموال إحدى الطائفتين، أو غنائم إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن أموال غير ذات الشوكة، أو أن غنائم غير ذات الشوكة تحصل لكم.

﴿وما جعله الله إلا بُشْرَى ولتطمئن به قُلوبكم﴾ [١٠] أى: وما جعل الله قوله: ﴿إنى مُمِدُّكُم بألفٍ من الملائكة مُرْدفين﴾ إلا بشارة لكم بالنصر على أعدائكم، أو وما جعل الله ذكر الإمداد إلا بشارة لكم ولتطمئن بقوله: ﴿إنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ قلوبكم أو ولتطمئن بذكر الإمداد، أو بوعد الإمداد قلوبكم.

﴿إذ يُغَشِّيكم(١) النُّعَاسُ أَمَنَةً﴾ [١١] أى: ذا أمنٍ من عنده، أو سبب أمنٍ من عنده.

---

(١) فى الأصل: «يغشاكم» وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو، وعلى هذه القراءة يجب رفع «النعاس» (المرجع السابق ص ٢١٠).

﴿وينزل عليكم من السَّمـاء ماء﴾ [١١] أي: وينزل عليكم من السـحاب، أو من جـهة السَّماء ماء.

﴿وليربط على قلوبكم﴾ [١١] بالصبر فلا يدخلها الجبن والفشل.

﴿وليبلى المؤمنون منه بلاءً حَسَـنًا﴾ [١٧] أي: وليبلى المؤمنين بلاء حسنًا من عنده.

﴿ولا تولوا عنه﴾ [٢٠] أي: ولا تولوا عن طاعته، أو عن إجابته.

﴿واعلموا أن الله يـحولُ بين المرء وقلبـه وأنَّه إليه تُحْشَرون﴾ [٢٤] أي: يحول بين المرء وأحوال قلبـه، أو يحول بين المرء وصفات قلبـه، أو يحول بين المرء وشئون قلبـه، مثل أن يحول بين المؤمن والكافر، وبين الكفر والإيمان، أو يحـول بين المرء واعتقاد قلبه، وأنه إلى جزائه تحشرون.

﴿واتَّقوا فـتنة لا تُصيبنَّ الَّذين ظـلموا منكُم خـاصة﴾ [٢٥] أي: واتَّقـوا تقرير فـتنة لا يصيبن عذابها أو وبالها الَّذين ظلموا منـكم خاصة بل يصيب من أحْدَثَهَا بإحداثها، ومن لـم يُحْدِثها بتقريرها وترك نكيرها.

﴿واعلمـوا أنَّما أموالكم وأولادكم فـتنة﴾ [٢٨] أي: مـحل فـتنة، أو ذوو فـتنة، أو واعلموا أن حب أموالكم وأولادكم فتنة.

﴿وهم يَصُدُّونَ عـن المسجـد الحـــرام وما كانوا أوليــاءَه إنْ أولياؤه إلاَّ المتقون﴾ [٣٤] أي: وهم يصدونكم عن إتيان المسجـد الحرام وما كانوا أولياء عمارته؛ مـا أولياء عمارته إلا المتقون.

﴿ثم تكون عليهم حَسْرة﴾ [٣٦] أي: ثم يكون إنفاقها عليهم سبب حسرة.

﴿ولو ترى إذْ يتـوفى الَّذيـن كـفـروا الملائكة﴾ [٥٠] أي: يتـوفى أنفس الَّذين كـفــروا الملائكة.

﴿ثم يَنْقُضُونَ عهدهم﴾ [٥٦] أي: ينقضون أحكام عهدهم، أو مقتضى عهدهم.

﴿فَشَرِّدْ بهم من خلفهم﴾ [٥٧] أي: فشرد بتنكيلهم وقتلهم من خلفهم.

﴿ترهبون به عدو الله وعدوّكم﴾ [٦٠] أى: ترهبون بإعداده عدو الله وعدوكم.

﴿وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوفَّ إليكم﴾ [٦٠] أجره وثوابه.

﴿وتوكل على﴾ عصمة ﴿الله﴾ [٦١] أو على نصر الله، أو على كفاية الله.

﴿هو الَّذى أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ [٦٢] أى: وبنصر المؤمنين.

﴿ولكنَّ الله ألَّفَ بينهم﴾ [٦٣] أى: ألف بين قلوبهم.

﴿ما كان لنبى أن يكون له أسرى﴾ [٦٧] أى: ما كان لنبى أن يكون له مفاداة أسرى، أو أخذ فداء أسرى؛ بدليل قوله: ﴿لولا كتابٌ من الله سبق لمسَّكم فيما أخذتم عذابٌ عظيم﴾ [٦٨].

﴿تُريدون عَرَضَ الدُّنيا واللهُ يريد الآخرة﴾ [٦٧] أى: تريدون أخذ عرض الدُّنيا والله يريد لكم كرامة الآخرة، أو أجرها، أو ثوابها.

﴿يأيُّهَا النَّبى قل لمن فى﴾ قهركم واستيلائكم ﴿من الأسرى إنْ يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً ممَّا أُخذ منكم﴾ [٧٠] أى: إن يعرف الله فى قلوبكم إيمانًا وتصديقًا، أو حب إيمان يؤتكم مالاً خيرًا ممَّا أخذ منكم من الفداء.

﴿ويغفر لكم﴾ [٧٠] ذنوبكم بسبب الخير الَّذى فى قلوبكم.

﴿وإن يريدوا﴾ بما أظهروه من الإسلام والتصديق ﴿خيانتك فقد خانوا الله﴾ بالكفر ﴿من قبل﴾ أسرهم ﴿فأمكن منهم﴾ [٧١] أى: فأمكنك، أو فأمكنكم من أسرهم وقهرهم، وجواب الشرط: فليحذروا أن يمكنك الله منهم مرة أخرى ﴿والله عليم﴾ بما فى قلوبكم أيُّهَا الأسرى من خيانة وكفر وإيمان ﴿حكيم﴾ بما شرعه من الكف عنكم بما أظهرتموه من الإسلام والإيمان.

﴿وأولو الأرحام بَعْضُهم أولى ببعض فى كتاب الله إنَّ الله بكلِّ شيء عليم﴾ [٧٥] أى: وأولو الأرحام بعضهم أولى بميراث بعض فى كتاب الله ﴿إن الله بكل شيء﴾ من مصالحكم فى المواريث والمولاة والمناصرة ﴿عليم﴾.

سورة براءة

أي هذه الآيـات ﴿براءة من﴾ عهـود الناكثين، صـادرة من ﴿الله ورسـوله إلى الَّذين﴾ عاهدتموهم ﴿من المشركين﴾ [١].

﴿فسيحوا﴾ فسيروا أيُّهَا الناكثون ﴿في الأرض أربعة أشهر﴾ [٢] آمنين.

﴿وأذانٌ﴾ وإعلامٌ صادرٌ ﴿من الله ورسوله﴾ بالغ ﴿إلى النَّاس﴾ بمنى ﴿يوم الحج الأكبر أنَّ الله بريءٌ من﴾ عهود ﴿المشركين ورسوله﴾ [٣].

﴿إلا الَّذين عاهدتموهم﴾ من المشركين ﴿ثم لم ينقصـوكم شيئًا﴾ [التوبة: ٤] من شروط المعاهدة ولم يـعاونوا على قتـال حلفائكم أحـدًا، أو ولم يعاونوا على أذيتكم أحـدًا، فإن الحليف يتأذى بقـتال حليفه، أو ولم يعاونوا عـلى محاربة حلفائكم أحدًا، فـأوصلوا إليهم وفاء عهدهم، أو شروط عهدهم إلى انقضاء مدة عهدهم.

﴿إن الله يحب المتقين﴾ [٤] الَّذين يتقون نقض العهود وإخلاف الوعود.

﴿فإن تابو﴾ التزموا: إقام الصَّلاة وإيتاء الزكـاة، تجوَّز بالملتزم عن الالتزام؛ لأن الالتزام سبب فيه، وكذلك عبَّر بإعطاء الجزية عن التزامـها؛ لأن القتال في الصورتين ينتهي بالالتزام ولا يمتد إلى إقام الصَّلاة، وإيتاء الزكاة ونفس إعطاء الجزية بالإجماع.

﴿كيف يكون للمـشركين عهـدٌ عند الله وَعِنْدَ رسوله﴾ [٧] أي: كيف يكون للمـشركين وفاء عهد أو إتمام عهد عند الله وعند رسوله.

﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقـبوا فيكم إلاً ولا ذمَّة﴾ [٨] أي: كيف يكـون لهم وفاء عهد، أو إتمام عهد وإن يقووا على قتالكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة.

﴿وإنْ نكثوا أيمانهم من بعـد عهدهم وطعنوا في دينكم فقـاتلوا أئمة الكُفْر إنهم لا أيمان

لهم﴾ [١٢] أى: وإن نقضوا وفاء عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا وفاء عهد لهم.

﴿أتَخْشَونهم فالله أحقّ أن تَخْشَوه﴾ [١٣] أى: أتخافون محاربتـهم وقتالهم فالله أحق أن تخافوا عذابه إن تركتم قتالهم:

﴿ولم يَخْشَ إلا الله﴾ [١٨] أى: ولم يخف إلا عقاب الله، أو إلا لوم الله.

﴿أجعلتم سقَاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام كَمَنْ آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله﴾ [١٩] أى: أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله، أو أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بوحدانية الله واليوم الآخر وجاهد فى نصرة سبيل الله.

﴿الَّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ [٢٠] أى: الَّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى نصرة سبيل الله ببذل أموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله.

﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ [التوبة: ٢٦] أى: ثم أنزل الله سكينته على قلب رسوله وعلى قلوب المؤمنين.

﴿قاتلوا الَّذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ [٢٩] أى: قاتلوا الَّذين لا يؤمنون بدين الله ولا بجزاء اليوم الآخر.

﴿يضاهئون قول الَّذين كفروا من قبل﴾ [٣٠] أى: يشابه قولهم قول الَّذين كفروا من قبلهم.

﴿هو الَّذى أرسلَ رسوله بالهُدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كُلِّه﴾ [٣٣] أى: ليظهره على أهل الأديان كلها.

﴿والَّذين يكنزون الذهب والفضة ولا يُنفقونها فى سبيل الله فبشِّرهم بعذاب أليم﴾ [٣٤] أى: ولا ينفقون زكاتها فى طاعة الله فبشرهم بعذاب أليم.

﴿فذوقوا ما كُنْتُم تَكْنزون﴾ [٣٥] أى: فذوقوا كما كُنْتُم تكنزون، أو فذوقوا جزاء ما

كُنْتُم تكنزون.

﴿إنَّما النَّسيء زيادةٌ فى الكفر يُضَلُّ به الَّذين كفروا يُحلُّونه عامًا ويحرِّمونه عامًا﴾ [٣٧] أى: إنَّما إنساء حرمة المحرم إلى صفر زيادة فى شرائع الكفر؛ يُضل بإنسائه، أو يضل بالنسيء الَّذين كفروا، يُحلون الإنساء عامًا أى: يحلون إنساء حرمة المحرم إلى صفر عامًا ويحرِّمون إنساء ذلك عامًا.

﴿أرضيتم بالحياة الدُّنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدُّنيا فى الآخرة إلاَّ قليل﴾ [٣٨] أى: أرضيتم بمتاع الحياة الدُّنيا بدلاً من ثواب الآخرة، أو أرضيتم بزينة الحياة الدُّنيا أو بزهرة الحياة الدنيا.

﴿فما متاع الحياة الدُّنيا﴾ [٣٨] فى ثواب الآخرة، أو فى جنب الآخرة إلا يسير ثم يفنى ولا يبقى، أخبرهم أنه منعه أعداءه وليس معه إلا واحد، وأنه نصره عليهم يوم بدر مع قلتهم وذلتهم؛ فمن فعل ذلك مع قلة أسباب النصرة فكيف لا ينصر رسوله مع كثرة الأسباب. والتقدير: إن لا تنصروا رسول الله ينصره الله فى المستقبل كما نصره يوم الغار.

﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ [٤٠] أى: فأنزل الله سكينته على قلبه، أى: على قلب رسوله، أو على قلب صاحبه، فإن السكينة ما زايلت لرسول الله ﷺ.

﴿وأيَّدَهُ بجنود لَمْ تروها﴾ [٤٠] أى: وقواه يوم بدر بإمداد جنود، أو بحضور جنود، أو بقتال جنود، أو بنصر جنود لم تروها.

﴿والله عزيزٌ﴾ أى: قاهرٌ غالبٌ لا يحتاج إلى نصرة أحد ﴿حكيم﴾ فيما شرعه لكم من الأسباب كالقتال مع رسوله الموجب لغنائم الدُّنيا وثواب الآخرة.

﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله﴾ أى: وجاهدوا أعداءكم ببذل أموالكم وأنفسكم فى نصرة سبيل الله، أو وجاهدوا الروم ﴿ذلكم﴾ الَّذى أمرتم به من النفير، والجهاد بالأنفس والأموال ﴿خير لكم﴾ من التثاقل إلى الأرض ﴿إن كُنْتُم تعلمون﴾ [٤١] ما فى الجهاد من الثواب فلا تثاقلوا إلى الأرض إيثارًا لقليل المتاع على جزيل الثواب.

ولما تخلف المنافقون عن غزو الشام نزل فيهم: ﴿لو كان﴾ ما دعوا إليه غنيمة قريبة

﴿وسفرًا﴾ متوسطًا ﴿لاتَّبعوك﴾ فى الخروج ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ [٤٢] فى حلفهم واعتذارهم بقلع الاستطاعة فلم يستحيوا فى الإقدام على اليمين الغموس.

﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [٤٣] أى: عفا الله عن إذنك لهم فى القعود يقال: عفوت عن فلان، وعفوت عن ذنب فلان، ومنه قوله: ﴿ويعفو عن السيئات﴾ [الشورى: ٢٥].

﴿لا يستأذنك الَّذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ [٤٤] أى: لا يستأذنك الَّذين يؤمنون بوحدانية الله واليوم الآخر فى القعود عن الجهاد كراهة أن يجاهدوا، أو لئلا يجاهدوا ببذل أموالهم وأنفسهم.

﴿والله عليم﴾ بأحوال المتقين الَّذين يخافون ربهم فلا يتركون الجهاد، ولا يعتذرون بالأعذار الباطلة ولا يحلفون عليها، ولا يجوز أن يكون ﴿لا يستأذنك﴾ للحال المستمرة؛ لأن تقواهم تحملهم على ذلك دائمًا، ويجوز أن يكون حكاية حال ماضية واقعة فى غزوة تبوك.

﴿وما منعهم أن تُقْبَلَ منهم نفقاتهم إلا أنَّهم كفروا بالله وبرسوله﴾ [٥٤] أى: وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بوحدانية الله وبنبوة رسوله، أو بإرسال رسوله.

﴿ومنهم من يَلْمِزُكَ فى الصدقات﴾ [٥٨] أى: ومنهم من يطعن عليك ويعيبك فى قسم الصدقات.

﴿إنَّما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرِّقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل﴾ [٦٠] أى: والعاملين على جبايتها وتحصيلها، وفى فكِّ الرقاب، أو وفى إعتاق الرقاب، وفى قضاء ديون الغارمين، أو وفى وفاء ديون الغارمين، وفى إعزاز سبيل الله، وتبليغ ابن السبيل إلى مقصده.

﴿نَسوا الله فَنَسيهم﴾ [٦٧] أى: تركوا توحيد الله وطاعته فترك رحمتهم أى: فتركهم فى عذابه ونقمته.

﴿والمؤتفكات﴾ [٧٠] أى: وأصحاب القرى المؤتفكات.

﴿الَّذين يَلْمِزُونَ المُطَّوعين من المؤمنين فى الصدقات﴾ [٧٩] أى: فى بذل الصدقات، أو فى إخراج الصدقات، أو فى إنفاق الصدقات.

﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله﴾ [٨٠] أى: ذلك بأنهم كفروا بوحدانية الله وإرسال رسوله.

﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله﴾ [٨١] أى: وكرهوا أن يجاهدوا ببذل أموالهم وأنفسهم فى نصرة سبيل الله.

﴿ولا تُصَلِّ على أحد منهم ماتَ أبدًا ولا تَقُمْ على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله﴾ [٨٤] أى: إنهم كفروا بوحدانية الله، وإرسال رسوله، أو بنبوة رسوله.

﴿لكنِ الرسولُ والَّذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ [٨٨] أى: جاهدوا ببذل أموالهم وأنفسهم.

﴿أعدَّ الله لهم جنَّات تجرى من تحتها الأنهار﴾ [٨٩] أى: أعد الله لهم جنَّات تجرى من تحت غرفها، أو من تحت أشجارها أشربة الأنهار، أو مياه الأنهار.

﴿ما على المُحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الَّذين إذا ما أتَوْكَ لتحملهم قُلت لا أجدُ ما أحملكم عليه﴾ [٩١، ٩٢] أى: ما على لوم المحسنين من سبيل والله غفور رحيم، ولا على لوم الَّذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت: لا أجد ما أحملكم عليه. ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء﴾ [٩٣] أى: إنما السبيل على لوم الَّذين يستأذنونك وهم أغنياء.

﴿وسيرى الله عملكم ورسوله ثُمَّ تُردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كُنْتُم تعملون﴾ [٩٤] أى: ثم تُردون إلى موقف عارف الغيب والشهادة فيخبركم فى ذلك الموقف بأعمالكم فيا خيبة من خبَّره الله فى ذلك الموقف بمساوئ أعماله ويا غبطة من خبَّره الله فى ذلك المقام بمحاسن أعماله.

﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لِتُعْرِضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رِجْس﴾ [٩٥] أى: سيحلفون بالله لكم إذا رجعتم إليهم من غزوة تبوك لتعرضوا عن لومهم وتوبيخهم،

فأعرضوا عن لومهم وتوبيخهم إنهم ذوو رجس، أو إنهم مثل رجس.

﴿ومن الأعـراب مَنْ يؤمن بالله واليوم الآخـر ويتخـذ ما يُنفق قـربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قُربة لهم﴾ [٩٩] أى: ومن الأعراب من يؤمن بوحـدانية الله واليـوم الآخـر ويتخـذ ما ينفـق أسبـاب قربات عند الله وصلوات الرسول، ألا إنها سبب قربة لهم.

﴿وأعـدَّ لهم جنَّات تجرى تحتَها الأنهـار﴾ [١٠٠] أى: تجـرى تحت غرفـهـا، أو تحت أشجارها أشربة الأنهار، أو مياه الأنهار.

﴿وستردُّون إلى عالم الغيب والشـهادة فينبئكم بما كُنْتُم تعملون﴾ [١٠٥] أى: وستردون إلى موقف عارف الغيب والشهادة فيخبركم فى ذلك الموقف بما كُنْتُم تعملونه فى الدُّنيا.

﴿أفمن أَسَّسَ بُنيانه على تقوى من الله ورضـوان خير أم من أسَّسَ بُنيانه على شفَا جُرُف هَارٍ﴾ [١٠٩] أى: أفمن أسس بنيانه على تقوى من عـذاب الله، وطلب رضوان، أو وابتغاء رضوان.

﴿لا يزال بُنيـانهم الَّذى بَنَوا ريبـةً فى قلوبهم﴾ [١١٠] أى: لا يزال بنيـانهم الَّذى بنوا سبب ريبة، أو موجب ريبة فى قلوبهم.

﴿إن الله اشـترى من المؤمنين أنـفـسـهم وأموالـهم بأن لهم الجنَّة يقـاتلون فى سبـيل الله﴾ [١١١] أى: إن الله اشـترى من المؤمنـين بذل أنفسـهم وأمـوالهم بأن لهم الجنَّة **﴿يقاتلون﴾** أعداء الله فى نصر **﴿سبيل الله﴾** [١١١] أى: بسبب نصر سبيل الله.

﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ [١١١] أى: فمن أوفى بمقتضى عهده من الله.

﴿فلمَّا تبيـن له أنه عدوٌّ لله تبـرأ منه﴾ [١١٤] أى: فلمـا تبين له أنه عـدو لله بموته على الكفر تبرأ من استغفاره له.

﴿وظنـوا أن لا ملجـأ مـن الله إلاَّ إليـه ثـم تَـابَ عليهم ليتوبـوا﴾ [١١٨] أى: وأيقنـوا أن لا ملجـأ مـن عـذاب الله وسخطه إلا إلـى طـاعتـه وإجـابتـه.

﴿ولا يَنَالون من عدوٍّ نَيْلاً إلا كـتب لهم به عملٌ صالح إن الله لا يُضيع أجـرَ المحسنين﴾ [١٢٠] أى: إلا كتب لهم به أجر عمل صالح، أو ثواب عمل صالح.

﴿ولا يُنفقون نفقةً صغيرةً ولا كـبيرةً ولا يقطعون واديًا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ [١٢١] أى: إلا كتب لهم أجر عمل صالح، أو ثواب عمل صالح ليجزيهم الله أحسن جزاء ما كانوا يعملونه.

﴿حريصٌ عليكم﴾ [١٢٨] أى: حريصٌ على إيمانكم، أو على إسلامكم.

﴿فإنْ تولَّوا فقل حَسْبِى الله لا إله إلا هو عليه توكلت﴾ [١٢٩] أى: على نصره، أو على عصمته اعتمدت.

❀ ❀ ❀

سورة يونس

﴿ما من شـفيع إلاَّ مِنْ بَعْد إذنه﴾ [٣] أى: ما من شـفاعة شفـيع إلا من بعد إذنه له فى الشفاعة.

﴿إليه مرجعكم جميعًا﴾ [٤] أى: إلى حكمه، أو إلى جزائه رجوعكم جميعًا.

﴿هو الَّذى جعل الشـمس ضياءً والقمـر نورًا وقدَّره منازل﴾ [٥] أى: هو الَّذى جـعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور وقدَّر له منازل، أو وقدَّر مسيره فى منازل، أو ذا منازل.

﴿ما خلق الله السَّموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ [٥] أى: إلا بسبب إقامة الحق.

﴿إن الَّذين لا يرجـون لقـاءنا ورَضُوا بالحيـاة الدُّنيـا واطمـأنوا بهـا والَّذين هُمْ عن آياتنا غافلون﴾ [٧] أى: إن الَّذين لا يرجـون لقاء ثوابنا، أو إن الَّذيـن لا يخافـون لقاء عـذابنا، ورضوا بمتاع الحياة الدُّنيا واطمأنوا بها، والَّذين هم عن تدبر آياتنا غافلون، أو الَّذين هم عن تأمل آياتنا، والنظر فيها غافلون، أو والَّذين هم عن سماع آياتنا، أو عن اتباع آياتنا غافلون.

﴿إن الَّذين آمنوا وعملو الصالحات يهديهم ربـهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار﴾ [٩] أى: يهديهم ربهم بسبب إيمانهم تجـرى من تحت منازلهم، أو من تحت غرفهم، أو من تحت أسرتهم أشربة الأنهار، أو مياه الأنهار.

﴿ولو يُعَجِّل الله للنَّاس الشـرَّ اسـتـعجـالهم بالخيـر لَقُضِيَ إليـهم أجلهم فَنَذَر الَّذين لا يرجون لقاءنا فى طغيـانهم يعمهون﴾ [١١] أى: ولو يعـجل الله للنَّاس الشر تعـجيـلاً مثل استعـجالهم بالخيـر لقضى إليهم أجل إهلاكهم وتدمـيرهم ﴿فنذر الَّذين لا يرجـون﴾ لقاء ثوابنا، أو فنذر الَّذين لا يخافون لقاء عذابنا ﴿فى طغيانهم يعمهون﴾.

﴿وإذا مَسَّ الإنسان الضُّر دعانا لجنبـه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كـشفنا عنه ضُرَّه مَرَّ كأن لم يَدْعُنَا إلى ضُرٍّ مَسَّه﴾ [١٢] أى: مر كأن لم يدعنا إلى كشف ضر مسه.

﴿وإذا تُتلى عليهم آياتنا بينات قال الَّذين لا يَرْجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدِّله﴾ [١٥] أي: قال الَّذين لا يرجون لقاء ثوابنا، أو قال: الَّذين لا يخافون لقاء عذابنا ائت بقرآن غير هذا القرآن، أو بدِّل آياته. قال المفسرون: بدِّل آية الرحمة بآية العذاب، وآية العذاب بآية الرحمة.

﴿وما كان النَّاس إلا أُمَّة واحدة فاختلفوا﴾ [١٩] أي: وما كان النَّاس إلا أهل ملة واحدة ـ ملة الإسلام ـ فاختلفوا فيها.

﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربِّه فقل إنَّما الغيب لله﴾ [٢٠] أي: هلاَّ أنزل عليه آية معجزة من عند ربه لنؤمن بها ﴿فقل إنَّما﴾ علم ﴿الغيب لله﴾، وصح هذا الجواب؛ لأنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية معجزة ليؤمنن بها فأقسموا أنهم يؤمنون عند مجيء الآية، وإيمانهم عند مجيئها غيب لا يعلمونه ولا يشعرون به، فقيل لهم هنا: ﴿إنَّما الغيب لله﴾ أي: إنَّما علم ما غاب عنكم من الإيمان والكفر عند مجيء الآية لله فكيف تقسمون على إيمانكم عند مجيئها، وهو غيب لا يشعرون به؛ ويدل على ذلك قوله: ﴿قل إنَّما الآيات عند الله وما يشعركم أنَّها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٠٩] معناه: وما يشعركم أنكم تؤمنون إذا جاءت الآية حتى تحلفوا على ذلك، ثم أكذبهم فى حلفهم لعلمه بأنهم لا يؤمنون بقوله: ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾.

﴿وإذا أذقنا النَّاس رحمةً من بَعْد ضرَّاء مَسَّتْهُم إذا لهم مكرٌ فى آياتنا﴾ [٢١] أي: فى إبطال آياتنا أو فى دحض آياتنا أو فى تكذيب آياتنا.

﴿يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾ أي: إنَّما وبال بغيكم على أنفسكم ﴿ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كُنْتُم تعملون﴾ [٢٣] أي: ثم إلى موقف حسابنا رجوعكم فنخبركم فى ذلك الموقف بأعمالكم حسنها وقبحها.

﴿إنَّما مثل الحياة الدُّنيا كماء أنزلناه من السَّماء فاختلط به نبات الأرض ممَّا يأكل النَّاس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زُخْرفها وازَّيَّنَتْ وظنَّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهارًا فجعلناها حصيدًا كأن لم تَغْنَ بالأمس﴾ [٢٤] أي: إنَّما مثل زوال الحياة الدُّنيا وانقطاعها كمثل ذهاب زرع أو فساد زرع، أو إنَّما مثل سرعة زوال الحياة الدُّنيا، أو إنَّما مثل

متاع الحياة الدُّنيا كمثل زرع ما، أو مثل الحياة وانسلاكها فى الأجساد بانسلاك الماء فى الزرع، ثم شبَّه مفارقتها للأجساد بمفارقة رطوبة الماء للزرع، وشبَّه تمزيق الأجساد بعد ذهاب الحياة بحصد الزرع بعد زوال رطوبته، ﴿**وظن أهلها أنهم قادرون**﴾ [٢٤] على استقلالها أتتها جوائحنا ليلاً أو نهارًا فجعلنا نباتها محصودًا.

﴿**ما لهم من الله من عاصم**﴾ [٢٧] أى: ما لهم من عذاب الله من مانع يمنع عنهم العذاب.

﴿**وَرُدُّوا إلى الله مولاهم الحق**﴾ [٣٠] أى: ردوا إلى حكم الله، أو إلى جزاء الله مولاهم العدل.

﴿**أَمَّنْ يملك السمع والأبصار**﴾ [٣١] أى: أمَّنْ يملك خلق السمع والأبصار، أو حفظ السمع والأبصار.

﴿**فقل أفلا تتقون**﴾ [٣١] أى: فقل أفلا تتقون عذابهَ بتوحيده.

﴿**فماذا بعد الحق إلا الضلال**﴾ [٣٢] أى: فماذا بعد عبادة الحق إلا عبادة الأوثان.

﴿**وما كان هذا القرآن أن يُفتَرى من دون الله ولكن تصديقَ الَّذى بين يديه وتفصيلَ الكتاب**﴾ [٣٧] أى: ولكن كان ذا تصديق الكتب التى بين يديه وتفصيل ما كتبه الله على عباده من أمره، ونهيه، وحلاله، وحرامه، وسائر أحكامه.

﴿**أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله**﴾ [٣٨] أى: فأتوا بسورة مثل إحدى سوره.

﴿**أنتم بريئون ممَّا أعمل وأنا برىءٌ ممَّا تعملون**﴾ [٤١] أى: أنتم بريئون من وبال ما أعمل، وأنا برىء من وبال ما تعملون.

﴿**وإمَّا نُرينَّك بعض الَّذى نَعدهم أو نَتوفينَّك فإلينا مرجعهم**﴾ [٤٦] أى: أو نتوفين نفسك فإلى موقف حسابنا رجوعهم.

﴿**ويقولون متى هذا الوعدُ إنْ كُنتُم صادقين**﴾ [٤٨] أى: ويقولون متى وقوع هذا العذاب الموعود إن كُنتُم صادقين.

﴿قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعًا﴾ [٤٩] أى: قل لا أملك لنفسى دفع ضر ولا جلب نفع.

﴿لكلّ أمة أجلٌ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون﴾ [٤٩] أى: لهلاك كل أمة أجل إذا جاء أجل هلاكهم فلا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون.

﴿قل أرأيتم إنْ أتاكم عذابه بياتًا﴾ [٥٠] أى: وقت بيات، ويدل على حذف «وقت» أنه قوبل بالنهار، ومقابلة الليل بالنهار أحسن من مقابلة البيات بالنهار؛ لتحسين الكلام، فإن من الحذف ما لا يصح الكلام إلا به، ومنه ما يكون لتحسين الكلام، وقد وصف الله كتابه بأنه أحسن الحديث لفظًا ومعنى.

﴿هو يحيى ويميت وإليه تُرجعون﴾ [٥٦] أى: وإلى جزائه ترجعون.

﴿وما يَعْزُب عَنْ ربِّك من مثقال ذرَّة فى الأرض ولا فى السَّماء﴾ [٦١] أى: وما يعزب عن علم ربِّك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء.

﴿الَّذين آمنوا وكانوا يتَّقون﴾ [٦٣] أى: وكانوا يتقون محارم الله، أو يتقون عقابه بفعل ما أوجب وترك ما حرم، أو يتقون الشرك.

﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [٦٨] أى: أتقولون على الله ما لا تعلمون صدقه وصحته.

﴿متاع فى الدُّنيا ثم إلينا مرجعهم﴾ أى: ثم إلى موقف حسابنا رجوعهم ﴿ثم نُذيقهم العذابَ الشديد﴾ [٧٠] جاء بـ «ثم» لتراخى ما بين رجوعهم إلى الموقف وبين إذاقة العذاب الشديد، وقد جاء بالفاء التى هى للتعقيب فى قوله: ﴿إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا﴾ [لقمان: ٢٣] والتعقيب مناف للتراخى، وعنه أجوبة:

أحدها: أن «الفاء» لمن بدئ بتنبئة عقيب الرجوع، و «ثم» لمن تأخرت تنبئته عن الرجوع فراخى تنبيئهم إلى آخر الأمر على اختلاف رتبهم فى التأخير، وأمتاهم المقدمون المحكوم لهم قبل الخلق يوم القيامة، ثم يقدم الرسل رسولاً رسولاً على حسب مراتبهم، وفى الحديث الصحيح: «**نحن الآخرون السابقون المقضى لهم يوم القيامة**»[1] أى: نحن

(١) أخرجه البخارى فى الديات ٦٨٨٧، مسلم فى الجمعة ٨٥٥.

الآخرون زمانًا السابقون في الفصل بيننا.

الجواب الثاني: أن يكون التراخي محمولاً على إكمال الإنباء، والتعقيب محمولاً على ابتدائه؛ لأن العرب يطلقون اسم المجموع على ابتدائه تجوزًا، وكذلك على انتهائه، ومنه قوله: ﴿**وما رميت إذْ رميت**﴾ [الانفال: ١٧] معناه: وما أنهيت الرمي إذا ابتدأته ولكن الله أنهاه، ومثله قوله ﷺ، في حديث جبريل: «**فصلى بى الظهر حين زالت الشمس**» أى: فابتدأ بى الصَّلاة «**وصلى بى الظهر فى اليوم الثانى حين صار ظل كل شىء مثله**»(١) أى: أتم الصَّلاة؛ فأطلق لفظ الصَّلاة على ابتدائها وانتهائها، وكذلك قوله فى صلاة العشاء والصبح.

الجواب الثالث: من الجائز أن يبتدأ تنبئة كل كافر عقيب رجوعه، وينتهى بعد التراخى وطول الزمان، فتطلق «الفاء» فى حق كل واحد على ابتداء تنبيئه، وثم على انتهائها، ومثله قوله: ﴿**قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ [الانعام: ١١]، وقوله: ﴿**أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الَّذين من قبلهم**﴾ [غافر: ٨٢] إن حملت لفظة السير على ابتدائه صحَّ التراخى لبعد ما بين ابتداء السير والوقوف على منازل المكذبين، وإن حملتها على انتهائه إلى منازل الهالكين صح التعقيب حينئذ، ويجوز أن يكونوا أمروا بالنظر مرتين: مرة على التعقيب، ومرة على التراخى بعد التعقيب.

﴿**واتل عليهم نبأ نوح إذْ قال لقومه يا قوم إنْ كان كَبُرَ عليكم مَقَامى وَتَذْكيرى بآيات الله فَعَلَى الله توكلت**﴾ [٧١] أى: فعلى عصمة الله من كيدكم اعتمدت.

﴿**ثم لا يَكُنْ أمركم عليكم غُمَّة**﴾ [٧١] أى: ثم لا يكن أمركم عليكم ذا غمة.

﴿**ثم بعثنا من بعده رُسُلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل**﴾ [٧٤] أى: ثم بعثنا من بعد موته رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح من قبلهم، أو فما كان آخر كل قوم نبى ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من قبلهم.

﴿**قالوا أجئتنا لتَلْفتَنا عمَّا وجدنا عليه آباءنا**﴾ [٧٨] أى: قالوا أجئتنا لتصرفنا عن عبادة ما

وجدنا على عبادته آباءنا، أو لتصرفنا عن الدين الَّذى وجدنا عليه آباءنا.

﴿إن كُنْتُم آمنتم بالله فعليه توكَّلوا﴾ [٨٤] أى: إن كُنْتُم آمنتم بربوبية الله فعلى عصمته، أو فعلى نصرته، أو فعلى حفظه وكفايته فتوكلوا.

﴿فقالوا على الله توكَّلْنَا ربَّنَا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ [٨٥، ٨٦] أى: فقالوا على عصمة الله، أو على نصر الله وكفايته توكلنا، ربنا لا تجعل لهلاكنا أو عذابنا سبب فتنة، أو ولا تجعل خذلاننا وقهرهم إيانا سبب فتنة لهم، ونجنا برحمتك من شر القوم الكافرين، أو من تعبيد القوم الكافرين، أو من عذاب القوم الكافرين؛ فإنهم كانوا يسومونهم سوء العذاب.

﴿واجعلوا بُيوتكم قبلة﴾ [٨٧] أى: واجعلوا بيوتكم ذوات قبلة.

﴿قال آمنتُ أنَّه لا إله إلا الَّذى آمنتْ به بنو إسرائيل﴾ [٩٠] أى: قال: آمنت بأنه لا إله إلا الَّذى آمنت بوحدانيته أو بربوبيته بنو إسرائيل، فقال له جبريل: أتؤمن بالوحدانية ﴿ءآلآن وقد عصيت﴾ لما أُمِرْتَ بها من قبل هذا الوقت ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ [٩٢] ليكون إغراقك لمن يأتى بعدك عبرة وموعظة.

﴿فإنْ كُنتَ فى شكٍّ ممَّا أنزلنا إليك فاسأل الَّذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحقُّ من ربِّك فلا تكونن من المُمْتَرين﴾ [٩٤] أى: فإن كنت فى شك من إنزال ما أنزلناه إليك فاسأل عن إنزاله الَّذين يقرأون التوراة والإنجيل من قبل إرسالك، أو من قبل وجودك ﴿لقد جاءك﴾ القرآن ﴿من﴾ عند ﴿ربِّك فلا تكونن من﴾ الشاكين فى مجيئه من عنده.

﴿فلولا كانت قريةٌ آمنتْ فَنَفَعَهَا إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذابَ الخزى فى الحياة الدُّنيا﴾ [٩٨] أى: فهلا كان أهل قرية آمنوا لَمَّا رأوا العذاب فنفعهم إيمانهم بالإنجاء من العذاب إلا قوم يونس لما آمنوا عند رؤية العذاب كشفنا عنهم عذاب الخزى فى أيام الحياة الدُّنيا، أو فى مدة الحياة الدُّنيا.

﴿قل يأيُّهَا النَّاس إن كُنْتُم فى شكٍّ من دينى فلا أعبد الَّذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الَّذى يتوفاكم﴾ [١٠٤] أى: قل: يأيُّهَا النَّاس إن كُنْتُم فى شك من صحة دينى فلا

أعبد الَّذين تعبدونهم من دون الله ولكن أعبد الله الَّذى يتوفى أنفسكم.

﴿**وما أنا عليكم بوكيل**﴾ [١٠٨] أى: وما أنا على قسركم على الهدى بوكيل.



سورة هود

﴿إننى لكم منه نذيرٌ وبشير﴾ [٢] أى: إننى لكم من عذابه نذير، وبثوابه بشير.

﴿ويُؤت كلّ ذى فضل فَضْلَه﴾ [٣] أى: ويؤت كل ذى فضل ثواب فضله، أو أجر فضله؛ فالضميرعلى هذا لكل ذى فضل، وعلى قول آخر: الضمير للرب، والفضل عبارة عن الأجر، وهو أولى؛ لأن ثواب الجنَّة ليس أجرًا على التحقيق وإنّما الأجر من مجاز التمثيل؛ لأن الله هو المتفضل بالطاعة والإيمان، وبما رتبه عليهما من المثوبة والرضوان، فإن من أحسن إلى عبده مرتين لم تكن المرة الثانية أجرًا على المرة الأولى إلا على مجاز التشبيه والتمثيل مع كونه لا يحتاج إلى حذف، وكونه ردا على المعتزلة فى دعواهم وجوب الأجر على الله، وأن للعبد عملاً يستحقه به.

﴿إلى الله مرجعكم﴾ [٤] أى: إلى جزاء الله رجوعكم

﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾ [٦] أى: ضمان رزقها.

﴿وهو الّذى خلق السّموات والأرض فى ستة أيام﴾ [٧] أى: فى مقدار ستة أيام.

﴿ولئن أخَّرْنَا عنهم العذاب إلى أُمَّة مَعْدُودة لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسه﴾ [٨] أى: إلى انقضاء أوقات معدودة، أو أزمان معدودة.

﴿ولئن أذقنا الإنسان منَّا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوسٌ كفور﴾ [٨] أى: ولئن أذقنا الإنسان من عندنا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور بدليل قوله: ﴿رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ [الأنبياء: ٨٤].

﴿فلعلك تاركٌ بعض ما يوحى إليك وضائقٌ به صدرك﴾ [١٢] أى: فلعلك تارك إبلاغ بعض ما يوحى إليك وضائق بإبلاغه صدرك.

﴿والله على كل شيء وكيل﴾ [١٢] أي: والله على كل شيء من أعمالهم وأقوالهم وكيل بالشهادة.

﴿نُوفِّ إليهم أعمالهم فيها﴾ [١٥] أي: نوف إليهم جزاء أعمالهم فيها.

﴿أفمن كان على بينة من ربِّه ويتلوه شاهدٌ منه ومن قبله كتاب موسى إمامًا ورحمة أولئك يؤمنون به﴾ [١٧] أي: أفمن كان على اتباع بيان من عند ربه ويتلوه عليه ملك شاهد من عنده، ومن قبل إنزاله كتاب موسى إمامًا ورحمة ﴿أولئك يؤمنون﴾ بإنزاله أي: بإنزال البيان المذكور، أو يؤمنون بنبوته أي: بنبوة من كان على بينة من ربه.

﴿فلا تَكُ في مرية منه إنَّه الحق من ربِّك﴾ [١٧] أي: فلا تك في شك من إنزاله، إنه الحق من ربِّك.

﴿أولئك الَّذين خسروا أنفسهم﴾ [٢١] أي: أولئك الَّذين خسروا حظوظ أنفسهم من خير الآخرة ونعيمها.

﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع﴾ [٢٤] أي: حال الفريقين أو صفة الفريقين كحال الأعمى والأصم، وحال البصير والسميع، أو كصفة الأعمى والأصم، وصفة البصير والسميع.

﴿أنُلزِمُكُموها وأنتم لها كارهون﴾ [٢٨] أي: أنلزمكم تصديقها وقبولها وأنتم لتصديقها وقبولها كارهون.

﴿وما أنا بطارد الَّذين آمنوا إنهم مُلاقو ربهم﴾ [٢٩] أي: ملاقو جزاء ربهم.

﴿هو ربُّكم وإليه ترجعون﴾ [٣٤] أي: وإلى جزائه ترجعون.

﴿قل إن افتريته فعليَّ إجرامي وأنا بريءٌ ممَّا تُجْرِمون﴾ [٣٥] أي: قل إن افتريته فعليَّ وبال افترائي وأنا بريء من وبال افترائكم، والتعبير بالجرم عن الافتراء من باب التعبير بالعام عن الخاص؛ لأن الجرم هو الذنب.

﴿ولا تخاطبني في الَّذين ظلموا﴾ [٣٧] أي: ولا تخاطبني في إنجاء الَّذين ظلموا وتخليصهم من الغرق، أي: ولا تشفع في ذلك.

﴿إنه عَمَلٌ غيرُ صالح﴾ [٤٦] أي: إن ابنك ذو عمل غير صالح بدليل قراءة الكسائى أى: «إنَّه عَمِلَ غير صالح» وقيل: إن سؤالك عمل غير صالح.

﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم﴾ [٤٦] أي: فلا تسألنى شيئًا ليس لك بجواز سؤاله علم.

﴿قال ربِّ إني أعوذُ بك أن أسألك ما ليس لى به علم﴾ [٤٧] أي: قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك شيئًا ليس لى بجواز سؤاله علم.

﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منَّا وبركات عليك وعلى أُمم ممن مَعَكَ وأممٌ سنمتعهم ثم يمسهم منَّا عذابٌ أليم﴾ [٤٨] أي: قيل يا نوح اهبط بسلام من عندنا؛ بدليل قوله: **﴿تحية من عند الله﴾** [النور: ٦١] **﴿وعلى أمم ممن﴾** ذرية من **﴿معك﴾**، أو من نسل من معك **﴿وأمم سنمتعهم ثم يمسهم﴾** من عندنا **﴿عذاب إليم﴾**؛ بدليل قوله: **﴿أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا﴾** [التوبة: ٥٢].

﴿تلك من أنباء الغيبِ نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ [٤٩] أي: تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعرفها أنت ولا قومك من قبل هذا القرآن، أو من قبل هذا الزمان، أو من قبل هذا العرفان.

﴿وما نحن بتاركي آلـهتنا عن قولك﴾ [٥٣] أي: وما نحن بتاركى عبادة آلهتنا صادرين عن قولك.

﴿قال إني أُشْهِدُ الله واشهدوا أني بريء ممَّا تُشركون * مِنْ دُونه﴾ [٥٤، ٥٥] أي: واشهدوا بأني بريء من عبادة ما تشركون به.

﴿إني توكلتُ على الله ربِّي وربِّكم﴾ [٥٦] أي: إني توكلت على نصر الله، أو على عصمة الله ربى وربكم.

﴿ألا إن عاداً كفروا ربَّهم﴾ [٦٠] أي: جحدوا توحيد ربهم، أو كفروا نعم ربهم.

﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم تُوبوا إليه﴾ [٦١] أي: هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه، ثم ارجعوا إلى طاعته.

﴿وإنا لفى شكٍّ مِّمَّا تدعونا إليه مريب﴾ [٦٢] أى: وإننا لفى شك من التوحيد الَّذى تدعونا إليه مريب.

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنى من الله إن عصيته﴾ [٦٣] أى: فمن يمنعنى من عذاب الله إن عصيته، أو فمن يمنعنى من بأس الله إن عصيته، وهو أولى؛ لأنه قد ظهر في قوله: **﴿فمن ينصرنى من بأس الله إن جاءنا﴾** [غافر: ٢٩].

﴿ألا إن ثموداْ كفروا ربَّهم﴾ [٦٨] أى: جحدوا توحيد ربهم، أو كفروا نعم ربهم.

﴿يجادلنا فى قوم لوط﴾ [٧٤] أى: يجادلنا فى إنجاء قوم لوط، أو فى إنقاذ قوم لوط، أى: فشفع فى ذلك.

﴿ولما جاءت رُسلنا لوطًا سيء بهم﴾ [٧٧] أى: سيء بمجيئهم، أى: سيء بسبب مجيئهم.

﴿قال يا قوم هؤلاء بناتى هُنَّ أطهر لكم فاتَّقوا الله ولا تُخزونِ فى ضيفى﴾ [٧٨] أى: تزوجهن أو إتيانهن أطهر لكم، فاتقوا عذاب الله بترك التعرض لأضيافى، ولا تخزونى فى أذية أضيافى، أى: بسبب أذيتهم.

﴿قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق﴾ [٧٩] أى: ما لنا فى إبضاع بناتك، أو فى أنكحة بناتك، أو فى إتيان بناتك من حق.

﴿قال لو أن لى بكم قُوة﴾ [٨٠] أى: لو أن لى بدفعكم عن أضيافى قوة.

﴿قالوا يا لوط إنَّا رسل ربِّك لن يصلوا إليك﴾ [٨١] أى: لن يصلوا إلى أذيتك، أو إلى حزنك فى ضيفك.

﴿وأمطرنا عليها حجارةً من سجيل﴾ [٨٢] أى: وأمطرنا على أهلها حجارة من سجيل؛ بدليل قوله فى الحجر **﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾** [الحجر: ٧٤].

﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ [٨٦] أى: وما أنا على أعمالكم بحفيظ.

﴿قالوا يا شعيب أصلاتك[1] تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ [٨٧] أي: أصلاتك تأمرك بأن تأمرنا بأن نترك عبادة ما كان يعبده آباؤنا.

﴿ورزقني منه رزقًا حسنًا﴾ [٨٨] أي: ورزقني من عنده رزقًا حسنًا؛ بدليل قوله: ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ [العنكبوت: ١٧] أي: فابتغوا من عند الله الرزق؛ وبدليل قوله: ﴿قالت هو من عند الله﴾ [آل عمران: ٣٧].

أو «ورزقني من لدنه رزقًا حسنًا»؛ بدليل قوله: ﴿رزقًا من لدنا﴾ [القصص: ٥٧].

﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت﴾ [٨٨] أي: وما توفيقي إلا بقدرة الله ﴿عليه توكلت﴾ أي: على توفيقه، أو على عصمته اعتمدت.

﴿وإليه أُنيب﴾ [٨٨] أي: وإلى طاعته أرجع.

﴿واستغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه﴾ [٩٠] أي: واستغفروا ربَّكم، ثم ارجعوا إلى طاعته.

﴿ولولا رَهْطُكَ لرجمناك﴾ [٩١] أي: ولولا حرمة رهطك لرجمناك.

﴿قال يا قوم أرهطي أعزّ عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظِهْريا﴾ [٩٢] أي: أحرمة رهطي أعز عليكم من حرمة الله واتَّخذتم طاعته وراءكم ظهريا.

﴿وكذلك أخذُ ربِّك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ [١٠٢] أي: وكذلك أخذ ربِّك إذا أخذ أهل القرى وهم ظالمون.

﴿ذلك يوم مجموع له النَّاس﴾ [١٠٣] أي: مجموع لجزائه النَّاس.

﴿وما نُؤخِّرُه إلا لأجلٍ معدود﴾ [١٠٤] أي: وما نؤخر عذاب الآخرة إلا لانقضاء أجل معدود.

﴿فلا تَكُ في مرية ممَّا يعبد هؤلاء﴾ [١٠٩] أي: فلا تكن في شك من بطلان عبادة هؤلاء، أو من بطلان عبادة ما يعبده هؤلاء.

---

(١) في الأصل «أصلواتك» بالجمع، والمثبت بالإفراد على قراءة حمزة والكسائي ورواية حفص عن عاصم، والباقون بالجمع (شرح الشاطبية للشيخ الضباع ص ٢١٥).

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاخْتُلِفَ فيه﴾ [١١٠] أى: فاختلف فى تصديقه، أو فى اتباعه.

﴿وإنَّ كلا لَمَّا ليوفينَّهم ربُّك أعمالهم﴾ [١١١] أى: لما ليوفينهم ربُّك جزاء أعمالهم إن خيرًا فخيرًا، وإن شرا فشرا.

﴿إن الحسنات يُذهبن السيئات﴾ [١١٤] أى: يذهبن عقوبات السيئات، أو يذهبن العقوبات السيئات كقوله: **﴿وَقِهم السيئات﴾** [غافر: ٩]، وهذا أولى لقوله: **﴿ومَن تَقِ السيئات يومئذٍ فقد رحمته﴾** [غافر: ٩]، ولا وقاية يومئذ إلا من العقوبات، ولا يصح أن يحمل على معنى: وقهم الأعمال السيئات لزوال التكاليف يومئذ.

﴿وما كان ربُّك ليُهْلِكَ القرى بظلم﴾ [١١٧] أى: وما كان ربُّك ليهلك أهل القرى بظلم.

﴿ولو شاء ربُّك لجعل النَّاس أمة واحدة﴾ [١١٨] أى: ولو شاء ربُّك لجعل النَّاس أهل ملة واحدة ملة الإسلام.

﴿ولله غيب السَّموات والأرض وإليه يُرجع الأمر كُلُّه فاعبده وتوكل عليه﴾ [١٢٣] أى: ولله علم غيب أهل السَّموات والأرض وإلى حكمه وقضائه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل على نصره، أو على عصمته، أو على فضله ورحمته.

❁ ❁ ❁

سورة يوسف

﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ [٣] أي: من قبل إيحائه.

﴿لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين﴾ [٧] أي: لقد كان في قصة يوسف، أو في خبر يوسف، أو في ذكر قصة يوسف وإخوته آيات للسائلين.

﴿وتكونوا من بعده قومًا صالحين﴾ [٩] أي: من بعد فراقه.

﴿ما لك لا تأمنا على يوسف﴾ [١١] أي: ما لك لا تأمنا على حفظ يوسف، أو على صحبة يوسف.

﴿وجاءُوا على قميصه بدمٍ كذب﴾ [١٨] أي: بدم ذي كذب.

﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ [١٨] أي: والله المستعان على تحمل ما تصفون.

﴿وشَرَوْهُ بثمن بخس دراهمٍ معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾ [٢٠] أي: وباعوه بثمن ذي نقص؛ دراهم معدودة، وكان إخوته في صحبته من الزاهدين، أو وكانت السيارة في اقتنائه من الزاهدين.

﴿وقال الَّذي اشتراه من مصر لامرأته أكْرمي مثْواه عسى أن ينفعنا أو نتَّخذَه ولدًا﴾ [٢١] أي: وقال الَّذي اشتراه من أهل مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه مثل ولد.

﴿ولقد همت به وهمَّ بها﴾ [٢٤] أي: ولقد همت بمخالطته وهمَّ بمخالطتها، أو ولقد همت بتمكينه وهم بإتيانها.

﴿قالت فَذلكُنَّ الَّذي لُمتنني فيه﴾ [٣٢] أي: فذلكن الَّذي لُمتنني في مراودته لقولهن ﴿تراود فتاها عن نفسه﴾، أو فذلكن الَّذي لُمتنني في حبه لقولهن ﴿قد شغفها حبا﴾ أو

فذلكن الَّذى لمتتنى فى أمره وشأنه فيعم المراودة والحب وتقدير المراودة أولى؛ لأن الحب غالب لا يصح اللوم عليه مفردًا ولا مضمومًا.

﴿قال ربِّ السجنُ أحبُّ إلىَّ ممَّا يدعوننى إليه وإلا تصرف عنِّى كيدهن أصْبُ إليهن﴾ [٣٣] أى: قال رب دخول السجن أو سكنى السجن أحب إلىَّ ممَّا يدعوننى إليه، وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إلى إجابتهن.

﴿إنى تركت ملَّة قوم لا يُؤمنون بالله﴾ [٣٧] أى: إنى تركت اتباع ملة قوم لا يؤمنون بوحدانية الله بدليل مقابلته بقوله: **﴿واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾** [٣٨].

﴿يا صاحبى السجن أأربابٌ مُتفرقون خيرٌ أم اللهُ الواحدُ القهار﴾ [٣٩] أى: عبادة آلهة متفرقين خيرٌ أم عبادة الله الواحد القهار.

﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سُلطان﴾ [٤٠] أى: ما تعبدون من دونه إلا مسميات سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بعبادتها، أو بتسميتها آلهة من سلطان.

﴿وقال الَّذى ظنَّ أنه ناج منْهُمَا اذكرنى عند ربِّك﴾ [٤٢] أى: اذكر قصتى، أو مظلمتى، أو واقعتى، أو حبسى، أو أمرى عند سيدك.

﴿فأنساه الشَّيطان ذكر ربه﴾ [٤٢] أى: فأنساه الشَّيطان ذكر توحد ربه بالضر والنفع.

﴿يأيُّهَا الملأُ أفتونى فى رؤياى إن كُنْتُم للرؤيا تَعْبُرون﴾ [٤٣] أى: أفتونى فى تأويل رؤياى؛ لأن الاستفتاء إنَّما وقع فى تأويلها لا فيها نفسها ولذلك أجابوه بقولهم: **﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾** أى: أفتونى فى عبارة رؤياى لقوله: **﴿إن كُنْتُم للرؤيا تعبرون﴾**.

﴿وقال الَّذى نجا منهما وادَّكَر بعد أُمَّة أنا أنبئكم بتأويله﴾ [٤٥] أى: أنا أنبئكم بتأويل رؤياه، أو بتأويل ما رآه.

﴿يوسف أيُّهَا الصديقُ أفْتِنَا فى سبع بقرات سمان﴾ [٤٦] أى: أفتنا فى تأويل رؤيا سبع بقرات سمان.

﴿قال تزرعون سبع سنين دأبًا فما حَصَدْتُم فذروه فى سُنْبله﴾ [٤٧] أى: فأى شىء

حصدتم من ذلك الزرع فاتركوا حبه فى سنبله.

﴿ثم يأتى من بعد ذلك سبعٌ شدادٌ يأكلن ما قدَّمتم لهن﴾ [٤٨] أى: ثم يأتى من بعد ذلك الزرع أو من بعد ذلك الوقت، أو من بعد ذلك الزمان، أو من بعد ما ذكرت من الزرع والحصد والأكل سبع شديد قحطها وغلاها يأكل أهلهن ما قدمتموه لهم.

﴿ثم يأتى من بعد ذلك عامٌ فيه يُغاثُ النَّاس وفيه يَعْصِرون﴾ [٤٩] أى: ثم يأتى من بعد ذلك الأكل، أو من بعد ذلك الجدب الشديد عامٌ فيه يغاث النَّاس وفيه يعصرون السمسم، والعنب، والزيتون.

﴿قال هل آمنكم عليه إلا كما أَمِنْتُكم على أخيه من قبل﴾ [٦٤] أى: قال ما آمنكم على حفظه إلا كما أمنتكم على حفظ أخيه من قبله.

﴿قال لن أُرسله معكم حتى تؤتونِ مَوْثِقًا من الله لتأتننى به إلا أنْ يُحاطَ بكم﴾ [٦٦] أى: لن أرسله معكم حتى تؤتونى موثقًا من مواثيق الله لتأتننى به إلا أن يُحاط بكم.

﴿وقال يا بنىَّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أُغنى عنكم من الله من شىء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ [٦٧] أى: وما أدفع عنكم من قضاء الله وقدره، على حفظه لولدى اعتمدت، أو على معونته اعتمدت لقوله: **﴿والله المُسْتَعَانُ على ما تصفون﴾** [١٨] وعلى معونته فليتوكل المتوكلون.

﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شىء إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها﴾ [٦٨] أى: ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان دخولهم من الأبواب المتفرقة يدفع عنهم من قضاء الله وقدره شيئًا إلا إرادة حاجة فى نفس يعقوب قضاها.

﴿قالوا فما جزاؤه إن كُنتُم كاذبين﴾ [٧٤] أى: قالوا: فما جزاء السرق إن كُنتُم كاذبين فى قولكم **﴿وما كُنَّا سارقين﴾**.

﴿قالوا جزاؤه مَنْ وُجدَ فى رَحْله فهو جزَاؤه﴾ [٧٥] أى: قالوا: جزاء السرق استرقاق من وجد فى رحله، أو استعباد من وجد فى رحله، أو أخذ من وجد فى رحله لقوله:

﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾ [٧٩].

﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ [٧٦] أى: فبدأ بفتح أوعيتهم قبل فتح وعاء أخيه، أو فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل تفتيش وعاء أخيه.

﴿فلما استيأسوا منه خَلَصوا نجيًّا﴾ [٨٠] أى: فلما استيأسوا من رده عليهم ورجعه إليهم انفردوا عن النَّاس متناجين.

﴿قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله وَمِنْ قَبْلُ ما فَرَّطتم فى يوسف﴾ [٨٠] أى: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من مواثيق الله، ومن قبل ما فرطتم فى حفظ يوسف.

﴿واسأل القرية التى كُنَّا فيها والعير التى أقبلنا فيها وإنَّا لصادقون﴾ [٨٢] أى: واسأل عن سرقته أهل القرية التى كُنَّا فيها وأصحاب العير التى أقبلنا فيها، أو واسأل عن سرقته أصحاب القرية التى كُنَّا فيها وأصحاب العير التى أقبلنا فيها وإنا لصادقون فى قولنا: إن ابنك سرق.

﴿قال إنَّما أشكو بثِّى وَحُزْنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ [٨٦] أى: وأعرف من لطف الله، أو من رحمة الله، أو من فرج الله، أو من روح الله شيئًا لا تعرفونه.

﴿يا بَنى اذهبوا فتحسَّسوا من يوسف وأخيه﴾ [٨٧] أى: اذهبوا فتحسسوا من أخبار يوسف وأخيه.

﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذْ أنتم جاهلون﴾ [٨٩] أى: قال هل عرفتم قبح ما فعلتم بيوسف، أو قال: هل علمتم أى شىء فعلتم بيوسف وأخيه إذْ أنتم جاهلون.

﴿قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم﴾ [٩٥] أى: قالوا: تالله إنك لفى حبِّك القديم.

﴿قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ [٩٦] أى: قال: ألم أقل لكم إنى أعرف من لطف الله، أو من رحمة الله، أو من فرج الله، أو من روح الله شيئًا لا تعرفونه.

﴿أنت وليى فى الدُّنيا والآخرة توفَّنى مُسْلمًا﴾ [١٠١] أى: أنت ولى أمورى، أو ولى تدبيرى، أو ولى إصلاحى، توفَّ نفسى مسلمة.

﴿وما تسألهم عليه من أجر إنْ هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ [١٠٤] أي: وما تسألهم على إبلاغه؛ أي: على إبلاغ القرآن أجرًا، ما القرآن إلا موعظة للعالمين.

﴿وكأيٍّ من آية في السَّموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ [١٠٥] أي: وهم عن تأملها والنظر فيها معرضون، أو وهم عن دلالتها على قدرة صانعها معرضون.

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [١٠٦] أي: وما يؤمن أكثرهم بربوبية الله إلا وهم مشركون.

﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾ [١٠٨] أي: قل هذه الملة ملة الإسلام سبيلي أدعو الخلق إلى طاعة الله، أو إلى عبادة الله، أو إلى سبيل الله لقوله: **﴿ادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾** [النحل: ١٢٥].

❋ ❋ ❋

سورة الرعد

﴿وهو الَّذي مـدَّ الأرض وَجَعَلَ فيـها رواسي وأنهـارًا﴾ [٣] أي: وَجَعَلَ فيـها رواسيَ ومياه الأنهار؛ لأن التمنن بالمياه أكمل من التمنن بأخاديدها؛ ولأن القدرة والحكمة في خلق الماء أتم منها في خلق الأخاديد.

﴿أولئك الَّذين كفروا بربِّهم﴾ [٥] أي: أولئك الَّذين كفروا بوحدانية ربهم، أو بقدرة ربهم على بعثهم.

﴿له مُعَقبات من بين يديه ومن خلفه يَحْفَظُونه من أمر الله﴾ [١١] أي: يحفظون أعماله من أجل أمر الله إياهم بحفظها.

﴿وهم يُجادلون في الله﴾ [١٣] أي: وهم يجادلون في دين الله، أو في توحـيد الله، أو في شأن الله.

﴿له دعوة الحق والَّذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلاَّ كباسط كفَّيه إلى الماء ليبلغ فَاه﴾ [١٤] أي: والَّذين يعبدونهم من دونه لا يستجيـبون لهم بشيء إلا كاستجابة باسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه.

﴿أنزل من السَّماء ماءً فسالت أودية بقـدرها فاحتمل السيلُ زبدًا رابيًا﴾ [١٧] أي: أنزل من السحاب، أو من جهة السماء، أو من نحو السماء، أو من صوب السَّماء ماء؛ فسالت مياه أودية بقدر تلك الأودية فاحتمل الماء السائل زبدًا رابيًا.

﴿كذلك يضـرب الله الحق والباطل﴾ [١٧] أي: كذلك يـضرب الله مثل الحـق، ومثل الباطل.

﴿الَّذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ [٢٠] أي: الَّذين يوفون بمقتضى عهد الله

ولا ينقضون موجب الميثاق، أو إتمام الميثاق، أو وفاء الميثاق، أو مقتضى الميثاق، أو أحكام الميثاق.

﴿ويخشون ربَّهم﴾ [٢١] أى: ويخافون عقاب ربهم أو عذاب ربهم.

﴿والَّذين ينقضون عهد الله﴾ [٢٥] أى: والَّذين ينقضون مقتضى عهد الله.

﴿وفرحوا بالحياة الدُّنيا وما الحياة الدُّنيا فى الآخرة إلا متاع﴾ [٢٦] أى: وفرحوا بعرض الحياة الدُّنيا وما عرضُ الحياة الدُّنيا فى جنب الآخرة، أو فى جنب ثواب الآخرة إلا متاع، أو وفرحوا بزينة الحياة الدُّنيا وما زينة الحياة الدُّنيا فى جنب الآخرة أو فى جنب ثواب الآخرة إلا متاع.

﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾ [٣٠] أى: على فضله اعتمدت، أو على نصره وكفايته اعتمدت، وإلى جزائه أو إلى طاعته رجوعى.

﴿ولو أنَّ قرآنًا سُيِّرت به الجبال أو قُطِّعتْ به الأرض أو كُلِّم به الموتى بل لله الأمرُ جميعًا﴾ [٣١] أى: ولو أن قرآنًا سيرت بقراءته الجبال، أو قطعت بقراءته الأرض، أو كلم بقراءته الموتى، بل لله الأمر جميعًا.

﴿أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت﴾ [٣٣] أى: أفمن هو قائمٌ على كل نفس برَّة وفاجرة بجزاء ما كسبت من الخير والشر.

﴿إليه أدعو وإليه مآب﴾ [٣٦] أى: إلى طاعته، أو إلى دينه، أو إلى سبيله وتوحيده أدعو النَّاس، وإلى حكمه وجزائه رجوعى، أو إلى توحيده الَّذى أدعو إليه النَّاس رجوعى.

﴿ولئن اتَّبعْتَ أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لكَ من الله من ولِى ولا واق﴾ [٣٧] أى: ما لك من دون الله من ولى ينفع، ولا واقٍ يصرف عنك العذاب أو يدفع.

﴿وإمَّا نُرينك بعض الَّذى نَعدهم أو نَتَوفينَّكَ فإنَّما عليك البلاغ﴾ [٤٠] أى: أو نتوفين نفسك.

❁ ❁ ❁

سورة إبراهيم عليه السلام

﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذْ أنجاكم من آل فرعون﴾ [٦] أي: أنجاكم من تعبيد آل فرعون، أو من شر آل فرعون، والأول أولى لقوله: ﴿أنْ عَبَّدْتَ بنى إسرائيل﴾ [الشعراء: ٢٢].

﴿ألم يأتكم نبأ الَّذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والَّذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾ أي: لا يعرف عدتهم إلا الله.

﴿وإنا لفى شكٍّ ممَّا تدعوننا إليه مُريب﴾ [٩] أي: وإنا لفى شك من التوحيد الَّذى تدعوننا إليه مريب.

﴿قالت رسلهم أفى الله شك﴾ [١٠] أي: أفى وحدانية الله شك.

﴿تُريدون أن تصدُّونا عَمَّا كان يعبد آباؤنا﴾ [١٠] أي: تريدون أن تصدونا عن عبادة ما كان يعبده آباؤنا.

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [١١] أي: وعلى نصر الله، أو عصمته، أو كفايته، أو معونته فليتوكل المؤمنون.

﴿وما لنا ألاَّ نتوكل على الله وقد هدانا سُبلنا﴾ [١٢] أي: وما لنا فى ألا نتوكل على عصمة الله، أو على كفاية الله.

﴿ولَنُسْكِنَنَّكُم الأرض من بعدهم﴾ [١٤] أي: من بعد إهلاكهم.

﴿ويأتيه الموت من كل مكان﴾ [١٧] أي: ويأتيه ألم الموت، أو كرب الموت، أو سكرات الموت، أو غمرات الموت، أو أسباب الموت من كل مكان، ويجوز أن يسمى أسباب الموت وسكراته موتًا، فيكون من مجاز تسمية السبب باسم السبب.

﴿مثل الَّذين كفـروا بربِّهم أعمالهم كرماد اشتـدت به الريحُ فى يوم عاصف لا يقدرون ممَّا كسبوا على شىء ذلك هو الضـلال البعيد﴾ [١٨] أى: مثل الَّذين كفـروا بوحدانية ربهم ضلال أعمالهم الصالحة كضلال رماد اشتدت بتذريته أو بتفريقه الريح؛ بدليل قوله: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾.

﴿لا يقدرون﴾ من أجر ما كسبوا على شىء.

﴿ألم تر أن الله خلق السَّموات والأرض بالحق﴾ [١٩] أى: بسبب إقامة الحق.

﴿وقال الشَّيطانُ لَمَّا قُضى الأمرُ إن الله وعدكم وَعْدَ الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سُلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم﴾ [٢٢] أى: وما كان لى على إضلالكم وإغوائكم عن التوحـيد من قدرة إلا بأن دعوتكم إلى الغى والضلال فـأجبـتمـونى، فلا تلومـونى على دعـائى إياكم إلى الغى والضــلال ولوموا أنفـسكم على إجابتى؛ لأنى لم أكرهكم على الضلال ولم أُلجئكم إليـه، فسبحان الله ما أوقع هذا الكلام فى أهل النار؛ لأن العهدة فى الدُّنيا على المباشر دون الداعى إذا لم يكن منه إكراه ولا إلجاء كمـا لو أمر رجلٌ رجـلاً بقتل رجل من غيـر إكراه ولا إلجـاء بل بالدعاء إليـه والحث عليه فقتله، فإن عهدة القتل معلقة فى الشرع والعرف بالمباشر دون الداعى.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذين آمنوا وعـملوا الصالحـات جنَّات تجرى من تحـتهـا الأنهار﴾ [٢٣] أى: تجرى من تحت غرفها، أو من تحت أشجارها مياه الأنهار، أو أشربة الأنهار.

﴿ألم تَرَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيـبة كشجرة طيبة﴾ [٢٤] أى: ألم تر كـيف ضرب الله مثلاً مثل بقاء كلمـة طيبة كبقاء شجرة طيبة، أو ألم تر كيـف ضرب الله مثلاً مثل ثبوت كلمة طيبة كثبوت شجرة طيبة.

﴿ومثلُ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة﴾ [٢٦] أى: ومثل زهوق كلمة خبيـثة كزهوق شجرة خبيـثة، أو ومثل اجتناب كلمة خـبيثة كاجـتناب شجرة خبيـثة، أو ومثل زوال كلمة خبـيثة كزوال شجرة خبيثة.

﴿وأنزل من السَّمـاء مـاءً فـأخـرج بـه من الثَّمـرات رزقًا لكم﴾ [٣٢] أى: وأنزل مـن

السحاب، أو من جهة السماء، أو من صوب السماء، أو من نحو السَّماء ماء فأخرج بسببه من الثَّمرات رزقًا لكم.

﴿وَسَخَّرَ لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وَسَخَّرَ لكم الأنهار﴾ [٣٢] أى: وسخر لكم الفلك لتجرى فى ماء البحر بأمره، وسخر لكم مياه الأنهار، فإن المنة بالمظروف أتم من المنة بالظروف.

﴿وإنْ تَعُدُّوا نعمت الله لا تُحصوها﴾ [٣٤] أى: لا تحصوا عدَّها فضلاً عن القيام بشكرها.

﴿إن الإنسان لظلومٌ كفارٌ﴾ [٣٤] أى: لظلومٌ لنفسه كفارٌ لنعم ربه.

﴿فمن تبعنى فإنه منى﴾ [٣٦] أى: فإنه من أهل ولايتى.

﴿فاجعل أفئدةً من النَّاس تَهْوى إليهم﴾ [٣٧] أى: فاجعل أفئدة من أفئدة النَّاس تهوى إليهم.

﴿إنَّما يؤخِّرُهُمْ ليوم تَشْخَصُ فيه الأبصار﴾ [٤٢] أى: إنَّما يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم ليوم تشخص فيه الأبصار.

﴿وأنذر النَّاس يوم يأتيهم العذاب فيقول الَّذين ظلموا ربَّنا أخِّرْنَا إلى أجل قريب﴾ [٤٤] أى: وأنذر النَّاس أهوال يوم يأتيهم العذاب، أو نكال يوم يأتيهم العذاب فيقول الَّذين ظلموا ربنا أخر عذابنا إلى انقضاء أجل قريب.

﴿وَعِنْدَ الله مكرهم﴾ [٤٦] أى: وعند الله جزاء مكرهم.

﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾ [٥١] أى: ليجزى الله كل نفس جزاء ما كسبت، أو مثل ما كسبت.

﴿هذا بلاغٌ للنَّاس وَلِيُنْذَرُوا به﴾ [٥١] أى: ولينذروا بوعيده.

❁ ❁ ❁

سورة الحجر

﴿وما أهلكنا من قـرية إلا ولها كتـابٌ معلوم﴾ [٤] أي: ومـا أهلكنا من أهل قـرية إلا ولإهلاكهم أجلٌ مكتوبٌ معلوم.

﴿ما تسبق من أمَّة أجلها﴾ [٥] أي: ما تسبق من أمة أجل إهلاكها.

﴿ولقد جعلنا في السَّماء بروجًا وزينَّاها للناظرين * وَحَفَظْنَاهَا من كل شيطـان رجيم﴾ [١٦، ١٧] أي: وحفظناها بالشهب من تَسَمُّعِ أو من استماع كل شيطان رجيم.

﴿إنَّ عبادي ليس لك عليهم سُلطان﴾ [٤٢] أي: ليس لك على إغوائهم قدرة.

﴿قال إنَّا منكم وجلون﴾ [٥٢] أي: قال إنَّا من إضراركم وأذيتكم خائفون.

﴿واتَّقوا الله ولا تُخزون﴾ [٦٩] أي: واتقوا عقاب الله، أو معصية الله.

﴿قالوا أوَ لَمْ نَنْهَكَ عن العالمين﴾ [٧٠] أي: قالوا: أولم ننهك عن ضيـافة العالمين، أو عن إجارة العالمين، أو عن إيواء العالمين.

﴿وما خلقنا السَّموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ [٨٥] أي: إلا بسبب إقامة الحق.

﴿لا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متَّعْنَا به أزواجًا منهم ولا تَحْزَنْ عليهم﴾ [٨٨] أي: لا تمدن نظر عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم، ولا تحزن على إهلاكهم.

﴿وأعرض عن المشركين﴾ [٩٤] أي: وأعرض عن إيذاء المشـركين بدليل قوله: ﴿ودع أذاهم﴾ [الأحزاب: ٤٨] أو وأعرض عن مكافأة المشركين.

﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ [٩٥] أي: إنا كفيناك أذى المستهـزئين، أو ضرر المستهزئين، أو استهزاء المستهزئين.

❁ ❁ ❁

سورة النحل

﴿فاتَّقون﴾ [٢] أى: فاتَّقوا عذابى بتوحيدى، أو فاتقوا مخالفتى ومعصيتى.

﴿خلق السَّموات والأرض بالحق﴾ [٣] أى: بسبب إقامة الحق.

﴿وعلى الله قَصْدُ السبيل﴾ [٩] أى: وعلى الله بيان قصد السبيل؛ بدليل قوله: ﴿إن علينا للهدى﴾ [الليل: ١٢].

﴿هو الَّذى أنزل من السَّماء ماء لكم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تُسيمون﴾ [١٠] أى: هو الَّذى أنزل من السحاب، أو من جهة السماء، أو من صوب السماء، أو من نحو السَّماء ماءً لكم منه شراب، ومنه سقى شجر، أو شرب شجر فيه تُسيمون.

﴿يُنْبِتُ لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب﴾ [١١] أى: يُنبت لكم به الزرع وشجر الزيتون، والنخيل، وشجر الأعناب، أو تجوَّز بالزيتون والأعناب عن شجرهما؛ لأنهما مسببان عنهما وحاصلان منهما؛ بدليل قوله: ﴿تُوقَدُ من شجرة مباركة زيتونة﴾ [النور: ٣٥] فأبدل الزيتونة من الشجرة.

﴿وهو الَّذى سَخَّرَ البحر لتأكلوا منه لحمًا طريا﴾ [١٤] أى: وهو الَّذى سخر ماء البحر لتأكلوا من صيده لحمًا طريا؛ لأن البحر حقيقة فى الحيز الَّذى فيه الماء؛ فتمنن بالماء الكائن فيه لا به ليكون أتم، على ما تقدم، أو تجوَّز بالبحر عن الماء لكثرته واتساعه كما تجوَّز به عن الكثير العطاء لاتساع عطائه، فيكون مجازًا تشبيهيا.

﴿وألقى فى الأرض رواسى أنْ تميد بكم﴾ [١٥] أى: كراهة أن: تميد بكم، أو لئلا تميد بكم.

﴿وإن تَعُدُّوا نعمة الله لا تُحصوها﴾ [١٨] أى: وإن تعدوا نعم الله لا تعرفوا عددها.

﴿وَمِنْ أوزار الَّذين يُضلونهم بغير علم﴾ [٢٥] أي: ومن أوزار إضلال الَّذين يضلونهم بغير علم.

﴿ثم يوم القيامة يُخزيهم ويقول أين شُركائى الَّذين كُنْتُم تُشَاقُّون فيهم﴾ [٢٧] أي: ويقول أين شركائى الَّذين كُنْتُم تُخالفون في عبادتهم، أو تُعادون بسبب عبادتهم.

﴿الَّذين تتوفاهم الملائكةُ ظالمى أنفسهم﴾ [٢٨] أي: الَّذين تتوفى أنفسهم الملائكة ظالمى أنفسهم.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ [٣١] أي: تجرى من تحت غرفها، أو من تحت أشجارها أشربة الأنهار، أو مياه الأنهار.

﴿الَّذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ [٣٢] أي: الَّذين تتوفى أنفسهم الملائكة طيبين.

﴿ولقد بعثنا فى كلِّ أُمَّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطَّاغوت﴾ [٣٦] أي: واجتنبوا عبادة الطَّاغوت لقوله: ﴿والَّذين اجتنبوا الطَّاغوت أن يعبدوها﴾ [الزمر: ١٧].

﴿والَّذين هاجروا فى الله من بعد ما ظُلموا لنبوئنهم فى الدُّنيا حسنة﴾ [٤١] أي: والَّذين هاجروا فى سبيل الله، أو فى طاعة الله.

﴿الَّذين صبروا وعلى ربِّهم يتوكلون﴾ [٤٢] أي: وعلى رزق ربهم يتوكلون.

﴿فإياى فَارْهَبون﴾ [٥١] أي: فخافوا عذابى.

﴿أفغير الله تتقون﴾ [٥٢] أي: أفعذاب إله غير الله تتقون.

﴿ولو يؤاخذ الله النَّاسَ بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يُؤخرهم إلى أجلٍ مُسَمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون﴾ [٦١] أي: ولكن نؤخر مؤاخذتهم إلى أجل مسمى، فإذا جاء أجل مؤاخذتهم، أو أجل موتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

﴿والله أنزل من السَّماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ [٦٥] أي: والله أنزل من السحاب، أو من جهة السماء، أو من صوب السماء، أو من نحو السَّماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها.

﴿وإنَّ لكم فى الأنعـام لعبرة نُسْقيكم ممَّا فى بطونه من بين فَرْثٍ ودم لبنًا خـالصًا﴾ [٦٦] أى: وإن لكم فى خلق الأنعام، أو فى منافع الأنعام، أو فى شان الأنعـام لعبرة نُسقيكم ممَّا فى بطونه من بين أجزائه فرث وأجزاء دم لبنًا خالصًا.

﴿والله خلقكم ثم يتوفَّاكم﴾ [٧٠] أى: ثم يتوفى أنفسكم.

﴿ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا﴾ [٧٥] أى: ضرب الله مثلاً مثل عبد مملوك.

﴿وضرب الله مثلاً رجلين﴾ [٧٦] أى: وضرب الله مثلاً مثل رجلين.

﴿ولله غيب السَّموات والأرض﴾ [٧٦] أى: ولله علم غيب أهل السَّموات والأرض.

﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ [٩١] أى: وأوفوا بمقتضى عهد الله إذا عاهدتم.

﴿ولا تَنْقُضُوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ [٩١] أى: وقد جعلتم الله على معاهدتكم، أو على أنفسكم شهيدًا.

﴿ولو شاء الله لجعلكم أُمَّةً واحدة﴾ [٩٣] أى: ولو شاء الله لجعلكم أهل ملة واحدة ملة الإسلام.

﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلاً﴾ [٩٥] أى: ولا تستبدلوا بنقض عهد الله، أو بنبذ عهد الله ثمنًا قليلاً.

﴿فإذا قـرأت القرآن فاستعذ بالله من الـشَّيطان الرَّجيم﴾ [٩٨] أى: فاستـعذ بالله من وسواس الشَّيطان الرجيم.

فائدة: الألف واللام فى الشَّيطان لاستغراق جنس الشَّيطان فى قـوله سبحانه: ﴿وقل ربِّ أعوذ بك من هَمَزَاتِ الشَّياطين﴾ [المؤمنون: ٩٧] أو لتعريف الجنس، أو للعهد.

والشَّيطان المعهود إمـا إبليس وإما الشَّيطان المقرون بكل إنسان، وكان ﷺ يستعيذ بالله من الشَّيطان، فـلا يحمل الشَّيطان على قـرينه؛ لأن الله سبحـانه أعانه عليـه فأسلم(١) فلا يأمره إلا بخير؛ فلا يستعيذ ممن كفاه الله شره؛ فيجوز أن يكون النَّبى ﷺ أُمِرَ أن يستعيذ من

---

(١) أخرجه: مسلم فى صفة القيامة ٢٨١٤، الترمذى فى الرضاع ١١٧٣.

إبليس، وأمرَ غيره أن يستعيذ من القرين؛ لأنه لم يُكف شره، وهو أقرب الشّياطين إليه فكانت الاستعاذة ممن لا يفارق الإنسان أولى ممن يُشَكّ في حضوره، ويصح أن يكون في حق الجماعة من إبليس لتسببه إلى الإغواء بإرسال جنوده إلى بني آدم، ويكون التقدير: من شر الشّيطان الرَّجيم وشر إرساله الجنود إلى النَّاس، وعلى هذا يحمل قول إبليس ﴿فلأضلنهم ولأمنينهم﴾ ولأحتنكنهم إلى غير ذلك مما نسبه إلى نفسه، على أنه من مجاز نسبة الفعل إلى الآمر به؛ فإنه يجلس على عرشه ويبث جنوده في إفساد العباد وإضلالهم؛ فلما كان آمرًا بهذا وداعيًا إليه صَحَّتْ نسبته إليه، وهذا كقوله: ﴿ونادى فرعون في قومه﴾ [الزخرف: ٥١] وكقولهم: فتح عمر أرض السواد والشام.

ويجوز أن يكون ﷺ مأمورٌ بالاستعاذة من إبليس؛ لأنه كان يعتني به أشد الاعتناء.

ويحتمل أن يكون المراد به جميع الشّياطين؛ بدليل قوله: ﴿وقل ربِّ أعوذُ بك من هَمَزَات الشَّياطين﴾ ولعل قرين النَّبي ﷺ لم يفارقه بعد إسلامه لتناله بركته وليقتدي به، ولا أدري هل إسلامه من خصائصه ﷺ أو هو عام في جميع الأنبياء عليهم السلام.

فائدة: الرَّجيم فعيل بمعنى: فاعل؛ لأنه يرجم النَّاس بشرِّه ودواهيه، أو بمعنى: المرجوم بالشهب، أو بالسب واللعن، فالرجم بالشهب حقيقيٌّ وبالسب واللعن مجازيٌّ، وكذلك رجمه بدواهيه مجازيٌّ.

* * *

﴿إنه ليس له سُلْطانٌ على الَّذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوكَّلون﴾ [النحل: ٩٩] أي: إنه ليس له قدرة على إضلال الَّذين آمنوا، أو على إغواء الَّذين آمنوا وعلى عصمة ربهم يتوكلون.

﴿إنَّما سُلْطَانه على الَّذين يَتَوَلَّونه﴾ [١٠٠] أي: إنَّما قدرته على إضلال الَّذين يطيعونه، أو إنَّما قدرته على إغواء الَّذين يطيعونه.

﴿والله أعلم بما ينزل﴾ [١٠١] أي: والله أعلم بمصالح ما ينزل.

﴿قل نَزَّله روحُ القدس من ربِّك بالحق﴾ [١٠٢] أي: قل نزله روح القدس من عند ربك، أو من سماء ربك بالحق، أو من كتاب ربك، وهو اللوح المحفوظ.

﴿وتُوفَّى كل نفسٍ ما عملت﴾ [١١١] أى: وتوفى كل نفس جزاء ما عملت.

﴿وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [١١٢] أى: وضرب الله مثلاً للذين كفروا مثل أهل قرية كانوا آمنين مطمئنين يأتيهم رزقهم رغداً من كل مكان فكفروا بأنعم الله فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

﴿ولقد جاءهم رسولٌ منهم﴾ [١١٣] أى: من أنفسهم وقبيلتهم.

﴿إنَّما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلَّ لغير الله به﴾ [١١٥] أى: إنَّما حرم عليكم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أُهِلَّ لغير الله بذبحه، أو بنحره، أو بتذكيته، وهو أعم.

﴿وعلى الَّذين هادوا حَرَّمْنَا ما قصصنا عليك من قبل﴾ [١١٨] أى: وعلى الَّذين هادوا حرمنا أكل ما قصصنا عليك تحريمه من قبل إنزال هذه السورة.

﴿إنَّما جُعِلَ السبت على الَّذين اختلفوا فيه﴾ [١٢٤] أى: إنَّما فرض السبت على الَّذين اختلفوا فى يومه، أو فى وقته.

﴿ادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [١٢٥] أى: ادع إلى اتباع سبيل ربك؛ بدليل قوله: **﴿واتَّبع سبيلَ من أنابَ إليَّ﴾** [لقمان: ١٥] وقوله: **﴿واتَّبعت ملة آبائى﴾** [يوسف: ٣٨] أو ادع إلى توحيد ربك، أو إلى دين ربك، أو إلى عبادة ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو أعم.

﴿واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلا بالله ولا تَحْزَنْ عليهم﴾ [١٢٧] أى: واصبر وما صبرك إلا بتوفيق الله، ولا تحزن على قتلهم؛ إن جُعلت فى قتلى أحد، أو ولا تحزن على هلاكهم إن جُعلت فى المشركين.

❊ ❊ ❊

سورة بنى إسرائيل (١)

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإنْ أسأتم فلها﴾ [٧] أى: إن أحسنتم أحسنتم لنفع أنفسكم بالثواب والخلاص من العقاب، وإن أسأتم فعليها.

﴿وجعلنا الليل والنَّهار آيتين﴾ [١٢] أى: وجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين.

﴿اقرأ كتابك﴾ [١٤] أى: اقرأ مضمون كتابك.

﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ [١٧] أى: من بعد موت نوح، أو من بعد هلاك قوم نوح.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عنهم﴾ [٢٨] أى: عن إتيانهم حقوقهم.

﴿إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا﴾ [٣٠] أى: إنه كان بأحوال عباده، أو بأعمال عباده خبيرًا بصيرًا.

﴿ولا تقتلوا النَّفْسَ التى حرَّم الله إلا بالحق﴾ [٣٢] أى: ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق.

﴿وأوفوا بالعهد﴾ [٣٤] أى: وأوفوا بمقتضى العهد وموجبه.

﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ [٣٦] أى: إن إصغاء السمع ونظر البصر وقصد الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً، أو إن كسب السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً؛ بدليل قوله: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ [البقرة: ٢٢٥] أو إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عن كسبه مسئولاً.

﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذًا لابتغوا إلى ذى العَرْشِ سبيلاً﴾ [٤٢] أى: إذًا

(١) وتسمى أيضا سورة الإسراء.

لطلبوا إلى قرب ذى العرش سبيلاً.

﴿وجعلنا على قلوبهم أكِنَّة أن يفقهوه﴾ [٤٦] أى: وجعلنا على قلوبهم أكنة كراهة أن يفهموه أو لئلا يفهموه.

﴿وفى آذانهم وَقْرًا﴾ [٤٦] كراهة أن يسمعوه، أو لئلا يسمعوه.

﴿وإذا ذَكَرْتَ ربَّك فى القرآن وَحْدَه ولَّوْا على أدبارهم نُفورًا﴾ [٤٦] أى: وإذا ذكرت إلهية ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورًا.

﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ [٥٤] أى: وما أرسلناك على قسرهم وإجبارهم على الإيمان وكيلاً.

﴿وربُّك أعلم بمن فى السَّموات والأرض﴾ [٥٥] أى: أعلم بأحوال مَنْ فى السموات والأرض.

﴿وإنْ من قرية إلا نحنُ مُهلكوها قبل يوم القيامة أو مُعذبوها عذابًا شديدًا﴾ [٥٨] أى: وما من أهل قرية إلا نحن مميتوهم قبل يوم القيامة، أو معذبوهم عذابًا شديدًا، أو وما من قرية إلا نحن مميتو أهلها قبل يوم القيامة، أو معذبو أهلها عذابًا شديدًا.

﴿وما منعنا أن نُرسل بالآيات إلا أنْ كذَّبَ بها الأولون﴾ [٥٩] أى: وما منعنا أن نرسل بالآيات المعجزات المقترحات إلا إرادة تكذيب مثل تكذيب الأولين، أو وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا كراهة عقوبة مثل تكذيب الأولين.

﴿إن ربك أحاط بالنَّاس﴾ [٦٠] أى: إن علم ربك أحاط بالناس من يؤمن منهم ومن لا يؤمن.

﴿والشجرة الملعونة فى القرآن﴾ [٦٠] أى: وما ذكرنا الشجرة الملعونة فى القرآن.

﴿قال أرأيتَك هذا الَّذى كَرَّمْتَ علىَّ لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكنَّ ذريته إلا قليلاً﴾ [٦٢] التقدير: أخبرنى عن سبب تكريم هذا الَّذى كرمته علىَّ بالسجود، وعزّتك لئن أخرت موتى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً.

﴿وشاركهم فى الأموال والأولاد﴾ [٦٤] أى: وشاركهم فى إثم اكتساب الأموال والأولاد، أو وشاركهم فى إثم تحريم الأموال وقتل الأولاد.

﴿إنَّ عبادى ليس لك عليهم سُلْطان﴾ [٦٥] أى: إن عبادى ليس لك على إضلالهم، أو على احتناكهم قدرة.

﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعًا﴾ [٦٩] أى: ثم لا تجدوا لكم على مطالبتنا بثأره تابعًا يتبعنا ويطالبنا.

﴿ولا يُظلمون فتيلاً﴾ [٧١] أى: ولا ينقصون قدر فتيل، أو مثل فتيل.

﴿ولولا أن ثَبَّتْنَاكَ لقد كدْتَ تَرْكن إليهم شيئًا قليلاً﴾ [٧٤] أى: ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إلى أقوالهم شيئًا قليلاً.

﴿إذًا لأذقناك ضِعْفَ الحياة وَضِعْفَ الممات ثم لا تجدُ لك علينا نصيراً﴾ [٧٥] أى: إذًا لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات ثم لا تجد لك على منعنا من تعذيبك معينًا.

﴿ولئن شئنا لنذهبن بالَّذى أوحينا إليك ثم لا تجدُ لك به علينا وكيلاً﴾ [٨٦] أى: ثم لا تجد لك بردِّه إليك علينا وكيلاً.

﴿أو تكون لك جنَّةٌ من نخيل وعنب فَتُفَجِّرَ الأنهار خلالها تفجيراً﴾ [٩١] أى: أو تكون لك جنة من نخيل وأشجار عنب، أو تجوَّز بالثمر عن الشجر؛ لأنه مسبب عنه وحاصل منه.

﴿ولن نؤمن لِرُقيك حتى تُنَزِّلَ علينا كتابًا نقرؤه﴾ [٩٣] أى: ولن نصدقك لأجل رقيك حتى تنزل علينا كتابًا من السَّماء نقرؤه.

﴿وَجَعَلَ لهم أجلاً لا ريب فيه﴾ [٩٩] أى: وَجَعَلَ لبعثهم أجلاً لا ريب فيه.

﴿وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض﴾ [١٠٤] أى: من بعد إغراقه.

﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الَّذين أوتوا العلم من قبله إذا يُتلى عليهم يَخرون للأذقان

سُجَّدًا﴾ [١٠٧] أى: قل آمنوا بتنزيله أو لا تؤمنوا بتنزيله إن الَّذين أوتوا العلم من قبل تنزيله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجَّدًا.

﴿ولم يكن له ولىٌّ من الذل﴾ [١١١] أى: من أجل الذل.

❁ ❁ ❁

سورة الكهف

﴿ويُنْذرَ الَّذين قالوا اتخذ الله ولدًا ما لهم به من علم﴾ [٤] أي: ما لهم بالولد من علم، أو ما لهم بصحة قولهم: اتخذ الله ولدًا من علم.

﴿أم حسبت أنَّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا﴾ [٩] المعنى: بل حسبت أن واقعة أصحاب الكهف والرقيم، أو أن شأن أصحاب الكهف والرقيم، أو أن قصة أصحاب الكهف والرقيم، تجوُّزًا بالقصة عن المقصوص، كانت ذات عجب من آياتنا، أو من بين آياتنا.

﴿إنهم فتيةٌ آمنوا بربِّهم﴾ [١٣] أي: آمنوا بوحدانية ربهم.

﴿هؤلاء قومنا اتَّخذوا من دونه آلهةً لولا يأتون عليهم بسُلطان بيِّن﴾ [١٥] أي: هلاَّ يأتون على آلهتهم أو على عبادتهم بدليل ظاهر.

﴿وترى الشمس إذا طلعت تَزَاورُ عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربتْ تقرضهم ذات الشمال﴾ [١٧] معناه: لو حضرت لرأيت ذلك، ومثله قوله: ﴿لا يُرى إلا مساكنهم﴾ [الأحقاف: ٢٥] وهذا من باب الإخبار بتقدير حضور المخاطب.

﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أَحَدَكُمْ بوَرِقكُمْ هذه إلى المدينة فلينظر أيُّها أزكى طعامًا فليأتكم برزق منه﴾ [١٩] أي: قالوا: ربكم عارفٌ بأمد لبثكم، أو بقدر لبثكم فلينظر أيّ أهلها أزكى طعامًا.

﴿وأنَّ الساعة لا ريبَ فيها﴾ [٢١] أي: لا ريب في إمكانها، أو في وقوعها، أو في إتيانها.

﴿فقالوا ابنوا عليهم بُنيانًا﴾ [٢١] أي: فقالوا ابنوا على كهفهم بُنيانًا.

﴿قال الَّذين غلبوا على أمرهم لنتخذنَّ عليهم مسجدًا﴾ [٢١] أى: لنتخذن على فنائهم، أو على باب كهفهم مسجدًا.

﴿قل ربِّى أعلم بعدَّتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ [٢٢] أى: قل ربى عارف بعدتهم ما يعرف عدتهم إلا قليل، ﴿فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهرًا ولا تستفت فيهم منهم أحدًا﴾ [٢٢] أى: فلا تمار فى قصتهم أو فى شأنهم وواقعتهم إلا مراءً ظاهرًا ولا تستفت فى أمرهم وقصتهم من اليهود أحدًا.

﴿قُل الله أعلم بما لبثوا له غيب السَّموات والأرض﴾ [٢٦] أى: قل الله عارف بأمد لبثهم، أو بقدر لبثهم له علم غيب السَّموات والأرض.

﴿لا مُبدل لكلماته﴾ [٢٧] أى: لا مغير لمقتضى عداته، أو تجوَّز بالعدة عن الموعود.

﴿ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدُّنيا﴾ [٢٨] أى: تريد أهل زينة الحياة الدُّنيا.

﴿تجرى من تحتهم الأنهار﴾ [٣١] أى: تجرى من تحت أسرَّتهم، أو مقاعدهم، أو غرفهم مياه الأنهار، أو أشربة الأنهار.

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنَّتين من أعناب﴾ [٣٢] أى: واضرب لهم مثلاً مثل رجلين، أى: وبيِّن لهم حالاً حال رجلين، أو شأنًا شأن رجلين، أو صفةً صفة رجلين، جعلنا لأحدهما شجرين من شجر أعناب، أو تجوَّز بالأعناب عن شجرها؛ لأنها مسببة عنها وحاصلة منها، ولا يراد بالجنتين هنا الأرض ذات الأشجار؛ لأن «من» ههنا لبيان الجنس، ولا تبين الأرض بالشجرة، ولا بالعنب.

﴿ولئن رُددت إلى ربِّى لأجدن خيرًا منها منقلبًا﴾ [٣٦] أى: ولئن رددت إلى جزاء ربى لأجدن خيرًا منها منقلبًا، ويجوز أن لا يقدَّر الجزاء ههنا؛ لأن قائل ذلك مجسم فلا يمتنع أن يجعل الرب غاية للرد.

﴿قال له صاحبه وهو يُحاوره أكفرتَ بالَّذى خلقكَ من تُراب ثم من نُطفة ثم سوَّاك رجلاً لكنَّا هو الله ربِّى ولا أُشرك بربِّى أحدًا﴾ [٣٧] أى: قال له صاحبه وهو يحاوره: أكفرت بقدرة الَّذى خلقك من تراب على بعثك وإعادتك، ثم سواك رجلاً، أو أكفرت بوحدانية

الَّذى خلق إياك من تراب، ثم خلقك من نطفة؟! لكن أنا أقول الشأن: الله إلهى ومعبودى، ولا أعدل بربِّى أحدًا، أو ولا أشرك مع ربى أحدًا.

﴿أو يُصبحَ ماؤها غورًا فلن تستطيع له طلبًا﴾ [٤١] أى: أو يصبح ماؤها غائرًا، أو ذا غورٍ فلن تستطيع لرده أو انبساطه طلبًا.

﴿وأحيط بثمره فأصبح يُقلب كفَّيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أُشرك بربِّى أحدًا﴾ [٤٢] أى: وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فى غرسها وعمارتها وهى خاوية على عروشها ويقول: يا ليتنى لم أعدل بربى أحدًا، أو يا ليتنى لم أُشرك مع ربى أحدًا.

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدُّنيا كماء أنزلناه من السَّماء فاختلط به نبات الأرض﴾ [٤٥] أى: واضرب لهم مثل زينة الحياة الدُّنيا، أو مثل أمتعة الحياة الدُّنيا، أو مثل زهرة الحياة الدُّنيا كمثل زرع ماء أو نبت ماء أنزلناه من السحاب، أو من جهة السماء، أو من نحو السماء، أو من صوب السماء.

﴿المال والبنون زينة الحياة الدُّنيا﴾ [٤٦] أى: المال والبنون زينة أهل الحياة الدُّنيا.

﴿بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدًا﴾ [٤٨] أى: بل زعمتم أن لن نجعل لبعثكم وقتًا موعودًا.

﴿ووجدوا ما عملوا حاضرًا﴾ [٤٩] أى: ووجدوا ما عملوه مكتوبًا فى صحائف أعمالهم، أو ووجدوا جزاء ما عملوه حاضرًا.

﴿وما منع النَّاس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربَّهم إلا أن تأتيهم سُنَّة الأولين أو يأتيهم العذاب قُبُلاً﴾ [٥٥] أى: وما منع النَّاس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا إرادة أن يأتيهم مثل سنة الأولين، أو يأتيهم العذاب قُبُلاً.

﴿ومن أظلمُ ممن ذُكِّرَ بآيات ربِّه فأعرض عنها ونَسِىَ ما قدَّمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفى آذانهم وقرًا وإن تَدْعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذًا أبدًا﴾ [٥٧] أى: ومن أظلم ممن ذكِّر بآيات ربه فأعرض عن استماعها، أو عن قبولها، أو عن اتباعها

ونسى ما قدمت يداه، إنا جعلنا على قلوبهم أكنة كراهة أن يفـهموه، أو لئلا يفهموه، وفى آذانهم وقرًا كـراهة أن يسمعـوه، أو لئلا يسمـعوه، وإن تدعهم إلى الإسـلام، أو إلى اتباع القرآن فلن يهتدوا إذًا أبدًا.

﴿**بل لهم مـوعدٌ لن يجـدوا من دونه مَوئلاً**﴾ [٥٨] أى: بل لعـذابهم وقتٌ موعـودٌ لن يجدوا من دونه ملجأ.

﴿**وتلك القرى أهلكناهم لَّمَّا ظلموا وجعلنا لمهْلِكِهِمْ موعدًا**﴾ [٥٩] أشار بتلك إلى جماعة أهل القرى، والتقدير: أو وأهل تلك القرى، أو وأصـحاب تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لإهلاكهم وقتًا موعودًا.

﴿**فلما بلغا مـجمع بينهما نسيا حـوتهما فاتخذ سبـيله فى البحر سَرَبًا**﴾ [٦١] أى: تركا حوتهما، أو نسى أحدهما حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر مثل سرب.

﴿**قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخـرة فإنى نسيتُ الحوتَ وما أنسـانيهُ إلا الشَّيطان أن أذكره واتَّخذ سبيله فى البحر عَجَبًا**﴾ [٦٣] أى: قال: أرأيت إذ أوينا إلى الصخـرة فإنى تركت خبر الحوت، أو حديث الحوت، أو نسيته فاتخذ سبيله فى ماء البحر اتخاذًا ذا عجب.

﴿**وكيف تصبر على ما لم تُحِطْ به خُبْرًا**﴾ [٦٨] أى: وكيف تصبر على تقرير ما لم تحط بتأويله، أو على تقرير ما لم تحط بجوازه والإذن فيه خبرًا.

﴿**قال فإن اتَّبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أُحدث لك منه ذكرًا**﴾ [٧٠] أى: قال: فإن اتبعـتنى فلا تسألـنى عن سبب شىء أفعله حـتى أُحدث لك من سـببه ذكـرًا؛ بدليل قوله: ﴿**أخرقتها لتغرق أهلها**﴾ [٧١] أى: أخرقتهـا لأجل الإغراق، أو فلا تسألنى عن تأويل شىء أفعله حتى أحدث لك من تأويله ذكرًا.

﴿**قال أقتلت نفسًا زكية بغير نفس**﴾ [٧٤] أى: بغير قتل نفس.

﴿**قال إنْ سـألتك عن شىء بعـدها فلا تُصـاحبنى قـد بلغت من لَدُنِّى عُذْرًا**﴾ [٧٦] أى: قال: إن سألتك عن تأويل شىء، أو عن سبب شىء بعد هذه المسألة فلا تصاحبنى قد بلغت عذرًا صادرًا من عندى.

﴿قال لو شئت لاتَّخذتَ عليه أجرًا﴾ [٧٧] أي: قال: لو شئت لاتخذت على إقامته أجرًا.

﴿قال هذا فراقُ بيني وبينك سأنبئكَ بتأويل ما لم تَسْتَطِعْ عليه صبرًا﴾ [٧٨] أي: قال هذا وقت فراق بيني وبينك، أو قال: هذا السؤال سبب فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع على تقريره وترك نكيره صبرًا.

﴿ذلك تأويل ما لمْ تسطع عليه صبرًا﴾ [٨٢] أي: ذلك تأويل ما لم تستطع على تقريره وترك نكيره صبرًا.

﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرًا﴾ [٨٣] أي: ويسألونك عن أخبار ذي القرنين، أو عن قصة ذي القرنين، قل سأقرأ عليكم من أخباره خبرًا.

﴿قلنا يا ذا القرنين إمَّا أن تُعذب وإمَّا أن تتخذ فيهم حُسْنًا﴾ [٨٦] أي: قلنا يا ذا القرنين إما تختار أن تعذبهم وإما تختار أن تتخذ في إطلاقهم والعفو عنهم حُسنًا.

﴿قال أما من ظلم فسوف نُعذبه ثم يُردُّ إلى ربِّه فَيُعذبه عذابًا نُكْرًا﴾ [٨٧] أي: قال: أما من ظلم فسوف نقتله، ثم يرد في الآخرة إلى عذاب ربه فيعذبه عذابًا نكرًا.

﴿وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاءً الحُسنى وسنقولُ له من أمرنا يُسرًا﴾ [٨٨] أي: وسنقول له من أمرنا قولاً ذا يسر.

﴿فأعينوني بقوة﴾ [٩٥] أي: فأعينوني بعمال ذوي قوة، أو بصناع ذوي قوة، أو بآلات ذات قوة.

﴿إنا أعتدنا جهنَّم للكافرين نُزُلاً﴾ [١٠٢] أي: إنا أعتدنا طعام جهنَّم للكافرين ضيافة.

﴿أولئك الَّذين كفروا بآيات ربِّهم ولقائه﴾ [١٠٥] جزائه.

﴿واتخذوا آياتي ورسلي هُزُوًا﴾ [١٠٦] أي: واتخذوا آياتي ورسلي مهزوًا بها، أو محل هزؤ.

﴿إن الَّذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنَّات الفردوس نُزُلاً﴾ [١٠٧] أي: كانت لهم أطعمة جنَّات الفردوس، أو ثمار جنَّات الفردوس نزلاً، والنزل ما يهيأ للضيف،

وهو فى أطعمة أهل جهنَّم تهكمٌ بهم واستهزاء، كقول عمرو بن كلثوم(١):

قرينـــاكم فعجَّلنـــا قِرَاكـــم   قُبيل الصـــبح مـــرداة طحونـا

﴿قل لو كان البحرُ مِدَاداً لكلمات ربِّى لنفد البحرُ قبل أن تَنْفَدَ كلمات ربى﴾ [١٠٩]

أى: قل لو كان ماء البحر مداداً لكتابة كلمات ربى لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كتابة كلمات ربى.

❁ ❁ ❁

---

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب، من بنى تغلب، أبو الأسود، شاعر جاهلى من الطبقة الأولى، لا يعرف تاريخ مولده، ووفاته حوالى سنة ٤٠ ق. هـ (انظر الأعلام للزركلى ٥/ ٨٤).

سورة مريم عليها السلام

﴿ولم أَكُنْ بدعائك ربِّ شقيا﴾ [٤] أى: ولم أكن برد دعائى إياك يا رب شقيا، أى: عودتنى الإجابة ولم تعودنى الرد فأشقى به.

﴿وإنِّى خفتُ الموالىَ من ورائى﴾ [٥] أى: وإنى خفت تبديل الموالى، أو فجور الموالى من بعد موتى.

﴿فَهَبَ لى من لَدُنْكَ وليا يرثُنى ويرثُ من آل يعقوب﴾ [٦] أى: يرث نبوتى ويرث من علم آل يعقوب.

﴿يا يحيى خُذ الكتاب بقوة﴾ [١٢] أى: يا يحيى خذ تكاليف الكتاب، أو اتباع الكتاب بجد واجتهاد.

﴿قالت إنِّى أعوذُ بالرحمن منك﴾ [١٨] أى: قالت: إنى أعوذ بالرحمن من شرك، أو من فجورك.

﴿فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربُّك تحتك سريا﴾ [٢٤] أى: فناداها المسيح من تحت ذيلها، وعلى القراءة الأخرى[1] فناداها مَنْ تحت مكانها، وهو جبريل: أن لا تحزنى قد جعل ربك تحت مكانك جدولاً ﴿فكلى﴾ من الرطب الجنى ﴿واشربى﴾ ماء السرى ﴿وقرِّى عينًا﴾ بالولد الرضى.

﴿قال إنى عبدُ الله آتانىَ الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركًا أينما كُنت وأوصانى بالصَّلاة والزَّكاة ما دُمْتُ حيا﴾ [٣١] أى: قال: إنى عبد الله أعطانى علم التوراة وجعلنى

(١) قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى «مِنْ تحتها» بكسر الميم وجر التاء، والباقون بفتح الميم ونصب «تحتها» (المحرر الوجيز ٤/١١) .

نبيا، وجعلنى مباركًا أينما كنت، وأوصانى بإقام الصَّلاة، وإيتاء الزكاة.

﴿ذلك عيسى ابن مريم قولَ الحقِّ الَّذى فيه يمترون﴾ [٣٤] أى: ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الَّذى فى إلهيته، أو فى عبوديته، أو فى أمره يشكُّون.

﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ [٣٧] أى: فاختلف الأحزاب من بين بنى إسرائيل فى أمر المسيح على أربعة مذاهب(١).

﴿إنا نحنُ نرثُ الأرض ومن عليها وإلينا يُرْجَعون﴾ [٤٠] أى: وإلى جزائنا يرجعون.

﴿واذكر فى الكتاب﴾ نبأ **﴿إبراهيم﴾** [٤١] وكذلك **﴿واذكر فى الكتاب﴾** خبر **﴿مريم﴾** وكذلك **﴿واذكر فى الكتاب﴾** خبر **﴿موسى﴾** وكذلك **﴿واذكر فى الكتاب﴾** خبر **﴿إسماعيل﴾** وكذلك **﴿واذكر فى الكتاب﴾** خبر **﴿إدريس﴾**.

﴿يا أَبَتِ لِمَ تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يبصرُ ولا يُغنى عنك شيئًا﴾ [٤٢] أى: يا أبت لأى سبب تعبد ما لا يسمعك إذا دعوته، ولا يبصرك إذا عبدته، ولا يدفع عنك شيئًا كرهته، أو لم تعبد ما لا يسمع شيئًا من المسموعات، ولا يبصر شيئًا من المبصرات، ولا يدفع عنك شيئًا من المكروهات.

﴿يا أَبَتِ إنِّى أخافُ أن يمسَّكَ عذابٌ من الرحمن﴾ [٤٥] أى: إنى أخاف أن يمسك عذابٌ من عند الرحمن؛ بدليل قوله: **﴿أن يُصيبكم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا﴾** [التوبة: ٥٢].

﴿قال أراغبٌ أنتَ عن آلهتى يا إبراهيم﴾ [٤٦] أى: قال أراغب أنت عن عبادة آلهتى يا إبراهيم.

﴿وممن حملنا مع نوح﴾ [٥٨] أى: ومن ذرية من حملنا مع نوح، أو من نسل من حملنا مع نوح.

﴿فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصَّلاة واتَّبعوا الشهوات فسوف يَلْقَونَ غَيا﴾ [٥٩]

---

(١) راجع فى ذلك «المنتخب الجليل فى تخجيل من حرَّف الإنجيل» دار الحديث ـ القاهرة، بتحقيقنا.

أى: فسوف يلقون جزاء غىٍّ، أو عقاب غىٍّ.

﴿واتَّخذوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عِزا﴾ [٨١] أى: ليكون لهم ذوى عز.

﴿يوم نَحْشُرُ المتقين إلى الرحمن وَفْدًا﴾ [٨٥] أى: يوم نحشر المتقين إلى جنة الرحمن وفدًا.

﴿لا يملكون الشفاعة إلا﴾ شفاعة ﴿من اتَّخذ عند الرحمن عهدًا﴾ [٨٧].

﴿فإنَّما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتُنذر به قومًا لُدًا﴾ [٩٧] أى: لتبشر بوعده المتقين وتخوف بوعيده قومًا لدا.

❊ ❊ ❊

سورة طـه

﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العُلى﴾ [٤] أي: تنزيلاً من عند من خلق الأرض والسموات العُلى.

﴿أو أجدُ على النَّار هدى﴾ [١٠] أي: أو أجد على مصطلى النَّار ذوى هدى، أو أهل هدى يدلوننى على الطريق.

﴿فلا يصدنَّك عنها من لا يؤمنُ بها﴾ [١٦] أي: فلا يصرفنك عن سعيها من لا يصدق بإتيانها، أو بإمكانها.

﴿إنك كُنْتَ بنا بصيراً﴾ [٣٥] أي: إنك كنت بأحوالنا، أو بأعمالنا بصيرا.

﴿قال علمها عند ربى﴾ [٥٢] أي: قال: علم أعمالها وأحوالها عند ربى.

﴿وأنزل من السَّماء ماء﴾ [٥٣] أي: وأنزل من السحاب، أو من جهة السماء، أو من صوب السماء، أو من نحو السَّماء ماء.

﴿منها خلقناكم﴾ [٥٥] أي: من ترابها خلقنا أباكم.

﴿فاجعل بيننا وبينك موعدًا لا نُخلفه نحن ولا أنت﴾ [٥٨] أي: فاجعل بيننا وبينك وقتًا موعودًا لا نخلف وعده نحن ولا أنت.

﴿فجمع كيده﴾ [٦٠] أي: فجمع أهل كيده، أو ذوى كيده، أو فجمع كل ما يكيد به موسى.

﴿ويذهبا بطريقتكم المُثلى﴾ [٦٣] أي: ويذهبا بأهل طريقتكم المُثلى، أو بذوى طريقتكم المُثلى.

﴿قالوا آمنَّا بربِّ هارون وموسى﴾ [٧٠] أي: قالوا آمنا بإلهية رب هارون وموسى، أو

بوحدانية رب هارون وموسى.

﴿قالوا لن نُؤثركَ على ما جاءنا من البينات والَّذى فَطَرَنَا﴾ [٧٢] أى: قالوا لن نؤثر طاعتك على تصديق ما جاءنا من البينات وعبادة الَّذى فطرنا، أو وتوحيد الَّذى فطرنا.

﴿إنا آمنا بربنا ليغفرَ لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ [٧٣] أى: إنا آمنا بوحدانية ربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا على تعلمه من السحر، أو وما أكرهتنا على إلقائه من السحر.

﴿إنه من يأتِ ربَّه مُجْرِمًا فإن له جهنَّم﴾ [٧٤] أى: فإن له عذاب جهنَّم.

﴿فاضرب لهم طريقًا فى البحر يَبَسًا﴾ [٧٧] أى: ذا يبس.

﴿يا بنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزَّلنا عليكم المنَّ والسلوى﴾ [٨٠] أى: يا بنى إسرائيل قد أنجيناكم من شر عدوكم، أو من تعبيد عدوكم، وواعدناكم حضور جانب الطور الأيمن، أو إتيان جانب الطور الأيمن، ونزلنا على محلتكم، أو على أشجاركم المن والسلوى.

﴿قال فإنا قد فتنا قومكَ من بعدك﴾ [٨٥] أى: من بعد حضورك إلى الطور، أو من بعد إتيانك إلى الطور.

﴿ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا﴾ [٨٩] أى: ولا يملك لهم دفع ضر، ولا جلب نفع، أو لا حاجة إلى حذف.

﴿قالوا لن نبرحَ﴾ على عبادته ﴿عاكفين﴾ [٩١].

﴿قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى﴾ [٩٤] أى: لا تأخذ بلحيتى، ولا بشعر رأسى.

﴿وإنَّ لك موعدًا لن تُخْلَفَه﴾ [٩٧] أى: وإن لعذابك وقتًا موعودًا لن تُخلف وعده.

﴿وانظر إلى إلهك الَّذى ظَلْتَ عليه عاكفًا﴾ [٩٧] أى: وانظر إلى إلهك الَّذى ظلت على عبادته عاكفًا.

﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمنُ ورضيَ له قولاً﴾ [١٠٩] أي: يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضيَ له قولاً.

﴿وقد خاب مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [١١١] أي: وقد خاب من حمل وزر ظلم لقوله: **﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة﴾** [النحل: ٢٥] أو وقد خاب من حمل ثقل ظلم لقوله: **﴿ولَيَحْمِلُنَّ أثقالهم﴾** [العنكبوت: ١٣].

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه﴾ [١١٤] أي: ولا تعجل بقراءة القرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه.

﴿فإما يأتينَّكُم منى هدى فمن تبع هُدايَ فلا يضل ولا يشقى﴾ [١٢٣] أي: فإما يأتينكم من عندى كتابٌ من كتبى مع رسولٍ من رسلى فاتبعوه؛ فمن اتبع كتابى فلا يضل فى الدُّنيا عن الصواب، ولا يشقى فى الآخرة بالعذاب.

﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكًا﴾ [١٢٤] أي: ومن أعرض عن اتباع كتابى وتصديقه؛ فإن له معيشة ذات ضنك.

﴿قال كذلكَ أتتكَ آياتنا فَنَسِيتَهَا وكذلك اليوم تُنسى﴾ [١٢٦] أي: فتركت اتباعها، وكذلك اليوم تُترك فى النار.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا﴾ [١٢٩] أي: ولولا كلمة سبقت من عند ربك لكان إهلاكهم ذا لزام لهم، **﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا﴾** [١٣١] أي: ولا تمدن نظر عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم **﴿والعاقبة للتقوى﴾** [١٣٢] أي: والعاقبة لأهل التقوى، أو لذوى التقوى.

﴿ولو أنَّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نَذلَّ ونَخْزى﴾ [١٣٤] أي: ولو أنَّا أهلكناهم بعذاب من قبل إنزاله لقالوا: ربنا هلاَّ أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك التى جاءنا بها من قبل أن نذل فى الدُّنيا ونخزى فى الآخرة.

❁ ❁ ❁

سورة الأنبياء عليهم السلام

﴿ما يأتيهم من ذكر من ربِّهم مُحْدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ [٢] أى: ما يأتيهم من ذكر من عند ربهم مُحدَث إلا استمعوه وهم يلعبون؛ بدليل قوله: ﴿ولما جاءهم كتابٌ من عند الله﴾ [البقرة: ٨٩].

﴿فليأتنا بآية كما أُرْسِلَ الأولون﴾ [٥] أى: فليأتنا بآية معجزة كآية إرسال الأولين.

﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾ [٦] أى: ما آمن قبلهم من أهل قرية أهلكناهم لما جاءتهم الآيات فلم يؤمنوا بها أفهم يؤمنون إذا جاءتهم الآيات، وهذا استفهام معناه النفى مضاه لقوله: ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٠٩].

﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم﴾ [١٠] أى: لقد أنزلنا إليكم كتابًا فى اتباعه شرفكم، أو فى إنزاله شرفكم لكونه نزل بلغتكم.

﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قومًا آخرين﴾ [١١] أى: وكم قصمنا من أهل قرية كانوا ظالمين، وأنشأنا بعد قصمهم قومًا آخرين.

﴿أم اتَّخذوا آلهة من الأرض﴾ [٢١] أى: أم اتخذوا آلهة من أجزاء الأرض كالخشب والحجارة.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحقَّ فهم مُعْرضون﴾ [٢٤] أى: بل أكثرهم لا يعرفون التوحيد فهم معرضون عنه لجهلهم به.

﴿لا يسبقونه بالقول﴾ [٢٧] أى: لا يسبقون إذنه فى القول، أى: لا يقولون شيئًا حتى يؤذن لهم فيه.

﴿ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنَّم﴾ [٢٩] أى: فذلك نجزيه عذاب

جهنَّم كقوله: ﴿اصرف عنا عـذاب جهنَّم﴾ [الفرقان: ٦٥] لأن جهنَّم هـي الدار التي فيـها النَّار؛ بدليل قوله: ﴿وأحلوا قومهم دارَ البوار * جهنَّم﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩] وقوله: ﴿وإن جهنَّم لموعدهم أجمعـين * لها سبعة أبواب﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤] والأبواب تكون للدار دون ما اشتملت عليه الدار.

﴿أوَلم يرَ الَّذين كفروا أنَّ السَّموات والأرض كانتا رتقًا﴾ [٣٠] أي: كانتا ذواتي رتق.

﴿وجعلنا فى الأرض رواسيَ أن تميد بهم﴾ [٣١] أي: وخلقنا فى الأرض رواسيَ كراهة أن تميد بهم أو لئلا تميد بهم.

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [٣٥] أي: كل نفس ذائقة ألم الموت، وهو موت جسدها، أو كل نفس ذائقة كرب موت جسدها، أو سكرة موت جسدها، أو غمرة موت جسدها، وهذا كما تقول: ذاق فلان موت ولده، أي: ألم موت ولده، فإن الموت لا يصح ذوقه لمنافاته للذوق.

﴿وإلينا تُرجعون﴾ [٣٥] أي: وإلى جزائنا تُرجعون.

﴿إن يتخذونك إلا هُزُوًا﴾ [٣٦] أي: ما يتخذونك إلا مهزوًا بك، أو محل هزؤ أو ذا هزؤ.

﴿سأُريكم آياتى﴾ [٣٧] أي: سأُعرفكم صحة آياتى، أو صدق آياتى.

﴿قل من يكلؤكم بالليل والنَّهار من الرحمن﴾ [٤٢] أي: قل من يكلؤكم بالليل والنهار من بأس الرحمن.

﴿بل هم عن ذكر ربِّهم مُعْرِضون﴾ [٤٢] أي: بل هم عن وعظ ربهم معرضون، أو عن كتاب ربهم معرضون، كقوله: ﴿هذا ذكر﴾ [ص: ٤٩] أي: هذا القرآن ذكر.

﴿ونضع الموازينَ القسطَ ليوم القيامة﴾ [٤٧] أي: ونضع الموازين ذوات القسط لجزاء يوم القيامة.

﴿الَّذين يخشون ربَّهم بالغيب﴾ [٤٩] أي: الَّذين يخشون عذاب ربهم كائنًا فى الغيب عنهم.

﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ [٤٩] أي: وهم من أهوال الساعة وأوجالها خائفون.

﴿وهذا ذكرٌ مباركٌ أنزلناه أفأنتم له مُنكرون﴾ [٥٠] أي: وهذا القرآن وعظٌ مبارك كثيرٌ خيره ونفعه أنزلناه أفأنتم لإنزاله منكرون.

﴿أنتم لها عاكفون﴾ [٥٢] أي: أنتم على عبادتها عاكفون، أو أنتم لأجلها عاكفون على عبادتها.

﴿فجعلهم جُذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يَرْجِعون﴾ [٥٨] أي: لعلم إلى قوله ودينه يرجعون.

﴿قلنا يا نارُ كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم﴾ [٦٩] أي: كوني ذات برد وذات سلامة على إبراهيم.

﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ [٧٣] أي: وأوحينا إليهم اقتضاء فعل الخيرات، أو طلب فعل الخيرات.

﴿ونجيناه من القرية﴾ [٧٤] أي: ونجيناه من عذاب أهل القرية، أو من شر أهل القرية، أو من أذية أهل القرية.

﴿ونصرناه من القوم الَّذين كذبوا بآياتنا﴾ [٧٧] أي: ومنعناه من أذى القوم الَّذين كذبوا بآياتنا.

﴿إذ يَحكُمَانِ في الحرث﴾ [٧٨] أي: يحكمان في تضمين الحرث، أو في بدل الحرث.

﴿لتُحْصنكم من بأسكم﴾ [٨٠] أي: لتحصنكم من بأس أعدائكم.

﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ [٨٤] أي: رحمة من عندنا وتذكيرًا للعابدين.

﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ [٩١] أي: فنفخنا في جنينها، أو في جيبها من روحنا.

﴿وجعلناها وابنها آيةً للعالمين﴾ [٩١] أي: وجعلنا ولادتها من غير وطء، أو من غير ذكر.

﴿**كلٌّ إلينا راجعون**﴾ [٩٣] أى: كلٌّ إلى جزائنا راجعون.

﴿**وحرامٌ على قرية أهلكناها**﴾ [٩٥] أى: وحرام على أهل قرية أهلكناهم.

﴿**حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج**﴾ [٩٦] أى: حتى إذا فتح سدٌّ يأجوج ومأجوج، أو ردم يأجوج ومأجوج.

﴿**وإن أدرى لعله فتنة لكم**﴾ [١١١] أى: وما أدرى لعل ما توعدون سبب فتنة لكم.

﴿**وربنا الرحمن المُستعان على ما تصفون**﴾ [١١٢] أى: المُستعان على احتمال ما تصفون، أو على تحمل ما تصفون.

❁ ❁ ❁

سورة الحج

﴿يأيها النَّاس اتقوا ربكم﴾ [١] أى: اتقوا عقاب ربكم، أو عذاب ربكم، أو اتقوا عصيان ربكم، أو مخالفة ربكم.

﴿ومن النَّاس من يُجادل فى الله﴾ [٣] أى: من يجادل فى وحدانية الله، أو فى دين الله.

﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾ [٤] أى: ويهديه إلى سبب عذاب السعير، أو موجب عذاب السعير، أو مقتضى عذاب السعير.

﴿ومن النَّاس من يجادل فى الله بغير علم﴾ [٨] أى: ومن النَّاس من يُجادل فى وحدانية الله، أو فى دين الله بغير علم.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ [١٤] أى: تجرى من تحت غرفها، أو من تحت أشجارها مياه الأنهار، أو أشربة الأنهار.

﴿فإن أصابه خيرٌ اطمأن به﴾ [١١] أى: سكنت نفسه بسبب إصابته.

﴿هذان خصمان اختصموا فى ربِّهم﴾ أى: اختصموا فى دين ربهم، أو فى توحيد ربهم، ﴿فالَّذين كفروا﴾ [١٩] بدينه أو بوحدانيته.

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من﴾ أجل ﴿غمٍّ أُعيدوا فيها﴾ [٢٢].

﴿وأَذن فى النَّاس ﴾ [٢٧] أى: بفرض الحج، أو بإيجاب الحج.

﴿وأُحلت لكم الأنعام﴾ [٣٠] أى: وأُحل لكم أكل الأنعام.

﴿إلا ما يُتلى عليكم﴾ [٣٠] تحريمه كالميتة والدم وما ذكر بعدهما.

﴿فاجتنبوا الرجسَ من الأوثان﴾ [٣٠] أى: فاجتنبوا عبادة الأوثان.

﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ [٣٢] أى: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

﴿ثم مَحِلها﴾ [٣٣] أى: ثم محل نحرها أو تذكيتها.

﴿ليذكروا اسم الله على﴾ تذكية: ﴿ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [٣٤].

﴿فاذكروا اسم الله﴾ على نحرها، أو على تذكيتها ﴿صواف﴾ وتقدير النحر أحسن لموافقته السنة واختصاصه.

﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ [٣٧] أى: لن ينال رضى الله، أو قربة الله أهل تفرقة لحمها، ولا أهل إراقة دمائها، أو ولا أهل نضح دمائها ولكن ينال رضاه أهل التقوى منكم، ويجوز أن يقدَّر: لن ينال إكرام الله، أو ثواب الله.

﴿ولولا دفع الله﴾ شر بعض ﴿النَّاس﴾ أو دفع أذية بعض النَّاس بإرهاب بعضهم، أو بخوف بعضهم، أو بقتال بعضهم.

﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ [٤٠] أى: من ينصر دينه، أو من ينصر رسوله.

﴿فكأين من﴾ [٤٥] أهل ﴿قرية أهلكناهم﴾.

﴿فتكون لهم قلوب﴾ [٤٦] يفهمون بعقولها، أو عقول يفهمون بها ﴿أو آذان يسمعون﴾ بإدراكها، أو بإسماعها.

﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾ عن رؤية القرى والآثار ﴿ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ [٤٦] عن النظر والاعتبار.

﴿وكأين من﴾ أهل ﴿قرية﴾ [٤٨] أهلكناهم ثم أخذتهم بعذابى فى الدُّنيا وإلى جزائى مصيرهم فى الآخرة.

﴿وليعلم الَّذين أوتوا العلم أنه الحق من ربِّك﴾ [٥٤] أى: وليعرف الَّذين أوتوا العلم أن نسخه الحق، أو أن القرآن الحق صادر من عند ربك.

﴿ويمسك السَّماء﴾ كراهة ﴿أن تقع﴾ أو لئلا تقع، أو ويمسك السَّماء عن أن تقع ﴿على الأرض إلا بإذنه﴾ [٦٥].

﴿إن ذلك﴾ لمسطر ﴿فى كتاب﴾ [٧٠] إن تسطير ذلك على الله سهلٌ يسير.

﴿ويعبدون من دون الله ما لم يُنَزِّلْ به سُلْطَانًا﴾ [٧١] أى: ما لم يُنزل بعبادته سلطانًا.

﴿وما ليس لهم به علم﴾ [٧١] أى: وما ليس لهم بإلهيته علم.

﴿يأَيُّهَا النَّاس ضُرِبَ مثلٌ فـاستمـعوا له﴾ [٧٣] أى: جعل لى مثلٌ فـاستمعـوا لوصفه ونعته، أو فاستمعوا لذكر ضعفه وعجزه.

﴿ولو اجتمعوا له﴾ [٧٣] أى: ولو اجتـمعوا لأجل خلقه لما خلقـوه، أو لما قدروا على خلقه.

﴿وجاهدوا فى﴾ سبيل ﴿الله﴾ أو فى طاعة الله ﴿حقَّ جهاده﴾ [٧٨] الَّذى شرعكم بالله.

﴿واعتصموا بالله﴾ [٧٨] أى: واعتصموا بحبل الله، أو بكتاب الله.



سورة المؤمنون

﴿والَّذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [٥-٧] التقدير: والَّذين هم لفروجهم حافظون إلا مقتصرين على إتيان أزواجهم، أو مسلطين من قبل الله على أزواجهم، أو ما ملكته أيمانهم من إمائهم؛ فإنهم غير ملومين على إتيانهن، فمن ابتغى سوى ذلك الإتيان المباح فأولئك هم العادون؛ فيدخل فى ذلك إتيان الأجنبيات، والمحارم، والحيض، والصائمات، والناسكات؛ فإنه لم يسلط أحد عليه شرعًا، ويحتمل إلا داخلين على أزواجهم، أو ما ملكت أيمانهم، فإن الدخول يعبَّر به عن الوطء، فى مثل قوله: ﴿اللاتى دخلتم بهن﴾ [النساء: ٢٣] أى: وطئتموهن، ﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهنَّ فلا جُنَاحَ عليكم﴾ [النساء: ٢٣] معناه: فإن لم تكونوا وطئتموهن فلا جُنَاحَ عليكم.

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ [١٢] أى: ولقد خلقنا آدم من سلالة من طين، ثم جعلنا نسله أو ذريته نطفة.

﴿وما كُنَّا عن الخلق غافلين﴾ [١٧] أى: وما كُنَّا عن مصالح المخلوقين، أو عن حفظهم من سقوط السَّماء عليهم غافلين.

﴿وإنَّ لكم فى﴾ شأن ﴿الأنعام﴾ أو فى خلق الأنعام ﴿لعبرة﴾ [٢١].

﴿ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين﴾ [٢٤] أى: ما سمعنا بوقوع مثل هذا فى آبائنا الأولين، أو ما سمعنا بمثل هذا مذكورًا فى قصص آبائنا الأولين، أو فى أخبار آبائنا الأولين، أو فى أحاديث آبائنا الأولين.

﴿فقل الحمد لله الذى نجانا من﴾ عذاب ﴿القوم الظالمين﴾ [٢٨] أو من شر القوم الظالمين، أو من أذية القوم الظالمين؛ فإنهم كانوا يؤذون نوحًا والمؤمنين.

﴿وكذَّبوا بلقاء الآخرة﴾ [٣٣] أى: وكذبوا بلقاء جزاء الآخرة.

﴿فجعلناهم غُثَاء﴾ [٤١] أى: مثل غثاء.

﴿أيعدكم أنكم إذا مِتم﴾ [٣٥] أى: أيعدكم أن إخراجكم من قبوركم واقع إذا متم.

﴿وجعلناهم أحاديث﴾ [٤٤] أى: وجعلناهم ذوى أحاديث، أو تجوَّز بالأحاديث عن متعلقها.

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ [٥٠] أى: وجعلنا شأن ابن مريم آية، وشأن أمة آية.

﴿فَتَقَطَّعوا أمرهم بينهم زُبُرًا﴾ [٥٣] ذا زبر أو فى زبر.

﴿وقلوبهم وَجِلَةٌ أنهم إلى﴾ حساب ﴿ربهم﴾ أو إلى جزاء ربهم ﴿راجعون﴾ [٦٠].

﴿ولا نكلف نفسًا إلا﴾ قدر ﴿وسعها﴾ وطاقتها.

﴿إنكم منا لا تُنْصَرون﴾ [٦٥] أى: إنكم من عذابنا لا تُمنعون.

﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له مُنْكِرون﴾ [٦٩] أى: أم لم يعرفوا صدق رسولهم لصدقه فى الرسالة، أو فهم لإرساله منكرون.

﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ [٧٣] أى: وإنك لتدعوهم إلى اتباع دين مستقيم.

﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ [١٠١] أى: فلا مناشدة أنساب بينهم يومئذ، أو فلا فائدة أنساب بينهم يؤمئذ.

﴿فمن ثَقُلَتْ﴾ موازين حسناته ﴿فأولئك هم المفلحون* ومن خفت﴾ [١٠٢، ١٠٣] موازين حسناته ﴿فأولئك الَّذين خسروا﴾ حظوظ ﴿أنفسهم﴾.

﴿قالوا ربنا غَلَبَتْ علينا شقْوتنا﴾ [١٠٦] أى: معصيتنا وشهواتنا سماها شقوة؛ لأنها سبب إشقاء الآخرة، أو غلبت علينا أسباب شقائنا.

﴿أفحسبتم أنَّما خلقناكم عبثًا وأنَّكم﴾ إلى جزائنا ﴿لا تُرْجعون﴾ [١١٥].

﴿ومن يَدْعُ مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنَّما حسابه عند ربه﴾ [١١٧] أى: ومن يعبد

مع الله معبودًا آخر لا حــجة له بعبادته، أو لا حجة له بإلهيته فـإنَّما حسابه عند ربه، ومثل قوله: ﴿**لولا يأتون عليـهم بسلطان**﴾ [الكهف: ١٥] أى: هلاًّ يأتون على آلهـتـهم، أو على عبادتهم بسلطان.



سورة النور

﴿وفرضناها﴾ [١] أي: وفرضنا فرائضها.

﴿ولا تأخذكم بهما﴾ أثر ﴿رأفة فى دين الله﴾ [٢].

﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ أي: لا تحسبوه سبب شر لكم. ﴿بل هو﴾ سبب ﴿خير لكم﴾[١١].

﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم﴾ بصحته وصدقه ﴿علم﴾ [١٥].

﴿إن الَّذين يُحبون أن تشيع﴾ الكلمة ﴿الفاحشة﴾ فى أعراض ﴿الَّذين آمنوا﴾ [١٩].

﴿قل للمؤمنين يغضوا من﴾ نظر ﴿أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ [٣٠] من نظر الناظرين.

﴿وتوبوا إلى الله جميعًا﴾ [٣١] أي: وارجعوا إلى طاعة الله جميعًا.

﴿الَّذين لا يجدون نكاحًا﴾ [٣٣] أي: الَّذين لا يجدون مؤنة نكاح، أو مهر نكاح.

﴿ومثلاً من الَّذين خلَوا من قبلكم﴾ [٣٤] أي: ومثلاً من أمثال الَّذين مضوا من قبلكم.

﴿الله نور السَّموات والأرض﴾ [٣٥] أي: صاحب نور السَّموات والأرض، أو نور أهل السَّموات والأرض، أي: هاديهم؛ لما كان النُّور يكشف الحسن من القبيح ويوضح الأشياء تجوَّز به عن كل هاد إلى حسن وقبيح وباطل وصحيح لمشاركته النُّور الحقيقى فى الكشف والإيضاح، فالله نور، والقرآن نور، والرسول ﷺ نور وسراج لإضاءته وكشفه الحق من الباطل.

﴿مثل نوره كمشكاة﴾ [٣٥] أي: صفة نوره كصفة نور مشكاة.

﴿يُوقَدُ من شجرة﴾ [٣٥] أي: يوقد من دهن شجرة، أو من زيت شجرة.

﴿يُسَبِّحُ له فيها بالغدو والآصال﴾ [٣٦] أي وقت الغدو والآصال.

﴿يخافون يومًا﴾ [٣٧] أي: يخافون أهوال يوم، أو عذاب يوم، أو مشهد يوم.

﴿ليجزيهم الله أحسنَ ما عملوا﴾ [٣٨] أي ليجزيهم أحسن جزاء ما عملوه، أو أحسن ثواب ما عملوه.

﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا﴾ [٣٩] أي: حتى إذا جاء مكانه الَّذى توهمه فيه لم يجد الشراب شيئًا.

﴿أو كظلمات﴾ [٤٠] أي: أو كصفة صاحب ظلمات.

﴿فيصيب به من يشاء﴾ [٤٣] أي: فيصيب به زرع من يشاء، أو حرث من يشاء ﴿ويصرفه عن﴾ زرع ﴿من يشاء﴾ أو عن حرث من يشاء.

﴿وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ [٤٨] أي: وإذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله ليحكم بينهم رسوله، أو إلى كتاب الله وسنة رسوله.

﴿إنَّما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى﴾ حكم ﴿الله ورسوله﴾ ﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ [٥١] ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش﴾ عقاب ﴿الله ويتقه﴾ أي: ويتق عقابه بفعل ما أوجب وترك ما حرم ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ [٥٢].

﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ [٦١] أي: ولا على أنفسكم فى أن تأكلوا من أطعمة آبائكم، أو أطعمة بيوت أمهاتكم، أو أطعمة بيوت أعمامكم، أو أطعمة بيوت عماتكم، أو أطعمة بيوت أخوالكم، أو أطعمة بيوت خالاتكم، أو أطعمة ما ملكتم مفاتحه، أو أطعمة بيوت أصدقائكم.

﴿إنَّما المؤمنون الَّذين آمنوا بالله ورسوله﴾ [٦٢] أي: آمنوا بوحدانية الله وإرسال رسوله.

﴿ويوم يُرجعون إليه فينبئهم بما عملوا﴾ [٦٤] أي: ويوم يرجعون إلى موقف حسابه فينبئهم فى ذلك الموقف بأعمالهم.

سورة الفرقان

﴿لا يملكون لأنفسهم﴾ [٣] دفع ضر ولا جلب نفع، وترك الحذف أولى؛ لأنه أعم من جهة أنه لم ينف الضر على القول الأول؛ لأن دفع الضر نفع أيضًا.

﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ [٤] أى: وأعانه على افترائه قوم آخرون.

﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ [٨] أى: يأكل من ثمارها، أو من غلتها.

﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ [٢٠] أى: وجعلنا تفضيل بعضكم على بعض سبب فتنة للمفضل عليه.

﴿وجعلناهم للناس آية﴾ [٣٧] أى: وجعلنا إغراقهم للناس عبرة وموعظة.

﴿ولقد أتَوْا على القرية﴾ [٤٠] أى: ولقد أتوا على طريق القرية، أو على فناء القرية.

﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها﴾ [٤٢] أى: ليضلنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا على عبادتها.

﴿وهو الَّذى جعل لكم الليل لباسًا﴾ [٤٧] أى: مثل لباس.

﴿وَجَعَلَ النهار نشورًا﴾ [٤٧] ذا نشور.

﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورًا﴾ [٤٨] أى: من السحاب، أو من جهة السماء، أو من نحو السماء، أو من صوب السَّماء مطرًا.

﴿ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرًا﴾ [٥١] أى: فى أهل كل قرية نذيرًا، وهذا كقوله: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقوله: ﴿هو الَّذى بعث فى الأميين رسولا منهم﴾ [الجمعة: ٢] وقوله: ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ [الصافات: ٧٢].

﴿وهو الَّذى مرج البحرين﴾ [٥٣] أى: وهو الَّذى مرج ماء البحرين، أو تجوَّز بالبحرين

عن الماءين، أو شبَّه كثرة ماءى البحرين وسعتهما بسعة البحرين.

﴿وهو الَّذى خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا﴾ [٥٤] أى: فجعله ذا نسب، وذا صهر.

﴿وكان الكافر على ربه ظهيرًا﴾ [٥٥] أى: وكان الكافر على عصيان ربه عونًا للشيطان.

﴿قل ما أسألكم﴾ على إبلاغه أجرًا ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى﴾ثواب ﴿ربه﴾ أو إلى كرامة ربه ﴿سبيلاً﴾ [٥٧].

﴿وتوكل على﴾ نصر ﴿الحى الَّذى لا يموت﴾ [٥٨] أو على كفاية الحى الَّذى لا يموت.

﴿وهو الَّذى جعل الليل والنهار خلفة﴾ [٦٢] أى: ذوى خلفة.

﴿ولا يقتلون النفس التى حرم الله﴾ [٦٨] قتلها.

﴿ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى الله متابًا﴾ [٧١] أى: فإنه يرجع إلى ثواب الله وكرامته رجوعًا أى رجوع.

﴿وإذا مروا باللغو مروا كرامًا﴾ [٧٢] أى: وإذا مروا بأهل اللغو مروا كرامًا، أو وإذا مروا بمجالس اللغو، أو بقول اللغو.

❁ ❁ ❁

سورة الشعراء

﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ [٤] أى: لإنزالها أى: لإجل إنزالها خاضعين.

﴿وما يأتيهم من ذكر من﴾ عند ﴿الرحمن محدث إلا كانوا﴾ عن استماعه، أو عن تصديقه واتباعه ﴿معرضين﴾ [٥] .

﴿ولهم عليّ ذنب﴾ [١٤] أى: عقوبة ذنب، أو قصاص ذنب، أو دعوى ذنب.

﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ [٢١] أى: لما خفت عقوبتكم، أو لما خفت قتلكم إياى.

﴿قالوا أرجهْ وأخاه﴾ [٣٦] أى: أخر أمره وأمر أخيه.

﴿إنا إلى﴾ ثواب ﴿ربنا منقلبون﴾ [٥٠] أى: راجعون.

﴿أن اضرب بعصاك البحر﴾ [٦٣] أى: ماء البحر.

﴿فنظل لها عاكفين﴾ [٧١] أى: فنظل لأجلها عاكفين على عبادتها، أو فنظل على عبادتها عاكفين فتكون اللام بمعنى: على.

﴿قال هل﴾ يسمعون دعاءكم ﴿إذ تدعون﴾ [٧٢].

﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [١٠٩] أى وما أسألكم على إبلاغه من جُعْلٍ، أو وما أسألكم على قولى: اعبدوا الله من جعل.

﴿قال وما علمى بما كانوا يعملون﴾ [١١٢] أى: قال وما سبب علمى، أو وما موجب علمى بما كانوا يعملون.

﴿فاتقوا﴾ عقاب ﴿الله﴾ [١٢٦].

﴿وما أسألكم﴾ [١٢٧] على إبلاغه.

﴿وتذرون﴾ [١٦٦] أى: وتتركون إتيان ما خلق لكم ربكم من أزواجكم.

﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ [١٦٩] أي: من عذاب ما يعملون، أو من وبال ما يعملون، أو من عاقبة ما يعملون.

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ [١٩٢] أي: وإن القرآن لذو تنزيل رب العالمين، أو لمنزل رب العالمين، وإن نعته لمكتوب **﴿في زبر الأولين﴾** [١٩٦] يعني: نعت الرسول ﷺ، أو وإن القرآن لمذكور في كتب الأنبياء الأولين، أو الأمم الأولين، أو وإن ذكره أي: ذكر القرآن لفي زبر الأولين.

قال قتادة: وإن ذكر شرفه؛ أي: شرف القرآن لفي زبر الأولين.

﴿إنهم عن﴾ استراق **﴿السمع لمعزولون﴾** [٢١٢].

﴿الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين﴾ [٢١٨، ٢١٩] أي: وتقلبك في كشف أحوال الساجدين، أو في رؤية الساجدين. والمراد بالساجدين: المصلين.



سورة النمل

﴿سآتيكم منها بخبر﴾ [٧] أى: سآتيكم من عند أهلها بخبر عن الطريق وكان قد أضل الطريق فى ليلة باردة.

﴿وورث سليمان﴾ نبوة ﴿داود﴾ أو ملك داود.

﴿وقال يأَيُّهَا النَّاس عُلِّمنا منطق الطير﴾ [١٦] أى: علمنا معانى نطق الطير، أو مدلولات نطق الطير، أو مفهوم نطق الطير.

﴿وأدخلنى برحمتك فى﴾ مدخل ﴿عبادك الصَّالحين﴾ [١٩] أو فى جملة عبادك الصَّالحين، أو فى زمرة عبادك الصَّالحين.

﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ [٢٢] أى: وجئتك من أهل سبأ بخبر ذى يقين.

﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [٣٠] أى: إن الكتاب صادر من عند سليمان، وإن مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ [٣٦] أى: بل أنتم برد هديتكم عليكم تفرحون، أو بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون؛ لأن الهدية تضاف إلى المُهدِى والمُهدَى إليه.

﴿لا قِبَلَ لهم بها﴾ [٣٧] أى: لا طاقة لهم بقتالها، أو بلقائها.

﴿وإنى عليه لقوىٌّ أمين﴾ [٣٩] أى: وإنى على إحضاره لقادر أمين على ما فيه من الجواهر.

﴿قالوا اطَّيرنا بك وبمن معك﴾ [٤٧] أى: تشاءمنا بدينك وبدين من معك، أو بوعظك ووعظ من معك.

﴿ءآلله خير﴾ تقديره: أعبادة الله خير ﴿أم﴾ عبادة ﴿ما يشركون﴾ [٥٩] ﴿وأنزل لكم من

السماء ماءً﴾ [٦٠] وأنزل من السحاب، أو من جـهة السماء، أو من صـوب السماء، أو من نحو السَّماء مطرًا.

﴿أمن جعل الأرض قرارًا﴾ [٦١] أي ذات قرار.

﴿فتوكل على الله﴾ [٧٩] أي: وتوكل على نصر الله وعصمته وكفايته.

﴿وهي تمر مر السحاب﴾ [٨٨] أي: وهي تمر مرا مثل مر السحاب.

﴿هل تجزون إلا ما كُنتُم تعملون﴾ [٩٠] أي: ما تجزون إلا مثل ما كُنتُم تعملون.

﴿إنَّما أمـرت أن أعبد رب هذه البلدة الَّذي حرمـها﴾ [٩١] أي: حرم محرماتهـا كتنفير صيدها، وتعضيد شجرها، وقطع حشيشها، والتقاط لقطتها إلا لمنشد.

❁ ❁ ❁

سورة القصص

﴿فإذا خفت عليه﴾ [٧] الذبح.

﴿ليكون لهم عدواً وحزنًا﴾ [٨] أي: ليكون لهم عدوا وموجب حزن.

﴿أو نتخذه ولداً﴾ [٩] أي: مثل ولد.

﴿وقالت لأخته قصيه﴾ [١١] أي: قصي أثره.

﴿قال يا موسى إن الملأ﴾ يشتورون في قتلك ﴿ليقتلوك﴾ [٢٠]، أو في أمرك ليقتلوك.

﴿وجد عليه أمة من النَّاس يسقون﴾ [٢٣] أي: وجد على حافاته، أو على شفيره، أو على أرجائه أمة من النَّاس يسقون.

﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ [٢٥] أي: نجوت من شر القوم الظالمين، أو من لحاق القوم الظالمين، أو من إدراك القوم الظالمين.

﴿فلا يصلون إليكما﴾ [٣٥] أي: فلا يصلون إلى أذيتكما، أو إلى قتلكما، ﴿وظنوا أنهم﴾ إلى جزائنا ﴿لا يرجعون﴾ [٣٩].

﴿وجعلناهم أئمة يدعون﴾ النَّاس ﴿إلى﴾ عمل أهل ﴿النار﴾ [٤١].

﴿إنا كُنَّا من﴾ قبل إنزاله ﴿مسلمين﴾ [٥٢].

﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ [٥٥] أي: وإذا سمعوا الشتم أعرضوا عن إجابته.

﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ [٥٥] أي: لا نبتغي مكافأة الجاهلين، أو محاورة الجاهلين.

﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ [٥٨] أي: وكم أهلكنا من أهل قرية بطروا معيشتهم.

﴿**وما كُنَّا مهلكى**﴾ أهل ﴿ **القرى**﴾ [٥٩] أى: وما كُنَّا مخربى القرى ﴿**إلا وأهلها ظالمون**﴾ [٥٩].

﴿**فخرج على**﴾ موقف ﴿**قومه**﴾، أو على نادى قومه متجملاً ﴿**فى زينته**﴾ [٧٩].

﴿**قال الَّذين يريدون الحياة الدُّنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون**﴾ [٧٩] أى: قال الَّذين يريدون زينة الحياة الدُّنيا، أو زهرة الحياة الدُّنيا، أو متاع الحياة الدُّنيا: يا ليت لنا مالاً مثل ما أوتيه قارون، وتقدير الزينة هنا أولى لذكرها فى الآية.

﴿**وأصبح الَّذين تمنوا مكانه بالأمس**﴾ [٨٢] أى: مثل مكانه بالأمس؛ بدليل قولهم: ﴿**يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون**﴾.

﴿**والعاقبة**﴾ المحمودة ﴿**للمتقين**﴾ [٨٣] أو وحسن العاقبة للمتقين، أو والجنَّة العاقبة للمتقين، كقوله تعالى: ﴿**تلك عقبى الَّذين اتقوا وعقبى الكافرين النَّار**﴾ [الرعد: ٣٥].

﴿**ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الَّذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون**﴾ [٨٤] أى: إلا مثله فى رتب القبح.

﴿**إن الَّذى فرض عليك**﴾ اتباع ﴿**القرآن**﴾ أو تبليغ القرآن ﴿**لرادك إلى معاد**﴾ [٨٥].

﴿**ولا يصدنك عن**﴾ اتباع ﴿**آيات الله**﴾ [٨٧].

﴿**وادع إلى**﴾ عبادة ﴿**ربك**﴾ [٨٧]، أو إلى توحيد ربك، أو إلى سبيل ربك.

﴿**له الحكم**﴾ وإلى جزائه ﴿**ترجعون**﴾ [٨٨].

سورة العنكبوت

﴿من كان يرجو لقاء﴾ ثواب ﴿الله فإن أجل﴾ ثواب ﴿الله لآت﴾ [٥].

﴿ومن جاهد فإنَّما يجاهد لنفسه﴾ [٦] أى: لنفع نفسه.

﴿والَّذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى﴾ مدخل ﴿الصَّالحين﴾ [٩] أو لندخلنهم الجنَّة فى زمرة الصَّالحين.

﴿ووصينا الإنسان﴾ بإيصال والديه ﴿حسنًا﴾ [٨] أى: برا ذا حسن.

﴿لتشرك بى ما ليس لك به علم﴾ [٨] أى: ما ليس لك بإلهيته، أو بشركته علم.

﴿إلىَّ مرجعكم﴾ [٨] أى: إلى موقف حسابى رجوعكم.

﴿ومن النَّاس من يقول آمنا بالله﴾ أى: آمنا بدين الله، أو بوحدانية الله.

﴿فإذا أوذى فى الله﴾ [١٠] أى: فإذا أوذى فى دين الله؛ أى: بسبب دين الله.

﴿ولنحمل خطايكم﴾ [١٢] أى: ولنحمل أثقال خطاياكم.

﴿وما هم بحاملين من﴾ أثقال ﴿خطاياهم من شىء﴾ [١٢].

﴿وليحملن﴾ أثقال خطاياهم ﴿وأثقالاً مع﴾ [١٣] أثقال خطاياهم.

﴿اعبدوا الله واتقوه﴾ [١٦] أى: واتقوا عذابه بعبادته.

﴿إليه ترجعون﴾ [١٧] أى: إلى جزائه ترجعون.

﴿والَّذين كفروا بآيات الله ولقائه﴾ [٢٣] أى: ولقاء جزائه.

﴿وقال إنَّما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم فى الحياة الدُّنيا﴾ [٢٥] أى: اتخاذها سبب محبة بينكم فى مدة الحياة الدُّنيا، أو فى أيام الحياة الدُّنيا.

﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ [٢٥] أي: يكفر بعضكم بمودة بعض.

﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ [٣٥] أي: ولقد تركنا من آثارها آية بينة.

﴿اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ [٣٦] أي: وتوقعوا ثواب اليوم الآخر.

﴿مثل الَّذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا﴾ [٤١] أي: مثل حال الَّذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل حال العنكبوت اتخذت بيتًا، أو مثل اتخاذ الَّذين اتخذوا من دون الله أولياء، كمثل اتخاذ العنكبوت متخذة بيتًا لما اتخذوا الآلهة لينصروهم وليكونوا لهم عزا وليشفعوا لهم عند الله، شبَّههم بالعنكبوت التى اتخذت بيتًا ليقيها من المكاره، وهو أضعف من أن يدفع عنها شيئًا، ومثل خذلان الآلهة عابديها بعدم غناء بيت العنكبوت عنها.

﴿خلق الله السَّموات والأرض بالحق﴾ [٤٤] أي: خلق الله السَّموات والأرض بسبب إقامة الحق، وهو ما يستحقه على عباده من طاعته واجتناب معصيته.

﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ [٤٨] أي: وما كنت تتلو من قبل القرآن من مضمون كتاب، أو من مكتوب كتاب، ولا تخط كتابًا آخر بيمينك.

﴿والَّذين آمنوا﴾ بالدين ﴿الباطل﴾ [٥٢] أو بالشرك الباطل، وكفروا بدين الله، أو بتوحيد الله.

﴿ثم﴾ إلى جزائه ﴿ترجعون﴾ [٥٧].

﴿تجرى من تحتها﴾ مياه ﴿الأنهار﴾ [٥٨] أو أشربة الأنهار: الخمر، والعسل، والماء، واللبن.

﴿وما هذه الحياة الدُّنيا إلا لهو ولعب﴾ [٦٤] أي: وما دار هذه الحياة الدُّنيا إلا دار لهو، ولعب، أو إلا ذات لهو، ولعب.

﴿وإن الدار الآخرة لهى﴾ دار ﴿الحيوان﴾ [٦٤] أو وإن حياة الدار الآخرة لهى الحياة الكاملة التى لا نغصة فيها.

سورة الروم

﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدُّنيا﴾ [٧] أى: يعلمون تصرفًا ظاهرًا، أو سعيا ظاهرًا من تصرف الحياة الدُّنيا، أو من سعى الحياة الدُّنيا.

﴿وهم عن﴾ عمل ﴿الآخرة﴾ [٧] أو عن سعى الآخرة ﴿غافلون﴾ [٧].

﴿أولم يتفكروا فى أنفسهم﴾ [٨] أى: فى خلق أنفسهم، أو فى أوصاف أنفسهم، أو فى شئون أنفسهم.

﴿ما خلق الله السَّموات والأرض وما بينهما﴾ إلا بسبب إقامة الحق وانقضاء ﴿أجل مسمى﴾ [٨] أو جزاء أجل مسمى.

﴿وإن كثيراً من النَّاس بلقاء ربهم لكافرون﴾ [٨] أى: بلقاء وجزاء ربهم لكافرون.

﴿ثم﴾ إلى جزاء ربكم ﴿ترجعون﴾ [١١].

﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ [١٣] أى: وكان المشركون بعبادة شركائهم كافرين حين قالوا ﴿والله ربنا ما كُنَّا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] أو وكانوا بإلهية شركائهم، أو بشفاعة شركائهم كافرين.

﴿وأما الَّذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ [١٦] أى: ولقاء جزاء الآخرة.

﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ [٢٨] أى: تخافون إرثهم إياكم، أو اعتراضهم عليكم فى تصرفكم.

﴿منيبين إليه واتقوه﴾ [٣١] أى: راجعين إلى توحيده، واتقوا عذابه بطاعته.

﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ [٣٣] أى: من عنده رحمة؛ بدليل قوله: ﴿رحمة من عندنا﴾ [الأنبياء: ٨٤].

﴿وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال النَّاس﴾ أو فى اجتلاب أموال النَّاس، أو ليربو عوضه ﴿فلا يربوا﴾ ثوابه ﴿عند الله﴾ [٣٩]؛ أى: لا ثواب له فيربو كقوله:

* عـــلـــى لاحـــبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِه *[١]

أى: لا منار له فيهتدى به.

﴿ليذيقهم بعض الَّذى عملوا﴾ [٤١] أى: لنذيقهم عقاب بعض الَّذى عملوا، أو بعض عقاب الَّذى عملوا، أو جزاء بعض الَّذى عملوا.

﴿من كفر فعليه كفره﴾ [٤٤] أى: فعليه وبال كفره.

﴿فإذا أصاب به من يشاء من عباده﴾ [٤٨] أى: فإذا أصاب به بلاد من يشاء من عباده، أو زرع من يشاء من عباده، أو حرث من يشاء من عباده، أو أرض من يشاء من عباده.

﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾ [٤٩] أى: وإن كانوا من قبل أن ينزل على حرثهم من قبل إنزاله، أو من قبل إثارته أى: من قبل إثارة السحاب، أو من قبل إرساله أى: من قبل إرسال الله الرياح ليائسين من إنزاله.

﴿ولئن أرسلنا ريحًا فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون﴾ [٥١] أى: لظلوا من بعد اصفراره يكفرون.

﴿الله الَّذى خلقكم من ضعف﴾ [٥٤] أى: من مَنِيٍّ ذى ضعف.

* * *

(١) تقدم تخريجه .

سورة لقمان عليه السلام

﴿ويتخذها هزوًا﴾ [٦] أي: ذات هزؤ ، أو محل هزؤ ومهزوءًا بها.

﴿وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم﴾ [١٠] أي: كراهة أن تميد بكم، أو لئلا تميد بكم.

﴿هذا خلق الله﴾ [١١] أي: مخلوق الله.

﴿فأرونى ماذا خلق الَّذين من دونه﴾ [١١] أي: ماذا خلق الَّذين تعبدونهم من دونه.

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ [١٤] أي: ووصينا الإنسان بإيصال والديه برا ذا حسن.

﴿واتبع سبيل من أناب إلىَّ﴾ [١٥] أي: واتبع سبيل من رجع إلى توحيدى.

﴿ثم إلىَّ مرجعكم﴾ [١٥] أي: ثم إلى موقف حسابى رجوعكم.

﴿أولو كان الشَّيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ [٢١] أي: يدعوهم إلى أسباب عذاب السعير، وأسبابه: الكفر والعصيان.

﴿ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ [٢٧] أي: وماء البحر يمده من بعد مده مياه سبعة أبحر.

﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ [٢٩] أي: يدخل بعض ساعات الليل فى النهار ويدخل بعض ساعات النهار فى الليل، وإن اختصرت قلت: يدخل بعض الليل فى النهار وبعض النهار فى الليل.

﴿يأيُّهَا النَّاس اتقوا ربكم﴾ [٣٣] أي: اتقوا عذاب ربكم.

﴿واخشوا يومًا﴾ [٣٣] أي: واخشوا عذاب يوم.

﴿فلا تغرنكم الحياة الدُّنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ [٣٣] أى: فلا تغرنكم زهرة الحياة الدُّنيا، أو زينة الحياة الدُّنيا، ولا يغرنكم بإمهال الله الغرور ولا يغرنكم بإنعام الله الشَّيطان الغرور.

❁ ❁ ❁

سورة السجدة

﴿ثم يعرج إليه﴾ [٥] أى: يعرج إلى سمائه.

﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ [١٠] أى: بلقاء جزاء ربهم كافرون.

﴿قل يتوفاكم ملك الموت الَّذى وُكِّل بكم﴾ أى: يتوفى أنفسكم ملك الموت الَّذى وكل بقبض أرواحكم ﴿ثم إلى﴾ جزاء ﴿ربكم ترجعون﴾ [١١].

﴿ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه ثم أعرض عنها﴾ [٢٢] أى: أعرض عن اتباعها والعمل بها.

﴿فأعرض عنهم وانتظر﴾ [٣٠] أى: فأعرض عن أذاهم إياك، أو فأعرض عن مكافأتهم، أو عن محاربتهم ومناصبتهم.



سورة الأحزاب

﴿يأيها النَّبى اتق الله﴾ [١] أى: اتق لوم الله بطاعته واجتناب معصيته.

﴿وتوكل على الله﴾ [٣] أى: وتوكل على نصرة الله وعصمته.

﴿وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ [٤] أى: وما جعلهن مثل أمهاتكم فى التحريم.

﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ [٤] أى: وما جعلهم مثل أبنائكم فى الأحكام الخاصة بالأبناء.

﴿النَّبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [٦] أى: أولى بمصالح المؤمنين من أنفسهم.

﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ [٦] أى: مثل أمهاتهم فى تحريم النكاح، والاحترام.

﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ [٦] أى: أولى بميراث بعض.

﴿ويستأذن فريق﴾ من المنافقين النَّبى فى الرجوع إلى بيوتهم بالمدينة قائلين **﴿إن بيوتنا عورة﴾** ليست بمحصنة يخاف عليها العدو، فأكذبهم الله فقال: **﴿وما هى بعورة﴾** [١٣] ما يريدون بالرجوع إلى البيوت إلا فرارًا من القتال.

﴿وكان عهد الله مسئولاً﴾ [الأحزاب: ١٥] أى: وكان وفاء عهد الله مسئولاً، أو وكان ناقض عهد الله مسئولاً.

﴿قل من ذا الَّذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا﴾ [١٧] أى: قل من ذا الَّذى يمنعكم من مراد الله إن أراد بكم سوءًا.

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ [٢١] أى: لقد كان لكم فى صنع رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو ثواب الله ولقاء اليوم الآخر.

﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ [٢٤] أي: ليجزى الصادقين بثواب صدقهم، أو ليجزى الصادقين الجنَّة بسبب صدقهم.

﴿وقذف فى قلوبهم الرعب﴾ [٢٦] أى: خلقه فى قلوبهم والقذف مجازى.

﴿إن كنتن تردن الحياة الدُّنيا وزينتها﴾ [٢٨] أى: إن كنتن تردن متاع الحياة الدُّنيا.

﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله﴾ أى: وإن كنتن تردن رضا الله ورسوله ﴿و﴾ ثواب ﴿الدار الآخرة﴾ [٢٩].

لما خير نساء الرسول ﷺ فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة قصر على نكاحهن، وحرم عليه طلاقهن، والتزوج بغيرهن من النِّساء وجعلهن أمهات المؤمنين.

قلت: لما خيرن بين ثلاث خصال أكرمن بثلاث خصال ليجزيهم ما فاتهن، وَجَعَلَ ذلك ثوابًا لهن لَمَّا اخترنه.

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ [٣٦] إذا أراد الله ورسوله قضاء أمرٍ.

﴿أمسك عليك زوجك واتق﴾ معصية ﴿الله﴾ [٣٧] فى معاشرتها ومصاحبتها.

﴿وتخشى النَّاس والله أحق أن تخشاه﴾ [٣٧] أى: وتخشى لوم النَّاس، أو قالة النَّاس والله أحق أن يخشى لومه أو عتبه.

﴿لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم﴾ [٣٧] أى: فى نكاح أزواج أدعيائهم، أو فى أنكحة أزواج أدعيائهم، أو فى تزوج أزواج أدعيائهم.

﴿سنة الله فى الَّذين خلوا من قبل﴾ [٣٨] أى: فى أنكحة الَّذين خلوا من قبل.

﴿وكان أمر الله قدرًا مقدورًا﴾ [٣٨] أى: وكان مراد الله ذا قدر مقدور.

﴿ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله﴾ [٣٩] أى: ويخشون لومه، ولا يخشون لوم أحد إلا الله.

﴿يصلى عليكم﴾ [٤٣] أى: يرحمكم بما أنزله من كتابه، أو بتوفيقه ليخرجكم من ظلمات الجهل، والشرك إلى نور التوحيد والعرفان.

﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾ [٤٣] أي: رحيمًا في الدارين: في الدنيا بما مَنَّ به عليهم من الطاعة والإيمان، وفي الآخرة بما يفضل به من الإثابة والرضوان.

﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ [٤٤] أي: تحية الله إياهم يوم يرونه سلام، يسلم عليهم إذا رأوه، تجوَّز باللقاء عن الرؤية؛ لأنه سبب للرؤية.

﴿وأعد لهم أجرًا كريمًا﴾ [٤٤] أي: ثوابًا حسنًا، وهو ما ذكره سبحانه وتعالى في كتابه من ثواب الجنان.

﴿يأيها النَّبي إنا أرسلناك شاهدًا﴾ على أمتك بإبلاغ الرسالة إليهم، **﴿ومبشرًا﴾** بالجنان لمن أطاع الرحمن، ومخوفًا من عذاب النيران لمن عصى الديان، **﴿وداعيًا إلى﴾** طاعة الملك المنان **﴿بإذنه﴾** لك في الدعاء إلى طاعته واجتناب معصيته، **﴿وسراجًا منيرًا﴾** [٤٦] يستضاء به في ظلمات الكفر والجهل كما يهتدون بالسرج في الظُّلمات.

﴿ودع أذاهم﴾ [٤٨] أي: و دَعْ تذكر أذاهم، أو ودَعْ مكافأة أذاهم.

﴿وتوكل على الله﴾ [٤٨] أي: وتوكل على حفظ الله وحراسته.

﴿إنا أحللنا لك أزواجك﴾ أي: أحللنا لك أنكحة أزواجك **﴿اللاتى﴾** أعطيتهن مهورهن ووطء ما ملكته يمينك ممَّا رده الله عليك من أموال الكفار **﴿و﴾** نكاح **﴿بنات عمك وبنات عماتك﴾** وهن نساء بني عبد المطلب **﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾** وهن نساء بني زهرة **﴿و﴾** أحللنا لك نكاح **﴿امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها﴾** أي: إن ملكت بضعها فحذف المضاف، **﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في﴾** أنكحة **﴿أزواجهم و﴾** في تسرى **﴿ما ملكت أيمانهم﴾** [٥٠].

﴿ترجى من تشاء منهن﴾ أي: تؤخر قسم من تشاء منهن فلا تقسم لها **﴿وتؤوى إليك من تشاء﴾** منهن في القسم، **﴿ومن ابتغيت ممن عزلت﴾** أي: ومن طلبت إيواءها إليك في القسم ممن عزلتهن عن القسم، **﴿فلا جناح عليك﴾** في ضمها إليك، وهذه إباحة وتخيير بلفظ الخبر **﴿ذلك﴾** التخيير بين الإرجاء، والإيواء، والابتغاء أقرب إلى **﴿أن تقر أعينهن﴾** بما تعاملهن به من إرجاء، أو إيواء، أو ابتغاء؛ لأنهن إذا علمن أن ذلك من الله وأنه لا حق

لهن عليك فى قسم، ولا تسوية قرت أعينهن بذلك؛ إذ لا حق لهن عليك فيسوؤها الإخلال بحقها ﴿**ويرضين**﴾ كلهن بما أعطيتهن من الإرجاء والإيواء والابتغاء، ﴿**والله يعلم ما فى قلوبكم**﴾ من الميل إلى النِّساء وإيثار بعضهن على بعض ﴿**حليمًا**﴾ عمن عصاه بأن يميل على إحدى زوجاته كل الميل ﴿**عليمًا**﴾ [٥١] بأنكم لا تقدرون على العدل بينهن، وإن حرصتم، فلا تؤخذ إلا بما حرمه من الميل بالأفعال دون الميل بالقلوب الَّذى لا تملكونه.

﴿**لا يحل لك**﴾ تزوج ﴿**النِّساء من بعد**﴾ أزواجك التسع اللائى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ولا أن تبدل بأزواجك التسع أزواجًا غيرهن.

﴿**ولو أعجبك حسنهن**﴾ فأردت أن تطلق إحدى التسع لتتزوج بمن أعجبك، لم يحل لك ذلك ولكن وطء ما ملكته يمينك فإنه حلال لك، وهذا استثناء منقطع؛ لأن وطء الإماء وتسريهن ليس من جنس التزويج، إلا أن تقدر: ولا يحل لك إتيان النِّساء، فيكون الاستثناء من الجنس لأنك استثنيت إتيانًا من إتيان.

﴿**وكان الله على كل شىء**﴾ [٥٢] من أعمال عباده شاهدًا.

﴿**إن ذلكم**﴾ الَّذى نهيتم عنه من الدخول بغير إذن، ومن انتظار نضج الطعام.

﴿**إن ذلكم كان يؤذى النَّبى فيستحيى**﴾ من نهيكم عن أذيته ﴿**والله لا يستحيى من**﴾ تعليم ﴿**الحق**﴾ والحث عليه، وحقه ههنا ترك الدخول وتحين الطعام، والاستئناس فإنه حق عليهم كسائر الحقوق؛ لأن كل شىء أمرنا به فإنه حق من حقوق الله علينا، ﴿**وإذا سألتموهن متاعًا**﴾ أى: وإذا أردتم سؤالهن عارية متاع، أو أخذ متاع ﴿**فاسألوهن**﴾ مستخفيات ﴿**من وراء حجاب ذلكم**﴾ الحجاب، أو ذلكم السؤال من وراء حجاب، أو ذلكم الاحتجاب عنكم ﴿**أطهر لقلوبكم وقلوبهن**﴾ من الشهوات الواقعة بين النساء، والرجال، فإذا لم ير بعضهم بعضًا أمن أن يقع فى قلبه منها شىء، وكذلك فى قلبها ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا**﴾ [٥٣] أى: من بعد موته، ويحتمل من بعد فراقه ليدخل فيه الطلاق على رأى بعض العلماء فيعم فراق الموت، وفراق الطلاق.

﴿**لا جناح عليهنَّ فى آبائهن ولا أبنائهن**﴾ أى: لا إثم عليهن فى نظر آبائهن إليهن، ولا

نظر أبنائهن ﴿ولا﴾ فى نظر ﴿إخوانهن ولا﴾ فى نظر ﴿أخواتهن ولا﴾ فى نظر ﴿نسائهن ولا﴾ فى نظر ﴿ما ملكت أيمانهن واتقين الله﴾ [٥٥] أى: واتقين معصية الله بترك الاحتجاب وغيره.

﴿فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾ [٥٨] أى: فقد احتملوا وزر بهتان، ووزر إثم ظاهر.

﴿سنة الله فى الَّذين خلوا من قبل﴾ [٦٢] أى: سنة الله فى تقتيل الَّذين خلوا من قبل، أو فى لعن الَّذين خلوا من قبل، أو فى أمر الَّذين خلوا من قبل، فيعم الأخذ واللعن والتقتيل.

﴿يسألك النَّاس عن الساعة﴾ أى: يسألك النَّاس عن وقت الساعة، أو عن أجل الساعة، أو عن تاريخ الساعة، وأحسنها عن وقت الساعة لقوله: ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿قل إنَّما﴾ علم وقتها، أو علم تاريخها، أو علم أجلها ﴿عند الله﴾ [٦٣].

﴿يأيها الَّذين آمنوا اتقوا﴾ [٦٩] معصية الله.

﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ وهى التكاليف ﴿على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن﴾ [٧٢] من تضييعها والتفريط فيها.

❁ ❁ ❁

سورة سبأ

﴿لا يعزب عنه﴾ [٣] أي: لا يعزب عن علمه.

﴿والَّذين سَعَوْا في آيـاتنا﴾ [٥] أي: في تكـذيب آياتنـا، أو في دحض آياتـنا، أو في إبطال آياتنا.

﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾ [١٢] أي: مسيرة غدوها مسيرة شهر، ومسيرة رواحها مسيرة شهر.

﴿وتماثيل﴾ [١٣] كانت صور الأنبياء تصور في المساجد ليراها النَّاس فيزداوا عبادة.

﴿لقد كان لسبأ﴾ [١٥] أي: لأهل سبأ.

﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ [١٦] أي: على مساكنهم.

﴿جزيناهم﴾ ذلك التـبديل بسبب كـفرهم بما جـاءت به رسلهم ﴿وهل نجازي﴾ بجميع أعمالهم القباح ﴿إلا الكفور﴾ [١٧] بخلاف المؤمن فإنه يكفر عنه سيئاته ويعفى عن زلاته.

﴿وقدرنا فيها السير﴾ [١٨] أي: وقدرنا في أراضيها السير.

﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ [١٩] أي: باعد بين منازل أسفارنا.

﴿فجعلناهم أحاديث﴾ [١٩] أي: فجـعلناهم ذوى أحاديث، أو تجـوَّز بالأحاديث عن متعلقها.

﴿ولقـد صدق عليـهم إبليس ظنه﴾ [٢٠] إذ ظن أنه يقـدر على إضـلالهم وإغـوائهم فأضلهم وأغواهم ﴿وما كان له﴾ على إضلالهـم وإغوائهم من حجـة، ولا برهان، ولكنه دعاهم فأجابوه، ولكن امتحناهم بإبليس ﴿لنعلم﴾ أيهم يصدق بالنشأة الآخرة ﴿ممن هو منها في شكٍّ﴾ [٢١] أي: ليعلم ذلك واقعًا.

وما لله من شركائهم من معين على خلق السموات والأرض، ولا على خلق غيرهما فكيف يصلحون لمشاركته فى الإلهية والعبادة، ثم أبطل شفاعة آلهتهم بقوله: ﴿**ولا تنفع الشافعة عنده إلا لمن أذن له**﴾ [٢٣] فى الشفاعة.

﴿**حتى**﴾ إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين إقامة للحجة قالت لهم الملائكة: ﴿**ماذا قال ربكم**﴾ [٢٣] فيما أوحاه إلى الأنبياء ﴿**قالوا**﴾ قال: ﴿**الحق**﴾ فأقروا بصدق الرسل حيث لا ينفع الإقرار.

﴿**قل يجمع بيننا ربنا**﴾ فى موقف الحساب، ثم يحكم بيننا ﴿**بالحق وهو الفتاح العليم**﴾ [٢٦] بالأحكام وبالمحقين والمبطلين من المتخاصمين.

﴿**قل أرونى الَّذين ألحقتم به**﴾ [٢٧] بالله فى العبادة ﴿**شركاء**﴾ له فيها ﴿**كلا**﴾ لا شريك له كما تزعمون ﴿**بل**﴾ الشأن ﴿**الله العزيز**﴾ الَّذى لا نظير له فيصلح للعبادة مع أحد بل يفرد بالعبادة لعزته ﴿**الحكيم**﴾ [٢٧] فيما يقدره ويدبره من الهداية إلى توحيده، ومن الضلالة عن توحيده وتفريده.

﴿**قل لكم ميعاد يوم**﴾ أى: قل لبعثكم ميعاد يوم ﴿**لا تستأخرون**﴾ عن ذلك الميعاد ساعة ﴿**ولا تستقدمون**﴾ [٣٠].

﴿**لولا أنتم لكنا مؤمنين**﴾ [٣١] أى: لولا تعويقكم إيانا عن التوحيد لكنا موحدين.

﴿**إذ تأمروننا أن نكفر بالله**﴾ [٣٣] أى: بوحدانية الله.

﴿**والَّذين يسعون فى آياتنا**﴾ [٣٨] أى: فى إبطال آياتنا، أو فى دحض آياتنا، أو فى تكذيب آياتنا.

﴿**قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم**﴾ [٤٣] أى: يريد أن يمنعكم عن عبادة ما كان يعبده آباؤكم.

﴿**وما آتيناهم من كتب يدرسونها**﴾ [٤٤] أى: يدرسون مضمونها.

﴿**قل جاء**﴾ [٤٩] أمر الله الَّذى هو الحق.

﴿وإن اهتديت فيما يوحى إلىَّ ربى﴾ [٥٠] ولولا الوحى لما كنت مهتديًا.

﴿ولو ترى﴾ يا محمد **﴿إذ فزعوا﴾** عند البعث **﴿فلا فوت﴾** لهم منا **﴿وأخذوا﴾** إلى موقف الحساب **﴿من مكان قريب﴾** [٥١] على الله، وهو قبورهم.

﴿وأنَّى لهم﴾ تناول نفع التوبة والإيمان **﴿من مكان بعيد﴾** [٥٢]، وهو الدنيا، وقد بعدت عنهم؛ لأنها كانت تقبل فى الدنيا فبعدت عن الآخرة.

﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ من التوبة والإيمان والرجوع إلى الدنيا **﴿كما فعل بأشياعهم﴾** الَّذين كانوا مثلهم فى تكذيب الرسل حين لم يقبل منهم التوبة والإيمان **﴿إنهم كانوا فى شكٍّ﴾** مما جاءت به الرسل، أو من البعث والحساب **﴿مريب﴾** [٥٤]، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

سورة فاطر

﴿**فلا مرسل له من بعده**﴾ [٢] أي: من بعد إمساكه إياه.

﴿**فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾ [٥] أي: فلا تغرنكم زهرة الحياة الدنيا وزينتها، ولا يغرنكم بإمهال الله، أو بإنعام الله، الشَّيطان الغرور.

﴿**فأحيينا به الأرض بعد موتها**﴾ [٩] أي: فأحيينا بمطره الأرض بعد موتها؛ بدليل قوله: ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السَّماء ماءً فأخرجنا به ثمرات**﴾ [فاطر: ٢٧].

﴿**كذلك النشور**﴾ [٩] أي: كذلك إخراج النشور من القبور، أو كذلك إحياء النشور، والنشور على هذا جمع كالقعود جمع قاعد.

﴿**من كان يريد العزة**﴾ أي: من كان يريد معرفة ذى العزة، أو من كان يريد العزة بعبادة الأصنام فعبدهم ليكونوا لهم عزا فلا عزة لهم؛ لأن ﴿**العزة لله جميعًا إليه يصعد الكلم الطيب**﴾ [١٠] أي: إلى سمائه، أو إلى عرشه تصعد صحائف الكلم الطيب.

﴿**والله خلقكم من تراب ثم نطفة**﴾ [١١] أي: والله خلق أباكم من تراب، ثم خلقكم من نطفة.

﴿**ولا ينقص من عمره**﴾ [١١] أي: من مثل عمره، أو من مقدار عمره، أو من نفس عمره، على قول.

﴿**إن ذلك على الله يسير**﴾ [١١] أى: إنَّ كتب ذلك، أو إنَّ إحصاء ذلك فى الكتاب، أو إنَّ تسطير ذلك على الله سهل يسير.

﴿**وما يستوي البحران**﴾ [١٢] أي: وما يستوى ماء البحرين، أو عبَّر بالبحر عن الماء؛ لأنه محله كما عبر بالصدر عن القلب، وبالقلب عن العقل.

﴿ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريا﴾ أى: ومن صيد كلٍّ تأكلون لحمًا طريا **﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾** [١٢] أى: تلبسها نساؤكم، فيكون من مجاز نسبة فعل البعض إلى الكل.

﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ [١٣] أى: يدخل بعض الليل فى النهار حتى يتكامل طول النهار، ويدخل بعض النهار فى الليل حتى يتكامل طول الليل.

﴿أنتم الفقراء إلى الله﴾ [١٥] أى: أنتم الفقراء إلى رحمة الله، أو إلى فضل الله.

﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها﴾ [١٨] أى: إلى حمل حملها ووزرها.

﴿إنَّما تنذر الَّذين يخشون ربهم بالغيب﴾ [١٨] أى: الَّذين يخشون عذاب ربهم غائبًا عنهم.

﴿ومن تزكى فإنَّما يتزكى لنفسه﴾ [١٨] أى: فإنَّما يتزكى لنفع نفسه بالثواب، والنجاة من العقاب.

﴿وإلى الله المصير﴾ [١٨] أى: وإلى حكم الله، أو وإلى جزاء الله المصير.

﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ [٢٤] أى: بسبب إقامة الحق.

﴿إنَّما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [٢٨] أى: إنَّما يخشى عقاب الله من عباده العلماء بسطوته وشدة نقمته.

﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ [٢٩] أى: يرجون ربح تجارة لن تبور.

﴿إن الله﴾ بأعمال عباده، أو بأحوال عباده **﴿لخبير بصير﴾** [٣١].

﴿ثم أورثنا﴾ القرآن بعد هلاك الأمم **﴿الَّذين اصطفينا﴾**ههم **﴿من عبادنا فمنهم﴾** فريق **﴿ظالم لنفسه﴾** بزيادة سيئته على حسناته **﴿ومنهم﴾** فريق **﴿مقتصد﴾** استوت حسناته وسيئاته **﴿ومنهم سابق﴾** رجحت حسناته على سيئاته **﴿بإذن الله﴾** أى: بقضاء الله وإرادته، أو بقوله: كونوا كذلك **﴿ذلك﴾** الإتيان للقرآن **﴿هو الفضل الكبير﴾** [٣٢].

﴿أذهب عنا﴾ [٣٤] أسباب الأحزان كلها من أمر المعاش والمعاد **﴿الَّذى﴾** أنزلنا دار الخلود من فضله **﴿لا يمسنا فيها﴾** تعب **﴿ولا يمسنا فيها﴾** [٣٥] إعياء.

﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ [٣٧] تقديره: أولم نعمركم عمرًا يتذكر في مثله من تذكر.

﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ [٣٩] أي: فعليه وبال كفره.

﴿أم لهم شرك في السموات﴾ [٤٠] أي: في خلق السموات.

﴿إن الله يمسك السَّموات والأرض أن تزولا﴾ [٤١] عن مكانهما وتتحركا عن أحيازهما ووالله لئن زالتا ما أمسكهما بعد زوالهما أحد من بعد زوالهما إلا الله.

﴿ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده﴾ [٤١] أي: من بعد زوالهما.

كان الكفار يقولون قبل بعث محمد ﷺ: لئن جاءنا رسول ينذر لنكونن أهدى من إحدى الأمم الَّذين هم اليهود، والنصارى، والمجوس ﴿فلما جاءهم﴾ محمد ﴿ما زادهم﴾ مجيئه ﴿إلا نفورًا﴾ [٤٢] عن الحق و ﴿استكبارًا﴾ عن تصديقه.

﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ [٤٣] أي: ولا يحيق وبال المكر السيئ، أو عاقبة المكر السيئ إلا بأهله.

﴿فهل ينتظرون إلا سنة الأولين﴾ [٤٣] أي: فما ينتظرون إلا مثل سنة الأولين.

﴿ولكن نؤخرهم﴾ [٤٣] أي: نوخر مؤاخذتهم، فإذا جاء أجل مؤاخذتهم، فإن الله كان بأعمال عباده وأحوالهم ﴿بصيرًا﴾ [٥٥].

❁ ❁ ❁

سورة يس

﴿**وخشي الرحمن بالغيب**﴾ [١١] أي: وخشي عذاب الرحمن كائنًا في الغيب.

﴿**واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية**﴾ [١٣] أي: واضرب لهم مثلاً مثل أصحاب القرية.

﴿**فعززنا بثالث**﴾ [١٤] أي: فقويناهما بإرسال ثالث.

﴿**إنا تطيرنا بكم**﴾ [١٨] أي: تشاءمنا بأمركم، أو بتذكيركم، وهذا أحسن لقوله: ﴿**أئن ذكرتم**﴾ التقدير: أتطيرون إن ذكرتم، أو إن ذكرتم تطيرتم.

﴿**وليمسنكم منا عذاب**﴾ [١٨] أي: من عندنا.

﴿**قالوا طائركم معكم**﴾ [١٩] أي: سبب شؤمكم معكم، وهو كفركم.

﴿**قال يا قوم اتبعوا المرسلين**﴾ [٢٠] أي: اتبعوا سبيل المرسلين، أو دين المرسلين، أو أطيعوا المرسلين.

﴿**اتبعوا من لا يسألكم أجرًا**﴾ [٢١] أي: اتبعوا سبيل من لا يسألكم أجرًا، أو دين من لا يسألكم أجرًا، أو أطيعوا من لا يسألكم أجرًا.

﴿**وإليه ترجعون**﴾ [٢٢] أي: وإلى جزائه، أو إلى حكمه ترجعون.

﴿**إني آمنت بربكم فاسمعون**﴾ [٢٥] أي: إني آمنت بوحدانية ربكم أيها الرسل فاسمعوا قولي لتشهدوا لي به عند ربكم.

﴿**وما أنزلنا على قومه من بعده**﴾ [٢٨] أي: من بعد قتله أي: من بعد قتل الرجل الساعي.

﴿**وأخرجنا منها حبا**﴾ [٣٣] أي: وأخرجنا من زرعها، أو من نبتها حبا، فإن الحب

يخرج من الزرع، والنبت، ولا يخرج من الأرض.

﴿وَجَعَلْنَا فيها جنَّات من نخيل وأعناب﴾ [٣٤] أي: وَجَعَلنا فيها أشجاراً من نخيل، وشجر أعناب، أو تجوَّز بلفظ العنب عن شجره؛ لأنه مسبب عن الشجر.

﴿والقمر قدرناه منازل﴾ [٣٩] أي: قدرنا سيره ذا منازل، أو قدرنا لسيره منازل، أو قدرنا له منازل.

﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ [٤٠] قبل انقضاء الليل **﴿ولا الليل سابق﴾** انقضاء **﴿النهار﴾**.

﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ [٤٥] أي: اتقوا مثل ما بين أيديكم من عذاب الآخرة؛ اتقوا ذينك بالإسلام.

﴿إلا كانوا﴾ عن سماعها، أو عن تدبرها، أو عن اتباعها **﴿معرضين﴾** [٤٦].

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ [٤٨] أي: متى وقوع هذا البعث الموعود.

﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم﴾ [٤٩] أي: تأخذ أرواحهم من أجسادهم.

﴿ولا تجزون إلا ما كُنْتُم تعملون﴾ [٥٤] أي: وما تجزون إلا مثل ما كُنْتُم تعملون؛ بدليل قوله: **﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾** [الأنعام: ١٦٠].

﴿وما علمناه الشعر﴾ [٦٩] أي: وما علمناه إنشاء الشعر، أو تأليف الشعر، أو قول الشعر، أو صنعة الشعر.

﴿فهم لها مالكون﴾ [٧١] أي: فهم لتصريفها ضابطون، أو لحفظها.

﴿الَّذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾ [٨٠] أي: فإذا أنتم من ناره توقدون.

﴿فسبحان الَّذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾ [٨٢] أي: وإلى حكمه وتدبيره ترجعون.

❁ ❁ ❁

سورة الصافات

﴿وحفظناها من﴾ سماع ﴿كل شيطان مارد﴾ [٧] أو من تَسَمُّعِ كل شيطانٍ مارد؛ على قراءة يسَّمَّعون(١).

﴿يقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر﴾ [٢٦] أئنا لتاركو عبادة آلهتنا لقول شاعر، أو لأجل شاعر.

﴿وما تجزون إلا ما كُنْتُم تعملون﴾ [٣٩] أى: وما تجزون إلا مثل ما كُنْتُم تعملون فى القبح والفظاعة.

﴿بيضاء لذة للشاربين﴾ [٤٦] أى: ذات لذة للشاربين.

﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ [٤٧] أى: ولا هم عن شربها يسكرون، أى: بسبب شربها لما كان صدور المسببات عن أسبابها حسن أن يعبر عن ذلك بلفظة عن، وكذلك لما كان ابتداء غاية صدور المسببات من أسبابها صح التعبير عن التسبب بمن، فى مثل قوله: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ [نوح: ٢٥] ﴿فإنهم لآكلون منها﴾ أى: لآكلون من طلعها ﴿فمالئون منها البطون﴾ [٦٦].

﴿أئفكًا آلهة دون الله تريدون﴾ [٨٦] أى: أئفكًا عبادة آلهة دون الله تريدون.

﴿فما ظنكم بربِّ العالمين﴾ [٨٧] أى: فما ظنكم بصنع رب العالمين بكم إذا عبدتم سواه.

﴿فنظر نظرة فى النجوم﴾ [٨٨] أى: فى علم النجوم.

---

(١) هى قراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم وباقى القراء السبعة بإسكان السين وتخفيف الميم (شرح الشاطبية ص ٢٧٥).

﴿**وتذرون أحسن الخالقين**﴾ [١٢٥] أي: وتذرون عبادة أحسن الخالقين.

﴿**وإنَّكم لتمرون عليهم**﴾ [١٢٧] أي: على آثار بلدهم، أو على فناء بلدهم.

﴿**لو أن عندنا ذكرًا من الأولين**﴾ [١٦٨] أي: ذكرًا من مثل ذكر الأولين.

﴿**فتول عنهم**﴾ [١٧٤] أي: فتول عن مناصبتهم وقتالهم.

❁ ❁ ❁

سورة ص

﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا﴾ [٥] أي: أجعل بدل عبادة الآلهة عبادة إله واحد.

﴿واصبروا على آلهتكم﴾ [٦] أي: واصبروا على عبادة آلهتكم.

﴿بل هم في شكٍّ من ذكرى﴾ [٤٨] أي: من إنزال ذكرى.

﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ [٢٤] أي: لقد ظلمك بسؤال ضم نعجتك إلى نعاجه.

﴿لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [٢٦].

﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منَّا﴾ [٤٣] أي: رحمة من عندنا؛ بدليل إظهاره في سورة الأنبياء.

﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ [٦٠] أي: أنتم قدمتم أسبابه لنا، وهو مجاز نسبة الفعل إلى سبب سببه.

وكذلك قوله: ﴿ربنا من قدَّم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا﴾ [٦١] أي: ذا ضعف.

﴿لأملأن جهنَّم منك﴾ [٨٥] أي: من ذريتك.

﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾ [٨٦] أي: قل ما أسالكم على إبلاغه من أجر.

﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ [٨٨] أي: ولتعرفن صدق نبأه، أو صحة نبأه بعد حين، أو ولتعرفن نبأه بعد حين.



سورة الزمر

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ [٢] أي: بسبب إقامة الحق.

﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدًا﴾ [٤] أي: تبنى ولدًا، ومثله قوله: ﴿أو نتخذه ولدًا﴾ [يوسف: ٢١] أي: مثل ولد فحذف مثل ليصير تشبيهًا بليغًا؛ كقولك: أبو يوسف، أبو حنيفة.

﴿خلق السَّموات والأرض بالحق﴾ [٥] أي: بسبب إقامة الحق.

﴿إن تكفروا فإن الله غنى عنكم﴾ [٧] أي: إن تكفروا بالوحدانية، فإن الله غنى عن توحيدكم.

﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ [٧] أي: ثم إلى موقف حساب ربكم رجوعكم فيخبركم فى ذلك الموقف بما كُنتُم تعملون.

﴿دعا ربه منيبًا إليه﴾ [٨] أي: منيبًا إلى توحيده.

﴿نسى ما كان يدعو إليه من قبل﴾ [٨] أي: نسى ما كان يدعو ربه إلى كشفه من قبل تحويله النعمة.

﴿وَجَعَلَ لله أندادًا ليضل﴾ [٨] بعبادتها عن عبادته.

﴿اتقوا ربكم﴾ [١٠] أي: اتقوا عقاب ربكم، أو اتقوا معصية ربكم، أو مخالفة ربكم.

﴿وأنابوا إليه﴾ [١٧] أي: وأنابوا إلى توحيده أي: رجعوا إلى مثل ما كانوا عليه من التوحيد يوم أخذ الميثاق.

﴿فبشر عبادِ * الَّذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ [١٧، ١٨] أي: فيتبعون أحسن

مواجبه ومقتضياته، أي: فيتبعون أحسن الأعمال المأمور بها.

﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ [٢٠] أي: تجري من تحت غرفها، أو أشجارها مياه الأنهار، أو أشربة الأنهار.

﴿**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**﴾ [٢٢] أي: من أجل ذكر توحيد الله.

﴿**تقشعر منه جلود الَّذين يخشون ربهم**﴾ [٢٣] أي: تقشعر من وعيده جلود الَّذين يخشون عقاب ربهم.

﴿**ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**﴾ [٢٣] أي: إلى ذكر وعد الله.

﴿**وقيل للظالمين ذوقوا ما كُنْتُم تكسبون**﴾ [٢٤] أي: ذوقوا جزاء ما كُنْتُم تكسبون.

﴿**ضرب الله مثلاً رجلاً**﴾ [٢٩] أي: ضرب الله مثلاً مثل رجل.

﴿**ورجلاً سلمًا**﴾ [٢٩] أي: ومثل رجل سلم.

﴿**ويخوفونك بالَّذين من دونه**﴾ [٣٦] أي: ويخوفونك بتخييل الَّذين يعبدونهم من دونه.

﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها**﴾ [٤٢] أي: حين موت أجسادها، فإن النفوس لا تموت، ويتوفى الأنفس التي لم تمت أجسادها في نومها.

﴿**ثم إليه ترجعون**﴾ [٤٤] أي: ثم إلى حكمه، أو إلى جزائه ترجعون.

﴿**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**﴾ [٤٧] أي: وظهر لهم من عذاب الله، أو من سخط الله ما لم يكونوا يحتسبونه.

﴿**ثم إذا خولناه نعمة منا**﴾ [٤٩] أي: من عندنا.

﴿**وأنيبوا إلى ربكم**﴾ [٥٤] أي: وارجعوا إلى توحيد ربكم، أي: إلى مثل توحيد ربكم الَّذي كُنْتُم عليه وأنتم ذر.

﴿**واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**﴾ [٥٥] أي: واتبعوا مواجب أحسن ما أنزل إليكم من عند ربكم.

﴿**أن تقول نفس يا حسرتا**﴾ [٥٦] أي: كراهة أن تقول نفس يا حسرتا، أو لئلا تقول نفس يا حسرتا.

﴿**ألم يأتكم رسل منكم**﴾ [٧١] أي: رسل من أنفسكم؛ بدليل قوله: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ [التوبة: ١٢٨] وقوله: ﴿**إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم**﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿**وينذرونكم لقاء يومكم هذا**﴾ أي: ويخوفونكم لقاء أهوال يومكم هذا، أو لقاء عذاب يومكم هذا.



سورة المؤمن(١)

﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء﴾ [١٦] أي: لا يخفى على الله من أعمالهم شيء، أو لا يخفى على الله منهم أحد.

﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ [١٧] أي: تجزى كل نفس بمثل ما كسبت، أو بجزاء ما كسبت.

﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ [١٨] أي: وخوفهم عذاب الآزفة، أو هول يوم الآزفة.

﴿وما كان لهم من الله من واق﴾ [٢١] أي: وما كان لهم من عذاب الله من واق.

﴿عذت بربِّى وربكم من كل متكبر﴾ [٢٧] أي: عذت بربِّى وربكم من شر كل متكبر.

﴿فعليه كذبه﴾ [٢٨] أي: فعليه وبال كذبه، أو ضرر كذبه.

﴿يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم﴾ [٣٣] أي: ما لكم من عذاب الله من مانع.

﴿كذلك يَطْبَعُ الله على كُلِّ قَلْب متكبر﴾ [٣٥] أي: كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر.

﴿إنَّما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ [٣٩] أي: إنَّما زهرة هذه الحياة الدنيا وزينتها متاع.

﴿ما لى أدعوكم إلى النجاة﴾ [٤١] أي: ما لى أدعوكم إلى أسباب النجاة.

﴿وتدعوننى إلى النار﴾ [٤١] أي: وتدعوننى إلى عمل أهل النار، أو إلى سبب خلود النار، أو دخول النار، أو صِلِيِّ النار.

---

(١) من أسماء سورة غافر.

﴿تدعوننى لأ كفر بالله﴾ [٤٢] أى: لاكفر بوحدانية الله.

﴿وأشرك به ما ليس لى بى علم﴾ [٤٢] اى: ما ليس بإلهيته، أو بشركته علم.

﴿وأنا أدعوكم إلى﴾ توحيد ﴿العزيز الغفار﴾ [٤٢] أو إلى دين العزيز الغفار.

﴿ليس له دعوة فى الدنيا﴾ [٤٣] أى: ليس له إجابة دعوة، أو ليس له شفاعة.

﴿وأن مردنا إلى الله﴾ [٤٣] أى: وأن مردنا إلى جزاء الله، أو إلى حكم الله.

﴿والله بصير بالعباد﴾ [٤٤] أى: والله بصير بأحوال العباد وأعمالهم، أو بصلاح العباد، وهو أولى لمناسبة تفويض الأمر له.

﴿وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب﴾ [٥٣] أى: وأورثنا بنى إسرائيل علم الكتاب يعنى: التوراة.

﴿إن فى صدورهم إلا كِبْر﴾ [٥٦] أى: ما فى قلوبهم إلا طلب كبر أو إرادة كبر، أو تمنى كبر، والموفق من هدى لأولى هذه التقديرات بكتاب الله.

﴿الله الَّذى جعل لكم الأرض قراراً والسَّماء بناء﴾ [٦٤] أى: الله الَّذى جعل لكم الأرض ذات قرار والسَّماء ذات بناء.

﴿ألم تر إلى الَّذين يجادلون فى آيات الله﴾ [٦٩] اى: ألم تر إلى صنع الَّذين يجادلون فى دحض آيات الله، أو فى إبطال آيات الله، أو فى تكذيب آيات الله، أو فى جحد آيات الله.

﴿أو نتوفينك فإلينا يرجعون﴾ [٧٧] معناه: أو نتوفين نفسك فإلى جزائنا، أو فإلى عذابنا يرجعون.

﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ [٧٨] أى: منهم فريق قصصنا نبأهم عليك، ومنهم فريق لم نقصص نبأهم عليك.

﴿ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم﴾ [٨٠] أى: مقتضى حاجة، أو متعلق حاجة مستقرة فى قلوبكم، أو تجوَّز بالحاجة عما تحتاج إليه.

﴿**وكفرنا بما كنا به مشركين**﴾ [٨٤] أي: وكفرنا بإلهية ما كنا به مشركين، أو بعبادة ما كنا به مشركين.

﴿**سنت الله التي قد خلت في عباده**﴾ [٨٥] أي: في تعذيب عباده إذا آمنوا عند رؤية البأس.



سورة السجدة(١)

﴿قل أئنكم لتكفرون بالَّذى خلق الأرض فى يومين﴾ [٩] أى: لتكفرون بوحدانية الَّذى خلق الأرض فى مقدار يومين، أو لتكفرون بقدرته على إحيائكم بعد مماتكم مع أن خلق السَّموات والأرض أكبر من خلقكم.

﴿وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام﴾ [١٠] أى: وقدر فيها أقوات أهلها فى تتمة مقدار أربعة أيام.

﴿وأوحى فى كل سماء أمرها﴾ [١٢] أى: أمر سكانها، أو أمر ملائكتها.

﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ [١٤] أى: إذ جاءتهم دعوة الرسل من بين أيديهم، ومن خلفهم.

﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ [٢٠] أى: شهد عليهم محل سمعهم.

﴿وإليه ترجعون﴾ [٢١] أى: وإلى جزائه ترجعون.

﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ [٢٥] أى: فزينوا لهم إيثار ما بين أيديهم من الدنيا وجحد ما خلفهم من أمور الآخرة، أو وإنكار ما خلفهم من أمور الآخرة.

﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والْغَوْا فيه﴾ [٢٦] أى: والغوا فى وقت قراءته.

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ [٣٣] أى: ممن دعا النَّاس إلى دين الله، أو إلى توحيد الله، أو إلى عبادة الله.

﴿إن الَّذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا﴾ [٤٠] أى: لا يخفى إلحادهم علينا.

﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل﴾ [٤٣] أى: ما يقال لك إلا مثل ما قد قيل للرسل.

(١) أى: سورة فصلت.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلف فيه﴾ [٤٥] أى: فاختلف فى تصديقه.

﴿وإنهم لفى شكٍّ منه﴾ [٤٥] أى: لفى شكٍّ من إنزاله، أو من صحته.

﴿ومن أساء فعليها﴾ [٤٦] أى: ومن أساء فوبال إساءته على نفسه، أو فضرر إساءته على نفسه.

﴿إليه يرد علم الساعة﴾ [٤٧] أى: علم وقت الساعة.

﴿ولئن أذقناه رحْمة منا﴾ [٥٠] أى: رحمة من عندنا.

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق﴾ [٥٣] أى: فى قهر أهل الآفاق، أو فى غلبة أهل الآفاق، أو فى فتح الآفاق.

﴿وفى أنفسهم﴾ [٥٣] أى: وفى فتح بلدهم، أو وفى قهرهم وغلبتهم.

﴿ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم﴾ [٥٤] أى: من لقاء جزاء ربهم.



سورة حم عسق[1]

﴿الله حفيظ عليهم﴾ [٦] أى: حفيظ على أعمالهم.

﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ [٦] أى: وما أنت على إجبارهم، أو على قسرهم، أو على إكراههم على الإيمان بوكيل.

﴿لتنذر أم القرى﴾ [٧] أى: لتنذر أهل أم القرى.

﴿وتنذر يوم الجمع﴾ [٧] أى: وتنذر أهوال يوم الجمع، أو عذاب يوم الجمع.

﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ [٨] أى: لجعلهم أهل ملة واحدة، ملة الإسلام.

﴿ولكن يدخل من يشاء فى رحمته﴾ [٨] أى: فى ملته، أو فى جنته.

﴿فحكمه إلى الله﴾ [١٠] أى: فحكمه راجع إلى الله، أو مفوض إلى الله.

﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [١٠] أى: على نصره وعصمته اعتمدت، وإلى طاعته أرجع.

﴿يذرؤكم فيه﴾ [١١] أى: يخلقكم فى بطونه، أو فى أرحامه أى: يخلقكم فى بطون ما جعله لكم من الأزواج خلقًا من بعد خلق.

﴿وإن الَّذين أورثوا الكتاب﴾ [١٤] أى: أورثوا علم الكتاب.

﴿من بعدهم﴾ [١٤] أى: من بعد موتهم.

﴿وإليه المصير﴾ [١٥] أى: وإلى حكمه وجزائه مصير العباد.

﴿والَّذين يحاجون فى الله﴾ [١٦] أى: يجادلون فى توحيد الله، أو فى دين الله.

---

(١) أى: سورة الشورى.

﴿الله الَّذى أنزل الكتاب بالحق﴾ [١٧] أى: بسبب إقامة الحق.

﴿والَّذين آمنوا مشفقون منها﴾ [١٨] أى: مشفقون من عذابها.

﴿ويعلمون أنها الحق﴾ [١٨] أى: ويعلمون أن وعدها الصدق، أو ويعلمون أنها الأمر المحقق الثابت.

﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه﴾ [٢٠] أى: نزد له فى ثواب حرثه.

﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى﴾ ثواب حرث ﴿الآخرة﴾ أو وما له فى الدار الآخرة وهى الجنَّة ﴿من نصيب﴾ [٢٠].

﴿ترى الظالمين مشفقين ممَّا كسبوا﴾ [٢٢] أى: خائفين من وبال ما كسبوا، أو من عقاب ما كسبوا، أو من شر ما كسبوا.

﴿وهو واقع بهم﴾ [٢٢] أى: ووباله، أو عقابه واقع بهم.

﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا﴾ [٢٣] أى: قل لا أسألكم على إبلاغه، أو على تبليغه أجرًا.

﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حُسنًا﴾ [٢٣] أى: نزد له فى أجرها، أو فى ثوابها أضعافًا ذات حسن.

﴿ويستجيب الَّذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [٢٦] أى: ويجيب دعاء الَّذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحات.

﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ [٢٧] أى: إنه بأحوال عباده إذا أفقرهم، أو أغناهم خبير بصير.

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [٣٨] أى: وأمرهم ذو شورى بينهم.

﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ [٤١] أى: ما على لومهم من سبيل.

﴿إنَّما السبيل على﴾ لوم ﴿الَّذين يظلمون النَّاس﴾ [٤٢] أو فأولئك ما على مؤاخذتهم من سبيل ﴿إنَّما السبيل على﴾ مؤاخذة ﴿الَّذين يظلمون النَّاس﴾ [٤٢].

﴿الَّذين خسروا أنفسهم﴾ [٤٥] أي: خسروا حظوظ أنفسهم من خير الآخرة.

﴿ومن يضلل الله فما له﴾ [٤٦] إلى الهداية ﴿من سبيل﴾.

﴿وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ [٤٨] أي: من عندنا رحمة.

﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ [٥٣] أي: إلى تدبير الله، أو إلى حكم الله، أو إلى إرادة الله، أو إلى قضاء الله تصير الأمور.

❁ ❁ ❁

سورة الزخرف

﴿الَّذى جعل لكم الأرض مـهدًا﴾ [١٠] أى: جعلهـا مثل مهد أو ذات مـهد. ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء بقدر﴾ أى: وهو الَّذى أنزل من السحاب، أو من جـهة السماء، أو من نحو السماء، أو من صوب السَّماء ماء بقدر.

﴿ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم﴾ على ظهوره ﴿وما كنا له مقرنين﴾ [١٣] أى: وما كنا لتسخيره، أو لضبطه مطيقين.

﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ [١٤] أى: وإنا إلى جزاء ربنا، أو إلى حكم ربنا لراجعون.

﴿أومن ينشأ فى الحلية﴾ [١٨] تقديره: أومثل من ينشأ فى الحلية ولد للرحمن وجزء له، أو التقدير، أويجعلون مثل من ينشأ فى الحلية ولدًا للرحمن وجزءًا له، ويجب تقدير مثل؛ لأن الملائكة لم ينشأوا فى الحلية قط.

﴿أم آتيناهم كتابًا من قبله فهم به مستمسكون﴾ [٢١] أى: فهم بحججه مستمسكون، أو فَهُم بمقتضاه عاملون.

﴿إننى براء ممَّا تعبدون﴾ [٢٦] أى: إننى ذو براءة من عبادة ما تعبدون.

﴿ولولا أن يكون النَّاس أمة واحدة﴾ [٣٣] أى: ولولا كـراهة أن يكون النَّاس أهل ملة واحدة ملة الكفـر، والمعنى: ولولا كراهة أن يكون النَّاس كـفارًا رغبة فـيما نجـعله للكفار لجعلنا ما ذكرناه فى الآية.

﴿فإما نذهبن﴾ بنفسك بالموت ﴿فإنا﴾ على تعذيبهم وجزائهم ﴿مقتدرون﴾ [٤١، ٤٢].

﴿واسأل من أرسلنا من قـبلك من رسلنا﴾ [٤٥] أى: واسأل أتبـاع، أو أمم من أرسلنا من قبلك، أو واسأل المرسلين ليلة الإسراء.

﴿وهذه الأنهار تجرى من تحتى﴾ [٥١] قيل: من تحت أمرى، وقيل: من تحت قصورى ومنازلى، والتقدير: ومياه هذه الأنهار، ولا يقدَّر سواه.

وكذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا الأنهار تجرى من تحتهم﴾ [الانعام: ٦] أى: وَجَعَلْنَا مياه الأنهار تجرى من تحتهم.

وكذلك قوله: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنَّة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار﴾ [البقرة: ٢٦٦] أى: تجرى من تحتها مياه الأنهار، يكون التقدير فى هذا كله مياه الأنهار على التعيين؛ لأنها فى الدنيا وليس فيها نهر تجرى فيه إلا الماء، وأما جنَّات الآخرة، فيجوز أن يقدَّر فيها تجرى من تحتها مياه الأنهار لوجودها فى الجنَّة، وهو المتبادر إلى الأفهام، ويجوز أن يقدَّر تجرى من تحتها أشربة الأنهار؛ لأن الله قد نص على أن فيها أنهاراً من مياه، ولبن، وخمر، وعسل.

﴿ولما ضُرب﴾ شأن ﴿ابن مريم مثلاً﴾ [٥٧].

﴿وَجَعَلْنَاه مثلاً لبنى إسرائيل﴾ [٥٩].

﴿وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها﴾ [٦١] أى: وإن نزوله فى آخر الزمان لموجب علم لدنو الساعة، أو لاقتراب الساعة فلا تشكن فيها.

﴿واتبعون﴾ أى: واتبعوا كتابى، أو واتبعوا رسولى، أو واتبعوا أمرى، أو وأطيعون.

﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ [٨٢] أى: سبحانه وتعالى عن مقتضى وصفهم، أو عن متعلق وصفهم، أو تجوَّز بالوصف عن الموصوف.

﴿وعنده علم الساعة﴾ [٨٥] أى: وعنده علم وقت الساعة.

﴿وإليه ترجعون﴾ [٨٥] أى: وإلى جزائه ترجعون.

❁ ❁ ❁

سورة الدخان

﴿وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون﴾ [٢١] أى: فاعتزلوا أذيتى.

﴿ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون﴾ [٣٠، ٣١] أى: من عذاب فرعون.

﴿إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين﴾ [٤٠] أى: ميقات بعثهم، أو ميقات جزائهم.

﴿إن شجرت الزقوم * طعام الأثيم﴾ [٤٣، ٤٤] أى: إن طلع شجرة الزقوم طعام الأثيم.

﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ [٥٦] أى: لا تذوق أرواحهم فيها ألم الموت، أو كرب الموت إلا ألم الموتة الأولى، أو إلا كرب الموتة الأولى.



سورة الجاثية

﴿فبأى حديث بعد الله﴾ [٦] أى: بعد حديث الله، أو بعد كتاب الله.

﴿وإذا علم من آياتنا شيئًا اتَّخذها هُزُوًا﴾ [٩] أى: وإذا عرف من آياتنا شيئًا اتَّخذها ذا هُزُو أو محل هزو، أو مهزُوًا بها.

﴿الله الذى سخَّر لكم البحر﴾ [١٢] أى: سخَّر لكم ماء البحر.

﴿وسخَّر لكم ما فى السَّموات وما فى الأرض جميعًا منه﴾ [١٣] أى: جميعًا من رحمته كقوله: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ [٥] أو جميعًا من عنده.

﴿ثم إلى ربكّم ترجعون﴾ [القصص: ٧٣] أى: ثم إلى جزاء ربكم بالعمل الصالح والسيئ ترجعون.

﴿إنَّهم لن يُغنوا عنك من الله شيئًا﴾ [١٩] أى: إنهم لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئًا إن تبعت أهواءهم.

﴿والله ولى المتقين﴾ [١٩] أى: ولى نصرهم، أو ولى عصمتهم.

﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ [٢٣] أى: من بعد إضلال الله.

﴿كل أمة تُدعى إلى كتابها﴾ [٢٨] أى: تُدعى إلى قراءة كتاب أعمالها.

❁ ❁ ❁

سورة الأحقاف

﴿مـا خلقنا السَّمـوات والأرض وما بيـنهمـا إلا﴾ [٣] بسبـب إقامة الحق وجـزاء أجل مسمى.

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا﴾ [١٥] أي: بإيصال والديه إحسانًا، أو بإيصال والديه برًا ذا حسن على القراءة الأخرى(١).

﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا﴾ [١٥] أي: وأجل وضع حمله وفطامـه ثلاثون شهرًا، أو: ومدة حمله وأجـل فطامه ثلاثون شهرًا، وقدَّر بـعضهم: ومدة حمله وفـصاله ثلاثون شهرًا وفيه نظر؛ لأن فصاله: فطامه، وليس فطامه بمقدر، وإنَّما المقدر إرضاعه.

﴿ولكلٍّ درجات مما عملوا﴾ [١٦] أي: ولكلٍّ درجات من جزاء أعمالهم خيرها وشرها.

﴿وليوفيهم أعمالهم﴾ [١٩] أي: وليوفـيهم جزاء أعـمالهم من كفـر، وإيمان، وطاعة، وعصيان.

﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾ [٢٢] أي: لتصرفنا عن عبادة آلهتنا.

﴿فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم﴾ [٢٤] أي: فلما رأوا العذاب مثل سحاب مستقبل أو ديتهم.

﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ [٢٤] أي: ممطر أوديتنا، أو بلادنا، أو أرضنا.

﴿ولقد أهلـكنا ما حولكـم من القرى﴾ [٢٧] أي: ولقـد أهلكنا من حـولكم من أهل القرى، أو ولقد أهلكنا أهل ما حولكم من القرى.

﴿فلما حضروه قـالوا أنصتوا﴾ [٢٩] أي: فلما حـضروا قراءته قـال بعضـهم لبعض: اسكتوا.

---

(١) قرأ الكوفيون: «إحسانًا» وباقي القراء السبعة «حُسْنًا» (شرح الشاطبية للشيخ الضباع ص ٢٨٥).

سورة القتال (١)

﴿أضل أعمالهم﴾ [١] أي: أضل ثواب أعمالهم فلا يقدرون منه على شيء، شبه تعذر وصولهم إلى الثواب بتعذر وصول صاحب الدابة الضالة إليها، أو إبطال أعمالهم فى الدُّنيا لفوات شرطها، وهو الإيمان.

﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ [٤] أي: حتى يضع أهل الحرب أوزارهم؛ أي: حتى يسلموا فتغفر ذنوبهم، نسب وضع الأوزار إليهم؛ لأنهم تسببوا إليه بالإسلام، أو أطلق الحرب على المحاربين؛ كقولك: فلان حرب لفلان؛ أي: ذو حرب لفلان.

﴿ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ [٤] أي: ولكن ليختبر بعضكم بقتال بعض، أو بتكليف قتال بعض.

﴿يأيُّهَا الَّذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم﴾ [٧] أي: إن تنصروا دين الله، أو رسول الله ينصركم الله.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ [١٢] أي: تجرى من تحت غرفها، أو من تحت أشجارها، أو من تحت أغصانها، أو من تحت ثمارها مياه الأنهار، أو أشربة الأنهار الخمر، والعسل، والماء، واللبن.

﴿وكأين من قرية﴾ [١٣] أي: وكأين من أهل قرية هم ﴿أشد قوة من﴾ أهل ﴿قريتك﴾ الَّذين أخرجوك أى: أرادوا إخراجك، أو تسببوا فى إخراجك بعزمهم على قتلك.

﴿فيها﴾ مياه ﴿أنهار من ماء غير آسن﴾ وألبان ﴿أنهار من لبن لم يتغير طعمه و﴾ خمور ﴿أنهار من خمر﴾ ذات ﴿لذة للشاربين و﴾ أعسال ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ [١٥] ولا

(١) أي: سورة محمد ﷺ .

يستقيم إلا على هذا التقدير؛ لأن «مِنْ» للبيان، ولا يجوز بيان الأنهار التى هى الأخاديد بالعسل، والماء، واللبن، والخمر إذ لا يبين الجنس بجنس آخر.

﴿**وآتاهم تقواهم**﴾ [١٧] أى: وأعطاهم ثواب تقواهم، أو وأعطاهم نفس التقوى.

﴿**فقد جاء أشراطها**﴾ [١٨] أى: فقد جاءهم أول أشراطها.

﴿**واستغفر لذنبك وللمؤمنين**﴾ [١٩] أى: واستغفر ربك لذنبك ولذنوب المؤمنين.

﴿**فإذا عزم الأمر**﴾ [٢١] أى: فإذا عزم أولو الأمر على القتال، أو هو كقولهم: شعرٌ شاعر.

﴿**فكيف إذا توفتهم الملائكة**﴾ [٢٧] أى: فكيف إذا توفت أنفسهم الملائكة.

﴿**ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا**﴾ أسباب ﴿**رضوانه فأحبط**﴾ ثواب ﴿**أعمالهم**﴾ [٢٨].

﴿**ونبلو أخباركم**﴾ [٣١] أى: ونعرف ما نخبر به عنكم، عبَّر بالبلاء عن المعرفة؛ لأن المعرفة مسببة عنه، وعبَّر بالأخبار عن المخبر عنه للتعلق الذى بينهما.

﴿**ويخرج أضغانكم**﴾ [٣٧] أى: ويظهر أضغانكم، فإن الضغن لا يخرج.

﴿**وسيحبط**﴾ أجور ﴿**أعمالهم**﴾ [٣٢].

﴿**ولن يتركم أعمالكم**﴾ [٣٥] أى: ولن ينقصكم ثواب أعمالكم.

﴿**ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى**﴾ نصرة ﴿**سبيل الله**﴾ ﴿**ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه**﴾ [٣٨] أى: ومن يبخل بالإنفاق فى سبيل الله فإنما يبخل بالأجر، والثواب عن نفسه.

❁ ❁ ❁

سورة الفتح

﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنَّات تجرى من﴾ [٥] تحت أشجارها، أو من تحت غرفها مياه ﴿الأنهار﴾ أو أشربة الأنهار.

﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئًا﴾ [١١] أى: قل فمن يملك لكم من دفع مراد الله شيئًا، أو من رد مراده، أو من صرف مراده.

﴿ومن لم يؤمن﴾ بوحدانية الله وإرسال رسوله ﴿فإنا اعتدنا للكافرين﴾ بالوحداينة والرسالة ﴿سعيراً﴾ [١٣].

﴿ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد﴾ [١٦] أى: ستدعون إلى قتال قوم.

﴿وهو الذى كف أيديهم عنكم﴾ [٢٤] أى: كف أيدى أهل مكة عن قتالكم، أو كف أيدى أسد وغطفان عن عيالكم، وكف ﴿أيديكم عنهم﴾ [٢٤] : أهل مكة فى بطن مكة.

﴿وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ [٢٥] أى: وصدوكم عن إتيان المسجد الحرام.

﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم﴾ [٢٥] التقدير: ولولا كراهة وطء رجال مؤمنين ونساء مؤمنات فتصيبكم من وطئهم ﴿معرة بغير علم﴾ [٢٥] أى: فتصيبكم جاهلين معرة.

﴿ليظهره على الدين كله﴾ [٢٨] أى: ليظهره على أهل الأديان كلها.

﴿وكفى بالله شهيداً﴾ [٢٨] بأنه أرسل محمداً بالهدى ودين الحق.

﴿ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع﴾ [٢٩] أى: مثل حالهم فى الكثرة بعد القلة، أو مثل كثرتهم بعد القلة كمثل زرع، أو كمثل نمو زرع.

﴿ليغيظ بهم﴾ [٢٩] أى: بكثرتهم الكفار.

سورة الحجرات

﴿واتَّقوا الله﴾ [١] أى: واتَّقوا معصية الله، أو واتقوا عذاب الله بترك التقديم بين يديه ويدى رسوله.

﴿أن تحبط أعمالكم﴾ [٢] أى: كراهة أن تحبط أعمالكم، أو مخافة أن تحبط أعمالكم، أو لئلا تحبط أعمالكم على قول الكوفيين.

﴿لا يلتكم من أعمالكم شيئًا﴾ [١٤] أى: لا ينقصكم من أجور أعمالكم، أو من ثواب أعمالكم شيئًا.

﴿إنما المؤمنون الَّذين آمنوا﴾ بوحدانية الله وإرسال رسوله ثم لم يشكوا فى ذلك ﴿وجاهدوا﴾ ببذل أموالهم وأنفسهم فى نصرة ﴿سبيل الله﴾ [١٥].



سورة ق

﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ [٢] أى: من أجزائهم كلحومهم ودمائهم.

﴿ونزلنا من السَّماء ماء﴾ [٩] أى: ونزلنا من السحاب، أو من جهة السماء، أو من صوب السماء، أو من نحو السَّماء ماء.

﴿فأنبتنا به﴾ أشجارًا ﴿وحب الحصيد﴾ أى: وحب الزرع المحصود.

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ [١٩] الذى كُنْتُم تنكرونه.

﴿ذلك يوم الوعيد﴾ [٢٠] أى: ذلك يوم العذاب الموعود.

﴿ما يبدل القول لدى﴾ [٢٩] أى: ما يبدل الوعد عندى.

﴿من خشى الرحمن بالغيب﴾ [٣٣] أى: من خاف عذاب الرحمن غائبًا عنه.

﴿وجاء بقلب منيب﴾ [٣٣] أى: وجاء إلى موقف الحساب بقلب راجع إلى الطاعة والتوحيد.

﴿ذلك يوم الخلود﴾ [٣٤] أى: ذلك يوم ابتداء الخلود.

﴿ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾ [٤٠] أى: وقت أدبار السجود.

﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ [٤٥] فعظ بمواعظ القرآن من يخاف عذابى.

❀ ❀ ❀

سورة الذاريات

﴿**يؤفك عنه من أفك**﴾ [٩] أى: يصرف عن تصديقه، أو اتباعه من صرف عن الخير.

﴿**وفى السَّماء رزقكم**﴾ [٢٢]، وهو المطر بدليل قوله: ﴿**وما أنزل الله من السَّماء من رزق**﴾ [الجاثية: ٥] وما توعدونه من الثواب، والعقاب، والخير والشر، هذا قول السلف، ويجوز أن يكون التقدير: وفى السَّماء خالق رزقكم وما توعدونه من الجنَّة والنَّار؛ فإنه قد خلقهما ورآهما رسول الله ﷺ فوق السَّماء السابعة ليلة أسرى به. ويدل على قولنا: خالق رزقكم قراءة من قرأ «وفى السماء رازقكم»[1]، وهذا كقوله: ﴿**وهو الله فى السموات وفى الأرض**﴾ [الأنعام: ٣]، ويجوز أن يكون التقدير: وفى السماء مالك رزقكم، أو صاحب رزقكم، أو مقدر رزقكم، أو قاسم رزقكم؛ لأن الله قد قسم الأرزاق فى الدُّنيا، والعقاب، والثواب فى الآخرة. وللنحاة أقوال بعيدة.

قال أبو على: وفى السَّماء تقدير رزقكم، أو كتاب رزقكم، وقيل: «فى» بمعنى: «على»، والتقدير: وعلى رب السَّماء رزقكم.

وقال بعضهم: وفى السَّماء سبب رزقكم، فجعل فى بمعنى على، كما جعلها فى قوله: ﴿**ولأصلبنكم فى جذوع النخل**﴾ [طه: ٧١] أى: على جذوع النخل، وما حملهم على هذا إلا ظنهم أن المراد بالسَّماء ههنا السَّماء المعروفة، ويرد عليهم: أن الجنَّة والنَّار ليستا فى شىء من السموات، وكيف يكونان فى السَّموات والجنَّة وحدها عرضها كعرض السَّموات والأرض؟ وقد نقل عن ابن عباس: أنه قال: «لكل واحد من أهل الجنَّة جنَّة عرضها السموات والأرض» وأما من قدر: وعلى رب السَّماء فإنه حذف المضاف وَجَعَلَ فى بمعنى على كما ذكرناه، وهو بعيد.

---

(١) هى قراءة ابن محيص (المحرر الوجيز ٦/ ١٧٦).

﴿فما وجدنا فيـها غير بيت من المسلمين﴾ [٣٦] أى: فما وجدنا فيـها غير أهل بيت من المسلمين.

﴿وتركنا فيها آية﴾ [٣٧] أى: وتركنا فى إهلاكها، أو فى آثارها، أو فى قلبها عبرة.

﴿وفى موسى﴾ [٣٨] أى: وفى شـأن موسى، أو وفى واقـعـة موسى، أو وفى نصـر موسى على فرعون.

﴿وفى عاد﴾ [٤١] أى: وفى واقعة عاد، أو وفى إهلاك عاد.

﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ [٤٤] أى: فأعرضـوا قبول أمر ربهم، أو فأعرضـوا عن مأمور ربهم، فتجوَّز بالمصدر عن المفعول به، أو عن امتثال أمر ربهم.

﴿ففروا إلى الله﴾ [٥٠] أى: ففروا من معصية الله إلى طاعته.

﴿إنى لكم﴾ من عذابه نذير.

﴿فتول عنهم﴾ [٥٤] أى: فتول عن مناصبتهم ومقاتلتهم.

﴿وما أريد أن يطعمون﴾ [٥٧] أى: وما أريد أن يطعموا عبادى.

❋ ❋ ❋

سورة الطور

﴿أفسحر هذا﴾ [١٥] العذاب أو وعد هذا العذاب.

﴿إنما تجزون ما كُنْتُم تعملون﴾ [١٦] أي: إنما تجـزون مثل مـا كُنْتُم تعملون، لما كـان عملهم أقبح الأعمال كان عقابهم أقبح العقاب.

﴿وما ألتناهم من عـملهم من شيء﴾ [٢١] أي: وما نقصناهم مـن أجر عملهم، أو من ثواب عملهم من شيء.

﴿أم عندهم الغيب﴾ [٤١] أي: كتاب الغيب، أو لوح الغيب، أو علم الغيب.

﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ [٤٨] أي: أم عندهم خزائن رحمة ربك.

﴿وإدبار النجوم﴾ [٤٩] أي: وقت إدبار النجوم.



سورة النجم

﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [١٣] أي: وقت نزلة أخرى.

﴿ما أنزل الله بها من سلطانٍ﴾ [٢٣] أي: ما أنزل الله بتسميتها آلهة من حجة وبرهان، أو ما أنزل الله بعبادتها من سلطان.

﴿وما لهم بذلك من علم﴾ [٢٨] أي: وما لهم بصحة ذلك القول من علم، أشار بذلك إلى التسمية؛ لأنها قول.

﴿ولم يرد إلا الحياة الدُّنيا﴾ [٢٩] أي: ولم يرد إلا متاع الحياة الدُّنيا.

﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ [٣٠] أي: هو أعلم بأحوالكم إذ أنشأكم من الأرض.

﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يُرَى﴾ [٣٩، ٤٠] التقدير: وأن ليس للإنسان إلا أجر ما سعى، وأن سعيه سوف يرى مكتوبًا في صحيفته.

﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ [٤٢] أي: إلى حكم ربك، أو إلى قضاء ربك، أو إلى جزاء ربك انتهاء الخلائق كلهم.

وقيل: إلى ربك انتهاء الأفكار، ثم تقف فلا تدركه ولا تحيط به.

﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ [٥٦] أي: من جنس النذر الأولى، أو من مثل النذر الأولى.

❁ ❁ ❁

سورة القمر

﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ [٢٨] أى: مقسوم بينهم، أو ذو قسمة بينهم.

﴿بل الساعة موعدهم﴾ [٤٦] أى: موعد عذابهم.

﴿والساعة أدهى وأمر﴾ [٤٦] أى: وعذاب الساعة أدهى من يوم بدر وأشد مرارة منه، والمرارة مستعارة لألم العذاب.

سورة الرحمن جَلَّ وعلا

﴿مرج البحرين﴾ [٢٩] أى: مرج ماء البحرين.

﴿سنفرغ لكم أيُّه الثقلان﴾ [٣١] أى: سنفرغ لحسابكم، أو لجزائكم أيُّهَا الثقلان.

﴿يرسل عليكما شواظ من نار﴾ [٣٥] أى: يرسل على كفاركما شواظ من نار.



سورة الواقعة

﴿**لآكلون من شجر من زقوم**﴾ [٥٢] أي: لآكلون من طلع شجر من زقوم.

﴿**نحن قدرنا بينكم الموت**﴾ [٦٠] أي: قدرنا بينكم آجال الموت.

﴿**نحن جعلناها تذكرة**﴾ [٧٣] أي: نحن جعلنا النَّار ذات تذكرة أي: نحن خلقناها تذكيرًا، أو تمتيعًا.

﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾ [٩٦] أي: فسبح ربك بأسماء ربك العظام.



سورة الحديد

﴿خلق السَّموات والأرض فى ستة أيام﴾ [٤] فى قدر ستة أيام.

﴿يولج الليل فى النهار ويـولج النهار فى الليل﴾ [٦] أى: يدخل بعض الليل فى النهـار إلى أن يتكامل طول النهار، ويدخل بعض النهار فى الليل إلى أن يتكامل طول الليل.

﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ [٧] أى: آمنوا بوحدانية الله وإرسال رسوله، أو ونبوة رسوله.

﴿ولله ميراث السَّموات والأرض﴾ [١٠] أى: ميراث أهل السَّموات والأرض.

﴿من ذا الذى يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له﴾ [١١] أى: فيضاعف أجره، وثوابه له.

﴿بشراكم اليوم﴾ [١٢] دخـول جنات، أو حلول جـنات، أو نزول جنَّات، فـتـجـوَّز بالبشرى عن متعلقها.

﴿فالَّذين آمنوا﴾ [١٣] بالوحدانية والرسالة لهم مغفرة.

﴿ولا تكونوا كالَّذين أوتوا الكتاب﴾ [١٦] أى: أوتوا علم الكتـاب بدليل قوله: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ [الرعد: ٤٣].

﴿والَّذين آمنوا﴾ بوحدانية الله وإرسال رسله ﴿أولئك هم الصديقون﴾ [١٩].

﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ [٢٥] أى: وليعـرف الله من ينصر دينه ورسله بالغيب.

﴿يأيُّهَا الَّذين آمنوا اتقوا الله﴾ [٢٨] أى: اتقوا عذاب الله، أو معصـية الله، أو مخالفة الله.



سورة المجادلة

﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾ [١] أى: تجادلك فى ظهار زوجها.

﴿الَّذين يظاهرون منكم﴾ [٢] أى: من أهل دينكم.

﴿ثم يعودون لما قالوا﴾ [٣] أى: ثم يعودون إلى خلاف قولهم، أو إلى نقض قولهم، أو ثم يعودون فى الإسلام إلى مثل ما قالوه فى الجاهلية.

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ [٧] أى: من ذوى نجوى، أو من أهل نجوى.

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [١٠] أى: وعلى عصمة الله، أو نصرة الله، أو حفظ الله، أو كفاية الله فليتوكل المؤمنون.

﴿لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئًا﴾ [١٧] أى: لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئًا.

﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ [١٩] أى: استولى على إغوائهم وإضلالهم الشيطان.



سورة الحشر

﴿وما أفاء الله على رسوله منهم﴾ [٦] أي: من أموالهم.

﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ [٦] أي: فما أوجفتم على أخذه، أو على حيازته، أو على تحصيله.

﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ [٦] أي: على قهر من يشاء، أو على غلبة من يشاء.

﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ [٧] من أموال أهل القرى.

﴿وما آتاكم الرسول﴾ من الفيء ﴿فخذوه وما نهاكم﴾ عن أخذه كالغلول ﴿فانتهوا واتقوا الله﴾ [٧] أي: واتَّقوا عذاب الله في مخالفة رسوله.

﴿والَّذين تَبَوَّءُوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ [٩] أي: والأنصار الَّذين تَبَوَّءُوا المدينة وآثروا الإيمان من قبل هجرتهم أي: من قبل هجرة المهاجرين إلى المدينة.

﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة ممَّا أوتوا﴾ [٩] أي: ولا تجد الأنصار في قلوبهم تمنى حاجة ممَّا أعطاه المهاجرين.

﴿ولا نطيع فيكم أحدًا﴾ [١١] أي: ولا نطيع في خذلانكم، أو في قتالكم أحدا أبدا. .

﴿اتقوا الله﴾[١٨] أي: اتقوا عقاب الله بفعل ما أوجب، واتَّقوا عقاب الله بترك ما حرم، أو يا أيها الَّذين آمنوا اتقوا معصية الله، أو خافوا عقاب الله.

﴿ولا تكونوا كالَّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ [١٩] أي: فأنساهم إصلاح أنفسهم بالتقوى، أو فأنساهم إنقاذ أنفسهم من عذاب الله.



سورة الممتحنة

﴿قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم﴾ [٤] أى: فى صنع إبراهيم، أو فى قول إبراهيم، أو فى تبرىء إبراهيم.

﴿إذا قالوا لقومهم إنا برآء منكم﴾ [٤] أى: برآء من ولايتكم، أو من توليكم، ومن عبادة ما تعبدونه من دون الله.

﴿كفرنا بكم﴾ [٤] بمودتكم أو بدينكم .

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة﴾ [٥] أى: لا تجعل مصيبتنا سبب فتنة، أو لا تجعل غلبتنا أى: غلبة الكفار إيانا سبب فتنة، أو لا تجعل خذلاننا سبب فتنة، والمعنى: لا تسلطهم علينا فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق لنُصروا علينا، وما سُلطنا عليهم فيفتنوا بذلك.

وقيل: لا تجعل فقرنا وقلتنا سبب فتنة لأعدائنا؛ فإن الكفار قالوا فى حق الفقراء: **﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾** [الأحقاف: ١١] اعتقاداً منهم أن الله أغناهم بكرامتهم عليه وأفقر المؤمنين لهوانهم عليه، ولذلك ذم الغنى الذى يقول: **﴿ربى أكرمن﴾** [الفجر: ١٥] وذم الفقير الذى يقول: **﴿ربى أهانن﴾** [الفجر: ١٦] وزجرهما بقوله: **﴿كلا﴾** [الفجر: ١٧] ولمثل هذا قال: **﴿وَجَعَلْنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾** [الفرقان: ٢٠] وقال: **﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا﴾** [الأنعام: ٥٣].

﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [٤] أى: على نصرتك توكلنا، وإلى طاعتك رجعنا، وإلى حكمك مصيرنا.

﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾ [٦] أى: لقد كان لكم فى توكلهم، أو فى قولهم: ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير أسوة حسنة.

﴿لا ينهاكم الله عن﴾ صلة **﴿الَّذين لم يقاتلوكم فى الدين﴾** [٨] **﴿إنما ينهاكم﴾** عن صلة

﴿الَّذين قاتلوكم فى الدين﴾ [٩] أو عن بر الَّذين قاتلوكم فى الدين.

﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ [١٠] أى: فامتحنوا إيمانهن.

﴿لا هنَّ حِلٌّ لهم﴾ [١٠] أى: لا نكاحهن حلال للكفار ولا نكاح الكفار حلال للمؤمنات.

﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ [١٠] أى: وأعطوا أزواجهن مثل ما أنفقوا عليهن من مهورهن.

﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ [١٠] أى: ولا جناح عليكم فى أن تتزوجوهن بعد انقضاء عددهن إذا التزمتم لهن مهورهن.

﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ [١٠] أى: ولا تمسكوا بعصم الأزواج الكوافر.

﴿واسألوا﴾ المشركين مثل ﴿ما أنفقتم﴾ على الأزواج الكوافر وليسأل المشركون مثل ﴿ما أنفقوا﴾ على أزواجهم المهاجرات المؤمنات.

﴿وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار﴾ [١١] أى: وإن ذهب شىء من أزواجكم المؤمنات إلى الكفار مرتدات فعاقبتم فآتوا المؤمنين الَّذين ذهبت أزواجهم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهن من مهورهن، واتَّقوا عذاب الله بفعل ما أوجب من ذلك وترك ما حرم منه.

﴿قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ [١٣] أى: يئسوا من خير الآخرة وثوابها كما يئس من خيرها وثوابها الكفار المقبورون.

❁ ❁ ❁

سورة الصف

﴿**كبر مقتًا**﴾ [٣] أى: كبر سبب مقت، أو موجب مقت، أو علة مقت ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ [٩] أى: ليظهره على أهل الأديان كلهم.

﴿**تؤمنون بالله ورسوله**﴾ [١١] أى: آمنوا بوحدانية الله وإرسال رسوله، ﴿**وجاهدوا**﴾ ببذل أموالكم وأنفسكم فى نصرة دين الله، أو فى إعلاء كلمة الله، فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله، وكلمة الله هى لا إله إلا الله.

﴿**فأيدنا الَّذين آمنوا على عدوهم**﴾ [١٤] أى: فقوينا الَّذين آمنوا، أو فاقدرنا الَّذين آمنوا على غلبة عدوهم، أو على قهر عدوهم.

سورة الجمعة

﴿**مثل الَّذين حُمِّلوا التوراة**﴾ [٥] أى: كُلِّفوا اتباع التوراة، والعمل بما فيها.

﴿**ثم لم يحملوها**﴾ [٥] أى: ثم لم يحملوا تكاليفها، أو ثم لم يحملوا اتباعها.

﴿**كمثل الحمار يحمل أسفارًا**﴾ [٥] لا يدرى ما فيها.

﴿**ثم تردون إلى عالم الغيب**﴾ [٨] أى: ثم تردون إلى موقف حساب عارف الغيب.

﴿**وإذ رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها**﴾ [١١] أى: وإذا رأوا أموال تجارة، أو سمعوا لهوًا انفضوا إليها، أو وإذا عرفوا حضور تجارة.

سورة المنافقون

﴿اتخذوا أيمانهم جُنَّة﴾ [٢] أي: اتخذوا أيمانهم مثل جُنَّة.

﴿هم العدو فاحذرهم﴾ [٤] أي: فاحذر كيدهم، أو شرهم.

﴿ولله خزائن السَّموات والأرض﴾ [٧] أي: خزائن أرزاق أهل السَّموات والأرض.

﴿فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾ [١٠] أي: هلاَّ أخرت موتى إلى انقضاء أجل قريب.

﴿ولن يؤخر الله نفسًا﴾ [١١] أي: ولن يؤخر الله موت نفس إذا جاء أجل موتها.

❁ ❁ ❁

سورة التغابن

﴿خلق السَّموات والأرض﴾ [٣] بسبب إقامة الحق وإلى جزائه المصير.

﴿والله عليم بذات الصدور﴾ [٤] أي: عليم بالحال، أو بالأسرار ذات القلوب.

﴿فآمنوا بالله﴾ [٨] أي: فآمنوا بوحدانية الله، أو بدين الله.

﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ [٩] أي: يجمعكم لأجل جزاء يوم الجمع.

﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم﴾ [١٤] أي: مثل أعداء لكم.

﴿فاحذروهم﴾ [١٤] أي: فاحذروا موافقتهم على معصية الله، أو فاحذروا طاعتهم في ترك الهجرة.

﴿وإن تعفوا﴾ [١٤] عن تعويقهم إياكم عن الهجرة ﴿وتغفروا﴾ [١٤] عن لومهم وتوبيخهم، وتغفروا سعيهم في منعكم الهجرة، أو تسببهم في منعكم الهجرة، فإن الله غفور رحيم.

﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [١٥] أي: ذوو فتنة، أو محل فتنة، أو إنما حب أموالكم وأولادكم فتنة.

﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [١٦] أي: فاتقوا عقاب الله بفعل ما أوجب وترك ما حرم.

﴿إن تقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعفه لكم﴾ [١٧] أي: يضاعف أجره وثوابه لكم.

❁ ❁ ❁

سورة الطلاق

﴿يأيُّهَا النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ [١] أى: إذا أردتم طلاق النساء ﴿فطلقوهن﴾ قبل عدتهن ﴿واتَّقوا الله﴾ أى: واتَّقوا عقاب الله بطلاق السنة.

﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ [٢] أى: أجل عددهن.

﴿ومن يتق الله﴾ أى: ومن يتق معصية الله فى الطلاق وغيره.

﴿ومن يتوكل على الله﴾ [٤] أى: على رحمة الله، أو على عطاء الله، أو على كفاية الله، ومن يتق عقاب الله بفعل ما أوجب وترك ما حرم.

﴿لا يكلف الله نفسًا إلا﴾ [٧] بذل ما أعطاها أو إلا إنفاق ما أعطاها فاضلاً عن قوتها.

﴿وكأيِّن من﴾ [٨] أهل قرية عتوا عن أمر ربهم ورسله فحاسبناهم حسابًا شديدًا وعذبناهم عذابًا نكرًا فذاقوا وبال أمرهم وكان عاقبة أمرهم خسرًا.

﴿فاتقوا﴾ مخالفة ﴿الله﴾ أو معصية الله ﴿يا أولى الألباب الَّذين آمنوا﴾ [١٠].

﴿يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ [١١] أى: تجرى من تحت أشجارها أو غرفها مياه الأنهار، أو أشربة الأنهار.

❁ ❁ ❁

سورة التحريم

﴿فلما نبأت به وأظهره الله عليه﴾ [٣] أى: وأطلعه الله على إفشائه إلى عائشة، أو على إظهاره لعائشة وإخبارها به، أو على تعريفه عائشة.

﴿عرَّف بعضه﴾ أى: عرفها بعضه، أى: بعض إفشائه، أو بعض إظهاره، أو بعض تعريفه ﴿وأعرض عن﴾ تعريف بعضه أى: عن تعريف بعض إفشائه.

﴿فلما نبأها به﴾ [٣] أى: بإفشائه.

﴿قالت من أنبأك هذا﴾ الإفشاء ﴿قال نبأنى العليم الخبير﴾ [٣].

﴿إن تتوبا إلى الله﴾ [٤] أى: إن ترجعا إلى طاعة الله فى الأدب مع رسوله.

﴿وإن تظاهرا عليه﴾ [٤] أى: وإن تتعاونا على أذيته.

﴿عليها ملائكة غلاظ﴾ [٦] أى: على أبوابها، أو على خزانتها ملائكة غلاظ.

﴿إنما تجزون ما كُنْتُم تعملون﴾ [٧] أى: مثل ما كُنْتُم تعملون بدليل قوله: ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿يأيُّهَا الَّذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا﴾ [٨] أى: ارجعوا إلى طاعة الله رجعة نصوحًا، وصف التوبة بما يستحقه التائب فهو كقولهم: شعرٌ شاعر، والمعنى: ارجعوا إلى طاعة الله ناصحين أنفسكم.

﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [٨] أى: وفى جهة أيمانهم؛ لأنهم يؤخذ بهم إلى الجنَّة ذات اليمين فتكون على أيمانهم بالنسبة إلى موقف الحساب وبين أيديهم فى طريق الجنَّة.

﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا﴾ [١٠] أى: فلم يدفعا عنهما من عذاب الله شيئًا.

﴿ونجِّنى من فرعون وعمله﴾ أى: ونجنى من شر فرعون، ﴿ونجنى من القوم الظالمين﴾ [١١] أى: ونجنى من شر القوم الظالمين.

سورة الملك

﴿الذى خلق سبع سموات طباقًا﴾ [٣] أي: ذات طباق.

﴿وَجَعَلْناها رجومًا للشياطين﴾ [٥] أي: وَجَعَلنا شهبها رجومًا للشياطين.

﴿وللَّذين كفروا﴾ بوحدانية ربهم لهم ﴿عذاب جهنم﴾ [٦].

﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا﴾ [٧] أي: سمعوا لأهلها، أو لخزنتها شهيقًا.

﴿إن الَّذين يخشون ربهم بالغيب﴾ [١٢] أي: الَّذين يخشون عذاب ربهم غائبًا عنهم.

﴿وإليه النشور﴾ [١٥] أي: وإلى جزائه رجوع الناشرين، والنشور جمع ناشر.

﴿وإليه تُحشرون﴾ [٢٤] أي: وإلى جزائه تُجمعون.

﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الَّذين كفروا﴾ [٢٧] أي: فلما رأوا العذاب ذا زلفة سيئت وجوه الَّذين كفروا، والزلفة: القربة.

﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ [٢٩] أي: آمنا بوحدانيته، وعلى نصرته، أو عصمته، أو كفايته اعتمدنا.

﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ [٣٠] أي: ذا غور، أو غائر.

❁ ❁ ❁

سورة ن

﴿ليصرمنها مصبحين﴾ [١٧] أي: ليقطعن ثمرها مصبحين.

﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ [١٩] أي: من أمر ربك، أو من جوائحه، أو من عذابه.

سورة الحاقة

﴿لا تخفى منكم خافية﴾ [١٨] أي: لا تخفى من أعمالكم خافية.

﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾ [٣٢] أي: لا يؤمن بوحدانية الله العظيم.

﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [٤٧] أي: فما منكم من أحد عن أخذه، أو عن إهلاكه، أو عن قطع وتينه حاجزين.

﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾ [٥٠] أي: وإن تكذيبه لسبب حسرة على الكافرين، أو وإن جحده لموجب حسرة على الجاحدين.

﴿وإنه لحق اليقين﴾ [٥١] أي: وإنه لحق الخبر ذي اليقين.

❁ ❁ ❁

سورة المعارج

﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [٤] أي: تصعد الملائكة والروح إلى سمائه، أو إلى عرشه.

﴿ترهقهم ذلة﴾ [٤٤] أي: تغشى وجوهم آثار ذلة.

سورة نوح عليه السلام

﴿أن اعبدوا الله﴾ واتقوا عذابه ﴿وأطيعون﴾ فيما أمرتكم به من عبادته وتقواه.

﴿ويؤخركم إلى أجل﴾ [٤] أي: ويؤخر موتكم إلى أجل.

﴿وَجَعَلَ القمر فيهن نوراً﴾ [١٦] أي: وَجَعَلَ القمر فى إحداهن ذا نور.

﴿وَجَعَلَ الشمس سراجًا﴾ [١٦] أي: مثل سراج.

﴿والله جعل لكم الأرض بساطًا﴾ [١٩] أي: مثل بساط.

﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجًا﴾ [٢٠] أي: لتسلكوا من طرقها طرقًا واسعة بين الجبال.

﴿وقالوا﴾ لا تتركن عبادة آلهتكم ولا عبادة ود ولا عبادة سواع ولا عبادة يغوث ولا عبادة يعوق ولا عبادة نسر.

﴿ممَّا خطيئاتهم أغرقوا﴾ [٢٥] أي: من أجل خطاياهم أغرقوا.

❁ ❁ ❁

سورة الجن

﴿إنا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾ [١٣] أي: لما سمعنا القرآن آمنا به.

﴿فمن يؤمن﴾ بكتاب ربه [١٣] أو لما سمعنا التوحيد آمنا، فمن يؤمن بتوحيد ربه.

﴿كنا طرائق قددًا﴾ [١١] أي: كُنَّا ذوى طرائق قددًا، أى: مفترقة مختلفة.

﴿قل إنى لن يجيرنى من﴾ عذاب ﴿الله﴾ إن عصيته ﴿أحد ولن أجد من﴾ [٢٢] دون عذابه ملجأ.

﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ [٢٣] فيما أمراه به من التوحيد.



سورة المزمل

﴿إن ناشئة الليل﴾ [٦] أى: إن قيام ساعات الليل، أو إن صلاة ساعات الليل.

﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ [٨] أى: وانقطع إلى طاعته بالإخلاص انقطاعًا.

﴿فكيف تتقون﴾ [١٧] العذاب إن جحدتم يومًا يصير الولدان شيبا، والشيب جمع أشيب، كالبيض جمع أبيض، والسود جمع أسود.

﴿السَّماء منفطر به﴾ [١٨] أى: بأمره، أو بإرادته، أو منفطر فيه.

﴿فمن شاء اتخذ إلى﴾ ثواب ﴿ربه سبيلاً﴾ [١٩] والسبيل إلى الثواب هو الطاعة والإيمان.

﴿والله يقدِّر الليل والنهار﴾ [٢٠] أى: يقدِّر ساعات الليل والنهار.

﴿علم أن لن تحصوه﴾ [٢٠] أى: أن لن تحصوا ساعاته.

﴿تجدوه عند الله﴾ [٢٠] أى: تجدوا ثوابه عند الله.



سورة المدثر

﴿ولربك فاصبر﴾ [٧] أي: ولأجل ربك، أو لحكم ربك فاصبر.

﴿عليها تسعة عشر﴾ [٣٠] أي: على أبوابها تسعة عشر خازنًا.

﴿وما جعلنا أصحاب النَّار﴾ أي: خزان النَّار ﴿إلا ملائكة﴾ [٣١].

﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة﴾ [٣١] أي: وما ذكرنا عدتهم إلا فتنة.

﴿للذين كفروا﴾ [٣١] أي: لضلالتهم.

﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ [٣١] أي: وما يعرف كثرة جنود ربك إلا هو، أو وما يعرف عدد جنود ربك إلا هو.

﴿إنها لإحدى الكبر﴾ [٣٥] أي: إن سقر لإحدى الدواهي الكبر، أو العقوبات الكبر، أو الدركات الكبر.

﴿يتساءلون عن المجرمين﴾ [٤١] أي: يتساءلون عن أحوال المجرمين ويقولون لهم: أي شيء أدخلكم في سقر.

﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [٤٨] أي: لا يشفع فيهم شافع فتنفعهم شفاعته، فنفى النفع لانتفاء سببه، وهذا كقوله:

* على لاحبٍ لا يهتدى بمناره *[١]

﴿كلا بل لا يخافون﴾ عذاب ﴿الآخرة﴾ [٥٣].

❋ ❋ ❋

(١) تقدم تخريجه.

سورة القيامة

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ [١٤] أى: بل جوارح الإنسان، أو أركان الإنسان على نفسه شاهدة بعمله يوم القيامة.

﴿وظن أنه الفراق﴾ [٢٨] أى: وظن أنه وقت الفراق، أو وظن أن بلوغ النفس التراقى سبب الفراق، إما فراق الروح الجسد، أو فراق الدُّنيا وما فيها.

﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ [٣٠] أى: إلى سماء ربك يومئذ، أو إلى جزاء ربك يومئذ سوق الأرواح.

سورة الإنسان

﴿كان مزاجها كافورًا﴾ [٥] أى: ماء كافور، أو عين كافور.

﴿ويخافون يومًا﴾ [٧] أى: ويخافون شر يوم، أو أهوال يوم.

﴿إنا نخاف من ربنا يومًا﴾ [١٠] أى: إنا نخاف من عذاب ربنا عذاب يوم، أو إنا نخاف من أيام ربنا يومًا، على أن الأيام يعبَّر بها عن الشدائد، ومنه قوله: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ [إبراهيم: ٥] والعرب يعبِّرون بالأيام عما يشتمل عليه من رخاء، أو شدة ومنه قول عمرو بن كلثوم:

* وأيام لنا غر طوال *

جعلها لأنفسهم غرا، وعلى أعدائهم طوالاً.

﴿فمن شاء اتخذ إلى﴾ ثواب ﴿ربه سبيلاً﴾ [٢٩] والسبيل هى الطاعة والإيمان.

سورة المرسلات

﴿ألم نجعل الأرض كفاتًا﴾ [٢٥] أى: ذات كفات.

سورة النبأ

﴿الذى هم فيه مختلفون﴾ [٣] أى: الذى هم فى تصديقه وتكذيبه مختلفون.

﴿ألم نجعل الأرض مهادًا﴾ [٦] أى: ذات مهاد.

﴿والجبال أوتادًا﴾ [٧] أى: مثل أوتاد.

﴿وَجَعَلْنا الليل لباسًا﴾ [١٠] أى: مثل لباس.

﴿وَجَعَلْنا النهار معاشًا﴾ [١١] أى: ذا معاش.

﴿وفتحت السَّماء فكانت أبوابًا﴾ [١٩] أى: فكانت ذات أبواب.

﴿وسيرت الجبال فكانت سرابًا﴾ [٢٠] أى: مثل سراب.

﴿حدائق وأعنابًا﴾ [٣٢] أى: حدائق وأشجار أعناب، أو تجوَّز بالأعناب عن الأشجار؛ لأنها مسببة عنها وحاصلة منها.

﴿جزاء من ربِّك﴾ [٣٦] أى: جزاء من عند ربك.

﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبًا﴾ [٣٩] أى: فمن شاء اتخذ إلى ثواب ربه رجوعًا.

سورة النازعات

﴿**وأهديك إلى ربك**﴾ [١٩] أي: وأهديك إلى معرفة ربك، أو إلى توحيد ربك.

﴿**ونهى النفس عن الهوى**﴾ [٤٠] أي: ونهى النفس عن اتباع الهوى، أو تجوَّز بالهوى عن المهوى.

﴿**يسألونك عن الساعة**﴾ [٤٢] أي: يسألونك عن وقت الساعة، أو عن أجل الساعة، أو عن تاريخ الساعة.

﴿**إلى ربك منتهاها**﴾ [٤٤] أي: إلى ربك منتهى علم وقتها.



﴿**وما عليك ألا يزكى**﴾ [٧] أي: وما عليك ضرر ألا يزكى.

﴿**فأنت عنه تلهى**﴾ [١٠] أي: فأنت عن جوابه تتشاغل.



سورة التكوير

﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ [٢٤] أى: وما هو على تعليم الغيب ببخيل، وبالظاء[1]: وما هو على تبليغ الغيب بمتهم.

سورة الانفطار

﴿ما غـرك بربك الكريم﴾ [٦] أى: مـا غرك بحكم ربك، أو بإمـهال ربك، أو بإنعـام ربك.

﴿وإن عليكم لحافظين﴾ [١٠] أى: وإنا على أعمالكم لحافظين.

سورة المطففين

﴿وما أدراك ما سجين﴾ [٧] أى: وما أدراك ما كتاب سجين.

﴿إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [١٠] أى: إنهم عن رؤية ربهم يومئذ لمحجوبون.

﴿وما أدراك ما عليون﴾ [١٩] أى: وما أدراك ما كتاب عليين.

(١) قراءة ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ورويس (انظر النشر ٢/٣٩٩).

سورة الانشقاق

﴿إنك كادح إلى ربك كدحًا﴾ أى: إنك كادح إلى لقاء ربك كدحًا، ﴿فملاقيه﴾ [٦] أى: فملاقٍ جزاءه، أو فملاق ربك.

﴿إنه كان به بصيراً﴾ [١٥] أى: بأعماله بصيراً.

سورة البروج

﴿قتل أصحاب الأخدود * النَّار﴾ [٤، ٥] أى: قتل أصحاب الأخدود أخدود النَّار.

﴿إذ هم عليها قعود﴾ [٦] أى: إذ هم على قربها، أو على مصطلاها قعود.

﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله﴾ [٨] أى: بوحدانية الله.

﴿هل أتاك حديث الجنود * فرعون﴾ [١٧، ١٨] أى: هل أتاك حديث الجنود جنود فرعون.

سورة الطارق

﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ [٤] أى: لما على أعمالها حافظ.

﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ [٧] أى: يخرج من بين أجزاء الصلب، وأجزاء الترائب، أو من بين مجارى الصلب ومجارى الترائب.

سورة الأعلى

﴿ونيسرك لليسرى﴾ [٨] أي: ونيسرك لاتباع الشريعة اليسرى.

﴿بل تؤثرون الحياة الدُّنيا﴾ [١٦] أي: بل تؤثرون متاع الحياة الدُّنيا.

﴿والآخرة خير وأبقى﴾ [١٧] أي: وثواب الآخرة خير وأبقى.

سورة الغاشية

﴿لست عليهم بمصيطر﴾ [٢٢] أي: لست على قسرهم وإكراههم على الإيمان بمسلط.

﴿إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم﴾ [٢٥، ٢٦] أي: إن إلى موقف حسابنا، أو مقامنا رجوعهم، ثم إن علينا أن نحاسبهم في ذلك الموقف أي: في ذلك المقام.

سورة الفجر

﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد﴾ [٦، ٧] أي: أهل إرم؛ إذا جعلنا إرم مدينة.

﴿وتأكلونَ التُّراثَ أكلاً لمًا﴾ [١٩] أي: أكلاً ذا لمم.

﴿وأنَّى له الذكرى﴾ [٢٣] أي: ومن أين له نفع الذكرى؟.

سورة البلد

﴿أيحسب أن لن يقدرَ عليه أحد﴾ [٥] أى: أيحسب أن لن يقدر على بعثه بعد موته، أو على صرعه وقهره أحد؟.

﴿وما أدراك ما العقبة﴾ [١٢] أى: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟.

﴿عليهم نارٌ مؤصدة﴾ [٢٠] أى: عليهم أبواب نار مغلقة أو مطبقة.

سورة العلق

﴿إنَّ إلى ربك الرُّجعى﴾ [٨] أى: إلى جزاء ربك الرجعى.

﴿فليدعُ ناديه﴾ [١٧] أى: فليدع أهل مجلسه.



﴿ليلةُ القدر خيرٌ من ألف شهر﴾ [٢] أى: عمل ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، صف ليلة القدر بصفة ما يقع فيها من العمل.

سورة لم يكن[1]

﴿رسولٌ من الله﴾ أي: رسول من عند الله بدليل قوله: ﴿ولما جاءهم رسولٌ من عند الله﴾ [البقرة: ١٠١] ﴿يتلو صُحُفًا مطهرة﴾ [٢] أي: يتلو مضمون صحف، أو مكتوب صحف.

﴿ذلك لمن خَشِيَ ربَّه﴾ [٨] أي: ذلك لمن خشي عقاب ربه.

سورة الزلزلة

﴿ليروا أعمالهم﴾ [٦] أي: ليروا جزاء أعمالهم، أو ليروها مكتوبة في صحفهم.

﴿فمن يعمل مثقال ذرَّة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرَّة شرًا يره﴾ [٧، ٨] أي: فمن يعمل قدر مثقال ذرة، أو مثل مثقال ذرة، أو زنة مثقال ذرة خيرًا ير أجره وثوابه، ومن يعمل قدر ذرة، أو مثل مثقال ذرة، أو زنة مثقال ذرة شرًا ير وزره وعقابه.

سورة العاديات

﴿إن ربَّهم بهم يومئذٍ لخَبير﴾ [٦] أي: إن ربهم بأعمالهم يومئذ لخبير.

(١) وتسمى سورة البينة.

سورة القارعة

﴿فأمَّا من ثَقُلَتْ موازينه * فهو فى عيشة راضية﴾ [٦، ٧] أى: فأما من ثقلت موازين حسناته فهو فى عيشة مرضية، أو ذات رضى.

﴿وأمَّا من خَفَّتْ موازينه * فأُمه هاوية﴾ [٨ ، ٩] أى: وأمَّا من خفت موازين حسناته فأُم رأسه هاوية.



سورة التكاثر

﴿ثم لَتُسْألن يومئذٍ عن النعيم﴾ [٨] أى: عن شكر النعيم.

سورة العصر

﴿وتَوَاصوا بالحق﴾ [٣] أى: وتواصوا بعبادة الحق أو بطاعته، وهو الله تعالى، أو وتواصوا باتباع الحق، وهو القرآن، أو وتواصوا بالدين الحق، وهو الإسلام.



سورة الهمزة

﴿إنَّها عليهم مُؤصدة﴾ [٨] أى: إن أبوابها عليهم مغلقة، أو مطبقة.



﴿رحلة الشتاء والصيف﴾ [٢] أى: رحلة الشتاء ورحلة الصيف.



﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ [٣] أى: ولا يحض على بذل طعام المسكين.

فهذا ما حضر من المضافات المحذوفة، ووراء ما ذكرته حذف كثير من مضافات خفية، ومهما تردد المضاف بين المجاز والحقيقة نظرت إلى أحسنهما وقدرته محذوفًا، فإن استويا نظرت إلى أيهما أشد ملائمة للسياق وموافقة له فقدرته.

وقد يتردد المضاف المحذوف بين أن يكون مُجملاً، أو مبينًا، وتقدير المبين أحسن، مثاله قوله تعالى: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث﴾ [الأنبياء: ٧٨] والمراد بالحرث: الزرع، أو الكرم، ولك أن تقدر: إذ يحكمان فى أمر الحرث، ولك أن تقدر: إذ يحكمان

(١) وتسمى أيضًا سورة الماعون.

فى تضمين الحرث، وهذا أولى لتعينه، والأمر مجمل مردد بين أنواع، ومهما تردد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن؛ لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث؛ فليكن محذوفه أحسن المحذوفات كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات.

والكلام بالنسبة إلى الحسن والقبح أقسام:

أحدها: ما حسن لفظه ومعناه: كالثناء على الرب بألفاظ القرآن، وهو منقسم إلى الحسن والأحسن.

القسم الثانى: ما قبح لفظه ومعناه: كالهجو المحرم والكذب المحرم، بالألفاظ الركيكة القباح، وهو منقسم إلى القبيح والأقبح.

القسم الثالث: ما حسن لفظه وقبح معناه: كالكذب القبيح والهجو القبيح باللفظ الفصيح، وهو منقسم إلى الفصيح والأفصح.

القسم الرابع: ما قبح لفظه وحسن معناه: كالإخبار عن المعانى الحسان بالألفاظ القباح، وكل ذلك منقسم إلى القبيح والأقبح والحسن والأحسن.

واعلم: أن المعنى الواحد قد يعبَّر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض، وكذلك كل واحد من جزأى يعبَّر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولا بد من استحضار معانى الجمل، واستحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ، ثم استعمال أمسها وأفصحها، واستحضار هذا متعذر على البشر فى أكثر الأحوال، وذلك عتيد حاصل فى علم الإله فلذلك كان القرآن أفصح الحديث وأحسنه، وإن كان مشتملاً على الفصيح والأفصح. والمليح والأملح، ولذلك أمثلة:

أحدها: قوله: ﴿**وجنى الجنتين دان**﴾ [الرحمن: ٥٤] لو قال مكانه: «وثمر الجنتين قريب» لم يكن كقوله: ﴿**وجنى الجنتين دان**﴾ من جهة الجناس بين الجنا والجنتين، ومن جهة أن الثمر لا يشعر بمصيره إلى حال يُجنى فيها، ومن جهة مؤاخاة الفواصل.

المثال الثانى: قوله: ﴿**ولو رُدوا لعادوا لما نُهوا عنه**﴾ [الأنعام: ٢٨] لو قال: ولو أعيدوا إلى الدُّنيا لعادوا إلى ما نهوا عنه لم يكن كقوله: ﴿**ولو رُدوا لعادوا**﴾ لوجهين:

أحدهما: أن ﴿رُدوا﴾ موافق لقوله: ﴿يا ليتنا نُرد﴾.

الوجه الثاني: لو قال ولو أعيدوا لسمج من جهة أن اللفظ المتحد كالطعام المتحد، واللفظ المختلف مع اتحاد المعنى كالطعام المختلف، فاللفظ المختلف ألذ فى الأسماع من المؤتلف كما أن ذوق الطعام المختلف ألذ من ذوق الطعام المؤتلف.

المثال الثالث: قوله: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب﴾ [العنكبوت: ٤٨] أحسن من قوله: وما كنت تقرأ من قبله من كتاب لثقل تقرأ بالهمزة.

المثال الرابع: قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ [البقرة: ٢] أحسن من قوله: لا شك فيه لثقل الإدغام فى الشك واجتماع المثلين، ولهذا كثر ذكر الريب فى القرآن.

المثال الخامس: قوله: ﴿ولا تهنوا﴾ [آل عمران: ١٣٩] أحسن من قوله: ولا تضعفوا لخفة تهنوا وثقل تضعفوا.

و ﴿وهن العظم منى﴾ [مريم: ٤] أفصح من: ضعف العظم منى؛ لأن الفتحة فى وهنَ أخف من الضمة فى ضعف.

المثال السادس: ﴿آمن﴾ أخف من صدَّق ولذلك كان ذكره فى القرآن أكثر من ذكر التصديق.

المثال السابع: قوله: ﴿آثرك الله علينا﴾ [يوسف: ٩١] أحسن من فضّلك الله علينا لخفة آثر وثقل فضل.

المثال الثامن: ﴿آتى﴾ أحسن من أعطى للخفة، ولذلك كثر فى القرآن.

المثال التاسع: ﴿أنذر﴾ أحسن من خوَّف لما فى خوف من التشديد واجتماع المثلين ولذلك كثر لفظ الإنذار فى القرآن.

المثال العاشر: قوله: ﴿وافعلوا الخير﴾ أحسن من وافعلوا الطاعة، وخير من كذا أولى من أفضل من كذا لخفة خير وثقل أفضل.

وكذلك قوله: ﴿فهو خيرٌ لكم﴾ [البقرة: ٢٧١] أولى من قوله: فهو أفضل لكم.

المثال الحادى عشر: التجوُّز بالمصدر عن المفعول؛ لأن التلفظ بالمصدر أخف من التلفظ بالمفعول فقوله: ﴿**هذا خلق الله**﴾ [لقمان: ١١] أخف من قوله: هذا مخلوق الله؛ لأن الخلق ثلاثة أحرف والمخلوق خمسة، ومثله قوله: ﴿**إن فى خلق السَّموات والأرض**﴾ [البقرة: ١٦٤].

المثال الثانى عشر: التجوُّز بالمصدر عن الفاعل أخف من ذكر الفاعل كقولك: مررت برجل عدل؛ فإنه أخف من عادل، وكذلك ﴿**يؤمنون بالغيب**﴾ [البقرة: ٣] أخف من يؤمنون بالغائب.

المثال الثالث عشر: تنكح أخف من تتزوج؛ لأن فعل أخف من تفعل ولذلك كثر ذكر النكاح فى القرآن دون التزويج.

المثال الرابع عشر: تُبدوا أخف من تُظهروا لكثرة الحركات فى تُظهروا.

المثال الخامس عشر: غدوا أخف من بكَّروا؛ ولأجل الخفة أوقع العذاب موضع التعذيب والسلام موضع التسليم والكلام موضع التكليم، وخُذْ أخف من تناول، وَقُلْ أخف من تكلم، وَعُدْ أخف من ارجع، فقوله: ﴿**وإن عُدْتم عدنا**﴾ [الإسراء: ٨] أخف من قوله: وإن رجعتم رجعنا، والربا أخف من الزيادة.

ولأجل الاختصار والتخفيف استعمل لفظ الرحمة، والغضب، والرضا، والسخط، والحب، والمقت فى أوصاف الإله مع أنه لا يتصف بهذه المعانى حقيقة لما فيها من النقص؛ لأنه لو عبَّر عن ذلك بالألفاظ الحقيقية لطال الكلام مثل أن يقول: يعامله معاملة المحب والماقت، أو يفعل به ما يفعله المحب والماقت، فالمجاز فى مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره وإنبائه عن التشبيه البليغ، فإن قوله: ﴿**فلما آسفونا**﴾ [الزخرف: ٥٥] أخصر من قوله: فلما عاملونا معاملة المغضب، أو فلما عصونا معصية المغضب، أو فلما أتوا إلينا ما يأتيه المغضب.

فهذا ما تيسر ذكره من أنواع الحذف والمجاز، والله الموفق للسداد فى الأقوال والأعمال وسائر الأحوال، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

خاتمة

مقاصد الكتاب العزيز

ولنختم هذا الكتاب بذكر نبذ من مقاصد الكتاب العزيز فنقول: أما بعد، فإن الله سبحانه رغّب في الطاعة والإيمان بما رتب عليهما من ثواب الجنان ورضاء الرحمن، وخوف من الكفر والفسوق والعصيان بما رتب عليها من عذاب النيران وسخط الديان، فطوبى لمن أطاعه واتقاه، والويل لمن خالفه وعصاه، أنزل كتابه الكريم نصائح لعباده ليدبروا آياته، فيعملوا بمحكمه، ويؤمنوا بمتشابهاته؛ ليسعدوا في الدُّنيا بمعرفته وطاعته، ويفوزوا في الآخرة بقربه وكرامته، فجعل كتابه مشتملاً على أحكام وأخبار مؤكدة للأحكام.

فالأحكام: حظر، وإيجاب، وكراهة، واستحباب، وإذن، وإطلاق، وتعرف الأحكام بصيغها، أو بما رتب على متعلقاتها من خير الدُّنيا والآخرة، أو شرهما.

وأما الأخبار: فمدح وذم، ولوم وعتب، ووعظ وتذكير، وإنذار وتبشير، وقصص وأمثال، وتمنن بالإنعام والإفضال.

وكذلك الحجج على تحقيق الحق، وإبطال الباطل مؤكدة لاتباع الحق ورفض الباطل؛ فكل فعل كسبي من أفعال القلوب أو الأبدان مدحه الله، أو مدح فاعله لأجله، أو رتب عليه خيرًا عاجلاً أو آجلاً فهو مأمور به، وينذر وقوعه مباحًا إذا رتب عليه خير عاجل، وكل فعل كسبي من أفعال القلوب أو الأبدان، ذمه الله، أو ذم فاعله لأجله، أو رتب عليه شرا عاجلاً، أو آجلا فهو منهي عنه.

وكما حث على طاعته بما رتب عليها من الخير العاجل والآجل، فكذلك حث عليها بما ذكره في كتابه من صفاته فإنه ذكرها لعباده ليعرفوها ويعاملوه بما يناسبها من الأحوال والأقوال والأعمال.

فوصف نفسه بالربوبية ليعبدوه، وبالكمال ليمجدوه، وبالجلال ليوقروه، وبالإفضال ليشكروه، وبالجمال ليحبوه، وبالكبرياء ليهابوه، وبالقرب منهم ليراقبوه، وبسعة الرحمة ليرجوه، وبشدة النقمة ليخافوه، وبالعظمة ليخضعوا لعظمته، وبالعزة ليتذللوا لعزته، وبالإحسان إليهم ليرضوا عنه، وبالاطلاع عليهم ليستحيوا منه، وبالتفرد بالإلهية لئلا يعبدوا سواه، وبالتوحد بالنفع والضر لئلا يعتمدوا إلا عليه ولا يستندوا إلا إليه، فتجلى لهم فى كتابه بصفاته ليحثهم بمعرفتها على التمسك بكتابه والتخلق بآدابه.

وقلَّ أن توجد صفة من هذه الصفات إلا وهى مناسبة لما قرنت به من الأحكام، حاثة أو زاجرة عليه، ولكن تلك المناسبة والربط تارة تكون ظاهرة جلية، وتارة تكون باطنة خفية، ولذلك أمثلة:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿**وأنا ربكم فاعبدون**﴾ [الأنبياء: ٩٢] وصف نفسه بالربوبية حثا لهم على عبادته؛ إذ لا يليق بالعبد الذليل إلا عبادة الرب الجليل، وكذلك قوله: ﴿**اتقوا ربكم**﴾ [النساء: ١] ﴿**وأنيبوا إلى ربكم**﴾ [الزمر: ٥٤] ﴿**استجيبوا لربكم**﴾ [الشورى: ٤٧] ﴿**واتَّقوا الله ربكم**﴾ [الطلاق: ١].

المثال الثانى: لما أمرهم فى الفاتحة بحمده وعبادته وطلب هدايته وإعانته وصف نفسه أولاً بالربوبية ليعبدوه، وثانيًا بالرحمة - وهى النعمة - ليشكروه، وثالثًا بأنه مالك يوم جزائهم بالثواب والعقاب ليرجوه ويخافوه، فليستعدوا للقائه، ويؤمنوا ببعثه وجزائه.

المثال الثالث: قوله: ﴿**ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل**﴾ [الأنعام: ١٠٢] وصف نفسه بالربوبية ليعبدوه بالتوحد بالإلهية ليوحد وبخلق كل شيء ليشكر وبتوكله بتدبيرهم ليعتمدوا عليه ويستندوا إليه.

وأمَّا ذكر جماله ففى مثل قوله: ﴿**وله المثل الأعلى**﴾ [الروم: ٢٧] و ﴿**له الأسماء الحسنى**﴾ [طه: ٨] إذا جعلت الأسماء بمعنى المسميات كان المعنى: له الصفات الحسنى.

وكذلك قوله: ﴿**هل تعلم له سميا**﴾ [مريم: ٦٥] ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [الشورى: ١١]، ﴿**ولم يكن له كفواً أحد**﴾ [الإخلاص: ٤].

وكـذلك وصف نفسـه بالأعلى لعلوه فى ذاته وصـفاته؛ لأن ذاته أعلى الذوات قـدراً وشرفًا، وكذلك كل صفة من صفاته.

وكذلك إذا وصف نفسه بالوحـدانية فإنه متوحد فى ذاته وصفاته فـلا شبيه له فى ذاته ولا نظير له فى شىء من صفاته يتحبب إلى عبـاده بأوصاف جماله ليعاملوه معاملة المحب، وكذلك يذكر إحسانه ليحبوه، فإن للحب سببين:

أحدهما: الإحسان، والإفضال.

والثانى: الكمال، والجمال.

فينبغى أن يعامل بمقـتضى ذلك، فإذا لم يكن له شبيه فى الإنعام والإفـضال فينبغى أن تكون محبتـه على الإنعام والإفضال أكمل من محبة كل منعم مـفضل كيف إذا عرف إنه لا منعم غيره ولا مفضل سواه، وكذلك محبة الجلال والكمال ينبغى أن تكون أفضل من محبة كل ذى جلال وكمال.

وكذلك ينبغى أن يكون خوفه أعظم من كل خوف، ورجاؤه أتم من كل رجاء.

وكذلك ينبغى أن لا يعتـمد إلا عليه ولا يستند إلا إليه إذ الأمور كلهـا بيديه، فلو عرفه عباده حق معرفته لم يحتاجوا إلـى ترغيب ولا ترهيب بل كانوا يبتدرون أمره تشريفًا بطاعته واجتناب معصيته.

وكذلك لو عرفوا نصحه لهم وبره إليهم لم يقتـصروا إلى أن يحثهم بمدح الأفعال عليها ولا أن يزجرهم بذمهم عنها.

فصل فى مدح الفعل ترغيباً فيه بمدحه

وله أمثلة:

المثال الأول: فى مدح الدين، وله مثالان:

الأول: قوله تعالى: ﴿**ومن أحسن من الله صـبغة**﴾ [البقرة: ١٣٨] مدحهـا بذلك ترغيبًا فيها.

والثاني: قوله: ﴿ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ [لقمان: ٢٢].

المثال الثاني: في مدح القول، في قوله سبحانه: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين﴾ [فصلت: ٣٣] جعل ذلك القول أحسن الأقوال حثا عليه.

المثال الثالث: في مدح الصدقات في قوله: ﴿إن تُبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ [البقرة: ٢٧١] أثنى على إبداء الصدقات حثا على إبدائها وَجَعَلَ إخفاءها خيرًا من إبدائها مبالغة في الترغيب في إخفائها.

فصل في مدح الفاعل بفعله حثًا عليه

وذلك في قوله سبحانه: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون: ١] وما عطف عليه من أفعالهم إلى قوله: ﴿أولئك هم الوارثون﴾ [المؤمنون: ١٠] حثهم بمدحه إياهم بالفلاح أولاً وبما رتب عليه من إرث الفردوس آخرًا.

وكذلك قوله: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾ [الاعلى: ١٤، ١٥] يحتمل أن يريد بالتزكي: التزكي بالأعمال الصالحات، ويحتمل أن يريد به: التطهر من المعاصي والمخالفات.

وكذلك قوله في داود عليه السلام: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ [ص: ٣٠] مدحه بكثرة رجوعه إلى طاعة ربه ترغيبًا في كثرة الرجوع إليه.

وكذلك قوله: ﴿فبشر عباد * الَّذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ [الزمر: ١٧، ١٨] الآية، مدحهم بكمال العقول في قوله: ﴿أولو الألباب﴾ [الزمر: ١٨] ترغيبًا في اتباع أحسن الأقوال.

فصل فى ذم الفعل تنفيراً منه

وله أمثلة:

المثال الأول: قوله: ﴿**لولا ينهاهم الربَّانيون والأحْبَار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون**﴾ [المائدة: ٦٣] ذمهم بتركهم النهى عن قول الإثم وأكل السحت تنفيراً من ترك ذلك.

المثال الثانى: قوله: ﴿**وترى كثيراً منهم يُسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون**﴾ [المائدة: ٦٢] ذم عملهم تنفيراً من المسارعة فى الإثم والعدوان وأكل السحت.

المثال الثالث: قوله: ﴿**ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة**﴾ [إبراهيم: ٢٦] ذم كلمة الشرك بالخبث تنفيراً منها، كما مدح كلمة التوحيد بالطيب حثا عليها.

فصل فى ذم الفاعل بفعله تقبيحا لفعله

وله أمثلة:

المثال الأول: قوله: ﴿**إنما المشركون نجس**﴾ [التوبة: ٢٨] وصفهم بذلك تنفيراً من الشرك؛ لأن النجس: القذر.

المثال الثانى: قوله: ﴿**فأعرضوا عنهم إنهم رجس**﴾ [التوبة: ٩٥] ذمهم بذلك تنفيراً من النفاق.

المثال الثالث: قوله: ﴿**إن الَّذين يُنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**﴾ [الحجرات: ٤] ذمهم بقلة العقول تنفيراً من إساءة الأدب على الرسول.

فصل في المعاتبة على الفعل كيلا يعود فاعله إلى مثله

وله أمثلة:

المثال الأول: قوله: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ [الانفال: ٦٧]، وقوله: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [التوبة: ٤٣]، وقوله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ [الأحزاب: ٣٧].. الآية، عاتبه على ذلك لئلا يعود إلى مثله.

المثال الثاني: قوله: ﴿أمَّا من استغنى *فأنت له تَصَدَّى * وما عليك ألا يزكى وأمَّا من جاءك يسعى* وهو يَخْشى * فأنت عنه تلهى﴾ [عبس: ٥- ١٠].

المثال الثالث: قول موسى عليه السلام: ﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعنِ أفعصيت أمري﴾ [طه: ٩٢- ٩٣].

فصل في لوم الفاعل استصلاحا له

وله أمثلة:

المثال الأول: قوله سبحانه لآدم وحواء: ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ [الاعراف: ٢٢] لامهما على متابعة الشيطان كيلا يعودا إلى مثله.

المثال الثاني: قول موسى عليه السلام: ﴿يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسنًا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي﴾ [طه: ٨٦].

المثال الثالث: قوله: ﴿إذ تُصْعِدون ولا تَلْوون على أحدٍ والرسولُ يدعوكم في أخراكم﴾ [آل عمران: ١٥٣].

فصل فيما رتب على الفعل من الهدى والعمل الصالح ترغيباً فيه

وله أمثلة:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿يأيُّهَا الَّذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] جعل التقوى وسداد القول موجبين لغفران الذنوب وإصلاح الأعمال ترغيبًا فيها.

المثال الثاني: قوله: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزى المحسنين﴾ [يوسف: ٢٢] جعل إيتاء الحكم والعلم جزاءً للإحسان ترغيبًا فى الإحسان.

المثال الثالث: قوله: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [التغابن: ١١] جعل الإيمان سببًا للهدى إلى المراشد ترغيبًا فى لزوم الإيمان.

المثال الرابع: قوله: ﴿والَّذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] جعل المجاهدة فى طاعته سببًا للهداية إلى معرفته.

فصل فيما رتب على الفعل من ثواب الدنيا

وله أمثلة:

الأول: قوله: ﴿للذين أحسنوا فى هذه الدُّنيا حسنة﴾ [النحل: ٣٠] وعدهم بالإحسان العاجل ترغيبًا فى الإحسان فإن النفوس مجبولة على حب العاجل.

المثال الثاني: قوله: ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى﴾ [هود: ٣] وعد بذلك ترغيبًا فى التوبة والاستغفار.

المثال الثالث: قوله: ﴿فآتاهم الله ثواب الدُّنيا﴾ [آل عمران: ١٤٨] ذكر ذلك ترغيبًا فى الصبر فى مواقف القتال.

المثال الرابع: قوله: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم﴾ من العزم على الوفاء بالبيعة ﴿فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا * ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ [الفتح: ١٨، ١٩] رغبهم فى الوفاء بالبيعة بما ذكره من رضاه عنهم، وبما وعدهم به من المغانم العاجلة.

المثال الخامس: قوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣] حث بذلك على لزوم التقوى وهى فعل الواجبات وترك المحرمات.

فصل فيما رتب على الفعل من الغفران

وله أمثلة:

الأول: قوله: ﴿فالَّذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم﴾ [الحج: ٥٠] وعدهم بذلك ترغيبًا فى الإيمان والعمل الصالح.

المثال الثانى: قوله: ﴿إن تُقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعفه لكم ويَغفرْ لكم﴾ [التغابن: ١٧] وعد بمضاعفة الأجر وغفران الذنوب ترغيبًا فى القرض الحسن.

المثال الثالث: قوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه نُكفر عنكم سيئاتكم﴾ [النساء: ٣١]. . . الآية، وعد بذلك ترغيبًا فى اجتناب الكبائر.

فصل فيما رتب على الفعل من ثواب الآخرة

وهو كثير، كقوله سبحانه: ﴿إن المتقين فى جنَّات وعيون﴾ [الذاريات: ١٥].

﴿فى جنَّات ونعيم﴾ [الطور: ١٧]، ﴿فى جنَّات ونهر﴾ [القمر: ٥٤] وعد بذلك ترغيبًا فى التقوى التى هى رأس مال تجارة الآخرة.

وكذلك وعد الأبرار فى سورة الإنسان بما وعدهم به ترغيبًا فى البر، وهو عبارة عن أنواع الخيرات فكل نوع من الخير بر.

وكذلك قوله تعالى: ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة: ١٠٠] وقوله: ﴿وجوه

يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

فصل فيما رتب على الفعل من الخذلان

وله أمثلة:

الأول: قوله: ﴿وأُشْربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ [البقرة: ٩٣].

المثال الثاني: قوله: ﴿فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وَعَدوه﴾ [التوبة: ٧٧] الآية، حذر بإعقاب النفاق من إخلاف الوعد والكذب.

المثال الثالث: قوله: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [الصف: ٥].

المثال الرابع: قوله: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم وَجَعَلْنا قلوبهم قاسية﴾ [المائدة: ١٣] حذر بذلك من نقض مواثيق الله وعهوده.

المثال الخامس: قوله: ﴿إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

المثال السادس: قوله: ﴿والله أَرْكَسَهُمْ بما كسبوا﴾ [النساء: ٨٨].

فصل فيما رتب على الفعل من العذاب العاجل

وهو كثير كقوله تعالى: ﴿فأذاقهم الله الخزى في الحياة الدُّنيا﴾ [الزمر: ٢٦].

﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ [الزمر: ٢٥].

﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ [السجدة: ٢١].

﴿وإن للذين ظلموا عذابًا دون ذلك﴾ [الطور: ٤٧].

﴿سيهزم الجمع ويولون الدُّبر﴾ [القمر: ٤٥].

﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ [الحشر: ٢].

فصل فيما رتب على الفعل من عقاب الآخرة

وهو كثير، كقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدًا﴾ [البينه:٨] حذر بذلك من عصيانه وعصيان رسوله ﷺ.

وكقوله: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم﴾ [النساء: ٩٣]... الآية، حذر بذلك من تعمد قتل المؤمنين.

وكقوله: ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٦١].

﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٨٠].

﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [الزلزله: ٨].

فصل في إبطال الحسنات بالكفر والرياء

وله أمثلة:

الأول: قوله: ﴿يأيها الَّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تُبْطِلوا أعمالكم﴾ [محمد: ٣٣] بالرياء.

المثال الثاني: قوله: ﴿من كان يريد الحياة الدُّنيا وزينتها﴾ [هود: ١٥]... الآية، قيل: المراد به: المراءون، وقيل: المراد به: المنافقون.

المثال الثالث: قوله: ﴿والَّذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حَبِطَتْ أعمالهم﴾ [الأعراف:١٤٧].

المثال الرابع: قوله: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [المائدة: ٥].

المثال الخامس: قوله: ﴿والَّذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ [إبراهيم: ١٨].

المثال السادس: قوله: ﴿**والَّذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة**﴾ [النور: ٣٩].

المثال السابع: قوله: ﴿**مثل ما يُنفقون فى هذه الحياة الدُّنيا كمثل ريح فيها صِرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته**﴾ [آل عمران: ١١٧] حذر من الكفر والرياء بإحباط الأعمال الصالحات تنفيرًا من الكفر والرياء.

فصل فى إبطال أجر الحسنات بالموازنة بالسيئات

وله أمثلة:

الأول: قوله: ﴿**يا أيها الَّذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

المثال الثاني: قوله: ﴿**أيود أحدكم أن تكون له جنَّة من نخيل وأعناب**﴾ [البقرة:٢٦٦]. . . الآية: مثَّل إحباط الحسنات بالسيئات بإحراق الجنَّة بالإعصار؛ لأنه مثل لمن عمل بالطاعة أكثر عمره، ثم ختم عمله بالمعاصى والمخالفات.

فصل فى إثبات الحق بالحجج ترغيبًا فيه

وهى كثيرة، منها: قوله: ﴿**أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا**﴾ [مريم:٦٧].

ومنها: قوله: ﴿**فلينظر الإنسان مم خلق* خلق من ماء دافق**﴾ [الطارق: ٦، ٧] استدل بإخراج النبات وبخلقه إيانا فى بطون الأمهات على أنه قادر على جمع الرفات وبعث الأموات ترغيبًا فى النظر فى ذلك لنؤمن بالبعث فنستعد له بالطاعات.

فصل فى إبطال الباطل بالحجج تنفيرًا منه

وهو أنواع:

منها: قوله: ﴿**إن الَّذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا**﴾ [العنكبوت: ١٧].

ومنها: قوله: ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعًا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورا﴾ [الفرقان: ٣].

ومنها: قوله: ﴿إن الَّذين تعبدون من دون الله لن يَخْلقوا ذُبابًا ولو اجتمعوا له﴾ [الحج: ٧٣] استدل بعجزهم على الخلق والرزق على أنهم لا يصلحون للعبادة بخلاف الخلاق المتكفل بجميع الأرزاق إذ ما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها.

فصل فى إثبات صدق الرسول عليه الصلاة والسلام بالحجج حثا على اتباعه

وهو أنواع:

منها: قوله سبحانه: ﴿وإن كُنْتُم فى ريب ممَّا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة: ٢٣].

ومنها: قوله: ﴿وما كنت لديهم إذ يُلقون أقلامهم أيهم يَكْفُلُ مريم﴾ [آل عمران: ٤٤].

ومنها: قوله: ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾ [يوسف: ١٠٢].

ومنها: قوله: ﴿وما كنت بجانب الغربى﴾ [القصص: ٤٤].

ومنها: قوله: ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ [القصص: ٤٦].

ومنها: قوله: ﴿وما كنت ثاويًا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ [القصص: ٤٥]، ومن إخباره بذلك مع كونه لم يحضره ولم يقرأه من كتب الأولين على نبوته، وعلى أن الله سبحانه أخبره بذلك.

فصل فى التمنن بإرسال الرسول ﷺ

تنبيهًا على عظم تلك النعمة لتشكر كل نعمة تمن الله بها على عباده، كأن تمننه بها تنبيهًا على فضلها لتشكر، وهى أنواع:

منهـا: قوله: ﴿لقـد منَّ الله على المؤمـنين إذ بعث فـيـهـم رسـولاً من أنفـسـهـم﴾ [آل عمران: ٦٤]. . . الآية.

ومنها قوله: ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم﴾ [الجمعة: ٢] الآية.

ومنها قوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومنها: قوله: ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية.

فصل فى التمنن بالتوفيق للإيمان والعمل الصالح

وهو أنواع:

منها: قوله: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم﴾ [الحجرات: ٧].

ومنها: قوله: ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ [الحجرات: ١٧].

ومنها: قوله: ﴿وكُنتُم على شفا حفرة من النَّار فأنقذكم منها﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومنها: قوله: ﴿فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلَّمون﴾ [البقرة: ٢٣٩].

ومنها: قوله: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلَّمك مـا لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا﴾ [النساء: ١١٣] تمنن عليهم بإنعـامه عليهم وإحسانه إليـهم؛ ليشكروا ذلك الإحسان بطاعته واجتناب معصيته.

فصل فى التمنن بصرف العصيان

وهو أنواع:

منها: قوله: ﴿وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ [الحجرات: ٧].

ومنهـا: قوله: ﴿كـذلك لنصـرف عنه السـوء والفـحشـاء إنه من عـبـادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤].

ومنهـا: قوله: ﴿ولو أراكـهم كـثيـراً لفـشلتم ولتـنازعـتم فى الأمـر ولكن الله سلَّم﴾ [الانفال:٤٣] أى: سلمكم من الفشل والتنازع، تمتن عليـهم بصرف العصيان وصـرف أسبابه ليشكروه على ذلك.

فصل فى التمنن بحسن الخلقة

وهو أنواع:

منها: قوله: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [غافر: ٦٤].

ومنها: قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ [التين: ٤].

ومنها: قوله: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤].

فصل فى التمنن بالمنافع والأرزاق

وهو أنواع:

منها: قوله: ﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم﴾ [الروم: ٤٠].

ومنها: قوله: ﴿ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ [الانفال: ٢٦].

ومنها: قوله: ﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جـميعًا﴾ [البقرة: ٢٩] ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر﴾ [النحل: ١٢].

ومنها: قوله: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها﴾ [الروم: ٢١].

ومنها: قوله: ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦] تمتن عليهم بأنواع الأرزاق وبحسن الصور، وبحسن التقويم تعريفًا لأنواع نعـمه ليشكروها من جهة الإجمال؛ فإنهم لو عدوها لم يحصوها، فكيف يشكرون ما لا يعرفون وما لا يحصون، وعلى الجملة فقد تمتن الرب سبحانه وتعالى على عباده بإرسال رسله، وإنزال كتبه؛ لما فى ذلك من جلب مصالح الدُّنيـا والآخرة ودرء مفاسدهمـا فقال: ﴿يأيُّهَا النَّاس قـد جـاءكـم برهان من ربِّكم

وأنزلنا إليكم نوراً مبينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال: **﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم﴾** [الانبياء: ١٠].

وقال: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم﴾** [النحل: ٤٤].

وقال: **﴿يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشراً ونذيراً * وداعيًا إلى الله﴾** [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] أي: إلى عبادة الله.

وقال: **﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم﴾** [آل عمران: ١٦٤] ذكر ذلك كله لنشكره على إنعامه علينا وإحسانه إلينا.

وكذلك مَنَّ علينا بما فضلنا به لنشكره عليه بقوله: **﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾** [الإسراء: ٧٠].

ومَنَّ علينا بحسن الصور والتقويم بقوله: **﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾** [غافر: ٦٤] وبقوله: **﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾** [التين: ٤] وبقوله: **﴿الذى خلقك فسواك فعدلك * فى أى صورة ما شاء ركبك﴾** [الانفطار: ٧، ٨].

وكذلك تمن علينا بما سخره على العموم بقوله: **﴿وسخر لكم ما فى السَّموات وما فى الأرض جميعًا منه﴾** [الجاثية: ١٣].

وكذلك تمن علينا بإنزال الأمطار وإنبات الزرع والثمار؛ لأن ذلك كله سبب لأرزاقنا التى هى أسباب لبقاء حياتنا التى هى سبب للقيام بطاعته واجتناب معصيته الموجبين لرحمته والخلاص من نقمته.

وكذلك تمن علينا بالمآكل، والمشارب، والملابس، والمناكح، والمساكن، والمراكب، وبالظلال، والخيام، والماء الزلال.

وكذلك تمن علينا بما أنعم به علينا ممَّا ندفع به الضرورات، والحاجات.

وكذلك بما أنعم به من التتمات، والتكملات ممَّا يدفع به الضرورات، والحاجات فالإدام والفواكه، والثمرات، وما تحصل به التتمات، والتكملات كالطيب الأفضل من الأقوات،

وما تمس إليه الحاجات.

وكذلك الأفضل الآكد ممَّا ندفع به الحاجات.

وكذلك ما يحصل به التزين، والتجمل، والتحلى.

وكذلك سكنى الدور الواسعات، والغرف العاليات المزخرفات.

وكذلك الأحسن الأهنأ من المراكب كالمهارى، والنجائب، والخيل الصافنات.

وكذلك الأجود من كل منتفع به.

وكذلك ما زاد فى النكاح والسرارى على الواحدة، اختيار الحور الحسان الخضرات.

فأما المآكل فقوله: ﴿**فمنها ركوبهم ومنها يأكلون**﴾ [يس: ٧٢].

وأما المشارب فكقوله: ﴿**وأسقيناكم ماء فراتًا**﴾ [المرسلات: ٢٧] وقوله: ﴿**وأنزلنا من السَّماء طهورًا**﴾ [الفرقان: ٤٨] وقوله: ﴿**أفرأيتم الماء الذى تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون**﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩] وقوله: ﴿**وأنزلنا من السَّماء ماء فأسكناه فى الأرض**﴾ [المؤمنون: ١٨].

وأمَّا الملابس فكقوله: ﴿**يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يوارى سوآتكم وريشًا**﴾ [الأعراف: ٢٦] وقوله: ﴿**وَجَعَلَ لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم**﴾ [النحل: ٨١].

وأمَّا المناكح فكقوله: ﴿**جعل لكم من أنفسكم أزواجًا**﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿**وَجَعَلَ بينكم مودة ورحمة**﴾ [الروم: ٢١] وقوله: ﴿**إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**﴾ [المؤمنون: ٦].

وأمَّا المساكن فكقوله: ﴿**والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا**﴾ [النحل: ٨٠].

وأمَّا المراكب فكقوله: ﴿**والخيل والبغال والحمير لتركبوها**﴾ [النحل: ٨].

وأمَّا الظلال فكقوله: ﴿**والله جعل لكم ممَّا خلق ظلالاً**﴾ [النحل: ٨١].

وأمَّا الخيام فكقوله: ﴿**والله جعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا**﴾ [النحل: ٨٠].

وكذلك تمنن علينا بما نستدفئ به ونستكن به فى قوله: ﴿**لكم فيها دفء**﴾ [النحل: ٥] وقوله: ﴿**ومن الجبال أكنانًا**﴾ [النحل: ٨١].

وكذلك تمنن علينا بالعسل، واللبن الخالص السائغ وباستخراج الحلية، واللؤلؤ، والمرجان، وبالاهتداء بالنجوم فى ظلمات البر والبحر فى قوله: ﴿**فيه شفاء للناس**﴾ [النحل: ٦٩]، وفى قوله: ﴿**لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين**﴾ [النحل: ٦٦] وقوله: ﴿**وتستخرجون حلية تلبسونها**﴾ [فاطر: ١٢] وقوله: ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾ [الرحمن: ٢٢] وقوله: ﴿**وبالنجم هم يهتدون**﴾ [النحل: ١٦].

وكذلك تسخير الليل، والنهار، والشمس والقمر دائبين.

واعلم أن التمنن مقتضٍ للإذن والإباحة والشكر؛ إذ لا يصح التمنن إلا بإنعام وإحسان غير ممنوع.

وكذلك تمنن علينا سبحانه وتعالى بالعلوم فى تعلم الخط فى قوله: ﴿**علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ [العلق: ٤، ٥] وقوله: ﴿**وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**﴾ [البقرة: ٢٣٩].

﴿**ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ [البقرة: ١٢٩].

وتمنن علينا بما أحله من التصرفات فى قوله: ﴿**وأحل الله البيع**﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله: ﴿**قل أحل لكم الطيبات**﴾ [المائدة: ٤]، وقوله: ﴿**إنا أحللنا لك أزواجك**﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وتمنن علينا بالرياسات فى قوله: ﴿**وَجَعَلَكم ملوكًا**﴾ [المائدة: ٢٠] وقوله: ﴿**جعلكم خلفاء الأرض**﴾ [النمل: ٦٢] وقوله: «**ألم أزوجك فلانة وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع**»[1] وقوله: ﴿**كُنتُم خير أمة أخرجت للناس**﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا**﴾ [البقرة: ١٤٣].

وكذلك تمنن علينا بما وصفه فى الأرض من السبل التى يهتدى بها من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر فى قوله: ﴿**لتسلكوا منها سبلاً فجاجًا**﴾ [نوح: ٢٠]، وكل شىء ذكر فهو إما جالب لمصلحة، أو لسبب مصلحة، أو دارئ لمفسدة، أو لسبب مفسدة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه: مسلم فى الزهد والرقائق ٢٩٦٨، الترمذى فى صفة القيامة ٢٤٢٨، أحمد فى المسند ١٠٠٠٥.

فصل فى الوعظ والتذكير بالموت ليستعد العباد للمعاد

وهو أنواع:

منها: قوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ومنها: قوله: ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦].

ومنها: قوله: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ [المؤمنون: ١٥].

ومنها: قوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠].

ومنها: قوله: ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ [الأنعام: ٦١].

ومنها: قوله: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ [الواقعة: ٨٣].

ومنها: قوله: ﴿إذا بلغت التراقى * وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق﴾ [القيامة: ٢٦- ٣٠] ذكَّر عباده بالموت ووعظهم به ليستعدوا له بالإيمان، وصالح الأعمال.

فصل فى التذكير والوعظ بالقصص

وهو أنواع:

منها: قوله: ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾ [العنكبوت: ٤٠].

ومنها: قوله: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومنها: قوله: ﴿فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدُّنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ [الزمر: ٢٦].

ومنها: قوله: ﴿فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين﴾ [الأنبياء: ٩].

ومنها: قوله: ﴿فأنجيناه ومن معه فى الفلك﴾ [الشعراء: ١١٩].

ومنها: قوله: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ [الزخرف: ٥٥] حذر الآخرين بما فعل بالأولين تحذيرًا من سلوك سبيل المجرمين وطريق المكذبين، وليست قصصهم بأسمار سامرهم بها وإنما قصها عليهم للوعظ والإنذار، ولذلك قال: ﴿لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ [يوسف: ١١١].

فصل فى ضرب الأمثال فى القرآن حثًا على الطاعات وزجرًا عن المخالفات

ولا تنفك الأمثال من وعد، أو وعيد، أو مدح، أو ذم، أو لوم، أو توبيخ.

مثال الوعد بمضاعفة أجر الحسنات: قوله سبحانه: ﴿مثل الَّذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقوله تعالى: ﴿ومثل الَّذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتًا من أنفسهم كمثل جنَّة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين﴾ [البقرة: ٢٦٥].

مثل مضاعفة أجر النفقات بهذين المثلين ترغيبًا فى النفقات، ومثل إحباط الكفر لأعمال البر بالريح تنفيرًا من الكفر وتهديدًا بأنه يسقط ثواب البر الذى فعلوه فقال: ﴿والَّذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف﴾ [إبراهيم: ١٨] وقال: ﴿مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدُّنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ [آل عمران: ١١٧].

وكذلك مثل حسبان الكفار أن أعمالهم تنفعهم يوم القيامة بحسبان ظمآن رأى سرابا فظنه ماء فجاءه فلم يجد شيئًا فأخذه الله هنالك، فكذلك تؤخذ الكفار فى يوم القيامة التى حسبوا أن أعمالهم تنجيهم فيها من الهلاك.

وشبه كلمة الكفر بالشجرة الخبيثة تنفيراً منها، وذما لها، وشبه كلمة الإيمان بالشجرة الطيبة حثا عليها ومدحًا لها.

وكذلك شبه الإيمان بالأنوار والحياة ترغيبًا فيه، وشبه الكفر بالظلمات والموت زجراً عنه.

وأما التوبيخ: ففي مثل قوله: **﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾** [الروم: ٢٨] الآية يقول سبحانه: كيف تأنفون لأنفسكم أن تشاركوا أرقاءكم في أرزاقكم ولا تأنفون لربكم أن يشارك الأصنام في صفة الإلهية بل ترضون لربكم من مشاركة عباده في إلهيته ما تكرهون مثله لأنفسكم من مشاركة عبيدكم في أرزاقكم.

وكذلك شبه شرف الحق ودوامه بالمطر، وبجواهر الذهب والفضة وسائر الأمتعة ترغيبًا فيه، وشبه خسة الباطل وسرعة زواله بزبد الحلية والأمتعة وسرعة زوالهما عن المسيل والجواهر تنفيراً منه.

وكذلك شبه سرعة مصير المنافقين إلى ظلمات الآخرة بسرعة انطفاء نار المستوقد لما أنارت ما حوله تنفيرًا من النفاق وتهديدًا عليه.

فصل في بيان اللغات التي نزل بها القرآن وفي معنى الأحرف السبعة (١)

للأحرف السبعة معنيان كلاهما موجود في القرآن:

أحدهما: ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»(٢): **أمر، ونهي، وترغيب، وترهيب، وقصص، وجدل، ومثل** وهذه معان يشتمل عليها القرآن، ولم تختلف قراءة عمر، وحكيم بن حزام في مثل ذلك.

الثاني: أن الأحرف السبعة لغات مختلفات كتحقيق الهمز وتخفيفه، والمد والقصر،

(١) يراجع في ذلك الإتقان ١/ ١٠٠-١١٠، المحرر الوجيز ١/ ٤٣-٤٨ .

(٢) أخرجه: النسائي في الافتتاح ٩٤٠.

والفتح والإمالة وما بينهما، والإظهار والإدغام.

وكذلك ضم الهاء، وكسرها من عليهم، وإليهم.

وكذلك إلحاق الواو فى عليهمو، وإليهمو.

وكذلك إلحاق الواو فى منهمو، وعنهمو، والياء فى إليهى وعليهى وفيهى؛ فأنزل الله بهذه اللغات رفقًا بقبائل العرب؛ لأنه لو كلفهم أن يقرأوه بلغة واحدة لشق على سائر القبائل الخروج عما ألفوه من لغاتهم فكان من اللطف بهم أن يقرأه أهل لغة الإمالة بالإمالة، وأهل الفتح بالفتح، وأهل التسهيل بالتسهيل، وأهل التحقيق بالتحقيق، وأهل القصر بالقصر، وأهل المد بالمد.

وكذلك من يلحق الضمائر، ومن لا يلحقها، ففرق الله هذه اللغات فى القرآن، ونزل فيه كلمات أخر كل كلمة من فصيح اللغات، ولذلك التمس رسول الله ﷺ من جبريل عليه السلام لما أمره أن تقرأ أمته القرآن على حرف أن يزيده، فما زال يزيده حتى بلغ سبعة أحرف[1].

قال أبو عبيدة وغيره من العلماء: أنزل القرآن بلغة سبع قبائل فيه من كل لغة منها شىء، وفى إنزاله القرآن بهذه اللغات تشريف لمن أنزل الله كتابه بلغته، ورفق وتيسير، وهذا من أبلغ ما فى القرآن من التيسير؛ لأن من ألف لغةً عسر عليه الخروج منها غاية العسر، وفى مثل هذا اختلفت قراءة عمر، وحكيم بن حزام فاختصما إلى رسول الله ﷺ وقرآ عليه ما اختلفا فيه، فقال لكل واحد منهما: «هكذا أنزل»[2]، ولعله أراد أن جبريل ـ عليه السلام ـ عارضه فى كل مرة بحرف من هذه الأحرف، أو عنى بذلك الإذن فى قراءته بالأحرف.

وأمَّا لغات القرآن فهى أفصح لغات العرب الَّذين كانوا وسط جزيرة العرب دون الَّذين كانوا بأطرافها، فإن العجم أفسدوا لغاتهم بمخالطتهم ومجاورتهم،ولذلك لم تؤخذ اللغة إلا

(١) انظر الحديث فى: صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن ٤٩٩١، مسلم فى صلاة المسافرين ٨١٩ .

(٢) أخرجه: البخارى فى الخصومات ٢٤١٩، الترمذى فى القراءات ٢٩٤٣، أبو داود فى الصلاة ١٤٧٥

عن الَّذين نزل القرآن بلغتهم ولم تؤخذ عن أهل مكة والمدينة لفساد لغتهم بعد رسول الله ﷺ بكثرة من خالطهم من رقيق العجم وبمن تردد إليهم من تجارهم، وكانت لغتهم سليمة من ذلك قبل موت رسول الله ﷺ لعدم مخالطة أولئك.

والأصل فيمن نزل القرآن بلغتهم قريش؛ لأن رسول الله ﷺ قرشى، ثم بنو سعد بن بكر؛ لأنه استرضع فيهم وأقام عندهم حتى ترعرع، ثم ثقيف، وخزاعة، وهذيل، وكنانة، وأسد، وضبة؛ لقربهم من مكة وكثرة ترددهم إليها، ومن بعدهم قيس وألفافها الَّذين وسط الجزيرة.

وفسدت لغة أهل اليمن بمخالطتهم الحبش، والهنود، وفسدت لغة من كان شرقى الجزيرة لمخالطتهم الفرس، ونصارى الجزيرة، وفسدت لغة من كان شمالى الجزيرة بمخالطتهم الروم، وبنى إسرائيل، وليس غربى الجزيرة أحد من العجم؛ لأنه جبال غير مسكونة.

وقال أبو عبيدة والمبرد: نزل فى القرآن شىء بلغة أهل اليمن ولعل ذلك ما اتفقت فيه اللغتان كالعَرِم، والفتاح دون ما انفرد به أهل اليمن.

فصل الإعجاز

هو الإيجاز والبلاغة: **﴿ولكم فى القصاص حياة﴾** [البقرة: ١٧٩]، أو البيان والفصاحة: **﴿فاصدع بما تؤمر﴾** [الحجر: ٩٤] **﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًا﴾** [يوسف: ٨٠] وهو وصفه الذى أخرجه عن عادتهم فى النظم، والنثر، والخطب، والشعر، والرجز، والسجع، والمزدوج مع أن ألفاظه مستعملة فى كلامهم، أو هو أن قارئه لا يمله، أو ازدياد حلاوته مع كثرة تلاوته بخلاف غيره، فإنه يمل إذا أكثر منه، أو هو إخباره بما مضى كقصة أهل الكهف وذى القرنين، وموسى، والخضر، وجميع قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو هو إخباره عما يكون كقوله: **﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾** [البقرة: ٢٤] **﴿ولن يتمنوه أبدًا﴾** [البقرة: ٩٥]، أو اشتماله على العلوم التى لم تكن فيها آلتها ولا تعرفها العرب، ولا يحيط بها أحد من الأمم، أو صرفهم عن القدرة على معارضته، أو صرفهم عن معارضته مع

قدرتهم عليها وحرصهم على إبطاله، أو إعجازه بجميع ذلك لاشتماله على جميعه.

فصل فى بيان أنواع الحمد

لا حمد ولا مدح إلا بنفى نقص، أو إثبات كمال، أو باجتماع السلب والإثبات، ومدح الإله ضربان:

أحدهما: مدح بالنفى، وهو نوعان:

أحدهما: مدح بنفى العيب والنقص، كالمدح بقدس القدوس، وهو الطاهر من كل عيب ونقصان، وكالمدح بسلامة السلام، وهو السالم من جميع الحوائج والآفات.

النوع الثانى: مدحه بنفى مثل كماله عمن سواه، وهو ضربان:

أحدهما: مدح بنفى بعض صفاته عن غيره كقوله: **﴿لا إله إلا الله﴾**، **﴿إن الحكم إلا لله﴾** أثبت لنفسه الإلهية والحكم ونفاهما عن سواه.

الثانى: مدحه بنفى مثل جميع صفاته عمن سواه كقوله: **﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾** [الإخلاص: ٤] معناه: لا يساويه أحد فى ذاته ولا فى صفة من صفاته، وكذا قوله: **﴿ليس كمثله شىء﴾** [الشورى: ١١] معناه: ليس مثله شىء فى ذاته ولا فى شىء من صفاته.

الضرب الثانى: صفات الإثبات وهى ضربان:

أحدهما: ذاتى كالحياة؛ والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

والثانى: فعلى؛ كالخلق، والرزق، والضر، والنفع، والخفض، والرفع، والإعزاز، والإذلال، وغير ذلك من أنواع الأفعال، فإذا جعلت الألف واللام فى الحمد لاستغراق المحامد دخل فى ذلك كل نفى وإثبات علمناه، أو جهلناه واختص الرب سبحانه وتعالى بذلك الحمد إذ لا يحصى أحد ثناء عليه سواه، وإن جعلنا الألف واللام لتعريف العهد، أو لتعريف الجنس دخل فى ذلك ما عرفناه من النفى والإثبات دون ما جهلناه.

فـــائـــدة: إذا كان الاسم مشتركًا ولم يظهر فى أحد مسمياته فمن العلماء من يحمله

على جميع مسمياته، فعلى هذا تكون لفظة الرب فى قوله: ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢] جامعة لمعنى الإلهية، والملك والسؤدد والإصلاح، ومنه من يحمله على بعض مسمياته، فإن كان فى السياق ما يعينه ويدل عليه حمل الكلام عليه، وإن لم يكن فى السياق، ولا فى قرائن الأحوال ما يدل عليه فهو محمل مراد الله منه أحد مسمياته على التعيين عنده، فمعنى قوله: ﴿ربنا رب السَّموات والأرض﴾ [الكهف: ١٤] : إلهنا ومعبودنا ملك السَّموات والأرض، وقوله: ﴿ربنا أنزل علينا مائدة من السماء﴾ [المائدة: ١١٤]، مناسب لحمله على المصلح؛ لأن إنزال المائدة من جملة الإصلاح، ومناسب للمالك؛ لأن المالك هو القائم بأرزاق عبيده، وفى ربطه بالسيد والمعبود بعد.

فائدة: الاختلاف فى كون البقرة التى أمر بنو إسرائيل بذبحها وحشية، أو إنسية، وفى العضو الذى ضرب به القتيل، وفى القاتل ممَّا لا يصوب فيه المختلفون، ومثل هذا الاختلاف ضربان:

أحدهما: ما يقطع بأن الحق فى أحدهما: كالاختلاف فى البقرة هل كانت وحشية، أو إنسية.

والثانى: ما يمكن أن لا يكون الحق فى قول أحد من المختلفين كالبعض من البقرة الذى ضرب به القتيل يمكن أن يكون الواقع خلاف جميع ما قيل، لكن يبعد أن يغيب الصواب فى ذلك عن جميع الأمة إذا انحصرت أقوالهم فيما قيل بخلاف ما يقع جوابًا لأسباب مختلفة؛ إذ يجوز تصويب المختلفين فى السبب إذا كان الجواب صالحًا لإجابة الجميع مثل اختلافهم فى سبب نزول قوله تعالى: ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾ [التحريم: ١] فقيل: سببه تحريم العسل، وقيل سببه تحريم «مارية»، فيجوز أن تنزل الآية بسبب التحريمين جميعًا، وإن لم يكن كذلك لم يحمل على بعض الأقاويل من عقل، أو نقل، أو شرع، أو غلبة استعمال، أو عادة، أو سياق، فإن لم يكن شىء من ذلك وجب التوقف إلا عند من يجمع بين المشترك والحقيقة والمجاز؛ فإنه يجمع بين جميع محتملات الألفاظ، ثم الاختلاف فى البعض من البقرة المضروب به القتيل، يجوز أن يكون ممَّا أمر الله به معينًا فامتثلوه ووقع الإبهام فى الإخبار عنه، ويجوز أنه أمرهم بالضرب بعضو مبهم فعينوا عضوًا ضربوه به،

ويجوز أنه أمرهم ببعضٍ مبهم فى اللفظ معين فى المعنى وبيَّنه موسى ـ عليه السلام ـ وعينه لهم، كل ذلك جائز، ولا يجوز لأحد أن يعين بعض هذه الاحتمالات إلا بدليل.

والغرض من التفسير الوقوف على مقاصد القرآن المفيدة للأمور الدينية، وأما عرفان العضو الذى ضرب به القتيل ومعرفة القرية التى أمروا بدخولها ومعرفة الحجر الذى ينبجس بضرب موسى ـ عليه السلام ـ هل كان معينًا بقدر رأس الإنسان، أو أكبر، أو كان حجراً غير معين فهذا كله لا يفيد أمرًا دينيا.

وكذلك معرفة أسماء البلدان المبهمة فى القرآن ومعرفة أصحاب الكهف، واسم ملكهم، واسم مدينتهم، واسم كلبهم.

وكذلك الذى شبه بعيسى ـ عليه السلام ـ فصلب، هل كان حواريا، أو يهوديا؟

وكذلك الاختلاف فى عدة أصحاب فرعون لما تبع موسى ـ عليه السلام ـ كل ذلك ممَّا لا تمس الحاجة إليه ولا تحث الضرورة عليه.

وعلى الجملة فمقاصد القرآن أنواع:

أحدها: الطلب، وهو أربعة أضرب.

النوع الثانى: الإذن والإطلاق.

النوع الثالث: النداء، والنداء تنبيه للمنادى ليسمع ما يلقى إليه بعد النداء من الكلام ليعمل بمقتضاه، ولذلك كثر النداء فى القرآن.

وأمَّا وصف المنادى فأربعة أقسام:

أحدها: ما لا حث فيه، كقوله: ﴿**يأيها النَّاس**﴾.

الثانى: فيه حث كالوصف بالإيمان وله فائدتان:

أحدهما: الحث على ما يأمر به وينهى عنه بعد النداء، فإن الإيمان موجب للطاعة والإذعان.

الفائدة الثانية: إكرام المؤمنين بندائهم بأشرف أوصافهم وأحبها فيحثهم ذلك الإكرام

على لزوم الطاعة والإذعان.

القسم الثالث: نداء النبى بالنبوة وفيه فائدة التفخيم والإكرام، والحث على الطاعة والإذعان شكرًا لنعمة النبوة.

القسم الرابع: النداء بالرسالة وفيه الفائدتان المذكورتان فى النداء بالنبوة مع التأكيد بذكر الرسالة وهى من النعم الجسام؛ لأنهما تستلزم النبوة وتحث على تبليغ الرسالة فما أحسن قوله: ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧].

النوع الرابع: مدح الأفعال.

النوع الخامس: مدح الفاعلين لأجل الفعل الذى وصفوا به.

النوع السادس: ذم الأفعال.

النوع السابع: ذم الفاعلين لأجل الفعل الذى وصفوا به.

النوع الثامن: الوعد بالخير العاجل.

النوع التاسع: الوعد بالخير الآجل.

النوع العاشر: الوعيد بالشر العاجل.

النوع الحادى عشر: الوعيد بالشر الآجل.

وكل هذه الأخبار تابعة للأحكام مؤكدة لها، إما بالترغيب فيها إن كانت قربة، أو بالترهيب منها إن كانت معصية.

النوع الثانى عشر: الأمثال، وهى مؤكدة للأحكام ترغيبًا، أو ترهيبًا، أو تقبيحًا، أو تحسينًا.

النوع الثالث عشر: التكرير، وهو دال على الاعتناء والاهتمام بالمكرر؛ فتكرير صفات الله دال على الاعتناء بمعرفتها والعمل بمواجبها، وتكرير القصص دال على الاهتمام بالوعظ للإيقاظ والاعتبار.

وفائدة تكرير القصص تذكر المواعظ وتجديدها؛ لأن منها ما يحث على الطاعة

والإيمان، ومنها ما يزجر عن الكفر والعصيان.

وكذلك تكرير الوعد والوعيد، وكذلك تكرير ذكر الأحكام، وكذلك تكرير المدح، والمدح والذم، وما يترتب على المأمورات والمنهيات من المؤكدات المذكورات.

فتكرير الوعد يدل على الاهتمام بفعل الطاعات ترغيبًا فى ثوابها، وتكرير الوعيد يدل على الاهتمام بترك المخالفات ترهيبًا من عقابها.

وتكرير القرآن بين الوعد والوعيد يدل على الاهتمام بوقوف العباد بين الخوف والرجاء فلا يقنطوا من رحمة الله وأفضاله، ولا يغتروا بحلمه وإمهاله.

وتكرير الأحكام يدل على الاعتناء بفعل الطاعات، واجتناب المخالفات.

وتكرير الأمثال يدل على الاعتناء بالإيضاح والبيان.

وتكرير تذكير النعم يدل على الاعتناء بشكرها.

واعلم أنه لا تؤكد العرب إلا ما تهتم به، فإن من اهتم بشيء أكثر ذكره، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد، وكلما خف خف التأكيد، وإن توسط الاهتمام توسط التأكيد، فإذا قال القائل: زيد قائم؛ فقد أخبر بقيامه، فإن أراد تأكيد ذلك عند من شك فيه، أو يكذبه، أو ينازعه فيه أكده فقال: إن زيدًا قائم، فإذا جاء بإن فكأنه قال: زيد قائم، زيد قائم، فإن زاد فى التأكيد قال: إن زيدًا لقائم، فيصير بمثابة ما لو قال: زيد قائم، ثلاث مرات.

أمثلة ذلك قوله تعالى: **﴿قل يأيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم﴾** [الكافرون: ١ - ٤] تأكيد لقوله: **﴿لا أعبد ما تعبدون﴾**، وقوله: **﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾** تأكيد لقوله: **﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾** لما وقع الاهتمام بأنه لا يوافقهم على عبادة الأصنام، وبأن الله قد حرمهم أن يدخلوا فى دين الإسلام، أكد ذينك لشدة الاهتمام بهما، فهذا تأكيد واحد لكل واحد من الخبرين، وعلى الجملة فقد أكد نفى عبادته لأصنامهم بقوله: **﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾**، وأكد نفى عبادتهم لمعبوده بقوله: **﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾**، وإن حمل ذلك على وقتين مختلفين فلا تأكيد إذن.

ومثال تكرير التأكيد قوله تعالى: **﴿ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر * كلا﴾** المعنى:

ألهـاكم التكاثر بالأموال والأولاد عن الاستعداد للمعـاد، ثم زجرهم عن التكاثر بقـوله: **﴿كلا﴾** ثم هددهم بقـوله: **﴿سوف تعلمون﴾** ثم أكـد الزجر الأول بكلا الثـانية، ثم أكـد التهديد بسوف تعلمون، ثم أكد الزجر بكلا الثـالثة، فزجرهم ثلاث مرات للاهتمام بزجرهم عن ذلك، وهددهم على ذلك مرتين للاهتمام بالاستعداد للمعاد.

ومثل هذا قوله تعالى: **﴿عم يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذى هم فيه مـختلفون * كلا سـيعلمون * ثـم كلا سيـعلمون﴾** [النبـا: ١- ٥] زجـرهم بكلا الأولى عن التسـاؤل، والاختلاف، ثم أكد كلا الأولى بكلا الثانية.

وتهددهم فيما بينهما بقوله بعد: **﴿كلا سيعلمون﴾** ثم أكد هذا التهديـد بقوله بعد كلا الثانية **﴿سيعلمون﴾**.

وأمَّا تكرير قوله: **﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾** فى سورة المرسلات فيجوز أن يكون ما عدا الكلمـة الأولى تأكيـدًا لها، وإن تكرر العـدة بالويل على من كذب بقـوله: **﴿إنما توعدون لواقع﴾**، ويجوز أن يريد بكل عدة من عذاب الويل من كذب بما بين عدتى كل ويل.

وأمَّا قوله: **﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾** فى سورة الرحمن فيجوز أن تكون مكررة على جمـيع أنعمه، ويجـوز أن يراد بكل واحدة منهن ما وقع بينهـا وبين التى قبلها من نعـمة، ويجوز أن يراد بالأولى ما تقدمها من النعم وبالثانية ما تقدمها، وبالثالثة ما تقدم على الأولى والثانية، وبالرابعة ما تقدم على الأولى والثانية والثالثة، وهكذا إلى آخر السورة.

فإن قيل: كيف يكون قوله: **﴿سنفرغ لكم أيُّهَا الثقلان﴾** [الرحمن: ٣١] نعمة، وقوله: **﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾** [الرحمن: ٤١] نعمة؟

وكذلك قوله: **﴿هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون﴾** [الرحمن: ٤٣]، وقوله: **﴿يرسل عليكما شـواظ من نار ونحاس﴾** [الرحمن:٣٥] ، وقوله: **﴿يطوفـون بينها وبين حـميم آن﴾** [الرحمن: ٤٤] .

قلنا: هذه كلها نعم جسام؛ لأن الله هدد العـباد بها استصلاحا لهم ليـخرجوا من حيز الكفر والطغيان، والفسوق والعصيان إلى حيز الطاعة والإيمان، والانقياد والإذعان، فإن من

حذَّر من طرق الردى وبيَّن ما فيهـا من الأذى وحث على طرق السلامة الموصلة إلى المثوبة والكرامة كان منعمًا عليه غاية الإنعام ومحسنًا غاية الإحسان.

ومثل ذلك قوله: ﴿**هذا ما وعد الرحمن**﴾ [يس: ٥٢]، وعلى هذا تصلح فيـه مناسبة الربط بذكر صفة الرحمة فى ذلك المقام.

وأمَّا قوله: ﴿**كل من عليها فان**﴾ [الرحمن: ٢٦] فإنه تذكيـر بالموت والفناء للترغيب فى الإقبال على العمل لدار البقاء، وفى الإعراض عن دار الفناء.

وأمَّا قوله: ﴿**وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين**﴾ [الروم: ٤٩] فإن تقديره عند بعضهم: وإن كانوا من قبل إنزال القطر عليهم من قبل إنزاله لمبلسين، فأكد قبل الأولى بقبل الثـانية، وهذا لا اهتمـام فيه؛ فـإنه معلوم أن اليأس من نزول المطر كـان محقـقًا قبل الإنزال فلا حاجة فى مثل هذا إلى التأكيد.

وقدر آخرون: وإن كـانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبل إرسـال الرياح، أو من قبل إثارة السحاب لمبلسين، فعلى هذا لا يكون تكريرًا ولا تأكيدًا.

وعود الضـمائر إلى المصادر التى دلت عليـها الأفعـال ولم تذكر معهـا كثيـر فى القرآن وفصيح الكلام، مثاله قوله: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعـدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ [المائدة: ٨] فـعاد الضـميـر إلى العدل الذى دل عليـه ﴿**اعدلوا**﴾، ومثلـه قوله: ﴿**فيقسمان بالله لا نشترى به ثمنًا**﴾ [المائدة: ١٠٦] أى: لا نشترى بالقسم الذى دل عليه قوله: ﴿**فيقسمان بالله**﴾.

وأمَّا قوله: ﴿**إن علينا للهدى**﴾ [الليل: ١٢] ففيه ثلاث تأكيدات:

أحدها «إن» والثانى: اللام فى للهدى، والثالث: تقديم الخـبر، فإن العرب لا يقدمون إلا ما يعتنون به ويهتـمون، ومثله قوله: ﴿**إن فى ذلك لآيات**﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله: ﴿**إن فى ذلك لعبرة**﴾ [آل عمران: ١٣] أكد بإن واللام وتقديم الخبر.

وقد يتوهم التأكيد فيـما ليس بتأكيد فى مثل قوله: ﴿**تلك عشرة كاملة**﴾ [البقرة: ١٩٦] فإنه لم يرد كمـالها فى العدد ولو أراده لكان تأكيدًا وإنما أراد كمـالها فى صفتهـا، فإن كمال

الصيام فى تتابعه؛ بدليل وجوب المتابعة حيث أمرنا بها فيه، فلما تقرر فى الشريعة أن متابعة الصوم أفضل من تفريقه، وقيدت هذه الأيام بالتفريق فقد يظن ظان أنها ناقصة لتفريقها، وأن كمالها فى تتابعها أخبر أن كمال هذه الأيام فى تفريقها لا فى تتابعها.

ويحتمل أن يريد بالكاملة كمال الصوم بترك الرفث والفسوق، وترك المشاتمة وغير ذلك ممَّا يكون اجتنابه أو فعله مكملاً للصوم، فإن العبادات تنقسم إلى كاملة وناقصة، فالناقصة: ما اقتصر فيها على أركانها وشرائطها، والكاملة: ما أتى فيها بالأركان، والشرائط، والسنن.

* * *

واعلم أن للتفسير أحكامًا وضروبًا، فمن ذلك فهم معنى اللفظ، وهو منقسم إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يعرفه العامة والخاصة كالأرض، والسماء، والجبال، والرجال، والأشجار، والأمطار.

القسم الثانى: ما يعرفه معظم الخاصة كالمعاد والملاذ.

القسم الثالث: ما يعرفه القليل من الخاصة كالرفرف، والصفصف.

ومن ضروب التفسير: ما يتردد بين محملين أحدهما: أظهر عند النزول فيرجع فيه إلى الصحابة والتابعين ويحمل على ظاهره حينئذ.

ومنه: ما يحمل على أخفى محمليه لدليل يقوم عليه.

ومنه: ما يتساوى فيه الأمران فيخص أحدهما بالسبب الذى نزل لأجله.

ومنه: ما يتساوى من غير ترجيح عندنا، وهو راجح فى نفس الأمر؛ لأن الرسول ـ ﷺ ـ قد بيَّن للناس ما نزِّل إليهم، فبعض المتأخرين يحمله على جميع محامله، والوقف أولى به.

وقد يتردد بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض ويترجح بعضها على بعض، وأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب فى موضع آخر، أو السنة، أو إجماع الأمة، أو سياق الكلام.

وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى.

وقد يقدر بعض النحاة ما يقتضيه علم النحو لكن يمنع منه أدلة شرعية فيترك ذلك التقدير ويُقدَّر تقدير آخر يليق بالشرع.

وقد يعبِّر النحاة والمفسرون وغيرهم بالعام ويريدون به الخاص فيجهله كثير من النَّاس.

وعلى الجملة فالقاعدة فى ذلك: أن يحمل القرآن على أصح المعانى وأفصح الأقوال فلا يحمل على معنى ضعيف، ولا على لفظ ركيك، وكذلك لا يقدر فيه من المحذوفات إلا أحسنها وأشدها موافقة وملاءَمة للسياق.

وإذا كان للاسم الواحد معانٍ كالعزيز بمعنى: القاهر، وبمعنى: الممتنع، وبمعنى: الذى لا نظير له، حمل فى كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق كيلا يتبتر الكلام وينخرم النظام.

وإذا اتحد معنى القراءتين كالسراط والصراط[1] فهذا ظاهر.

وإن اختلف معناهما وجب القطع بأنهما مرادتان، مثال ذلك: قوله: ﴿**ولهم عذابٌ اليم بما كانوا يُكَذِّبون**﴾ و ﴿**يَكْذِبُون**﴾ [البقرة: ١٠] أخبر بأنهم يعذبون بالتكذيب والكذب وهذا اختصار فى صورة الخط دون اللفظ[2].

ومنه: ضروب التفسير وأحكامه بيان كون اللفظ حقيقة، أو مجازاً.

ومنه: بيان رجحان إحدى الحقيقتين على الأخرى.

ومنه: بيان رجحان أحد المجازين على الآخر.

ومنه: بيان ترجيح الحقيقة على المجاز.

---

(١) الأولى قراءة ابن كثير وجماعة من العلماء: ﴿ السراط ﴾ بالسين وهذا هو أصل اللفظة. والثانية هى قراءة باقى السبعة غير حمزة بصاد خالصة (المحرر الوجيز ١/ ٧٤).

(٢) القراءة الأولى هى قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر، والثانية هى قراءة الباقين (المحرر الوجيز ١/ ٩٢).

ومنه: بيان ترجيح ما يناسب الكلام ويطابقه على ما ليس كذلك.

ومنه: ترجيح بعض الإعراب على بعض.

ومنه: بيان التقديم والتأخير.

ومنه: بيان مظان الإطالة.

ومنه: بيان مظان الاختصار، وفائدة الاختصار: سهولته على المتكلم وإيضاح المعنى على الفور إلى المخاطب، كقوله تعالى: ﴿فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين﴾ [يونس: ١٠٦].

ومنه: الحذف، وهو أنواع: وقد تقدمت في أول هذا الكتاب.

ومنه: ضروب التفسير وأحكامه تعين المضاف المحذوف.

ومنه: ترجيح بعض المضافات المحذوفة على بعض.

ومنه: استواء المضافات المحذوفة من غير ترجيح.

ومنه: ترجيح بعض المفاعيل المحذوفة على بعض.

ومنه: استواؤها.

ومنه: تعين بعضها.

ومنه: ترجيح بعض ما تصح الإشارة إليه بذلك على بعض.

ومنه: تعين ما يشار إليه بذلك.

ومنه: عود الإشارة بذلك إلى ما ليس بمذكور.

ومنه: ترجيح بعض الموصوفات على بعض.

ومنه: تعين بعض الموصوفات المحذوفة.

ومنه: ترجيح ما تعود إليه الضمائر.

ومنه: تعين ما تعود إليه الضمائر.

ومنه: تردد ما تعود إليه الضمائر.

ومنه: عود الضمائر إلى ما ليس بمذكور.

ومنه: عود الضمائر إلى ما دل عليه اللفظ وليس بمذكور.

اعلم أن من الفوائد: أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ويتشبث بعضه ببعض لئلا يكون مقطعًا متبرًا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر.

ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول ﷺ في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب، ولذلك أمثلة:

أحدها: أن الملوك يتصرفون في مدة ملكهم بتصرفات مختلفة متضادة وليس لأحد أن يربط بعض ذلك ببعض.

المثال الثاني: الحاكم يحكم في يومه بوقائع مختلفة وأحكام متضادة وليس لأحد أن يلتمس ربط بعض أحكامه ببعض.

المثال الثالث: أن المفتي يفتي في مدة عمره، أو في يوم من أيامه، أو في مجلس من مجالسه بأحكام مختلفة وليس لأحد أن يلتمس ربط بعض فتاويه ببعض.

المثال الرابع: أن الإنسان يتصرف في خاصته بطلب أمور موافقة ومختلفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات ببعض، والله أعلم، والحمد لله وحده.

أسماء القرآن[1] أربعة:[2]

أحدها: الذكر، قيل لأنه شرف لمن آمن به، وقيل: لأن الله ذكر به عباده وعرَّفهم فيه فرائضه وحدوده.

(١) يراجع في ذلك الإتقان (١/ ١١١ - ١١٥)، جمال القراء(١/ ٢٣ - ٣٣).

(٢) ذكر العز هنا ستة أسماء، ولعل هذا من النساخ.

الثاني: **الفرقان**: لأنه فرق بين الحق والباطل، قاله الجميع.

الثالث: **الكتاب**: والكتاب مصدر كتبت سمى به المكتوب ههنا.

قلت: إما لأنه كتب فى اللوح المحفوظ، أو لأن الله كتب أحكامه وتكاليفه على عباده أي: أوجبها عليهم، والكتابة فى اللغة: الجمع، ومنه: كتبت السقاء إذا جمعته بالخرز، ومنه: وأكتبها بأسيار.

الرابع: **القرآن**: وهو مصدر قرأت بمعنى: بينت، عن ابن عباس.

ومنه: ﴿**فإذا قرأناه**﴾ [القيامة: ١٨] أي: بيناه.

قلت: لأنه بيان للناس لما يحتاجون إليه فى أمور دينهم.

وقال قتادة(١): هو مصدر قرأت بمعنى: ضممت وجمعت؛ لأنه آيات مجموعة.

قلت: ولأنه جامع لخير الدُّنيا والآخرة.

ومنه: قوله: لم تقرأ جنينًا(٢)، وقرء العدة: لاجتماع الحيض فى الرحم، وما قرأت هذه الناقة سلا قط، أي: ينضم رحمها على ولده.

الزبور: من زبر الكتاب يزبره إذا كتبه.

ومنه: يزبره الكاتب الحميرى التوراة من ورى الزند إذا أخرج ناره؛ لأنها ضياء.

الإنجيل: من نجلتُ الشيء إذا أخرجته، ونجل الرجل نسله كأنه أخرجهم.

قلت؛ لأن الله أظهره للناس وأخرجه إليهم من الغيب.

---

(١) المحرر الوجيز ١/٥٦.

(٢) أراد قول الشاعر عمرو بن كلثوم:

ذراعَى بكْرَةٍ أدْماءَ بِكْرٍ هجان اللون لم تقرأ جنينَا

أي لم تجمع فى بطنها ولدًا فهو أقره لها.

فصل في تقسيم سور القرآن(*)

قال ﷺ: «أعطانى ربى مكان التوراة السبع الطول، ومكان الإنجيل المثانى، ومكان الزبور المثين، وفضلنى ربى بالمفصل»[(١)].

السبع الطُّوَل: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأصح أن السابعة سورة يوسف[(٢)]، وقال ابن جبير، وابن عباس: سميت طوالاً لطولها على سائر السور.

المئون: كل سورة عدد آيها مائة، أو تزيد شيئًا، أو تنقص شيئًا.

المثانى: السور التى ثنى الله فيها الفرائض والحدود، والقصص والأمثال، قاله ابن جبير، وابن عباس.

وقال الحسن البصرى: المثانى فاتحة الكتاب.

وقيل: ما ثنيت فيه المائة إلى المائتين، أو ما قاربها، فكأن المئين أوائل، والمثانى لها ثوان.

المفصل: سمى مفصلاً لكثرة فصوله بالبسملة، وآخره سورة النَّاس، وأوله عند الأكثرين ـ سورة محمد ﷺ، وعند كثير من الصحابة: ق، وعند ابن عباس: سورة الضحى، وكان يفصل من الضحى بين كل سورتين بالتكبير، وهو رأى قراء مكة.

السؤرة، بالهمزة: تميمة؛ مأخوذة من السؤر؛ لأنها كقطعة بقيت من القرآن، والسؤر البقية قال الأعشى[(٣)]:

(*) يراجع فى ذلك الإتقان ١/ ١١١-١٢٥، جمال الإقراء ١/ ٣٩-٤٢ .

(١) عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ١٥٨) للطبرانى وأحمد، الطبرى فى تفسيره (١/ ١٠٠)، ابن كثير فى تفسيره (١/ ٣٤).

(٢) لعله خطأ من الناسخ، فلم يقل به أحد من المفسرين، وفى تفسير «العز» أنها سورة يونس (١/ ٨٢).

(٣) هو: ميمون بن قيس، والبيت فى (المحرر الوجيز ١/ ٥٦) .

فَبَانَتْ وقـد أسْأرتْ فى الفـؤا د صدعـًا على نأيهـا مُسْتَطِيرا

وقريش وغيرها لا يهمزونها؛ إما لكونها مخففة من المهموز، أو لأنها مأخوذة من سور البناء؛ لأنه يبنى قطعة بعد قطعة، أو من السورة، وهى المنزلة الرفيعة، وبها سميت سور القرآن لارتفاعها وعلو قدرها.

ومنه: سور البلد لارتفاعه على ما يحويه، قال النابغة:

ألَمْ تَرَ أنَّ الله أعطاكَ سورةً ترى كُلَّ ملكٍ دُونها يتذبذبُ[(١)]

الآية: قيل: إنها القصة والرسالة، وقيل: الآية العلامة، فآيات القرآن علامات لتمام ما قبلها.

ومنه: ﴿وآية منك﴾ أى: وعلامة منك على أنك أجبت دعاءنا.

فصل فى انقسام التفسير

قال ﷺ: «القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه»[(٢)] فقيل: الذلول المطيع لمن يقرؤه من جميع أهل اللغات.

وقيل: الموضح لمعانيه فلا يقصر عن فهمها المجتهدون وذو الوجوه.

وقيل: الجامع لوجوه الأمر، والنهى، والتحليل والتحريم.

وقيل: هو الذى تحتمل ألفاظه وجوهًا من التأويل.

وأمَّا حمله على أحسن وجوهه فبأن يحمل على أحسن معانيه.

وقيل: بأن يعمل بأحسن ما فيه كالعزائم دون الرخص، والعفو دون الانتقام.

وتتوقف معرفة القرآن على معرفة اللغة والإعراب.

قال ابن عباس: إذا أشكل عليكم شىء من القرآن فالتمسوه فى الشعر فإنه ديوان

(١) البيت للنابغة الذبيانى: المحرر الوجيز (١/ ٥٧)، الإتقان ١/ ١١٥، البحر المحيط ٤/ ١٠٨ .
(٢) أخرجه الدارقطنى فى سننه (٤/ ١٤٤) وفى إسناده زكريا بن عطية، منكر الحديث.

العرب، فما كان موجبًا للعمل جاز أن يستدل عليه بالآحاد، وبالبيت والبيتين من الشعر، وما كان موجبًا للعلم فلا يستدل عليه بمثل ذلك.

ثم من القرآن ما لا يعلمه إلا الله كقيام الساعة.

ومنه: ما يجب علمه على الكافة كمعرفة الأحكام العامة ودلائل التوحيد.

ومنه: ما تختص به العلماء كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتأويل المتشابه.

والألفاظ ضربان: أحدهما: ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا فيجب حمله عليه.

الثاني: ما يحتمل معنيين فما زاد، فإن ظهر في أحد محتمليه وخفي في الآخر وجب حمله على الظاهر ما لم يمنع منه دليل، وإن استوى المعنيان في الظهور والخفاء، فإن كان أحد اللفظين لغويًا، والآخر عرفيًا حمل على العرفي.

وإن كان أحدهما: لغويًا أو عرفيًا، والآخر شرعيًا حمل على الشرعي.

وإن استوى استعمال اللفظين لغة وعرفًا، أو لغة وشرعًا كالقرء، فإن لم يمكن جمعهما حمله المجتهد على أحدهما بما يدل عليه، فإن اختلف فيه مجتهدان فمراد الله من كل واحد منهما ما أدى إليه اجتهاده.

وإن لم يترجح أحدهما، فهل يتخير بينهما أو يأخذ بالأغلظ؟ فيه مذهبان، وإن أمكن الجمع بينهما ولم يترجح أحدهما على الآخر فكلاهما مراد الله؛ لأنه لو أراد أحدهما لنصب عليه دليلاً، وإن ترجح أحدهما بدليل، فإن دل على بطلان الآخر دليل لم يجز الحمل عليه، وإن لم يدل على بطلانه دليل جاز أن يكون مرادًا مع ما دل الدليل على رجحانه.

عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ **«من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»**(١).

وقال الشعبي: لأن أكذب مائة كذبة على محمد ﷺ أحب إليَّ من أن أكذب كذبة

---

(١) أخرجه أبو داود في العلم (٣٦٥٢)، الترمذي (٤٠٢٢، ٤٠٢٣) وقال: حسن صحيح.

واحدة فى القرآن إنما يفضى الكاذب فى القرآن إلى الله.

قال ابن عباس: تفسير القرآن على أربعة وجوه: فتفسير يعلمه العلماء، وتفسير يعرفه العرب، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته يقول من الحلال، والحرام، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله، فمن ادعى علمه فهو كاذب(١).

قال أبو إدريس الخولانى(٢): القرآن ست آيات: آية تأمرك، وآية تنهاك، وآية تبشرك، وآية تنذرك، وآية فريضة، وآية قصص وأخبار، أو قال: أمثال.

قال أبو العالية(٣): نزلت الصحف فى أول ليلة من شهر رمضان، ونزلت التوراة لست، ونزل الزبور لثنتى عشرة، ونزل الإنجيل لثمانى عشرة، ونزل القرآن لأربع وعشرين من شهر رمضان.

وقال السُّدِّى، والأعمش(٤)، وسعيد بن جبير(٥): نزل جبريل بالقرآن جملة واحدة ليلة القدر فجعل بموضع النجوم من السَّماء الدُّنيا فى بيت العزة فجعل جبريل ينزل به رتبًا رتبًا(٦)، ولم يذكر بيت العزة إلا الأعمش.

قال قتادة: ما من آية فى القرآن إلا وقد سمعت فيها أشياء.

وعنه: جالست الحسن ثنتى عشرة سنة صليت الصبح منها معه ثلاث سنين، قال: ومثلى أخذ عن مثله.

---

(١) ذكره السيوطى فى الإتقان ٢/ ٤٠٠، وعزاه لابن جرير.

(٢) هو عائذ الله بن عبد الله بن عمرو الخولانى العوذى الدمشقى، تابعى فقيه، ولد سنة ٨ هـ، وتوفى سنة ٨٠هـ (انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٧٢).

(٣) هو: رفيع بن مهران الرياحى البصرى، (انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧).

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدى بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش، تابعى مشهور، ولد سنة ٦١هـ وتوفى سنة ١٤٨ هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦).

(٥) سعيد بن جبير الأسدى بالولاء، الكوفى، أبو عبد الله، تابعى ولد سنة ٤٥ هـ وتوفى سنة ٩٥هـ (انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١).

(٦) ذكره السيوطى فى الإتقان ١/ ٨٩-٩٠، وعزاه للحاكم وابن أبى شيبه، وقال: إسناده صحيح.

وقال سفيان: فى بعض الحديث: «من قال فى القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان عليه وزر»(١).

وقال الزهرى(٢): مَسَّتْ ركبتى ركبة سعيد بن المسيب ثمان سنين.

□□□

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه
أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

(١) أخرجه الترمذى فى تفسير القرآن بنحوه من رواية ابن عباس ٢٩٥٢، وفى إسناده سهيل بن عبد الله، ضعيف.

(٢) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى، من بنى زهرة بن كلاب أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، ولد سنة ٥٨هـ، وتوفى سنة ١٢٤هـ (انظر الأعلام للزركلى ٧/ ٩٧).

الكشافات

١ - كشاف الأحاديث النبوية

٢ - كشاف الأشعار

٣ - كشاف أنصاف الأبيات

١ - كشاف الأحاديث النبوية

* * *

٢ - كشاف الأشعار

٣ - كشاف أنصاف الأبيات

مصادر التحقيق

* الإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى، القاهرة ١٩٤١،

* الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخارى، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الإمارات ١٤٠١ هـ.

* الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، تحقيق على محمد البجاوى، مكتبة نهضة مصر.

* أسد الغابة: لعز الدين أبى الحسن على بن محمد الجزرى ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ، كتاب الشعب القاهرة.

* الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة، لملا على القارى، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامى، ١٩٨٦ م.

* الأسماء والصفات للبيهقى، تحقيق محمد زاهر الكوثرى، القاهرة ١٣٥٨ هـ.

* إصلاح المنطق، لابن السكيت، تحقيق أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، القاهرة١٩٤٩.

* الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلى، المتوفى سنة ١٣٩٦ هـ، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٩م.

* أمالى الزجّاجى، لأبى القاسم الزجّاجى، تحقيق عبد السلام هارون، طبع القاهرة ١٣٨٢ هـ.

* إنباه الرواة على أنباء النحاة، لأبى الحسن على بن يوسف القفطى، المتوفى سنة ٦٤٦هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية القاهرة.

* بديع القرآن، لابن أبى الأصبع، زكى الدين عبد العظيم بن عبد العظيم بن عبد الواحد، تحقيق: دكتور حفنى ناصف، القاهرة ١٩٥٧،

* البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر الدمشقى المعروف بابن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق: أحمد فتيح، دار الحديث القاهرة ١٩٩٢م.

* البرهان في علوم القرآن، للزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ط ٢، بدون تاريخ.

* بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى، المتوفى سنة ٩١١هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابى الحلبى.

* تاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان، الطبعة العربية دار المعارف المصرية، والهيئة العامة للكتاب .

* تاريخ الإسلام، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ، المتوفى سنة ٧٣٨ هـ، تحقيق عمر تدمرى.

* تذكرة الحفاظ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، تحقيق عبد الرحمن المعلمى اليمانى، حيدر آباد، الدكن، الهند ١٣٧٤ .

* تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، لعبد الرحمن بن على ابن الديبع، مطبعة صبيح بمصر ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢م.

* تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبى الحسن على بن محمد ابن عراق الكنانى، المتوفى سنة ٩٦٣ هـ ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، ١٤٠١ هـ.

* حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، المتوفى سنة ٩١١ هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

* حلية الأولياء، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ، الطبعة الأولى مصر .

* خزانة الأدب، للبغدادى، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦.

* الخصائص، لابن جنى، تحقيق محمد على النجار، القاهرة ١٩٥٦.

* ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى، بيروت.

* ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٤.

* ديوان الحماسة، للبحترى، تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩٦٧.

* ديوان الخنساء، بيروت ١٨٩٥.

* ديوان عمرو بن معد يكرب، جمع وتحقيق مطاع الطرابيشى، دمشق ١٩٧٤.

* ديوان عنترة، دار صادر، بيروت.

* ديوان النابغة الذبياني، مصر ١٢٩٣ هـ.

* ديوان الهذليين، تحقيق أحمد الزين، القاهرة ١٩٦٥.

* الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطى، المتوفى سنة ٩١١ هـ، دار الكتب العلمية ١٩٩٠ م.

* الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة، لجلال الدين السيوطى، المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الاعتصام القاهرة.

* زاد المسير فى علم التفسير، لابن الجوزى، تحقيق محمد زهير الشاويشى، وشعيب الأرناؤط، دمشق ١٩٨٦.

* سلطان العلماء، لأحمد يوسف القرعى، القاهرة ١٩٦٤.

* سمط اللآلى «اللآلى فى شرح أمالى القالى»، لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى المتوفى ٤٨٧ هـ، وشرح ذيل الأمالى وصلة ذيله والتنبيه على الأغلاط المعدودة فيهما، نسَّقه وعلّق عليه عبد العزيز الميمنى، طبع فى مصر ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦ م.

* سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، دكتور مصطفى الذهبى، دار الحديث القاهرة ١٩٩٨.

* سنن الترمذى، تحقيق أحمد شاكر، دكتور مصطفى الذهبى، دار الحديث القاهرة ١٩٨٨.

* سنن أبى داود، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة بدون تاريخ.

* سير أعلام النبلاء، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت.

* شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى، المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ، نشر مكتبة القدسى، القاهرة ١٣٥٠ هـ، ودار ابن كثير، دمشق ١٩٩٥ م.

* شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيى عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٧.

* شعب الإيمان، للإمام البيهقى، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ، تحقيق: أبو هاجر، دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ.

* الشعر والشعراء، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٣٢٦ هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر.

* صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، ودكتور مصطفى الذهبى، دار الحديث القاهرة ١٩٩٧.

* الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، دار الحديث القاهرة ١٩٩٤.

* طبقات فحول الشعراء، لأبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى، المتوفى سنة ٢٣٢هـ، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.

* طبقات المفسرين، للداوودى تحقيق على محمد عمر، القاهرة ١٩٧٢.

* العقد الفريد، لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، إبراهيم الإبيارى القاهرة ١٩٦٥.

* العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية، لعبد الرحمن بن على الجوزى، تقديم الشيخ خليل الميس، دار الكتب العلمية ١٩٨٣م.

* فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٤.

* الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن على الشوكانى، المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ، تحقيق عبد الرحمن المعلمى اليمانى، مطبعة السنة المحمدية بمصر ١٣٨٠هـ.

* كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل ابن محمد العجلونى الجراحى، المتوفى سنة ١١٦٢ هـ، مكتبة القدسى القاهرة.

* اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين أبى الفضل عبد الرحمن ابن أبى بكر السيوطى، المتوفى سنة ٩١١ هـ، المكتبة التجارية بمصر.

* مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فؤاد سزكين، القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٦٢.

* مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة دار المعارف .

* مجمع الأمثال، لأحمد بن محمد الميدانى، المتوفى سنة ٥١٨ هـ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة القاهرة.

* معانى القرآن وإعرابه، للزجاج، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٦.

* معجم شواهد العربية، عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٧٢.

* معجم الشعراء، لمحمد بن عمران المرزبانى، المتوفى ٣٨٤ هـ، تحقيق كرنكو، مطبعة القدسى ١٣٥٤ هـ .

* موطأ مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، دار الحديث، القاهرة.

* المؤتلف والمختلف، لأبى القاسم الحسن بن بشري بن يحيى الآمدى، القاهرة ١٩٦١ ,

* الموضوعات، لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى، المتوفى ٥٩٧ هـ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر ١٩٨٣ م.

* المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، لابن تغرى بردى، تحقيق أحمد يوسف نجاتى، القاهرة ١٩٦٥.

* النجوم الزاهرة، لابن تغرى بردى، القاهرة ١٦٩٣.

* وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧٢.

فهرس المحتويات

باب المجاز ٤٣

* * *